الجـزء الرابع
المجلد الحادي والثلاثون





ذو القعـدة ١٤٠٠ هـ
تشرين الاول ١٩٨٠ م



مجلة المجمع العلمي العراقي





ذو القعـــدة ١٤٠٠ هـ
تشرين الاول ١٩٨٠ م



العسكرية الاسلامية :

جيش النبي ﷺ

اللواء الركن محمود شيت خطاب

مجمل السيرة

- ١ -

تتلخّص سيرة النبيّ صلّى الله علية وسلّم وحياته المباركة في : التوحيد والجهاد

لقد وحّد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم منذ مبعثه في مكّة المكرَّمة إلى هجرته إلى المدينة المنوّرة من أجل الجهاد : وحّد الأفكار بالتوحيد ، ووحّد الصفوف بالتوحيد ، ووحّد الأهداف بالتوحيد ، وجمع الشمل بالتوحيد ، وبنى الانسان بالتوحيد ، وأزال نعرات الجاهليّة بالتوحيد ، وغرس التضحية والفداء بالتوحيد ، وجعل المسلمين كافة كالبناء المرصوص بالتوحيد .

لقد كانت حياته المباركة في مكّة المكرّمة عبارة عن توحيد من أجل الجهاد .

وجاهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم منذ هجرته إلى المدينة المنوّرة من مكّة المكرّمة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى من أجل التوحيد ؛ فكان جهاده لتبليغ الدّعوة إلى الناس كافة ، ولتكون كلمة الله هي العليا في الارض .

وكانت همّته العاليه منصرفةً بكل طاقاتها الماديّة والمعنويّة ، بتأييد من الله وتوفيقه ، إلى غاية سامية واضحة المعالم هي : (بناء الانسان المسلم) ، ليكون قدوة للآخرين في السّلم والحرب ، أخلاقاً وسلوكاً ، ومعاملةً ومنهجاً ، وأسلوباً للحياة الدنيا والآخرة معا . .

الممالك العربية

عند ظهور الإسلام

البحر الأبيض

تدمر

دمشق

الجابية

الكوفة

البصرة

فدك

تبوك

تيماء

نجد

خيبر

المدينة

هوازن

كندة

اليمامة

عمان

مكة

هذيل

اليمن

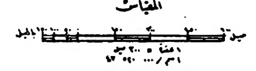
مأرب

صنعاء

حضرموت

البحر العربي

المقياس



وكان سبيله إلى : بناء الانسان المسلم ، هو التوحيد من أجل الجهاد ، والجهاد من اجل التوحيد .

بالتوحيد ، أشاع الانسجام الفكريّ لأول مرة بين المسلمين في التاريخ ، وهذا الانسجام جعل التعاون الوثيق بينهم ممكناً ، إذ لا تعاون وثيقاً مؤثراً بدون انسجام فكريّ يُذيب الاختلافات ويقضى على النزعات ويحمي من الأهواء .

كما أنّ هذا الانسجام جعل الجهاد ممكناً أيضاً ، يقود إلى النّصر ويؤدي إلى الظّفر ،إذ أنّ التعاون الوثيق والجهاد المقدّس الذي تستثيره العقيدة الرّاسخة الواحدة ، جعل من المسلمين قوّة لا تُقهر أبداً ، فوحّد الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام في أيامه شبه الجزيرة العربيّة كلـها تحت لواء الاسلام ، ولا نعرف لها وحدةً بأيٍّ شكل من الأشكال وبأية صورة من الصّور قبله أبدا ، فكان جيش النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذي أنشأه وأرسى دعائمه خلال عشر سنوات من عمره المبارك ، هو الذي حمل رايات المسلمين شرقاً وغرباً من بعده ، وتحمّل أعباء الفتح الاسلامي العظيم الذي شمل خلال تسعة وثمانين عاماً (١١ هـ — ١٠٠ هـ) من الصّين شرقاً إلى قلب فرنسا غرباً ، ومن سِيبِيْريا شمالاً إلى المحيط جنوباً فكان هذا الفتح فتحاً مُستداماً ، لم ينحسر عن البلاد المفتوحة على الرغم مـن تقلّبات الظروف وتطوّرات الزمن ، إلاّ عن الأندلس الذي انحسر عنها انحساراً سياسياً وعسكرياً ، وبقي ثابتاً راسخاً فيها فكرياً وثقافياً واجتماعياً حتى اليوم .

مجمل تاريخ جيش النبي

— ٢ —

وتاريخ جيش النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، يبدأ من يوم مبعثه عليه الصّلاة والسّلام ، فقد عمل جاهداً في ميدان بناء الانسان المسلم ، الذي هو المجاهد المسلم قائداً وجندياً ، ولكنّ تاريخه في التطبيق العملي للجهاد عشر سنوات فقط بدأت في المدينة المنوّرة .

وحين هاجر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة وأمر أصحابه بالهجرة إليها ، بدأ تنظيم الجيش الاسلامي وتسليحه وتجهيزه وقيادته (عملياً) جيشاً نظامياً له كيان واحد ، وهدف واحد ، وفكر واحد ، وقيادة واحدة

ومعنى الهجرة إلى المدينة المنوّرة ، من الناحية العسكرية ، هو حشد المجاهدين في قاعدة أمينة ، تمهيداً للنهوض بأعباء الجهاد .

وبادر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مباشرة ، بعد استقراره في المدينة المنوّرة ، إلى اختيار مكان مناسب لبناء مسجده ، وبدأ ببنائه باللّبن ، وشارك أصحابه في حمل اللّبنات والأحجار على كواهلهم ، فتَمَّ للمسلمين بناء المسجد : فراشه الرّمل والحصى ، وسقفه الجريد ، وأعمدته الجذوع[1] .

وتَمَّ ببناء مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المدينة المنوّرة ، بناء : الثُّكْنَة الأولى لجيش النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، والثكنة الأولى في الاسلام .

وفي مسجد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أخذ بناء الانسان المسلم يؤتى أكله مرتين : غيرُ القادرين على الجهاد من أولاد المسلمين الصغار ليكونوا جيش المستقبل وجنود الفتح الاسلامي وقادته ، والقادرون على الجهاد من شباب المسلمين وكهولهم وشيوخهم أيضاً ليكونوا جيش الحاضر والمستقبل وجنود الفتح الاسلامي وقادته ، والقادرون وغير القادرين على الجهاد من المسلمين يُحقنون في المسجد النبويّ الشّريف بمصل الجهاد مادياً ومعنوياً ، ليصبح الانسان المسلم مجاهداً من الطراز الأول بماله ونفسه في سبيل الله .

ولم يُؤْذَن للمسلمين بالقتال وهو الجهاد الاصغر قبل الهجرة من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة ، بالرغم مما تَحَمّلوه من تعذيب وتشريد وعناء واضطهاد . وفي مكة المكرّمة اجتمع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بسبعين رجلاً من مسلمي المدينة المنوّرة

---

(١) انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (٢٣٩/١ - ٢٤٠) وسيرة ابن هشام (١١٤/١) والطبري (٣٩٧/٢) وابن الأثير (١٠٩/٢) والبداية والنهاية (٢١٤/٣) وابن خلدون (٧٤٠/٢-٧٤١) ومختصر تاريخ البشر (١٢٧/١) وعيون الأثر (١٩٥/١) وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١٤٦) . ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه (٢٤) .

ليلاً في (العَقَبَة)[1] في بيعة العقبة الثانية، فاستمع أحد المشركين وهو يتجوّل بين مضارب الخيام ومنازل الحجيج ما دار في اجتماع (العقبة) من حديث بين النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأولئك المسلمين القادمين من المدينة المنوّرة، فصرخ يُنْذِرُ أهل مكة بأعلى صوته : « إنّ محمداً والصُّبّاء[2] معه، قد اجتمعوا على حربكم » .

ولم يكترث مسلمو المدينة من أهل العقبة الثانية بانكشاف أمرهم ، بل أرادوا مهاجمة المشركين من قريش وغيرهم بأسيافهم ، ولكنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم أمرهم بالتفرق والعودة إلى رحالهم ، إذ لم يأذن الله لهم بَعْدُ بالقتال[3] .

وبعد الهجرة إلى المدينة المنوّرة ، نزلت أوّل آيـة من آيات القتال : (أُذِنَ للذين يُقَاتَلون بأنّهم ظُلِموا وإنّ الله على نَصْرِهِمْ لَقَدِيْر . الذين أُخْرِجوا من ديارِهِمْ بغيرِ حَقٍّ إلاّ أن يقولوا : ربُّنا الله)[4] ، فخَرَج الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام غازياً في شهر (صَفَر) على رأس اثني عشر شهراً من مَقْدَمه إلى المدينة المنوّرة ، وبذلك بدأ الجهاد الأصغر عملياً في الاسلام[5]

رسالة المسجد العسكرية

- ٣ -

لقد قضى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اثنتي عشرة سنة من عمره المبارك في مكّة المكرّمة وسنة واحدة في المدينة المنوّرة بعد هجرته إليها يعمل جاهداً في ميدان : بناء الانسان المسلم ، منفّذاً رسالة الله في مجال الجهاد الاكبر .

---

(١) العقبة : الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه ، وهو طويل صعب إلى صعود الجبل . وأما العقبة التي بويع فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي : عقبة بين (منى) ومكة ، بينهـا وبين مكة نحو ميلين ، وعندها مسجد ومنها ترمى جمرة العقبة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٢/٦ - ١٩٣) والمشترك وضعاً والمتفق صقعاً (٣١١) .

(٢) الصباء : جمع صابئ ، وصبأ الرجل : ترك دينه ، وكان المشركون يقولون لمن أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصابي .

(٣) انظر التفاصيل في : سيرة ابن هشام (٥٤/٢ - ٥٧) .

(٤) الآيتان الكريمتان من سورة الحج (٢٢ : ٣٩ - ٤٠) .

(٥) سيرة ابن هشام (٢٢٣/٢) والدرر (١٠٣) وانظر كتابنا : الرسول القائد (٢٧-٢٨) .

وقضى عشر سنوات في المدينة المنوّرة من عمره المبارك ، من بداية الجهاد الأصغر حتى التحق بالرفيق الأعلى منفّذاً رسالة الله في مجال الجهاد الأكبر وهو بناء الانسان المسلم ، وفي مجال الجهاد الأصغر ، وهو الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله .

وقد بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الاربعين من عمره المبارك ، والتحق بالرفيق الأعلى عن ثلاث وستين سنة ، فكان نبيّاً ورسولاً ، ومعلماً ورائداً ، وقدوة وأسوة ثلاثاً وعشرين سنة ، وكان نبياً ورسولاً ، ومعلماً ورائداً ، وزعيماً وقائداً عشر سنوات ، بلّغ الرّسالة ، وأدى الأمانة ، خلال عمره المبارك من مبعثه إلى وفاته في مجالين حيويين : مجال الجهاد الاصغر ، ومجال الجهاد الأكبر ، فعلّمنا أنّ الجهاد الأكبر هو الأصل ، ولكنّ هذا الجهاد لا يبلغ غايته ويحقّق أهدافه ويصان ويُحمى إلاّ بالجهاد الأصغر ، فلا حقّ بغير قوّة ، ولا قوّة بغير مجاهدين صادقين ، يجاهدون أنفسهم أولاً بالعقيدة الراسخة ، لينتصروا على أعداء الاسلام بالانفس الطّاهرة ذات الأخلاق المحاربة ، لا بضخامة العَدَد والعُدَد ، إذ لم ينتصر المسلمون على أعدائهم بالتفوّق العَدَديّ والعُدَديّ في أيام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولا في أيام الفتح الاسلامي العظيم ، بل انتصروا بتطبيق تعاليم الدين الحنيف نصّاً وروحاً ، فلما بدّلوا ما بأنفسهم وتغلبت عليهم نفوسهم الأمّارة بالسّوء ، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، أصبحت انتصاراتهم هزائم ، ولم يُفْلحوا أبداً .

إنّ تاريخ جيش النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، بدأ من أوّل نزول الوحي على المصطفى عليه الصّلاة والسّلام ، فأعدّ جنوده وقادته بالتدريج (أفراداً) في مكّة المكرّمة ببناء الانسان المسلم ؛ فلما هاجر إلى المدينة المنوّرة وشيّد مسجده فيها ، بدأت مرحلة جديدة من مراحل ذلك الجيش هي مرحلة تنظيم (الأفراد) قادة وجنوداً ، استعداداً للجهاد الأصغر ، ولم تمض سنة كاملة على إكمال تشييد المسجد النبويّ الشّريف ، ألاّ إصبح جيش النبيّ صلّى الله عليه وسلّم متكامل التنظيم ، قليل العَدَد ولكنه كثير المَدد ، في قاعدة أمينة هي المدينة المنوّرة ، يرتكز عليها في جهاده ، وينطلق منها لتحقيق أهدافه ، ويعود إليها من غزواته ، ويحشد فيها الرجال والمعدات .

واتّخذ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مسجده النبويّ الشّريف مقراً للقيادة : يُعِدّ فيه الخطط العسكريّة ، ويعقد في رحابه مجالس الجهاد ، ويهيّئ فيه المجاهدين الصّادقين ، ويصدر فيه القرارات والأوامر والوصايا ، وينصت فيه إلى أصحابه ، لأنّ أمرهم شورى بينهم .

وكان يحشد أصحابه في المسجد ، ليشحنهم بطاقات وماديّة معنويّة لاينضب معينها ، ويحرّض المؤمنين على القتال ، ويأمرهم بالثبات وينهاهم عن الفرار ، ويحذّرهم الفرقة والنزاع ، ويأمرهم بالطّاعة والنّظام ، ويشيع فيهم المحبّة والألفة والتآخي .

وكانت الغزوات والسّرايا تنطلق من المسجد ، وتُعقد الرايات والأعلام والبنود للمجاهدين في المسجد ، وتوزّع فيه الأسلحة والمعدّات ، وكان أصحابه يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر ، ويعود المجاهدون من الغزوات والسرايا إلى المسجد ، وتضمّد جروح المصابين في المسجد ، ويتعلّم المسلمون أحكام الجهاد في المسجد .

والفرق بين الغزوات والسّرايا ، إنّ الغزوات يقودها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بنفسه ، والسرايا يقودها قادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من أصحابه الغرّ الميامين .

أخرج الشيخان – واللّفظ لمسلم – عن أنسٍ رضي الله عنه ، قال : « كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أجــود النّاس ، وكان أشجع النّاس ؛ ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق النّاس قِبَلَ الصّوت ، فتلقّاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم راجعاً وقد سبقهم إلى الصّوت ، وهو على فرس لأبي طلحة رضي الله عنه ، يجرى في عنقه السّيف ، وهو يقول : لم تُراعوا ... لم تُراعوا . »

سبق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم جماعة الاستطلاع إلى الصّوت ، وكان الصّحابة رضي الله عنهم قد تحشدوا في المسجد انتظارا لأوامر الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام وتوجيهاته .

لقد كان المسجد في أيام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم (مَثَابة) للمجاهدين قادة وجنودا ، والمثابة في المصطلحات العسكرية ، هي : مكان اجتماع القائد

برجاله لاصدار الأوامر إليهم ومكان استلام الأوامر ، وكان المنادي ينادي حين يتعرّض المسلمون لخطر داخلي أو خارجي : الصّلاة جامعة . . . الصّلاة جامعة ... فيتقاطر المجاهدون إلى المسجد زرافات ووحداناً تلبية للنداء، عليهم السّلاح كاملاً ويجهّز لهم مَنْ وراءهم الخيل والدواب والابل أو يجهّزونها لأنفسهم ويربطونها خارج المسجد ، وتُعَدُّ لهم الأمتعة اللازمة والتجهيزات ، ليصاولوا العدو فوراً ويقضوا على الخطر الدّاهم ، تنفيذاً لخطّة قائد واحـــد ، تحقيقاً لغاية واحـــدة ، هي الدفاع عن الإسلام والمسلمين .

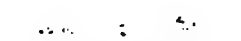
بنـاء الانسان المسلم

- ٤ -

وقد استطاع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ،بناء الانسان المسلم على ثلاث دعائم : العقيدة الراسخة ، والقدوة الحسنة ، واختيار الرجل المناسب للعمل المناسب .

أما العقيدة الاسلامية ، فهي عقيدة منشئة بنّاءة ، صالحة لكل زمان ومكان ، لأنّها تهتمّ بالمادة اهتمامها بالرّوح ، وتُعنى بالحياة الدنيا عنايتها بالدار الآخرة ، وتغرس الضبط والنِّظام في القلوب والنفوس معاً ، وتلتزم بالخلق الكريم والمعاملـــة الحسنة والمُثُل العليـــا الأخرى ، وتأمر بالشجاعة والثبات ، وتنهى عن الجبن والفرار

أما القدوة الحسنة ، فقد كان خلق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم القرآن ، وكان تعاليمَ الاسلام تمشي على الأرض بشراً سويّاً ، لا يأمر بشيْ إلاّ طبّقه على نفسه أقوى ما يكون التطبيق ، ولا ينهى عن شيء إلاّ ابتعد عنه أشد ما يكون البُعْد ، وكان مثالاً عالياً للشجاعة والاقدام ، وكان كالقمّة العالية في عمله ومعاملتـــه بالنسبة لأصحابه وكلّهم قِمَمٌ عالية ، وكان يؤثر رجاله بالخير والأمن ويستأثر دونهم بالخطر والمشقّة ، وكان مثالاً شخصياً لأصحابه في كلّ عملٍ يبتغي به وجه الله والدار الآخرة ، فكان قرنه خير القرون ، لأنّ تأثيره المباشر في أصحابه كان عظيماً .



انتشار الإسلام
في عهد النبي (ص)

اصبهان

مدائن

عين التمر

القادسية

دمشق

البصرة

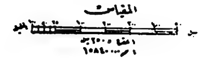
مؤتة

بلاد الحبشة

البحر العربي

الأحقاف

مكة



أما اختياره الرّجل المناسب للعمل المناسب، فقد كان مثالاً رائعاً حقاً في الالتزام بالعمل الصالح والايمان العميق والخدمة المثمرة والكفاية العالية والماضي الناصع المجيد في اختيار قادته وعماله وقضاته وجُباته .

وكلّ مَن قرأ سير عظماء الأمم في مختلف العصور ، وفكّر كثيراً في طرق اختيارهم للذين يوكلون إليهم المناصب العامة ، لا يمكن أن يجدوهم شيئاً مذكوراً بالنسبة لأسلوب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اختيار الذين يُوكِل إليهم المناصب العامة عسكريّة أو مدنية .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « مَنْ وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً ، فوَلّى رجلاً وهو يجد مَنْ هو أصلح للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسولَه » ، وفي رواية : مَنْ قَلّدَ رجلاً عملاً على عِصَابة[1] وهو يجد في تلك العِصَابة أرضى منه، فقد خان الله وخانَ رسوله وخان المؤمنين »، رواه الحاكم في صحيحه[2]

لقد دلت سُنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أن الولاية أمانة يجب أداؤها . قال لأبي ذرٍّ الغِفاريّ رضي الله عنه في الامارة : « إنّها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلاّ مَنْ أخذها بحقّها ، وأدّى الذي عليه فيها » رواه مسلم[3]

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه : « أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : إذا ضُيِّعت الأمانة ، انتظر السّاعة ؛ قيل : يا رسول الله ! وما إضاعتها ؟ ! قال : إذا وُسِّد[4] الأمر إلى غير أهله ، فانتظر السّاعة[5] » .

لم يكن عليه الصّلاة والسّلام يُقدِّم رجلاً على رجل إلاّ بالحق ، وكان يختار الرجل المناسب للعمل الذي يناسبه ، فولّى قيادة الجيش صاحب الطبع الموهوب والعلم المكتسب والخبرة العملية ؛ لذلك انتصر قادته في السرايا التي قوّلوا قيادتها

---

(١) العصابة : الجماعة من الناس .

(٢) السياسة الشرعية للامام ابن تيمية (١٠) .

(٣) السياسة الشرعية (١٣) .

(٤) وسد الأمر إلى فلان : أسند إليه القيام بتصريفه .

(٥) السياسة الشرعية (١٣) .

في حياته المباركة ، فلما رحل إلى لقاء الله ، أصبح قادته أبرز قادة الفتح الاسلامي لأنهم من خريجي مدرسته في اختيار الرجال .

لقد ولّى النبي صلّى الله عليه وسلّم خالد بن الوليد قيادة الصحابة بعد إسلام خالد مباشرة [1] .

وما يقال عن خالد بن الوليد يقال عن عمرو بن العاص، فقد ولاّه قيادة الصحابة بعد إسلام عمرو مباشرة [2] .

وقال عنهما لأصحابه الذين كانوا من حوله : « ألقت إليكم مكّة أفلاذ كبدها » [3] .

وكان عثمان بن عفّان رضي الله عنه غنياً ، فأفاد المسلمون من ثرائه ، ولم نسمع [4] أنّ الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام كلّف عثمان بمنازلة الأقران يوم الطعان .

وكان حسّان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه شاعراً مجيداً ، فاستفاد المسلمون من قابليته الشعريّة ، ولكنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يجعله مع النّساء عندما يتوجّه للجهاد .

وكان كثير من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يُعَدُّون من أشجع الشُّجعان ، ولكنهم بقوا جنوداً في جيش المسلمين ، ولم يتولوا مناصب قيادية ، لأنهم كانوا جنوداً متميِّزين ، ولم يكونوا قادة متميِّزين .

وكان من بين أصحابه مَنْ يُحسن القراءة والكتابة ، فجعلهم كتّاباً للوحي ومحرِّرين لرسائله إلى الملوك والأمراء .

وكان من بينهم إداريون ودعاة وجباة وقضاة ، فولى كل واحدٍ منهم ما يناسب قابلياته وكفاياته .

---

(١) أسد الغابة (٣٨٢/٣) والاستيعاب (١٠٣٤/٧) .

(٢) أسد الغابة (٣٨٢/٣) والاستيعاب (١٠٣٤/٧) .

(٣) أسد الغابة (٣٨٢/٣) والاستيعاب (١٠٣٤/٧)

(٤) سنن النسائي (١٢٤/٢) ، وانظر حاشية السندي على هامش سنن النسائي (١٢٤/٢)

لقد كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يعرف حقّ المعرفة كلّ مزايا أصحابه ، فيفيد من تلك المزايا ويبرزها للعيان ، ويُشجع أصحابها ويثني عليهم أطيب الثناء .

ولكنه في الوقت نفسه ، يغض الطّرف عن النواقص ويتستّر عليها ويبذل جهده لإصلاحها ، ولا يذكرها بل يذكر المزايا حسب ، ويأمر أصحابه بذكر مزايا اخوانهم حسب أيضاً .

واستفادته عليه الصّلاة والسّلام من كل مزية لكل مسلم ، واستقطاب تلك المزايا لبناء المجتمع الاسلامي الجديد ، فلا يضع لبنة إلاّ في مكانها اللائق بها والمناسب لها ، جعل هذا البناء يرتفع ويتعالى سليماً مرصوصاً يشدّ بعضه بعضاً .

وكان ذلك سبباً من أهم أسباب انتصار النبي صلّى الله عليه وسلّم عسكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، وفي أيام الحرب وأيام السلام .

فلما التحق عليه الصّلاة والسّلام بالرفيق الأعلى ، خلّف بين المسلمين عدداً لا يكاد يُعَدّ ولا يُحصى من القادة والأمراء والولاة والجباة والعلماء والفقهاء والمحدثين ، قادوا الأمة الاسلامية عسكرياً وسياسياً وإدارياً ومالياً واجتماعياً وفكرياً إلى المجد والسؤدد والخير ، وإلى الفتح والنصر والتوفيق ، وإلى طريق الحق وسبيل الرّشاد .

وصدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « أصحابي كالنجوم ، فبأيّهم اقتديتم اهتديتم [١] » ، فهؤلاء هم القادة الرّواد ، من خريجي مدرسة المصطفى عليه أفضل الصّلاة والسّلام .

لقد نسي النبيّ صلي الله عليه وسلم نفسه ، وركّز كلّ تفكيره عملاً دائباً لمصلحة المسلمين .

نسي مصلحته الخاصة ، وانصرف إلى مصلحة المسلمين العامة ، لذلك استطاع تخريج القمم السّامقة من مختلف القابليات والكفايات لمختلف المناصب والواجبات .

استطاع بالدعامة الأولى : العقيدة الراسخة ، أن يجعل من ضمير الفرد رقيباً عتيداً عليه ، يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، وأن يجعل من المجتمع الاسلامي إخوة متحابين في الله : (إنما المؤمنون إخوة) [٢].

(١) رواه البيهقي في السنن ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي – مصطفى محمد عمارة – (٣٧٩/١)
(٢) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٠) .

واستطاع بالدعامة الثانية : القدوة الحسنة ، أن يجعل من الفرد المسلم مؤمناً بأن العقيدة الاسلاميّة قابلة التطبيق عملياً ، وأن ما لا يمكن أن يكون ، يمكن فعلاً أن يكون ، وأن يجعل المجتمع الاسلامي مؤمناً بأنه المجتمع المثالي الذي يؤمن بعقيدة مثالية جاءت لمصلحة المؤمنين والناس جميعاً : (وكذلك جعلناكم أُمّةً وَسَطاً ، لتكونوا شُهداء على النّاسِ ، ويكونَ الرَّسولُ عليكم شهيداً [1] .

واستطاع بالدعامة الثالثة : اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، أن يجعل الفرد المسلم يعتمد على قدرته وكفايته وإيمانه للتقدم لا على حسبه ونسبه وانحرافه عن مبادئه . ويجعل المجتمع الأسلامي يثق بعدل القيادة وترفّعها عن التحيّز والأهواء .

هكذا أعدّ الرَّسول القائد الفرد المسلم ، وكلّ فردٍ مسلم جندي مجاهد في جيشِ المسلمين ، مؤمناً بعقيدته الرّاسخة ، واثقاً بقيادته الأمينة ، لا يخشى على مستقبله الظلم والانحراف ، مطمئناً على حاضره غاية الاطمئنان .

وهؤلاء الأفراد يؤلّفون المجتمع الإسلامي ، وهو جيش المسلمين المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله : يشيـــع فيه الانسجام الفكري بالعقيدة الراسخة ، يشــق بقادته ، ويتولّى أمره الزبدة المختارة من أبنائه من أصحاب الكفايات العاليــة والقابليات المتميِّزة والايمان العميق والماضي المجيد .

هذا المجتمع الذي يدافع عن عقيدته ويحملها إلى الناس كافة لا يحملهم عليها ، ويدافع عن أرضه وعرضه — ولا أقول عن أعراضه — لأنّ عرض كل مسلم عرض المسلمين جميعاً ، كلّ أفراده يتساوون بالحقوق والواجبات ، يسعى بذمّتــهم أدناهم ، وهم قوّة على سواهم ، ليس بينهم تمييز طبقيّ ولا عرقي ، هو جيش النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ومثل هذا الجيش لا يقهر أبداً ولا يتقهقر أبداً .

أدوار بناء الجيش

ـ ٥ ـ

وجيش المسلمين الأول في تاريخه ، يتلخّص بأربعة أدوار ، تدرّج بها من الضّعف إلى القوّة ، ومن الدفاع إلى الهجوم ، فأصبح بالتدريج قوّة ضاربــة

(١) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ١٤٣)

ذات عقيدة راسخة ومعنويات عالية، تعمل تحت قيادة واحدة، لتحقيق غاية واحدة.

وهذه الأدوار الأربعة هي بحسب تسلسلها الزمنيّ وتطورها التدريجي :

الدور الأول هو دور الحَشْد: من بعثته صلّى الله عليه وسلّم سنة (٦١٠ م)، إلى هجرته من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة سنة (٦٢٢ م) واستقراره هناك.

وفي هذا الدور ، اقتصر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على الدعوة ونشرها : يبشّر وينذر ، ويرسّخ العقيدة ، ويجاهد بكل طاقاته لتبليغ الدعوة ونشر الاسلام.

وبهذا الجهاد الأكبر ، كوّن الخميرة الأولى لجيش المسلمين، ثمّ حشدهم في المدينة المنوّرة بالهجرة إليها، فكانت المدينة هي القاعدة الأمينة الأولى لجيش المسلمين.

والدّور الثاني ، هو دور الدفاع عن العقيدة : وقد اقتصر في السنة الأولى من الهجرة ، على تنظيم الجيش الاسلامي وإعداده للجهاد.

وبدأ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد نزول آية الاذن بالجهاد الأصغر : (أُذِنَ للذين يُقَاتَلونَ بأنّهم ظُلِموا وإنّ الله على نصرِهم لَقَدِير . الذين أُخْرِجوا من ديارهم بغيرِ حقٍّ إلاّ أنْ يقولوا ربُّنا الله)[1] ، يرسل السّرايا بقيادة القادة من أصحابه ، وقاد بنفسه الغزوات ، وانتهى هذا الدور : دور الدفاع عن العقيدة ، بأنسحاب الاحزاب عن المدينة المنوّرة بعد غزوة (الخَنْدق) في شوال من السنة الخامسة الهجريّة[2] ، وقيل في ذي القعدة سنة خمس الهجريّة[3] ؛ ومعنى هذا ، أنّ هذا الدور استمر أربع سنوات تقريباً.

وفي هذا الدّور كان مولد الجيش (تنظيمياً) ، مولد الجيش الاسلامي جيشاً مجاهداً في ظلٍّ مسجد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فازداد تعداد المسلمين ، وأحرزوا انتصاراً حاسماً في غزوة (بَدْرٍ الكبرى) في رمضان المبارك من السنة الثانية الهجريّة[4] ، وأثبت جدارته في الدفاع عن العقيدة الاسلامية ، وعن الدعوة

---

(١) الآيتان الكريمتان من سورة الحج (٢٢ : ٣٩ - ٤٠)

(٢) الدرر (١٧٩) وعيون الأثر (٥٥/٢)

(٣) طبقات ابن سعد (٦٥/٢) والمغازي للواقدي (٤٤٠/٢)

(٤) سيرة ابن هشام (٢٦٦/٢) وطبقات ابن سعد (١٢/٢) والدرر (١١٠) والمغازي (٢/١) و(٢١/١) وعيون الأثر (٢٤٥/١).

الاسلاميّة ، وعن حريّة انتشارها بين الناس ، تجاه أعداء المسلمين من المشركين والمنافقين ويهود ، المتفوّقين على المسلمين عَدَداً وعُدَدا .

وفي هذا الدّور اجتاز الجيش الاسلامي الوليد وقتاً عصيباً بنجاح باهر وانتصارات حاسمة ، وصفهُ الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام قبل خوض غزوة (بدرٍ الكبرى) بقوله وهو يناجي ربّه : « اللّهم إنْ تَهلْكْ هذه العِصَابة لا تُعْبَدْ [(١)] » ، مشيراً إلى موقف المسلمين العصيب ؛ ولكنّه قال عليه الصّلاة والسّلام بعد انسحاب الأحزاب من غزوة (الخندق) : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم »[(٢)] ، مشيراً إلى تَحَسُّن موقف المسلمين من حال الخطر المحدق بهم الى حال القوّة والمَنَعَة .

والدّور الثّالث ، هو دور (التَعَرُّضِ) : من بعد غزوة (الخندق) إلى غزوة (حُنَيْن) [(٣)] التي كانت في شهر شوال من السّنة الثامنة الهجريّة [(٤)] .

وفي هذا الدّور ، انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة كلّها ، وأصبح جيش المسلمين قوّة ضاربة ذات اعتبار ووزن وأثر في البلاد العربيّة ، واستطاع سحق كلّ قوّة باغية من المشركين ويهود تعرّضت بالمسلمين .

والدّور الرّابع هو دور (التّكامل) : من غزوة : (حُنَيْن) إلى أن التحق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالرّفيق الأعلى ، في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة الهجريّة [(٥)] .

وفي هذا الدّور تكاملت قوّات المسلمين ، فسيطرت على شبه الجزيرة العربيّة سيطرة تامّة بدون منازع ، ووحّدتها توحيداً كاملاً لأول مـرة في تاريخها تحت لواء الإسلام .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٦٧) وعيون الأثر (١/٢٥٥) .
(٢) عيون الأثر (٢/٦٦) .
(٣) حنين : واد قبل الطائف ، بينه وبين مكة ثلاث ليال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٥٤)
(٤) طبقات ابن سعد (٢/١٤٩) والمغازي للواقدي (١/٦) وجوامع السيرة (٢٤١) .
(٥) طبقات ابن سعد (٢/٢٧٢) وسيرة ابن هشام (٤/٣٣٢) والدرر (٢٨٧) .

ثمّ أخذت هــذه القوّة تحاول أن تجد لها مُتنَفّساً في خارج شــبه الجزيرة العربيّة ، فكانت غزوة (تَبُوك)[1] التي كانت في شهر رَجَب من السّنة التّاسعة الهجريّة [2] ، إيذاناً بمولد الدولة الاسلامية[3] .

ولستُ بحاجة إلى إثبات قابليّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم القياديّة وكفايته العسكريّة [4] ، وصدق الله العظيم : (اللهُ أعْلَمُ حيثُ يَجْعَلُ رسالتَهُ) [5] ؛ فقد كانت قابلياته وكفاياته القياديّة والعسكريّة وغيرها فذّة نادرة لا تتكرّر أبدا [6]

فقد قــاد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بنفسه سـبعاً وعشرين غزوة [7] ، وفي رواية أخرى أنه قاد بنفسه خمساً وعشرين غزوة [8] .

ولكنني بمقارنة تعداد الغزوات وتوقيتها في المراجع المعتمدة للسيرة النبويّة المطهّرة والمغازي والتاريخ ، وإحصاء الغزوات التي قادها النبيّ صلّى الله عليه وسلّـم بنفسه ، وجدت أنّ عدد الغزوات التي قادها بنفسه هي ثمان وعشرون غزوة (انظر الملحق أ المرفق) ، ويبدو أنّ قسماً من المصادر أغفلت غزوة من الغزوات سهواً ؛ وقسماً منها أغفلت أكثر من غزوة واحدة ، ولكنّ تعداد الغزوات التي اعتمدتها في الملحق المرفق وردت في اكثر من مصدر معتمد ، فآثـرت إثباتها مُنَسّقة مبسّطة ، لعلّ فيها فائدة للمعنيين بالدراسات العسكريّة الإسلاميّة [9] .

---

(١) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو حصن فيه عين ونخل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٦٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢/١٦٥) والدرر (٢٥٣) .

(٣) انظر كتابنا : الفاروق القائد (٢٨ – ٢٩) .

(٤) انظر كتاب : السبيل إلى القيادة للمشير مونتكمري (١٧ و ٢٨٢) ، وكتاب : المئة الأوائل للدكتور مايكل هارت الذي اختار النبي صلى الله عليه وسلم ليكون الأول في أهم رجال التاريخ .

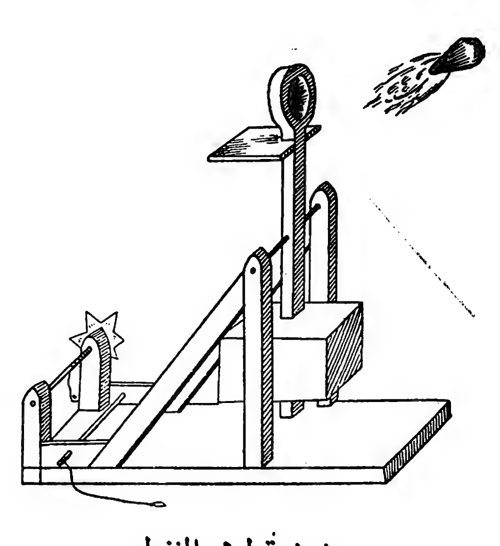
(٥) الآية الكريمة من سورة الأنعام (٦ : ١٢٤) .

(٦) انظر التفاصيل في كتابنا : الرسول القائد (٤٢١ – ٤٨٠)

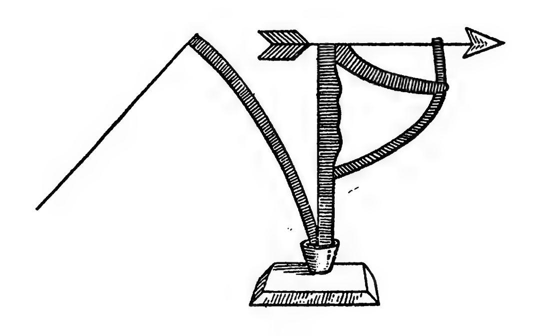
(٧) طبقات ابن سعد (٢/٥) والمغازي للواقدي (١/٧) وعيون الأثر (١/٢٢٣) .

(٨) جوامع السيرة (١٦) .

(٩) انظر التفاصيل في كتابنا: الرسول القائد (٤١٢ – ٤١٨)،ولم يدرج قسم من كتاب مصادر الغزوات غزوة بني قينقاع مع غزواته عليه الصلاة والسلا م ، انظر (مثلا) سيرة ابن هشام (٤/٢٨٠)



منجنيق لرمي النفط



منجنيق لرمي السهام الثقيلة

وكان ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات : بدر ،وأحُد ، والمُرَيْسِيع . والخندق وقُرَيظة ، وخَيْبَر ، وفتح مكة ، وحُنَيْن ، والطّائف [١] . بينما فرّ المشركون في تسع عشرة غزوة من غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بدون قتال [٢] .

وكانت سراياه التي بعث بها سبعاً وأربعين سرية [٣] ، وفي رواية أنه بعث عدداً أكثر من السّرايا ، والأول أصح (انظر الملحق ب المرفق) .

وقد قاد عليه الصّلاة والسّلام غزواته خلال سبع سنين من بعد هجرته من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة ، فقد خرج إلى غزوة (وَدّان)[٤] وهي أول غزوة قادها بنفسه في شهر صَفَر من السّنة الثّانية الهجريّة [٥] ، وكانت غزوة (تبوك) آخر غزواته في شهر رَجب من السّنة التاسعة الهجرية ، وكان من ثمرات تلك الغزوات توحيد شبه الجزيرة العربيّة تحت لواء الإسلام .

رائد الفتح

- ٦ -

وبدأ الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام يخطّط للفتح الاسلامي العظيم ، فهوالذي رسم الخطّة التمهيديّة التي حملت جيش المسلمين على فتح (أرض الشام[٦] فلسطين والأردن وسوريّة ولبنان . وتأسيس أول ركن لدولة الاسلام خارج شبه الجزيرة العربيّة على شواطىء البحر الابيض المتوسّط الشّرقيّة .

(١) طبقات ابن سعد (٢/٥ — ٦) وعيون الأثر (٢٢٣/١) وجوامع السيرة (١٨— ٢١) .

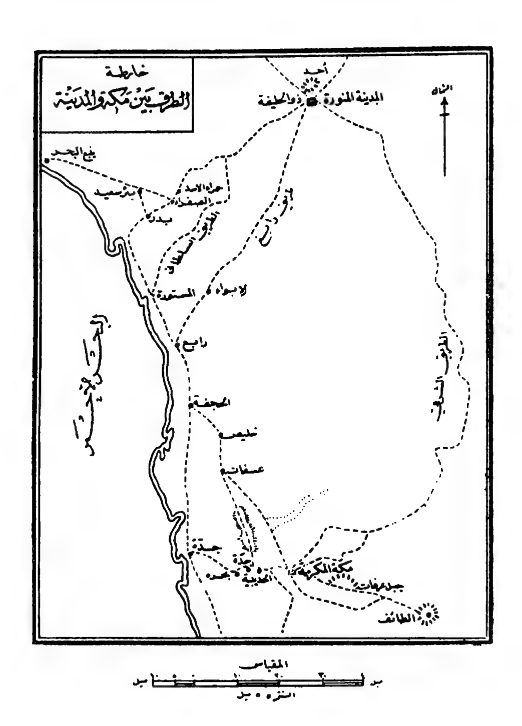
(٢) انظر كتابنا : الرسول القائد (٤٢٤)

(٣) سيرة ابن هشام (٢٨٠/٤) وطبقات ابن سعد (٥/٢) وعيون الأثر (٢٢٣/١) وجوامع السيرة (١٧ — ٢١) .

(٤) ودان : قرية قريبة من الجحفة ، وهناك ودان بين الأبواء والجحفة ، وهي من الجحفة على مرحلة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٠٥/١٨) .

(٥) المغازي للواقدي (٢/١) وطبقات ابن سعد (٨/٢) والدرر (١٠٣) وعيون الأثر (٢٢٤/١)

(٦) أرض الشام : حدودها من الغرب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ، ومن الشرق البادية من (أيلة) إلى الفرات الى حد الروم،ومن الشمال بلاد الروم (تركيا) ومن الجنوب حد مصر وتيه بني إسرائيل،راجع التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (٤٣) ومعجم البلدان(٢١٩/٥) .


خارطة
الطريق بين مكة والمدينة
أحد
المدينة المنورة
ذو الحليفة
الشمال
ينبع البحر
بئر سعيد
حمراء الاسد
الصفراء
بدر
الطريق السلطاني
الابواء
المستورة
رابغ
البحر الأحمر
الجحفة
خليص
عسفان
الطريق الشرقي
جدة
الحديبية
مكة المكرمة
جبل عرفات
الطائف
المقياس
ميل
ميل

ذلك أنّ الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام إلى جانب تبليغه الدعوة الاسلامية إلى قادة العالم في وقته : كسرى فارس ، وقيصر القُسْطَنْطِينيّة ، وأمراء وقادة العراق وأرض الشّام ومصر والخليج العربي واليمن والحبشة ، كان قائداً ماهراً يقظاً لا يغضّ الطرف عن أيٍّ مظهر عدوانيّ قد يحط من شأن دعوته أو يعمل على النّيل منها أو يضع العراقيل في طريق حريّة انتشارها ، فلم يقف ساكناً أمام استشهاد رسوله الذي بعثه إلى أمير الغساسنة في (بُصْرَى) [1] ، فأرسل في السنة الثامنة الهجريّة (٦٢٩ م) أحد قادته المقرّبين إليه ، وهو زيد بن حارثة الكلبيّ على رأس حملة تعدادها ثلاثة آلاف رجل إلى الحدود الشماليّة الغربيّة من حدود بلاد العرب ، وهناك عند (مُؤْتَة) [2] ، الواقعة على حدود (البَلْقَاء) [3] إلى الشّرق من الطرف الجنوبيّ للبحر (الميّت) ، إلتقى المسلمون بقوّات الرُّوم وحلفائهم [4] الغساسنة .

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها غزوة (مؤتة) ، فإنّ نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى ، فبينما رأى الرّوم تلك الغزوة (غارة) من الغارات التي اعتاد البدو شنّها بين حين وآخر ، كانت سرية زيد إلى (مؤتة) في الحقيقة غزوة من نوع آخر ، لم تقدِّر امبراطورية الرّوم أهميتها ، فهي حرب منظّمة كانت لها مهمة جديدة خاصة ، جعلت المسلمين يتطلّعون جدّياً لفتح أرض الشام .

وفي العام التالي ، أي في السنة التاسعة الهجريّة (٦٣٠ م) ، قاد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بنفسه غزوة (تَبوك) ، فأظهر قوّة المسلمين للرُّوم المتربِّصين بهم ، ثمّ عاد إلى المدينة المنوّرة ، فكانت تلك الغزوة غزوة استطلاعيّة ، بالاضافة إلى تأثيرها المعنويّ في الرّوم وحلفائهم الغساسنة .

---

(١) بصرى : قصبة كورة (حوران) من أعمال دمشق ، انظر التفاصيل في البلدان (٢٧٨/٢) .

(٢) مؤتة : قرية من قرى البلقاء على حدود الشام ووادي القرى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩/٨) .

(٣) البلقاء : كورة من أعمال دمشق ووادي القرى ، قصبتها : عمان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٦/٢) .

(٤) انظر تفاصيل سرية (مؤتة) في كتابنا : الرسول القائد (٢٩٥ – ٣٠٢) .

وفي السنة الحادية عشرة الهجريّة (٦٣٢ م) ، أعدّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سرية بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي [١] (حِبّ رسول الله وابن حِبّه) ، لمهاجمة الرُّوم . فولّى وجوه المسلمين شطر قِبْلَة عيّنها لهم وأهداف واضحة جليّة شرحها لهم ، وأصدر إليهم أوامر حاسمة جازمة .

وهكذا وقف الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام بثاقب نظره على أنّ أشدّ الأخطار التي يمكن أن تحلّ ببلاد العرب ودعوته الاسلاميّة . موطنها أرض الشّام حيث الرُّوم وعمّالهم الغساسنة . وقد أثبتت حوادث الفتح الاسلامي فيما بَعْدُ صدق هذه الاشارة . فكان الرُّوم أشد المحاربين عناداً [٢] .

تلك هي قصّة جيش المسلمين الأول . الذي أنشأه وسهر على رعايته . ودرّبه وجهّزه ونظّمه . وهيّأ له القادة الحُماة القادرين ، وأشاع فيه المعنويات العاليــة بالعقيدة الرّاسخة . حتى أصبح جيشاً لا يُقْهَر من قلّة ولا بكثرة ، حقّق وحدة قويّة . وأنشأ أمة عظيمة . وحمى عقيدة راسخة ، في حياة قائده ورائده ، ومؤسس بنيانه . ومشيّد أركانه . ومرسّخ إيمانه بقوّة الله وعزّته وإرادته وهديه .

وقد نشأ هذا الجيش في المسجد . وشبّ وترعرع في المسجد . واستوى على ساقه في المسجد. وتلقّى تعاليمه في المسجد. فقد جعل الله الأرض كلها مسجداً وطهوراً

وفي المدينة المنوّرة ، في مسجد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . انطلق جيش المجاهدين الأولين للدفاع عن الاسلام والمسلمين ، ثمّ انطلق لحماية الدعوة الاسلامية وحرية نشرها وتبليغها إلى الناس . ثمّ اندفع لصيانة الكيان الاسلامي ، ثمّ تكفّل بصيانة الدولة الاسلامية مكانة وأرضاً وعرضاً ، ثمّ نهض بأعباء حرب المرتدين وإعادة الوحدة إلى شبه الجزيرة العربيّة ، ثم تحمّل أعباء الفتح الاسلامي العظيم أقوى ما يكون عزماً وإرادة وتصميماً ، فنقل المسلمون بهذا الفتح الأمم إلى الاسلام . ونم ينقلوا به الاسلام إلى الأمم .

---

(١) انظر تفاصيل سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٣٣ – ٥١) .

(٢) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم (٤١) .

لقد أُسِّس بنيان هذا الجيش على تقوى من الله ورضوان. لذلك أحرز انتصارات باهرة لا تزال أعجوبة من أعاجيب الدهر ، وحقّق فتوحات فذّة لا تزال باقية على الدّهر ، وصدق الله العظيم : (أفَمَنْ أسّس بُنْيانَه على تَقْوَى من اللهِ ورِضْوانٍ خَيْرٌ ، أم مَنْ أسّسَ بنيانه على شَفَا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نارِ جَهنّمَ ، والله لا يَهْدِي القَومَ الظالمين) [1] .

والدّرس الذي يمكن أن نستلخصه من بناء هذا الجيش الاسلامي الأول ، جيش النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، هو أن نبني الجيوش العربية والاسلاميّة على أسس رصينة من تعاليم الدين الحنيف ، لتتحلى تلك الجيوش بالمعنويات العالية التي ترتكز على تلك التعاليم .

وأن نحسن لها اختيار القادة المؤمنين حقاً ، من ذوي الطبع الموهوب والعلم المكتسب والتجربة العملية ، القادة الذين يؤثرون مصلحة أمتهم وبلدهم على مصالحهم الذاتيّة .

وأن نُعِدّ لها السّلاح المتطوّر ، وندرّبها التدريب المتكامل ، ونهذبها التهذيب النّاجع ، ونجهّزها التجهيز المتميّز ، وننظمها التنظيم الدقيق .

وأن نعيد للمسجد مكانته ليؤدي رسالته في غرس العقيدة الراسخة والمعنويات العالية ، فهو وحده يؤدي هذه الرّسالة ، أما غيره من الأماكن فهي تؤدي رسالة من نوع آخر ، هي من مصلحة الأعداء لا من مصلحة الأصدقاء .

إنّ المسجد يكون في الأرض ، ولكنّ السماء تكون فيه .

والنفوس المؤمنة لا تتشبّع بالماء كالاسْفنج ، بل تتشبع بروح المسجد .

وكلُّ مَسْجِدٍ أُسِّس على التقوى ثكنة لجيش المسلمين ومدرسة ، فمتى يعود المسلمون إلى المسجد ، ليستعيد مكانته ويؤدي رسالته ؟ !

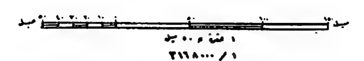
والحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلّى الله على إمام المجاهدين الصادقين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ١٠٩) .

والله أسأل أن يفيد بهذا البحث . وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مواضع
بعض الغزوات



الملحق (١)

الغزوات التي قادها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه

التسلسل	اسم الغزوة	قوات الطرفين: المسلمون	قوات الطرفين: أعداء المسلمين	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
١	وَدّان (الأبواء)	(٢٠٠) راكب وراجل	—	ودّان	صفر من السنة الثانية الهجرية	تحالفت قريش تحالف بني ضمرة
٢	أبواء من ناحية رضوى	(٢٠٠) راكب وراجل	(١٠٠) راكب وراجل من قريش	بُواط	ربيع الأول من السنة الثانية الهجرية	لم يدركوا قافلة قريش
٣	العُشَيْرة من بطن يَنْبُع	(٢٠٠) راكب وراجل	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة	العُشَيْرة	جمادى الأولى من السنة الثانية الهجرية	وادع بني مُدْلِج وحلفاءهم بني ضمرة
٤	بدر الأولى	(٢٠٠) راكب وراجل	قوة خفيفة بقيادة كرز بن جابر الفهري	بدر	جمادى الآخرة من السنة الثانية الهجرية	فر المشركون بما غنموه من المسلمين، ولم يستطع المسلمون أدراكهم.
٥	بدر الكبرى	(٣١٥) معهم فرسان وسبعون بعيرا	(٩٥٠) منهم (١٠٠) راكب كلهم من قريش	بدر	رمضان من السنة الثانية الهجرية	انتصار المسلمين الحاسم على المشركين من قريش
٦	بنو قَيْنُقاع	مسلمو المدينة المنورة	بنو قينقاع من يهود	المدينة المنوّرة	أوائل شوّال من السنة الثانية الهجرية	تطهير داخل المدينة المنورة من يهود
٧	بنو سُلَيْم	(٢٠٠) راكب وراجل	بنو سليم	قَرْقَرة الكُدْر بين مكة والمدينة	أواخر شوّال من السنة الثانية الهجرية	فرار بني سليم وتركوا أموالهم للمسلمين
٨	السَّوِيق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	(٢٠٠) فارس من مشركي قريش	قَرْقَرة الكُدْر	ذو الحجة من السنة الثانية الهجرية	فرار مشركي قريش من مطاردة المسلمين
٩	ذو أَمَرّ	(٤٥٠) بين راكب وراجل	بنو ثَعْلَبة ومُحارِب	ذو أَمَرّ موضع في نجد	محرم من السنة الثالثة الهجرية	فر بنو ثعلبة ومحارب وبقي المسلمون فحاصرهم نحو شهر
١٠	بُحْران	(٣٠٠) بين راكب وراجل	بنو سُلَيْم	بحران على طريق المدينة - مكة	ربيع الأول من السنة الثالثة الهجرية	فر بنو سليم فبقي المسلمون في ديارهم نحو شهر

١١	أُحُد	(٧٠٠) بينهم خمسون فارساً	(٣٠٠٠) مقاتل من قريش وحلفائها ومائة من بني ثقيف بينهم (٢٠٠) فارس	جبل أُحُد في ضواحي المدينة المنورة	شوال من السنة الثالثة الهجرية	استطاع المشركون تكبيد المسلمين سبعين شهيداً، وكان انتصار المشركين انتصاراً تعبوياً
١٢	حمراء الأسد	(٦٣٠) راكب وراجل	(٢٩٧٨) من قريش وحلفائها وثقيف	حمراء الأسد بين المدينة ومكة	شوال من السنة الثالثة الهجرية	طارد المسلمون قريشاً وحلفاءها إلى حمراء الأسد بعد انتهاء غزوة أحد مباشرة، ولكن المشركين انسحبوا
١٣	بنو النضير من يهود	مسلمو المدينة كافة	بنو النضير من يهود	ضواحي المدينة المنورة	ربيع الأول من السنة الرابعة الهجرية	إجلاء بني النضير عن ضواحي المدينة المنورة
١٤	ذات الرقاع	(٤٠٠) راكب وراجل	بنو ثعلبة و محارب من غطفان	ذات الرقاع بنجد	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	فرار بني ثعلبة و بني محارب
١٥	بدر الآخرة	نحو ألف راكب وراجل	(٢٠٠٠) من مشركي قريش	بَدْر	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	عادت قريش أدراجها إلى مكة ولم تذهب للقاء المسلمين في بدر حسب موعدها
١٦	دُومة الجندل	ألف راكب وراجل	قبائل دومة الجندل	دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة الهجرية	لاذت القبائل بالفرار
١٧	بنو المصطلق	ألف راكب وراجل	بنو المصطلق	المريسيع	شعبان من السنة الخامسة الهجرية	فرّ بنو المصطلق بعد معركة قصيرة وانتصر المسلمون
١٨	الخندق	ثلاثة آلاف	عشرة آلاف من قريش وحلفائها عدا يهود المدينة	المدينة المنورة	شوال من السنة الخامسة الهجرية	عودة الأحزاب عن حصار المدينة المنورة خائبين
١٩	بنو قريظة من يهود	ثلاثة آلاف بينهم (٣٦) فارساً	(٦٠٠) إلى (٧٠٠) من قريظة	ضواحي المدينة المنورة	ذو القعدة من السنة الخامسة الهجرية	القضاء على بني قريظة
٢٠	بنو لحيان	نحو (٢٠٠)	بنو لحيان	غُران بين أمج وعُسفان	جمادى الأولى من السنة السادسة الهجرية	فرّ بنو لحيان
٢١	ذو قَرَد	جماعة طاردة خفيفة	غطفان	ذو قَرَد	جمادى الأولى من السنة السادسة الهجرية	فرّ بنو غطفان تاركين الغنائم التي أخذوها من المسلمين

٢٢	الحديبية	(١٦٠٠) راكب وراجل	قريش في مكة المكرمة	الحديبية	ذو القعدة من السنة السادسة الهجرية	عقد هدنة الحديبية بين المسلمين وقريش
٢٣	خيبر	(١٦٠٠) راكب وراجل	يهود خيبر	خيبر	محرم من السنة السابعة الهجرية	فتح خيبر واستسلام يهود فدك ووادي القرى وتيماء
٢٤	عمرة القضاء	(١٤٠٠) راكب وراجل	قريش	مكة المكرمة	ذو الحجة من السنة السابعة الهجرية	بقي المسلمون ثلاثة أيام في مكة بعد أن خرج المشركون عنها
٢٥	فتح مكة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر	مكة المكرمة	رمضان من السنة الثامنة الهجرية	فتح مكة المكرمة
٢٦	حنين	(١٢٠٠٠) ألفاً	هوازن وثقيف	وادي أوطاس قرب الطائف	شوال من السنة الثامنة الهجرية	فلق المسلمون عن الطائف ورحلوا عنها إلى المدينة واندحار هوازن وثقيف
٢٧	حصار الطائف	(١٢٠٠٠) ألفاً	ثقيف وقسم من هوازن	الطائف	شوال من السنة الثامنة الهجرية	لم تستسلم الطائف ففك الحصار المسلمون عنها ورحلوا عائدين إلى المدينة المنورة
٢٨	تبوك	ثلاثون ألفاً منهم عشرة آلاف فارس	جيش كبير من الروم وحلفائهم من الغساسنة	تبوك	رجب من السنة التاسعة الهجرية	فضل الروم ألا يشتبكوا بالمسلمين، فأقام المسلمون في تبوك نحو عشرين يوماً، وصالحوا القبائل وسكان منطقة الحدود الشمالية بين الحجاز وأرض الشام، فأمنوا بذلك قاعدة متقدمة أمامية لعملياتهم المقبلة باتجاه الروم في أرض الشام

الملحق (ب) سرايا النبي صلى الله عليه وسلم

التسلسل	اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الزمني	النتائج
١	حمزة بن عبد المطلب	ثلاثون من المهاجرين	حمزة بن عبد المطلب	(٣٠٠) راكب	أبو جهل بن هشام	العيص	رمضان من السنة الأولى	حجز بين الطرفين مجدي بن عمرو الجهني
٢	عبيدة بن الحارث	ستون من المهاجرين	عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب	أكثر من مئتي راكب وراجل	أبو سفيان بن حرب	ماء بوادي رابغ	شوال من السنة الأولى	جرت مناوشات بين الطرفين، رمى فيها سعد بن أبي وقاص أول سهم رمي في الإسلام
٣	سعد بن أبي وقاص	عشرون من المهاجرين	سعد بن أبي وقاص	قافلة لقريش	—	الخرّار	ذو القعدة من السنة الأولى	تخلصت القافلة ونجت
٤	عبد الله بن جحش	اثنا عشر رجلاً من المهاجرين	عبد الله بن جحش	أربعة رجال	عمرو بن الحضرمي	نخلة	رجب من السنة الثانية	١. أول قتيل من المشركين ٢. أول أسير من المشركين ٣. أول غنيمة للمسلمين ٤. استعمال الرسائل المكتومة
٥	عمير بن عدي بن خرشة	رجل واحد	عمير بن عدي بن خرشة	عجوزة واحدة	عصماء بنت مروان	المدينة المنورة	رمضان من السنة الثانية	تعيب الإسلام وتؤذي النبي وتحرض عليه وتقول الشعر
٦	سالم بن عمير	رجل واحد	سالم بن عمير	عدو واحد	أبو عفك اليهودي	المدينة المنورة	شوال من السنة الثانية	يحرض على رسول الله ويقول الشعر
٧	محمد بن مسلمة	نفر من الأوس	محمد بن مسلمة	عدو واحد	كعب بن الأشرف	المدينة المنورة	ربيع الأول من السنة الثالثة	يهجو النبي بشعره ويهجو أصحابه ويحرض عليهم ويؤذيهم
٨	زيد بن حارثة الكلبي	مائة راكب	زيد بن حارثة الكلبي	قافلة لقريش	صفوان بن أمية	القردة من أرض نجد	جمادى الآخرة من السنة الثالثة	غنم قافلة قريش وأسر فرات بن حيان فأسلم
٩	عبد الله بن أنيس	رجل واحد	عبد الله بن أنيس	جماعة حشدوا لقتال المسلمين	سفيان بن خالد الهذلي	عرنة	المحرم من السنة الرابعة	حشد الجموع لقتال المسلمين
١٠	أبو سلمة ابن عبد الأسد	—	أبو سلمة بن عبد الأسد	بنو أسد	رئيس بني أسد	قطن	المحرم من السنة الرابعة	لحشدهم على المسلمين
١١	المنذر بن عمرو الأنصاري	سبعون رجلاً من الأنصار	المنذر بن عمرو	سبعون من سليم	سليم بن ملحان والحكم بن كيسان	بئر معونة	صفر من السنة الرابعة	غدر المشركون بالدعاة المسلمين

١٢	مرثد بن أبي مرثد الغنوي	عشرة رجال	مرثد بن أبي مرثد الغنوي	عضل والقارة	رئيسا القبيلتين	الرجيع	صفر من السنة الرابعة	غدر المشركون بالمسلمين
١٣	محمد بن مسلمة	ثلاثون راكباً	محمد بن مسلمة الأنصاري	القرطاء بطن من بني بكر من كلاب	رئيس القبيلة	القرطاء في البكرات بناحية ضرية	محرم من السنة السادسة	قتل نفراً منهم وهرب سائرهم وعاد بالغنائم
١٤	عكاشة بن محصن الأسدي	أربعون رجلاً	عكاشة بن محصن الأسدي	بنو أسد	رئيس القبيلة	الغمر غمر مرزوق	ربيع الأول السنة السادسة	استاقوا مائتي بعير وهرب المشركون
١٥	محمد بن مسلمة الأنصاري	عشرة رجال	محمد بن مسلمة	بنو ثعلبة وبنو عوال من ثعلبة	رئيس القبيلة	ذو القصة	ربيع الآخر السنة السادسة	استشهد المسلمون وجرح قائدهم
١٦	أبو عبيدة ابن الجراح	أربعون رجلاً	أبو عبيدة ابن الجراح	بنو ثعلبة	رئيس القبيلة	ذو القصة	ربيع الآخر السنة السادسة	هرب المشركون وغنم المسلمون مواشيهم وأمتعتهم
١٧	زيد بن حارثة الكلبي	—	زيد بن حارثة الكلبي	سُليم	رئيس القبيلة	الجموم	ربيع الآخر السنة السادسة	غنم المسلمون شاة ونعماً وأسرى
١٨	زيد بن حارثة الكلبي	سبعون ومائة راكب	زيد بن حارثة الكلبي	قافلة لقريش	صفوان بن أمية	العيص	جمادى الأولى السنة السادسة	غنم المسلمون القافلة
١٩	زيد بن حارثة الكلبي	خمسة عشر رجلاً	زيد بن حارثة الكلبي	بنو ثعلبة	رئيس القبيلة	الطرف	جمادى الآخرة السنة السادسة	غنم المسلمون عشرين بعيراً وهرب الأعراب
٢٠	زيد بن حارثة الكلبي	خمسمائة رجل	زيد بن حارثة الكلبي	جذام	الهنيد بن عارض	حسمى	جمادى الآخرة السنة السادسة	غنم المسلمون ألف بعير وخمسة آلاف من الشاء مع مائة من الأسرى، فأعادها النبي لهم.
٢٠	زيد بن حارثة الكلبي	—	زيد بن حارثة الكلبي	الأعراب في وادي القرى (بنو فزارة)	رئيس القبيلة	وادي القرى	رجب السنة السادسة	كبدهم خسائر في الأرواح وأصاب أسرى

٢١	عبد الرحمن بن عوف	—	عبد الرحمن بن عوف	بنو كلب	الأصبغ بن عمرو الكلبي	دومة الجندل	شعبان السنة السادسة	أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي فأسلم معه ناس كثير
٢٢	علي بن أبي طالب	مائة رجل	علي بن أبي طالب	بنو سعد بن بكر	رئيس القبيلة	فدك	شعبان السنة السادسة	لإحباط حشدهم مدداً ليهود خيبر، فهرب بنو سعد وخلفوا خمسمائة بعير وألف شاة غنمها المسلمون
٢٣	زيد بن حارثة الكلبي	مفرزة خفيفة	زيد بن حارثة الكلبي	فزارة من بني بدر	رئيس القبيلة	أم قرفة بوادي القرى	رمضان السنة السادسة	انتقم من بني بدر لنهبهم قافلة تجارية للمسلمين
٢٤	عبد الله بن عتيك	رجل واحد مع مفرزة من خمسة رجال	عبد الله بن عتيك	أبو رافع بن أبي الحقيق	أبو رافع سلام بن أبي الحقيق	خيبر	رمضان السنة السادسة	قتله لأنه حرض غطفان على المسلمين
٢٥	عبد الله بن رواحة	أربعة رجال	عبد الله بن رواحة	رجل واحد	أسير بن زارم اليهودي	خيبر	شوال السنة السادسة	قتل لأنه سار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب المسلمين
٢٦	كرز بن جابر الفهري	عشرون فارساً	كرز بن جابر الفهري	ثمانية من العرنيين	قتلة ثمانية من العرنيين	الطريق القريبة من المدينة	شوال السنة السادسة	خانوا الأمانة فعوقبوا على خيانتهم
٢٧	عمرو بن أمية الضمري	رجلان	عمرو بن أمية الضمري	أبو سفيان بن حرب	أبو سفيان بن حرب	مكة	—	أرسل أبو سفيان لقتال النبي صلى الله عليه وسلم، فعاد هذا إلى أبي سفيان بعد إسلامه
٢٨	عمر بن الخطاب	ثلاثون رجلاً	عمر بن الخطاب	عجز هوازن	—	تربة	شعبان السنة السابعة	هرب المشركون فعاد إلى مكة
٢٩	أبو بكر الصديق	—	أبو بكر الصديق	بنو كلاب	—	ضرية بنجد	شعبان السنة السابعة	هرب المشركون وسبى نفراً منهم
٣٠	بشير بن سعد الأنصاري	ثلاثون رجلاً	بشير بن سعد الأنصاري	بنو مرة	—	فدك	شعبان السنة السابعة	غنم المسلمون فاستعاد المشركون النعم وكبدوا المسلمين خسائر فادحة
٣١	غالب بن عبد الله الليثي	مائة وثلاثون رجلاً	غالب بن عبد الله الليثي	بنو عوال وبنو عبد بن ثعلبة	رئيس القبيلة	الميفعة بناحية نجد	رمضان السنة السابعة	كبدوا المشركين خسائر في الأرواح وغنموا نعماً وشاء

٣٢	سعد بن بشير الأنصاري	ثلاثمائة رجل	سعد بن بشير الأنصاري	غطفان	عيينة بن حصن	يمن وجبار	شوال السنة السابعة	هرب المشركون وغنم المسلمون نعماً كثيراً
٣٣	ابن أبي العوجاء السلمي	خمسون رجلاً	ابن أبي العوجاء السلمي	سليم	رئيس القبيلة	الجموم	ذو الحجة السنة السابعة	استشهد أكثر المسلمين
٣٤	غالب بن عبد الله الليثي	بضعة عشر رجلاً	غالب بن عبد الله الليثي	بنو الملوح	بنو الملوح	الكديد	صفر السنة الثامنة	غنم المسلمون النعم
٣٥	غالب بن عبد الله الليثي	مائتا رجل	غالب بن عبد الله الليثي	بنو مرة	رئيس القبيلة	فدك	صفر السنة الثامنة	أخذ المسلمون ثأرهم من بني مرة الذين أصابوا سرية بشير بن سعد الأنصاري
٣٦	شجاع بن وهب الأسدي	أربعة وعشرون رجلاً	شجاع بن وهب الأسدي	بنو عامر من هوازن	رئيس القبيلة	السي ناحية الركبة من وراء المعدن	ربيع الأول السنة الثامنة	غنم المسلمون نعماً وشاءً
٣٧	كعب بن عمير الغفاري	خمسة عشر رجلاً	كعب بن عمير الغفاري	قبائل عربية	—	ذات أطلاح	ربيع الأول السنة الثامنة	استشهد المسلمون
٣٨	زيد بن حارثة جعفر بن أبي طالب عبد الله بن رواحة	ثلاثة آلاف رجل	زيد بن حارثة جعفر بن أبي طالب عبد الله بن رواحة	مائة ألف من غسان وحلفائهم	شرحبيل بن عمرو الغساني	مؤتة	جمادى الأولى السنة الثامنة	انسحب المسلمون بقيادة خالد بن الوليد بعد استشهاد القادة الثلاثة، وتكبد المسلمون خسائر فادحة بالأرواح لتفوق المشركين عليهم تفوقاً ساحقاً
٣٩	عمرو بن العاص	ثلاثمائة رجل منهم ثلاثون فرساً وأمدهم النبي بمائتي رجل	عمرو بن العاص وعلى المدد أبو عبيدة بن الجراح	قضاعة	رؤساء قبائل بلي وعذرة وبلقين	ذات السلاسل	جمادى الآخرة السنة الثامنة	وطئ بلاد بلي ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلقين، ولقي جمعاً بعد ذلك فحمل المسلمون عليهم فهربوا في البلاد وتفرقوا. والهدف من السرية إحباط تجمعات قضاعة وحشدهم للهجوم على المسلمين
٤٠	الخبط	ثلاثمائة رجل	أبو عبيدة بن الجراح	جهينة	رئيس القبيلة	القبلية مما يلي ساحل البحر الأحمر	رجب السنة الثامنة	لم يلقوا كيداً
٤١	أبو قتادة بن ربعي الأنصاري	خمسة عشر رجلاً	أبو قتادة بن ربعي الأنصاري	محارب من غطفان	رئيس محارب من غطفان	خضرة في نجد	شعبان السنة الثامنة	غنم المسلمون مائتي بعير وألفي شاة

٤٢	أبو قتادة بن ربعي الأنصاري	ثمانية رجال	أبو قتادة بن ربعي الأنصاري	—	—	بطن إضم	رمضان السنة الثامنة	الهدف هو التضليل عن التوجه نحو مكة لفتحها، فذهبت هذه السرية بعكس اتجاه مكة، ثم تحرك المسلمون نحو هدفهم الأصلي، مكة
٤٣	خالد بن الوليد	ثلاثون فارساً	خالد بن الوليد	صنم لقريش وجميع بني كنانة	—	العزى (صنم) في نخلة	رمضان السنة الثامنة	هدم العزى
٤٤	عمرو بن العاص	مفرزة خفيفة	عمرو بن العاص	صنم هذيل	—	سواع (صنم)	رمضان السنة الثامنة	هدم سواع
٤٥	سعد بن زيد الأشهلي	عشرون فارساً	سعد بن زيد الأشهلي	صنم للأوس والخزرج وغسان بالمشلل	—	مناة (صنم)	رمضان السنة الثامنة	هدم مناة
٤٦	خالد بن الوليد	ثلاثمائة وخمسون رجلاً	خالد بن الوليد	جذيمة من كنانة	رئيس قبيلة جذيمة	ناحية يلملم	شوال السنة الثامنة	كبد جذيمة خسائر في الأرواح
٤٧	الطفيل بن عمرو الدوسي	مفرزة خفيفة	الطفيل بن عمرو الدوسي	ذو الكفين (صنم عمرو بن حممة الدوسي)	—	في منطقة الطائف	شوال السنة الثامنة	هدم ذا الكفين
٤٨	عيينة بن حصن الفزاري	خمسون فارساً	عيينة بن حصن الفزاري	بنو تميم	رئيس بني تميم	بين السقيا وأرض بني تميم	المحرم السنة التاسعة	هرب المشركون فأسر أحد عشر رجلاً وسبى إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً أعادهم النبي إلى أهليهم
٤٩	قطبة بن عامر بن حديدة	عشرون رجلاً	قطبة بن عامر بن حديدة	خثعم	رئيس خثعم	ناحية بيشة قريباً من تربة وناحية تبالة	صفر السنة التاسعة	تكبد المشركون خسائر بالأرواح وغنم المسلمون النعم والشاء والأسرى
٥٠	الضحاك بن سفيان الكلابي	—	الضحاك بن سفيان الكلابي	بنو كلاب	رئيس بني كلاب	القرطاء ناحية زج لاوة	ربيع الأول السنة التاسعة	انتصر على بني كلاب

٥١	علقمة بن مجزز المدلجي	ثلاثمائة رجل	علقمة بن مجزز المدلجي	الحبشة	رءوس الحبشة في الجزيرة التي تقابل مدينة جدة	الحبشة في جزيرة تقابل جدة	ربيع الآخر السنة التاسعة	هرب الأحباش
٥٢	علي بن أبي طالب	مائة وخمسون رجلا على مائة بعير وخمسين فرسا	علي بن أبي طالب	الفُلْس صنم طيئ وفي كتاب الأصنام: الفَلْس بفتح الفاء	عدي بن حاتم الطائي	محلة آل حاتم الطائي بأرض طيئ على جبليهم: أجا	ربيع الآخر السنة التاسعة	هدم الفُلْس وعاد بالسبي والنعم والشاء
٥٣	عكاشة بن محصن الأسدي	—	عكاشة بن محصن الأسدي	عُذْرَة وبَلِيّ	رئيس القبيلة	الجناب أرض عُذْرَة وبَلِيّ	ربيع الآخر السنة التاسعة	التفاصيل غير متيسرة من هذه السرية ويبدو أنها سرية من سرايا الدعوة
٥٤	خالد بن الوليد	—	خالد بن الوليد	بنو عبد المدان	رئيس القبيلة	نَجْران	ربيع الأول السنة العاشرة	التفاصيل غير متيسرة من هذه السرية ويبدو أنها سرية من سرايا الدعوة
٥٥	علي بن أبي طالب	ثلاثمائة فارس	علي بن أبي طالب	مَذْحِج	رئيس القبيلة	اليمن (بلاد مذحج)	رمضان السنة العاشرة	قاتلهم فانتصر عليهم، وغنم منهم النَّعَم والشاء، وأسر الأسرى، ثم أعلنوا إسلامهم
٥٦	أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي	ثلاثة آلاف مجاهد بين راكب وراجل	أسامة بن زيد (حِبّ رسول الله وابن حِبّه)	الروم وحلفاؤهم من قضاعة	رئيس قضاعة	أُبْنَى وهي أرض الشراة ناحية البلقاء	صفر سنة إحدى عشرة	١. أمر النبي بإنفاذ بعث أسامة في صفر. ٢. تحرك أسامة بجيشه إلى هدفه في ربيع الآخر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة. ٣. شن أسامة غارة سريعة فانتصر وعاد أدراجه إلى المدينة المنورة. ٤. أثرت هذه السرية في الروم وحلفائهم تأثيرًا بالغًا مما مهد للفتح الإسلامي القريب

إيضاح الملحق (ب)

١- اعتمدت ما جاء في الجزء الثاني من طبقاتِ ابن سعد في ترتيب سرايا النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم التي أدرجتها في الملحق (ب) ، بعد مقارنتها بالمصادر المعتمدة الأخرى .

٢- وقد ذكر ابن سعد في الطبقات خمساً وخمسين سرية فقط ، بينما عدد السرايا الواردة في الملحق (ب) ست وخمسون سرية ، بزيادة سرية واحدة على ما ذكره ابن سعد في طبقاته .

والسرية التي أضفتها إلى الملحق (ب) هي سرية أبي سَلَمَة بن عبدالأسد إلى بني أسد في (قَطَن) ، وهي ذات الرقم (١٠) في الملحق (ب) .

وقد اقتبست هذه السريّة وأضفتها إلى الملحق (ب) من مغازي الواقدي لأنها وردت في مصادر معتمدة أخرى .

٣- أجمعت المصادر المعتمدة كلها بأنّ عدد سرايا النبيّ صلىّ الله عليه وسلم هي سبع وأربعون سريّة ، وقد ذكرت ذلك في صلب هذا البحث .

والسرايا التي عدّدها ابن سعد في طبقاته خمس وخمسون سرية ، على الرغم من أنه ذكر في كتابه : أنّ سرايا النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم سبع وأربعون سرية.

ويبدو أنّ ابن سعد لم يَعتبر السرايا التي هدفها القضاء على شخص معادٍ سرايا بالمعنى الصحيح كالتي هدفها تعبوي أو سَوْقِيّ للقضاء على جماعة أو قبيلة أو مجموعة من القبائل المعادية أو فرض الحصار الاقتصادي على أعداء الاسلام بجعل الطرق التجارية التي يسلكها الأعداء غير أمنية .

وهذه السرايا التي كان هدفها القضاء على شخص معادٍ واحد هي ذات التسلسل: (٥ و ٦ و ٧ و ٩ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧) في الملحق (ب) ، فَلْيَعُد إلى هذا الملحق من أراد الاطلاع على التفاصيل .

كما يبدو أنّ ابن سعد لم يعتبر السريّة ذات التسلسل (٤٢) ، لأنها سرية خرجت للتضليل حسب ، أي لتوجيه أنظار الأعداء إلى حركتها شمالاً ، تمهيداً لحركة النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم إلى الجنوب لفتح مكة المكرّمة .

وبذلك يبقى من تعداد سراياه التي ذكرها سبع وأربعون سرية .

٤ــ أما بالنسبة للملحق (ب) الذي عدّدَ ستاً وخمسين سرية ، فتضاف السرية ذات التسلسل (٥٦) لأنها نفّذت بعد التحاق النبيّ صلىّ الله بالرفيق الأعلى في عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، تضاف إلى السرايا التي لم يعتمدها ابن سعد والواردة في المادة (٣) في أعلاه ، فيبقى تعداد السرايا في الملحق (ب) سبعاً وأربعين سرية .... والله أعلم .



مُصطلحاتُ الهندسةِ المدنيّة

(القسم الثالث : C)

خصصت اللجنة المجمعية لمصطلحات الهندسة التي كانت مؤلفة من السادة الاساتذة الدكتور ابراهيم شوكة، والدكتور أحمد سوسة، والدكتور احمد ناجي القيسي ، والدكتور جميل الملائكة ، والدكتور فاضل الطائي ، والاستاذ محمود شيت خطاب ، اربعين جلسة من جلساتها بين ١٣ شباط ١٩٧٨ و ١٠ نيسان ١٩٧٩ لانجاز وضع القسم الثالث من مصطلحات الهندسة المدنية (القسم الاول من الحرف C) كما هو مبين في الصفحات الآتية .

هذا وقد نشر القسمان الاول والثاني من المجموعة في المجلدين ٢٩ و ٣٠ من هذه المجلة ، وتضمن القسم الاول ايضاً مقدمة فيها شرح لما سيشتمل عليه هذا المعجم ، واشارة الى القاموس العلمي الذي اعتمدته اللجنة واعتمدت التعاريف الواردة فيه ، والطريقة التي راعتها في وضع المصطلحات ، ومعاني الرموز المستعملة .

وتوالي اللجنة عملها لانجاز هذا المعجم الذي ستنشر مواده تباعا على صفحات هذه المجلة ، والله الموفق .

الدكتور جميل الملائكة

(مقرر اللجنة)

C

cabinet projection [d.o.] (= planometric projection) — الاسقاط التسطيحي

cable

(1) [elec.] (= armored cable) — (١) كَبْل معزول

(2)[c.e.] — (٢) كَبْل

(3) — (٣) حزمة التسليح

cable drill [min.] (= churn drill = percussion drill) — مِثْقَب الكَبْل

cable duct [c.e.] — قناة الكَبْل

cable - laid rope — حبل مفتول

cable railway [c.e.] — مِعْبرة الكبل

cableway [c.e.] — كَبْل العمل

cableway excavator [c.e.] (= slackline cableway excavator) — كبل العمل المائل

cableway transporter [c.e.] — نقّالة كَبلية

caisson

(1) [hyd.] (= ship caisson=sliding caisson) — (١) مَنَعَة

(2) [c.e.] — (٢) قصُّون

caisson disease [c.e.] — مرض القَصُّون ؛ الضُّغاط

caissno Jpile [c.e.] (= Gaw caisson = Boston caisson) — قَصُّون انبوبيّ

calcine [min.] يكلّس

calcite (= Ca CO_3) حجر الكلس

calcium chloride (= Ca C_{12}) كلوريد الكلسيوم

calfdozer [c.e.] مُوَيْهدة

calibrate [c.e.] يعاير

calibration معايرة

calibre (= caliber) عيار

California bearing ratio [c.e.]
(= CBR) نسبة تحمل كاليفورنيا ؛ سي بي آر

California bearing ratio test [c.e.] فحص نسبة تحمل كاليفورنيا ؛
(= CBR test) فحص سي بي آر

calking (= caulking) جلفطة

callipers [mech.] مِسْمَاك

calorific value (= heating value) القيمة الحرارية

camber [hyd.] (= gate chamber) خسفة البوابة

camber rod [stru.] (= belly rod) قضيب البطن

camel [hyd.] (= saucer) مُعَوِّمة

camouflet [min.] نبرة موسّعة

camp sheathing [c.e.] (= camp shedding = camp sheeting)
(1) (١) جدار معسكر الصنادل
(2) (٢) جدار الركائز اللوحية

canal [hyd.] قناة

canalization [hyd.] تَقنيَة

canal lift[hyd.] مرفاع الصنادل

cant [c.e.] (= banking = superelevation) حُدُور

cantilever [stru.]

(1) (١) حَيْد

(2) (٢) عتلة

cantilever arm [stru.] ذراع الحَيْد

cantilever bridge [stru.] جسر حَيْديّ

cantilever crane [c.e.] مرفاع عَتَليّ

cantilever formwork [c.e.] أساس حَيْديّ

cantilever wall [c.e.]

(1) (١) جدار عَتَليّ

(2) (٢) جدار لوحي عَتَليّ

cantledge [c.e.] (= lentledge) صابورة

cap

(1) [c.e.] (= pile cap) (١) قَبْع

(2) [c.e.] (= capping piece) (٢) قابوع

(3) (= detonator) (٣) صاعق

capacity curve [hyd.] منحني السعة

cap chisel [mech.] (= crosscut chisel) إزميل الحديد

capel [mech.] عُقلة

capillarity [s.m.] الخاصّة الشّعرية

capillary pressure [s.m.] (= seepage force) الضغط الشّعري

capillary water [s.m.] الماء الشّعري

capping [min.]

(1) (١) العَقْل (مصدر)

English	Arabic
(2) (= overburden)	(٢) غِطاء
capstan [mech.]	رَحَوِيّة
carbon (= carbonado black = diamond)	الالماس الاسود
carbon - arc welding [mech.]	لِحام بقوس الكربون
carbon - dioxide recorder	مسجِّلة ثاني اكسيد الكربون
carbonization	تفحيم
carbon cilicide (= silicon carbide)	كاربيد السيليكون
carbon steel [mech.]	فولاذ كربوني
carborundum	الكَرَبُرَنْدُم
carburizing [mech.]	كربنة
carpet [c.e.] (= bituminous carpet)	فَرْشَة القار
carriageway [c.e.]	مَدْرَج المركَبات
carrier [c.e.]	نقّالة
Cartesian coordinates (= rectangular coordinates)	إحداثيات ديكارتيّة
cartographer [d.o.]	خرائطيّ ؛ رسّام خرائط
cartography [d.o.]	رسم الخرائط
cartridge paper [d.e.]	ورق خرائط
cascade	شلاّل صغير
case [mech.]	غلاف
case – hardening [mech.]	تصليد الغلاف
casing	
(1) [c.e.]	(١) قالَب
(2) [min.]	(٢) كِساء

(3) [mech.] | (٣) غلاف
castellated beam [stru.] | عتَبة بُرْجيّة
casting yard [c.e.] (= block yard) | ساحة الكُتَل
cast - in - place [c.e.] (= cast - in - situ) | مصبوب في الموقع
cast - in - situ [c.e.] (= cast -place) | مصبوب في الموقع
cast iron [mech.] | حديد الصبّ
cast steel [mech.] | فولاذ مصبوب
catch basin [sewage] (= catch pit) | جابية
catch drain [c.e.] (= grip) | ميزل واقٍ
catch feeder [hyd.] | قناة ريّ
catchment area [c.e.] (= drainage area = draingage basin = gathering ground) | جابية
Catchment Board [c.e.] | هيئة محرّمات الانهار
catch pit [c.e.] | حُفْرة الشوائب
catch points [rly] | نقاط التبطئة
catchwater [c.e.] (= grip = catch drain) | ميزل واقٍ
catenary [stru.] | منحني السّلسلة
catenary correction [sur.] = (sag correction) | تصحيح سِلْسِليّ
catenary suspension | تعليق الأكبال
caterpillar gate [hyd.] | بوابة الفرّاشة
caterpillars [mech.] (= crawler track) | مُسَرَّفة
cat - head sheave [c.e.] | بكْرَة الركائز
cathode [elec.] (= kathode) | مَهْبِط
cathodic projection [c.e.] | وقاية مَهْبِطيّة

cation [elec.] — أيون موجب

caulking
- (1) [c.e.] — (١) جلفطة
- (2) [mech.] — (٢) جلفطة

caulking tool [mech.] — عدّة الجلفطة

causeway [c.e.] — معْبَر

caving [min.] — تكهيف

cavitation — تجوّف

CBR (= California bearing ratio) — نسبة تحمّل كاليفورنيا

cellular concrete (= aerated concrete) — خرَسانة مُهوّاة

cellulose nitrate (= nitrocellulose) — نترات السيللوز

cement — تُرابة

cementation
- (1) [mech.] — (١) إتراب
- (2) [c.e.] — (٢) تتريب

cemented carbides [mech.] — كربيدات مُتْرَبة

cement grout [c.e.] — مؤونة التُّرابة

cement gun [c.e.] — مسدّس المؤونة

cementile [mech.] — كربيد الحديد

cement joggle [c.e.] — مُعشّقة الخرْسانة

cement mortar — مؤونة التُّرابة

centi - — مئْوي (ج : آماء)

Centigrade heat unit (= pound calorie) — وحدة حرارة الدرجة المئوية

centimetre (= cm) — سنتمتر

centre — مركز

centre cut [min.] (= wedge cut) — حَفْر اسفينيّ

centre of gravity [stru.] — مركز الجاذبية

centre of mass — مركز الكتلة

centre of pressure [hyd.] — مركز الضغط

centre punch [mech.] — مِخْرَمَة

centres [d.o.] (= centre to centre = on centre) — بين المراكز

cetre to centre [d.o.] (= centres) — بين المراكز

centrifugal blower [mech.] — نفّاخ نابـــذ

centrifugal brake [mech.] — مِكبح انتباذي

centrifugal compressor [mech.] — ضاغطة انتباذية

centrifugal force [mech.] — القوة الانتباذية

centrifugal pump — مضخة انتباذية

centrifuge [mech.] — النابذة

centrifuge moisture equivalent [s.m.] — مُكافئ الرطوبة النّابذيّ

centroid — مركز المِساحة

cess [c.e.] — مُتَبَرْزِل

cesspit (= cesspool) — بالوعة

cesspool (= cesspit) — بالوعة

chain [sur.] (= engineer's chain) — سِلْسِلة

chainage [sur.] — المَقيس

chain block [mech.] (= differential pulley block) — مرفاع البَكَرَة والسلسلة

chain book [sur.] — سِجِلّ المسافات

chain - bucket dredger [hyd.] (=bucket-ladder dredger) حفّارة مرفاع الدّلاء

chain - grate stoker [mech.] مُوقِدة المِرْجَل

chainman [sur.] السِّلْسِليّ

chain of locks [hyd.] سلسلة هَوِيسات

chain pump [mech.] مضخة السلسلة

chain saw مِنشار السلسلة

chain sling مرفاع السلسلة

chain survey مَسْح بالسلسلة

chair

(1) [rly] (= rail chair) (١) مِسْنَد السِّكّة

(2) (٢) كرسيّ التسليح

chair - bolt [rly] مِسمار فرجام المِسْنَد

chalk line خيط التخطيط

chamber [hyd.] (= lock bay) حُجرة الهَوِيس

chamberd - level tube [sur.] ميزنة الفُقّاعة الهوائية

chambering [min.] (= springing = squibbing) فرقعة

change face [sur.] (= reverse face = transit) تغيير الوُجهة

change point

(1) [sur.] (= turning point) (١) نقطة التحوّل

(2) [mech.] (= critical point = arrest point = critical temperature) (٢) الدرجة الحرجة

channel [c.e.] (= channel iron channel section) حديد القناة

channeller [c.e.] (= channeler) جَبّابة

channel section [c.e.] (=channel) حديد القناة

Channel Tunnel نَفَق القناة الانكليزية

charging hopper قادوس الشّحنة

Charpy test [mech.] اختبار چارپي

chartered civil/stuctural engineer مهندس مدني – انشائي مُجاز

check

(1) (١) تدقيق

(2) [hyd.] (٢) مصَدّ

(3) [hyd.] (٣) تربيعة

checker [d.o.] مُدَقّق

check rail [c.e.] (= guard rail = safety rail = side rail) سِكّة حافظة

check valve [mech.] (= clack = non-return valve = reflux valve) صِمّام السيطرة

chemical gaging [hyd.] (chemi–hydrometry) قياس كيميائي

chemical precipitation [sewage] ترسيب كيميائي

chemi - hydrometry [hyd.] (=chemical gaging) قياس كيميائي

chemise [c.e.] جدار ساند

chequer plate [c.e.] (=chequered plate) لَوْح مُنَتّأ

cherry picker [c.e.] مِرفاع الشاحنة

chert خام الصُّوّان

cheveron drain [rly] (=herringbone drain) مِبزل السّكّة

Chicago caisson [c.e.] (= Chicago well) قصُّون شيكاغو

Chicago well [c.e.] (= Chicago caisson) قصُّون شيكاغو

chief draughtsman [stru.] رئيس رسّامين

chilled cast iron [mech.] حديد الصبّ المَسْقيّ

Chinaman chute [c.e.] زُحلُوفة التحميل

chipping [mech.] جَذّ

chipping chisel [mech.] إزميل الجَذّ

chipping hammer [c.e.] مِطرقة الجَذّ

chippings [c.e.] نُحاتة

chisel إزميل

chlorination [c.e.] كَلْوَرَة

chord [stru.] (= boom = flange) شَفَة

C-horizon [s.m.] الطبقة ج

chuck [mech.] ظَرْف

churn drill [min.] (=cable drill) مِثقَب الكَبْل

chute [hyd.] (=rapids) مَسيل

Ciment Fondu [c.e.] (=high alumina cement = aluminous cement = fondu) تُرابة الومينيّة

Cipolletti weir [hyd.] سدّ چيپوليتّي الغاطس

circuit breaker [elec.] قاطع الدائرة

circular - arc method [s.m.] (= cylindrical - surface method = slip - circle method) طريقة القوس الدائرية

circular level [sur.] (= bubble = bubble tube) ميزنة الفُقّاعة

circular mil [elec.] ميل دائريّ

circulating water الماء الدائر

circumpolar stars [sur.] النجوم حول القطبية

civil engineer مهندس مدنيّ

civil engineering الهندسة المدنية

civil engineering assistant	معاون مهندس مدني
civil engineering draughtsman	رسام هندسة مدنية
clack [mech.] (= check valve)	صِمام السيطرة
clad steel [mech.]	الفولاذ المكسُوّ
clamping screw [sur.]	لولب الربط
clamshell grab [c.e.]	حافنة مَحَاريّة
clapotis [hyd.]	تراكب الموجات
clap sill [hyd.] (= lock sill = mitre sill)	عتَبَة الهَويس
classification of soils [s.m.]	تصنيف التربة
classifier [s.m.]	الفارز
classify [s.m.]	يفرز
clay	طين (للمعنى العام) . بوغاء (للمعنى التصنيفي)
clay cutter [c.e.]	
(1)	(١) قاطعة الطين
(2)	(٢) مِثْقَب الطين
clay puddle [c.e.] (=puddle clay = pug)	طين الملاط
clay sampler [s.m.] (= soil sampler)	آخذة عيّنات التربة
clay spade [c.e.] (=grafting tool)	مِسحاة الطين
cleaning [c.e.]	غسل
clearance [mech.]	خلُوص
clearance hole [mech.] (=clearing hole)	ثَقْب خلوصيّ
clearing (=clearing and grubing)	تنظيف الموقع
clearing hole [mech.] (=clearance hole)	ثَقْب خلوصيّ
clear span [stru.]	خالص الفضاء

clear-water reservoir [hyd.] (=service reservoir =distribution reservoir) — خزّان الخِدمات

cleat [c.e.] (= angle cleat) — سَنَد زاويّ

cleavage fracture [mech.] (= brittle fracture = crystalline fracture) — انكسار القصف

clevis [mech.] — مِرباط

client — عَميل

climbing formwork [c.e.] (=cantilever formwork) — قوالب عتَلية

clink [c.e.] — مِهشمة

clinograph

(1) [min] — (١) مِرسمة المَيْل

(2) [d.o.] — (٢) مِرسمة المَيْل

clinometer [sur.] — مقياس المَيْل

clip [c.e.] — ربّاطة

clipping screws [sur.] (= clip screws) — لوالب الضبط

clip screws [sur.] (= clipping screws adjusting screws) — لوالب الضبط

close boarding [sur,) (= close timbering) — (١) رصف الالواح (٢) الالواح المرصوفة

closed traverse [sur.] — (١) تضليع (٢) اقفال المضلّع

closer — سَدّادة

close timbering [sur.] (= close boarding) — (١) رصف الالواح (٢) الالواح المرصوفة

closing a rivet [mech.] (=closing up) — برشمة المسمار

closing error [sur.] (= error of cloure) — خطأ الاقفال

closing up [mech.] (= closing a rivet)	برشمة المسمار
clough [hyd.]	بوابة البَرْبَخ
clutch [c.e.]	
(1) (=interlock)	(١) واشجة
(2)	(٢) واشجة
CME (s.m.) (=centrifuge moisture content)	مُكافئ الرطوبة النابذيّ
coagulation (= floculation)	تخثُّر . تخثير
coal	فَحْم
coal - minig methods	طُرُق تعدين الفحم
coal seam	طبقة الفحم
coarse aggregate [c.e.] (=stone)	خِلْط خَشِنْ
coat [c.e.] (= sealing coat = tack coat)	غِطاء
coated chippings [c.e.] (=coated grip)	كُسَارات مُلَبّسة
coated macadam [c.e.] (=tarmacadam)	ماكادام قاريّ
cobbles	الصفا (المفرد : صفاة)
code of practice	مدوّنة الممارسة
coefficient of compressibility [s.m.]	مُعامِل الانضغاطيّة
coefficient of consolidation [s.m.]	مُعامِل الانضمام
coefficient of contraction [hyd.]	مُعامِل التقلّص
coefficient of dicharge [hyd.]	مُعامل التصريف
coefficient of expansion	مُعامل التمدد
coefficient of friction [mech.]	مُعامل الاحتكاك
coefficient of imperviousness (= impermeability factor)	مُعامل اللامَسَامِيّة

coefficient of internal friction [s.m.]	مُعامل الاحتكاك الداخلي
coefficient of permeability [s.m.]	مُعامِل المُنفِذيّة
coefficient of traction [mech .]	مُعامل الانجرار
coefficient of uniformity [s.m.]	مُعامل الانتظام
coefficient of variation [c.e.]	مُعامل التغيُّر
coefficient of velocity [hyd.]	مُعامل السرعة



صِيغَةُ (فَعَّلَ) في العَرَبيَّةِ

الشيخ محمد حسن آل ياسين

(عضو المجمع)

نال الفعل الثلاثي المضعّف العين نصيباً كبيراً من الشهرة في العصر الأخير ، فبرز الى الصف المتقدم من الصيغ التي تستطيبها الأقلام والألسنة وتُكثِر من الاشتقاق على زنتها ، بل قد يصح القول بأن لـ (التفعيل) بالخصوص من الوقع المحبّب في الآذان والنفوس ما منحه مكانة متميزة من الظهور والتداول في الكتابات والمحاورات المعاصرة ؛ ولا سيّما فيما أُريدَ تعريبه من اللغات الاخرى مما لم يؤثر عن العرب استعماله ولم يرد له ذكر في مصادر اللغة ومعجماتها . ولعل أهم الدوافع الى ذلك ما تمليه الحاجات الطارئة المتجددة وما تستدعيه مواكبة الركب العلمي العالمي من التعبير عن المستحدثات المتدفقة على الناس في كل يوم .

وهكذا أصبحنا نقرأ ونسمع عدداً كبيراً من هذه الألفاظ المخترعة المشتقة على هذا الوزن ، منذ بدأ تداول كلمات (التشخيص) و (التحليل) و (التخدير) في الطب ؛ و (التأميم) و (التأمين) و (التسويق) في الاقتصاد ؛ و(التدويل) و (التعليق) و (التمثيل) في السياسة ، وانتهاءً بما استُعْمِل اخيراً في هذه الميادين من (التعويم) و (التحجيم) و (التسييس) و (التطبيع) . وكلها كلمات حظيت بالشيوع والذيوع منذ بدء استعمالها فأصبحت سائرة على اكثر الأفواه ودائرة في معظم الكتابات .

لذلك كان من الحق المشروع لأبناء هذه اللغة أن يتساءلوا – وهم بازاء هذا التيار العنيف الجارف – عن مدى الصحة والغلط في هذه الاستعمالات ، وعن امكان ايجاد قاعدةٍ ثابتة تقوم بمهمة التمييز بين الخطأ والصواب في هذه الاشتقاقات.

ومشاركةً مني في هذا الميدان أضع هذه الصفحات بين يدي المعنيين ، عسى أن يكون في النتائج التي سيسفر عنها البحث ما ينير الطريق ويحسم الخلاف ويقدم قانوناً أو ما يشبه القانون في هذه المسألة . والله المسدِّد للصواب .

ولمّا كان التثبُّت من الأمر باقتناع تام ؛ والحكم على القياسي والسماعي من الأوزان بضرس قاطع ؛ متوقفاً على استقراء كلام العرب الفصحاء واستعمالاتهم ، كان لا مناص من الرجوع الى كتب العربية ومعجماتها وما دوَّن السلف في مؤلفاتهم ودراساتهم للتحقق من سلامة عملية الاستقراء والاستيعاب .

وقد دفعني ذلك – زيادةً في اليقين والاطمئنان – الى القيام باديءْ بدءٍ بتقسيم المأثور من تلك الاستعمالات على الأغراض التي أراد العرب التعبير عنها بالتضعيف ، وبالاكثار من نقل اقوال اعلام اللغة ورجالها الذين يعتمد على رأيهم ويوثق بنقلهم ؛ للاطلاع على ما فهموه من تلك الاستعمالات وما رجح لديهم – في كل موردٍ منها – من الاقتصار على المسموع وحده أو جواز القياس عليه .

ثم لخّصتُ بعد ذلك نتائج البحث فيما يُخيّل إليَّ أنه الأرجح أو الأصوب أو الأقرب الى الواقع مبيِّناً ما صحَّ القياس فيه وما لا يقاس عليه ، وشفعته بخاتمة أوردتُ فيها أمثلة مما يتداوله الناس من (التفعيل) ودراسة كل مثال منها للتمييز بين جيِّده ورديئه وصحيحه وسقيمه . وفوق كل ذي علمٍ عليم .

١ – التضعيف للتكثير والمبالغة :

يقول سيبويه :

« تقول : كَسَرْتُها وقَطَعْتُها ، فاذا أردتَ كثرةَ العمل قلتَ : كَسَّرْتُه وقَطَّعْتُه ومَزَّقْتُه .... وقالوا : يُجَوِّل أي يُكثِر الجَوَلانَ ؛ ويُطوِّفُ أي يُكثِر التطويف . واعلم ان التخفيف في هذا جائزٌ ، كلُّه عربي ، الا انَّ فَعَّلْتُ ادخالُها هاهنا لتبين الكثير » .

وقال ايضاً :

« وقالوا : أغْلَقْتُ البابَ وغَلَّقْتُ الأبوابَ حين كَثَّروا العملَ »[1] .

---

(١) الكتاب – طبعة بولاق – : ٢٣٧/٢ .

وقال ابن السكيت :

« وتأتي فَعّلْتُ بمعنى التكثير من الفعل نحو قولك : قتّلْتُ القومَ وغلّقْتَ الأبوابَ وفرّقْتُ جمْعَهم وكسّرْتُ الآنيةَ » [٢] .

وقال الفارابي في اثناء حديثه عن معاني صيغة فَعّلَ :

« ومنها : ما يكون بمعنى كثرة الأسماء أو كثرة الفعل، مثل قولك : قطّعْتُه باثنين وقطّعْتُه آراباً ؛ وفتّحْتُ البابَ وفتّحْتُ الأبوابَ ؛ وقطّعْتُ الشيء ؛ وجرّحْتُ الرجلَ » [٣] .

وقال ابن فارس :

« فعّلْتُ يكون بمعنى التكثير ؛ نحو : غلّقْتُ الأبوابَ » [٤] .

وقال ابن سيده :

« تقول : كسَرْتُه وقطَعْتُه ، فاذا أردتَ كثرةَ العمل تلتَ : كسّرْتُه وقطّعْتُه ومزّقْتُه . وانما يدلُّك على ذلك قولهم : علّطْتُ الابلَ وابلٌ مُعلّطَة وبعير معْلُوطٌ ولا يقال مُعلّط ، لأن الابل كثير فقد تكرّرَ فيه العلاطُ . وعلى هذا : شاة مذبوح وغنمٌ مُذَبّحَةٌ : ؛ وبابٌ مُغْلَقٌ وابوابٌ مُغَلّقَة ، وجرَحْتُ الرجلَ اذا جرحتَه مرةً أو أكثر ؛ وجرّحْتُه اذا أكثرتَ الجراحات في جسده ، وقالوا : ظلّ يُفرّسُها السبعُ ويُؤكّلُها اذا أكثر ذلك فيها ، وقالوا : موّتَتْ وقوّمَتْ اذا أردتَ جماعةَ الابل .... واعلم ان التخفيف في هذا كله جائز عربي ، الا انّ فعّلْتُ ادخالُها هنا أجْوَد ليبين الكثير . وقد يدخل في هذا التخفيفُ .... ولكن .... قد يجوز أن يرادَ به القليل والكثير ، فاذا شدّدْتَ دللتَ به على الكثير » .

وقال ايضاً :

« قال ابو علي : اعلم ان اللفظ الذي يُدلّ به على التكثير هو تشديدُ عينِ

(٢) اصلاح المنطق – الطبعة الثالثة – : ١٤٥ .
(٣) ديوان الأدب – طبعة مجمع اللغة بالقاهرة – : ٣٨١/٢ .
(٤) الصاحبي – طبعة السلفية – : ١٨٩ .

الفعل في الفعل ، وان كان قد يقع التشديد لغير التكثير » [٥] .

وقال الزمخشري :

« ومجيئه [أي فَعَّلَ] للتكثير هو الغالب عليه ، نحو قولك : قَطَّعْتُ الثيابَ وغَلَّقْتُ الأبوابَ وهو يُجَوِّل ويُطَوِّفُ أي يكثر الجولان والطواف وبَرَّكَ النعمُ وربَّضَ الشاءُ ومَوَّتَ المالُ ؛ ولا يُقال للواحد » [٦]

وأورد الفارابي في معجمه القيم جريدة بالأفعال المضعّفة مع النصّ على ما شُدِّدَ للكثرة أو المبالغة ، جاء فيها :

ثَقَّبَ : اذا أكثر الثقبَ .

خَرَّبوا بيوتَهم : شُدِّدَ لفشو الفعل أو للمبالغة فيه .

بنان مخضَّب : التشديد فيه مثل التشديد في التخريب .

طرَّحَه : أي أكثر طرحَه .

فَتَّحَ الأبوابَ وغَلَّقَها : شُدِّد للكثرة .

مَلَّحْتُ القِدرَ : اذا أكثرتَ ملحَها .

مررتُ بقومٍ مُشَدَّخي الرؤوس : شُدِّدَ للكثرة .

خُشُبٌ مُسَنَّدة : شُدِّد للكثرة .

خيوطٌ مُعَقَّدة : شُدِّدَ للكثرة .

نَبَّذَه : أي أكثر نبذَه .

ثَمَّرَ اللهُ مالَه : أي كَثَّرَ .

كَسَّرَه : أي أكثر كسرَه .

دُرٌّ مُنَثَّرٌ : شُدِّد للكثرة .

صُحُفٌ مُنَشَّرَة : شُدِّد للكثرة .

عَبَّسَ : أي بالغَ في العبوس .

لَبَّسَ عليه الأمرَ : أي شَبَّهَ ، شُدِّد للمبالغة .

---

(٥) المخصص – الطبعة البيروتية المصورة – : ١٤/١٧٣ – ١٧٤ .

(٦) المفصل – الطبعة الثانية – : ٢٨١ .

خدَّش وَجهَه : شُدِّد للكثرة والمبالغة .
نَفّضَ الثيابَ من التراب : شُدِّد للكثرة والمبالغة .
نَقّضَ القطا : اذا صاحَ ، شُدِّد للكثرة .
علّطَ الابلَ : أي وَسَمَها عِلاطاً ، شُدِّد للكثرة .
رجلٌ مُخَدَّعٌ : أي قد خُدِع في الحروب مرّات .
رجلٌ مُخَذَّع : أي مُقَطّع في الحرب ، يُراد بذلك كثرة ما جُرِح .
رَقّعَ ثوبَه : اذا رَقَعَه في مواضع .
مررتُ بقتلى مُصَرَّعين : شُدِّد للكثرة .
ثُمامٌ مُنَزَّع : شُدِّد للكثرة .
ثياب مُصَبّغة : شُدِّد للكثرة .
قسيٌّ مُعَطّفَة : شُدِّد للكثرة .
نُتِّفَتْ حواصلُ الطيرِ : شُدِّد للكثرة .
حرَّقَ : أي أكثر الاحراقَ .
دَفّقَتْ كفّاه النّدى : أي صبّتا ، شُدِّد للكثرة .
فَرَقَ بين الشيئين وفَرَّقَ بين الأشياء .
ثريدةٌ مُلَبّقَة : أي كثيرة الوَدَك .
بَتّكَ الآذانَ : أي قَطّعَ ، شُدِّد للكثرة .
رجلٌ مُعَذَّلٌ : أي جواد يُعْذَلُ في جُودِه لإفراطه ، شُدِّد للكثرة .
عَضّلَتِ الأرضُ بالجيش : اذا ضاقتْ بهم لكثرتهم .
عقّلَ الابلَ : من العِقال ، شُدِّد للكثرة .
ذبالٌ مُفَتّل : شُدِّد للكثرة .
قُتِّلَ القومُ : شُدِّد للكثرة .
أقْفَلَ البابَ وقَفّلَ الأبوابَ .
نَقّلَه : أي أكثر نَقْلَه .

ثَلَمَهُ في موضع وثَلَّمَهُ في مواضع .
رجلٌ مرحومٌ ومُرَحَّم : شُدِّد للمبالغة .
رَزَّمَ الثيابَ : أي شَدَّها رزمات .
نارٌ مُضَرَّمَة : اذا بولغ في إضرامها .
حديثٌ مُكَتَّم : أي بولغ في كتمانه .
خَدٌّ مُلَطَّمٌ : اذا لُطِم كثيراً .
رَدَّنْتُ القميصَ : أي جعلتُ له أرداناً .
قَرَّنَهم في الحبال : شُدِّد للكثرة .[7]

٢ – **التضعيف للتعدية** :

قال سيبويه :

« وقد يجيء الشيءُ على فَعَّلْتُ فيشرك أفْعَلْتُ .... وذلك قولك : فَرِحَ وفَرَّحْتُه وان شئتَ قلتَ أفرَحْتُه ؛ وغَرِمَ وغَرَّمْتُه وأغْرَمْتُه إن شئتَ ، كما تقول : فَزَّعْتُه وأفزَعْتُه ، وتقول : مَلُحَ ومَلَّحْتُه وسمعنا من العرب من يقول أمْلَحْتُه .... وقالوا : ظَرُفَ وظَرَّفْتُه ؛ ونَبُلَ ونَبَّلْتُه ، ولا يستنكر أفْعَلْتُ فيهما ، ولكنَّ هذا أكثر ، واستُغْنِيَ به » [8] .

وروى الفارابي مجيء فَعَّلَ بمعنى فَعَلَ وأفْعَلَ وفاعَلَ [9] .

وذكر ابن سيده اشتراك أفْعَلَ وفَعَّلَ وقال :

« اشتركا في باب نقل الفاعل الى المفعول في قولك : غَرَّمْتُه وأغْرَمتُه وفَرَّحْتُه وأفرَحْتُه » [10] .

وقال ايضاً :

« يقال اسوادَدْتُ واسْوَدَدْتُ وسَوِدْتُ وسُدْتُ بمعنى واحد ، وذلك كلُّه غير متعدٍّ .... فاذا أردتَ المتعدّي جاز أن تقول سُدْتُه وسَوَّدْتُه ، فأمّا

(٧) ديوان الأدب : ٣٣٨/٢ – ٣٧٩ .
(٨) الكتاب : ٢٣٣/٢ – ٢٣٤ .
(٩) ديوان الأدب : ٣٨٠/٢ .
(١٠) المخصص : ١٧٢/١٤ .

سُدْتُه فجعلتُ فيه سواداً ، وأمّا سَوَّدْتُه فجعلتُه اسْوَدَ » .

ثم زاد ذلك ايضاحاً فقال :

« والمتعدي منه ليس على طريق النقل والتغيير لما لا يتعدّى ، ولكن على معنى جعلتُ ذلك الفعل فيه » (١١) .

وقال ابن القطاع الصقلي :

« فاذا أردتَ أن تعدّيَ ما لا يتعدّى عدَّيْتَه .... بتشديد عين الفعل» (١٢) .

وقال الزمخشري :

« للتعدية اسباب ثلاثة : وهي الهمزة وتثقيل الحشو وحرف الجر ، تتصل ثلاثتها بغير المتعدّي فتصيِّره متعدياً وبالمتعدي الى مفعول واحد فتصيِّره ذا مفعولين ، نحو قولك : أذهَبْتُه وفرَّحْتُه وخرَجْتُ به » (١٣) .

ولعل مما يدخل في هذا الباب ؛ بل هو منه قطعاً ، مادعاه اللغويون (التضعيف للتسمية) (١٤) أو (التضعيف للنسبة الى الشيء) (١٥) ، كقولك : كفَّرْتُ فلاناً وفسَّقْتُه وجهّلْتُه وسخَّفْتُه ولحّنْتُه وخطّأْتُه وغلّطْتُه وصوَّبْتُه وجوَّرْتُه وبخّلْتُه وجبّنْتُه وسفّهْتُه وخوّنْتُه وسرَّقْتُه ، أي نسَبْتَه الى الكفر والفسق والجهل والسخف واللحن والخطأ والغلط والصواب والجور والبخل والجبن والسفه والخيانة والسرقة ، أو سمّيْتَه بذلك .

وقد عدَّ ابن سيده هذا التضعيف باباً في معناه ، وكأنه يشير بذلك الى اطراده وقياسيته في الاستعمال ، فقال :

« والباب فيما نَسَبْتَه الى الشيء أن يكون على فعّلْتُ » (١٦) .

وواضح ان الأصل الثلاثي لجميع الأفعال المارة الذكر قائم على اللزوم ،

(١١) المخصص : ١٦٨/١٤ .

(١٢) الأفعال – طبعة الهند – : ١٧/١ .

(١٣) المفصل : ٢٥٧ .

(١٤) الكتاب : ٢٣٥/٢ والمخصص : ١٦٩/١٤ .

(١٥) ديوان الأدب : ٣٨١/٢ والصاحبي : ١٨٩ .

(١٦) المخصص : ١٦٩/١٤ .

ويكون الغرض من تضعيفها هذا هو التعدية لا غير ، إذ لو كان المقصود من التضعيف هو مجرد « التسمية » فانَّ من الممكن اشتقاقها من الفعل الثلاثي على على زنة اسم الفاعل من غير حاجة الى تضعيف ، ولا خلاف في أنَّ كل مَنْ كفر يسمّى « كافراً » وكل من جهل يسمّى « جاهلاً » وهكذا . وكذلك القول في « النسبة » المشار اليها ، اذ لا ريب في صحة استعمال اسم الفاعل دلالةً على مَنْ نُسِبَ اليه فعلٌ من تلك الأفعال بأصلها الثلاثي اللازم ، ولا يستدعي ذلك تضعيفاً وزيادة في حروف الفعل للوصول الى هذا المعنى .

واذن . ينحصر الغرض من هذا التضعيف بتسمية فلانٍ من الناس كذا أو كذا ؛ أو نسبة صفةٍ مّا اليه ، أي بوقوع فعل الفاعل عليه ، وذلك هو معنى التعدية وموردها الأصيل .

٣ — **التضعيف للسلب** :

وهذا ضرب من ضروب التضعيف يستعمل فيه الفعل خلافاً لظاهره ، وقد أشار اليه سيبويه بقوله :

« أمْرَضْتُه : أي جعلتُه مريضاً ؛ ومَرَّضْتُه : أي قمتُ عليه ووَليتُه . ومثله : أقْذَيْتُ عَيْنَه : أي جعلتُها قَذِيَةً ؛ وقَذَّيْتُها : نَظَّفْتُها »(١٧)

وذكر ابن فارس في جملة معاني فَعَّلَ مجيئه « مُضاداً لأفعَلْتُ نحو أفْرَطْتُ : جُزْتُ الحَدَّ ؛ وفَرَّطْتُ : قَصَّرْتُ » (١٨) .

وشرح ابن جني هذه الظاهرة باسهاب فقال :

« اعلم ان كلَّ فعلٍ او اسمٍ مأخوذٍ من الفعل أو فيه معنى الفعل ؛ فانَّ وَضْعَ ذلك في كلامهم على اثبات معناه لا سلبهم اياه ، وذلك قولك : قامَ ؛ فهذا لاثبات القيام ، وجلس لاثبات الجلوس ، وينطلق لاثبات الانطلاق . جميع ذلك وما كان مثلَه انما هو لإثبات هذه المعاني لا لنفيها . ألا ترى انك اذا أردتَ نفي شيء منها ألْحَقْتَه حرف النفي فقلتَ : ما فَعَلَ ولم يفعلْ ولن يفعلَ ولا تفعلْ ونحو ذلك » .

---

(١٧) الكتاب : ٢٣٧/٢ .

(١٨) الصاحبي : ١٨٩ .

« ثم انهم مع هذا قد استعملوا الفاظاً من كلامهم من الأفعال ومن الأسماء الضامنة لمعانيها ؛ في سلب تلك المعاني لا اثباتها . ألا ترى ان تصريف (ع ج م) اين وقعت في كلامهم انما هو للابهام وضد البيان .... ثم انهم قالوا : أعْجَمْتُ الكتابَ اذا بيَّنْتَه وأوضحْتَه » وكذلك عَجَّمْتُه .

« ومنه تصريف (م رض) انها لاثبات معنى المرض ، نحو مرضَ يمرضُ وهومريضٌ ومارِضٌ ومَرْضى ومَراضى. ثم انهم قالوا: مَرَّضْتُ الرجلَ أي داوَيْتَه من مَرَضِه حتى أزَلْتَه عنه أو لتزيلَه عنه » .

« وكذلك تصريف (ق ذى) انها لاثبات معنى القذى ، منه قَذَتْ عَيْنُه وقَذِيَتْ وأقْذَيْتُها . ثم انهم مع هذا يقولون : قَذَّيْتُ عَيْنَه اذا أزَلْتَ عنها القذى ، وهذا لسلب القذى لا لإثباته » [١٩] .

ومن الأمثلة الاخرى لهذا الاستعمال قولهم :

عَوْدٌ يُقَلَّحُ : أي تُنَقَّى اسنانُه وتُعالَجُ من القَلَح .

جَلَّدَ الجزورَ : نزع عنها جلدها .

قَرِّدْ بعيرَك : أي انزَعْ عنه القِرْدانَ .

قَشَّرَ الشيءَ : نَزَعَ عنه قِشْرَه .

قوله تعالى : (حتى اذا فُزِّعَ عن قلوبهم) أي أُذْهِبَ الفَزَعُ عنها .

هَشَّمْتُ الرجُلَ : أكرمْتُه وعظّمتُه .

طَنَّيْتُ الرجُلَ : عالجتُه من طَنَاه [٢٠] .

٤ـ التضعيف في النحت :

ونعني بذلك عدداً من الأفعال المضعّفة رَوَتْها المصادر ، وهي ــ فــي حقيقتها ــ منحوتة من جملة أو منتزعة منها للدلالة عليها والاشارة اليها ، نحو :

---

(١٩) الخصائص ــ طبعة دار الكتب ــ : ٣/٧٥ ــ ٧٧ .

(٢٠) يراجع في الأمثلة المذكورة بحسب تسلسلها في الذكر : ديوان الأدب : ٢/٣٤٧ والقاموس المحيط (قلح) واللسان (جلد) وديوان الأدب : ٢/٣٥٠ والصحاح (قشر) والمخصص : ١٤/١٧٢ والأفعال للسرقسطي ــ طبعة مجمع اللغة بالقاهرة ــ : ١/١٩١ وديوان الأدب : ٢/٣٤٧ .

رَحَّبَ به : قال مرحباً بك [٢١] .
غَوَّثَ : قال واغَوْثاه [٢٢] .
سَبَّحَ : قال سبحان الله [٢٣] .
حَمَّدْتُ اللهَ ومَجَّدْتُه : قلت انك حميد مجيد [٢٤] .
سَدَّدَك الله : وَفَّقَكَ للسداد [٢٥] .
عَقَّرْتُه : قلت له عَقَرَكَ الله [٢٦] .
كَبَّرَ : قال الله أكبر [٢٧] .
جَدَّعْتُه : قلت له جَدَعَكَ الله [٢٨] .
بَرَّكَ عليه : دَعا له بالبركة [٢٩] .
سَبَّلَ ضَيْعَتَه : جعلها في سبيل الله [٣٠] .
هَلَّلَ : قال لا اله الا الله [٣١] .
حَيَّاه : استقبله بِحَيَّاكَ الله [٣٢] .
رَعَّاه : قال له رَعَاكَ الله [٣٣]
سَقَّاه : قال له سَقَاكَ الله [٣٤] .

٥ـ التضعيف في الاشتقاق من اسماء الأعيان :

يستفاد من التأمل في الأفعال التي جاءت على زنة (فَعَّلَ) ان كثيراً منها

(٢١) ديوان الأدب : ٣٣٩/٢ .
(٢٢) ديوان الأدب : ٤٢٩/٣ .
(٢٣) القاموس المحيط : (سبح) .
(٢٤) ديوان الأدب : ٣٤٨/٢ .
(٢٥) ديوان الأدب : ١٦٩/٣ .
(٢٦) المخصص : ١٦٩/١٤ .
(٢٧) القاموس المحيط : (كبر) .
(٢٨) المخصص : ١٦٩/١٤ .
(٢٩) ديوان الأدب : ٣٧١/٢ .
(٣٠) ديوان الأدب : ٣٧٣/٢ .
(٣١) الأفعال للسرقسطي : ١٩١/١ .
(٣٢) و (٣٣) و (٣٤) الكتاب : ٢٣٥/٢ .

قد اشتقته العرب من الأسماء الجامدة ؛ كأسماء الجواهر والأماكن والأثاث والأزمنة والأديان والملابس والمأكولات وغير ذلك ، ونورد فيما يأتي جريدة تضم بعضاً مما عثرنا عليه في المصادر القديمة من هذا الباب :

جَيَّبَ القميصَ	:	جعل له جَيْباً .
حَسَّبْتُ الرجلَ	:	جعلت له مِحْسَبَةً وهي الوسادة .
حَصَّبَ المسجدَ	:	من الحَصْباء .
حَوَّبْتُ بالابل	:	قلت لها حَوْب .
ذَنَّبَ البُسْرُ	:	دخله الإرطابُ من قِبَل ذَنَبِه .
ذَهَّبْتُ الشيءَ	:	من الذَّهَب .
زَبَّبَ العنبُ	:	من الزَّبيب .
سَبَّبَ لهذا الأمر	:	جعل له سَبَباً .
ضَبِّبُوا لصَبِيِّكم	:	اتَّخذوا له ضَبِيْبَةً .
طَبَّبْتُ السِّقاءَ	:	من الطِّباب .
غَرَّبَ القومُ	:	من المغرِب .
قَبَّبَه	:	جَعَلَه كهيئة القُبَّة .
لَبَّبَه	:	من اللَّبَب .
تَوَّجَ الرجلُ	:	من التاج .
لَجَّجَتِ السفينةُ	:	خاضت اللجَّةَ .
قَزَّحَ قِدْرَه	:	ألقى فيها القِزْحَ وهو التابَلُ .
وَشَّحَه	:	من الوشاح .
فَرَّخَ الطائرُ	:	من الفَرْخ .
عَيَّدَ القومُ	:	شهدوا العيْدَ .
قَدَّدَ اللحمَ	:	من القَديد .
هَوَّدَه	:	صيَّرَه يهودياً .

وَسَّدَه : من الوِسادة .
أخَّرَه : من الأُخُر .
تَمَّرَ القومَ : أطعمهم التمر .
حَمَّرَ الرجلُ : تكلّم بكلام حِمْيَر .
خُدِّرَت الجاريةُ : من الخِدْر .
زَنَّرَه : ألْبَسَه الزُّنّارَ .
سَوَّرها : ألْبَسَها السِّوارَ .
شَعَّرَ الخُفَّ : بَطَّنَه بشَعَرٍ .
صَفَّرَه : جعله أصْفَرَ .
ظَفَّرَه : طَيَّبَه بالظُّفْرِ وهو ضربٌ من العطر .
عَذَّرَه : لطخه بالعَذِرة .
عَشَّرَ الشيءَ : من العَشَرَة .
غَمَّرَت الجاريةُ وَجْهَها : من الغُمْرَة وهي الورس .
غَوَّرَ : أتى الغَوْرَ .
قَيَّرَ السفينةَ : من القار .
مَصَّرَ : من المِصْر .
نَصَّرَه : جعله نصرانياً .
هَجَّرَ : من الهاجرة .
وَكَّرَتْ : اتَّخَذَتْ الوَكيرةَ .
فَوَّزَ بإبله : ركب بها المفازَةَ .
خَرَّسْتُ النفساء : صنعت لها خُرْسَتَها وهو طعام تأكله .
سَوَّسَ الطعامُ : من السُّوْس .
شَمَّسَه : من الشمس .
مَجَّسَه : صَيَّرَه مجوسياً .
وَرَّسَه : صبغه بالوَرْس .

جيّشَ : من الجيش .
عَشّشَ الطائرُ : من العُشّ .
جَصّصَ البيتَ : طلاه بالجص .
بَعّضَ الشيء : جعله بعضاً بعضاً .
فَضّضَ اللجامَ : من الفضّة .
حنّطَ الميتَ : من الحَنُوط .
قرّطَ اذنَها : من القُرْط .
وَسّطَه : من الوسط .
جَمّعَ : صلّى الجمعةَ .
درّعَها : ألبَسَها الدِّرْعَ .
شجّعَه : من الشجاعة .
شرّعَ ابلَه : أوْرَدَها شريعةَ الماء .
قنّعَها : ألبَسَها القناعَ .
يدّعَه : صبغه بالأيدع .
شرّفه اللهُ : من الشرَف .
شنّفْتُ الجاريةَ : من الشّنْف .
عرّفَ القومُ : وقفوا بعرَفَة .
كوّفَ : أتى الكوفَةَ .
نصّفَ الجاريةَ : ألقى عليها النّصيفَ وهو الخِمار .
وقّفَتِ الجاريةُ : جعلتْ في يدِها الوَقْفَ وهو سوار من عاج .
خلّقَ الشيء : طلاه بالخَلُوق .
زوّقَ البيتَ : من الزاووق وهو الزئبق .
شرّقَ : من الشرْق .
عرّقَ : من العِرْق وهو الأصل .
مشّقَ الثوبَ : صبغه بالمِشْق .

نَفَّقَ اليربوعُ : أخذَ في نافِقائه .

سَوَّكَ فاه : من السِّواك .

مَسَّكَه : من المِسْك .

مَلَّكَه : من المِلْك .

وَرَّكَ على دابته : من الوَرِك .

جَلَّلْتُ الفرسَ : ألْبَسْته الجُلَّ .

رَمَّلَــه : من الرَّمْل .

عَسَّلْتُ القومَ : من العَسَل .

عَوَّلَ : بنى عالَةً وهي ظُلَّةٌ يستتر بها .

كَلَّلَه : ألْبَسَه الاكليل .

مَوَّلَه : صَيَّرَه ذا مال .

نَصَّلَ الرمحَ : رَكَّبَ فيه النَّصْلَ .

عَمَّمَه : من العِمامَة .

كَمَّمَت النخلةُ : أخرجتْ أكمامَها .

وَحَّمَ المرأةَ : أطعمها ما تشتهيه ، من الوحام .

وَسَّمَ القومُ : شهدوا الموسمَ .

دَخَّنَ الشيءَ : من الدُّخان .

دَوَّنه : كتبه في الديوان .

رَقَّنَ رأسَه : خضبه بالرَّقُون .

سَمَّنْتُ القومَ : زَوَّدْتهم السَّمْنَ .

عَنَّنْتُ اللجامَ : من العِنان .

لَبَّنَ اللَّبِنَ : عَمِلَه .

وَجَّهَه : من الوَجْه (٣٥) .

---

(٣٥) يراجع فيما ذكر في أعلاه : ديوان الأدب للفارابي : ٣٣٩/٢ – ٣٧٩ و ١٦٨/٣ – ١٧٣ و ٢٧٢ – ٢٧٧ و ٤٢٩ – ٤٣٧ والأفعال للسرقسطي : ٣٢٢/١ و ٤٢٩ و ٥١٠ ولسان العرب والقاموس المحيط .

٦- اغراض أخرى :

وهناك افعال اخرى جاءت على هذا الوزن ولم يُرَدْ بها شيءٌ من المعاني التي مَرَّ ذكرها ، وقد روتها المعجمات كما أُثِرتْ .

يقول ابن السكيت :

« وقد تأتي فَعَّلْتُ ولا يُراد التكثير ، نحو قوله : كَلَّمْتُه وسَوَّيْتُه وغَدَّيْتُه وعَشَّيْتُه وصَبَّحْتُ المنزلَ » [٣٦] .

ويقول الفارابي بعد تعداد معاني فَعَّلَ :

« ومنها ما يكون بمعنى نفسه من غير أن يُرادَ به شيءٌ من هذه المعاني كقولك : جَرَّبَه وكَلَّمَه » [٣٧] .

ويقول ابن فارس :

« ويكون بنيةً لا لمعنىً ؛ نحو كَلَّمْتُ » [٣٨] .

النتائـج :

هذه خلاصة شاملة ومستوعبة ؛ لتلك الأغراض والمعاني التي أراد العرب التعبير عنها بتضعيف الفعل الثلاثي ، ولم تكن الأمثلة الواردة في الاستعمالين الأول والخامس - على كثرتها - إلاّ غيضاً من فيض مما ورد في المعجمات في هذين الموردين ، ولو أردنا الاستيعاب التام باستقراء المصادر ورصد هذه الاستعمالات لتضاعف العدد مرات ومرات .

ولقد أصبح من الممكن - بعد الوقوف على هذه الشواهد ؛ والاطلاع على ما مرَّ ذكره من كلمات ائمة اللغة واعلام العربية في هذا الموضوع - أن نزعم القدرة أو الجرأة على استنباط عدة نتائج قد تكون قطعية ؛ أو شبه قطعية فـي أضعف الأحوال ، هي :

---

(٣٦) اصلاح المنطق : ١٤٥ .
(٣٧) ديوان الأدب : ٢/٣٨١ .
(٣٨) الصاحبي : ١٨٩ .

١- لا ريب في جواز تضعيف الفعل الثلاثي للتكثير والمبالغة ، بل هو قياسي في صبريح كلام عددٍ من العلماء ، كما يدل عليه مثل قولهم : « فاذا أردت كثرة العمل » ، بل يدل كلام ابن سيده على أن « التضعيف أجود ليبين الكثير » .

واذا كان استعمال التضعيف في هذا المعنى عربياً صحيح النسب ، وفصيحاً أصيل الحسب ، أصبح الاشتقاق على هذه الزنة ولهذا الغرض قياساً سائغاً وعملاً مباحاً لكل مَنْ حُبِي بالطبع السليم والذوق النقي والمعرفة بأساليب الاشتقاق واصوله .

٢- كذلك لا ريب في جواز تضعيف الفعل الثلاثي اللازم لغرض تعديته ، بل هو قياسي ايضاً كما يستشف من كلمات عددٍ من الأعلام ، كقولهم : بأن فَعّلَ يشرك أفْعَلَ في « نقل الفاعل الى المفعول » وقولهم في هذا الاستعمال : « ان شئتَ » أو « اذا أردتَ » .

ويتضح من ذلك أنْ لا مانع - بل هو صحيح كل الصحة - أن يَشْتَقَّ كلُّ مَنْ له انس وخبرة في قواعد الاشتقاق وطرقه ، من الفعل الثلاثي اللازم فعلاً مضعّفاً ، لغرض التعدية الى المفعول ، سواء اكان المقصود هو مجرد التعدية أو النسبة أو التسمية .

٣- أمّا التضعيف لغرض السلب فلمّا كان استعمالاً للفعل فيما يخالف ما وُضِع له - كما مرَّ - فاننا لا نستطيع عدَّه في جملة الأبواب التي يمكن أن يقاس عليها ويصار اليها فيما يراد سلبه ، بل يجب الاقتصار على المأثور والمسموع في هذا المعنى ، ولا يسمح بالاتيان بمثله والجري على هداه .

٤- وأمّا التضعيف نحتاً من جملةٍ لغرض الدلالة عليها والاشارة اليها فهو فرع من مسألة النحت الشائكة المسالك وتبع لها . وكان الخليل قد روى نحت حَيْعَلَ من حيَّ على وتعبشم من عبد شمس وتعبقس من عبد القيس ، واستشهد على صحة حَيْعَلَ بورود عبشمي وعبقسي وقال : « فأخذ من الكلمتين معاً فبنى كلمة فاشتق فعلاً .... فأخذ العين والباء من عبد وأسقط الدال ، وأخذ الشين والميم من شمس وأسقط السين ، فبنى من الكلمتين كلمة واحدة . فهذا

من الحجة في قولهم حَيْعَلَ حَيْعَلَةً » [٣٩]، وجاء ابن فارس ففتح الأبواب على مصاريعها وقال : « العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك [نحو] رجل عبشمي منسوب الى اسمين .... وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف اكثرها منحوت » [٤٠] ، وذكر ابن السكيت البسملة والهيللة والحولقة [٤١] ولم يسمّها نحتاً ، وكأنه أراد التنبيه على كونها كلمات تشير الى الجمل المقصودة وليست نحتاً منها ، اذ ليس فيها ما ذكره الخليل من قواعد النحت واصوله .

واذا كان في القراء من يستشف من كلام الخليل : « فهذا من الحجة » وكلام ابن فارس : « العرب تنحت» و « هذا مذهبنا » ان النحت قياس مقبول ، فان سيبويه قد رفض ذلك بشكل قاطع وقال بصريح اللفظ : « وليس هذا بالقياس » [٤٢]) .

وعلى كل حال ؛ وسواء اصحَّ القول بقياسية النحت أو لم يصح ؛ وأيّاً كانت شروط النحت ولوازمه ، فاني لا أجد ما يمنع من الذهاب الى جواز النحت على زنة (فَعْلَلَ) عند الضرورة ، وبخاصة فيما يعرَّب من الأسماء الأعجمية المركبة والمصطلحات التي تتألّف من كلمتين فأكثر ، على أن يخضع ذلك لرقابة صارمة واشراف دقيق من قبل المعنيين في الهيئات والمجامع المختصة .

٥ — وأمّا التضعيف في الأفعال المشتقة من الاسماء الجامدة فانه يكاد يكون قياسياً، بل هو قياسي قطعاً كما يتضح من التأمل في الأمثلة التي وردت خلال البحث ، ولا أجد أي حرج من الدعوة الى اجازة هذا الاشتقاق لكل مَنْ يحسن التصرف والتصريف ويتقن قواعد العربية واصولها العامة ؛ من أفراد أو هيئات ، تيسيراً على المعنيين بقضايا الترجمة والتعريب ؛ وإثباتاً لقدرة لغتنا العظيمة على استيعاب كل مسائل العلم والحياة المعاصرة ، بل ان هذا التضعيف مما لا غنى عنه — فيما نعلم —

---

(٣٩) العين — مخطوطتنا — : ٤ أ — ب .
(٤٠) الصاحبي : ٢٢٧ .
(٤١) اصلاح المنطق : ٣٠٣ .
(٤٢) الكتاب : ٨٨/٢ .

في كثيرٍ ممّا يراد تعريبه من الألفاظ الأجنبية ؛ أو يراد اشتقاق فعلٍ له من الأسماء العربية الجامدة .

أمثلة من الاستعمالات المعاصرة :

أجد من المفيد في ختام هذا الحديث أن أُورد امثلةً من الألفاظ التي شاعت وكثر تداولها في هذه الأيام مشتقةً على زنة (التفعيل) ، وقد شفعتُها بما يمكن القول فيها — لغوياً — في هدى ما أسفرعنه هذا البحث من نتائج أو قواعد ؛ لتحديد الموقف منها رفضاً او قبولاً . مهيباً بمجامع اللغة وهيئاتها المختصة أن ترصد كل جديدٍ من هذه الاستعمالات بدقة وحزم ؛ وأن تلزِم الجهات المعنية باتباع سبيل الصواب فيها ، صيانةً للُّغة من العبث والتلاعب والتشويه ، واداءً لما حُمِّلت من أمانة المراقبة والاشراف والتوجيه .

فمن تلك الأمثلة :

(التصويب)

ويراد به تصحيح الخطأ ، ولم يرد هذا المعنى في المعجمات ، وانما الوارد فيها : صَوَّبَه بمعنى قال له أصَبْتَ . ومع ذلك فلا أرى مانعاً من القول بصحة هذا الاستعمال ؛ لأن التضعيف يحمل معنى الجعل ، ويكون صَوَّبَه — هنا — بمعنى جَعَلَه صواباً بتصحيح ما جاء فيه من غلط ، كما نقول سَوَّدَه أي جعله أسود وبَيَّضَه أي جعله ابيض .

(التثبيت)

ويستعمل في عالم التجارة في معنى استقرار الأسعار وثبوتها ، وهو استعمال صحيح لاشائبة فيه ، قال في اللسان: « ثَبَتَ الشيءُ .... فهو ثابت وثبيت وثبتٌ ، وأثبَتَه هو وثَبَّتَه بمعنىً » .

(التصويت)

ويراد به طريقة معينة للوقوف على آراء الناس — كلاً أو بعضاً —في مسألةٍ مّا لمعرفة مقدار رضاهم أو عدمه عنها ، وقد جاء في لسان العرب: « صَوَّتَ يُصَوِّتَ تصويتاً فهو مُصَوِّت وذلك اذا صَوَّت بانسانٍ فدعاه » ، ولا مانع من

جعل الادلاء برأي في موضوع مّا بمنزلة الدعاء لانسان معين أو حكم معيّن ليكون هو المُسوَّد أو المؤهّل للتنفيذ .

(التحديث)

ويراد به جعل الشيء حديثاً ، ولا مانع من قبول هذا الاستعمال من باب فَعّلَ بمعنى أفْعَلَ ، قال في اللسان : « الحدوث نقيض القُدمة ، حَدَثَ الشيءُ يحدُث حدوثاً حداثة ، أحْدَثَه هو » . وما قيل من ورود التحديث بمعنى الكلام وخوف حصول اللبس بين المعنيين مردودٌ بأن الأشهر في معنى الكلام هو التحدُّث وان السياق هو الذي يوضح المقصود ويبين المراد في امثال هذه الموارد .

(التهريج)

ويراد به تعالي الأصوات واثارة الضجيج في معارضة مّا في غير حق ، والوارد في اللغة كما في اللسان : « هَرَّجَ بالسبع : صاح به وزَجَرَه ... وهَرَّجَ النبيذ فلاناً : اذا بلغ منه فانْهَرَجَ وانْهَكَ .... وأصل الهَرْج الكثرة في الشيء .... وهَرَجَ القومُ يهرجون في الحديث : اذا أفْضَوا به فأكثروا » . ولا أجد مانعاً من القول بصحة الاستعمال المعاصر : إمّا من هَرَّجَ المضعّف فيكون مجازاً ، وامّا من هَرَجَ الثلاثي فيكون قد ضُعِّف للتعدية .

(التصليح)

ويراد به اصلاح الشيء واقامته ، وهو استعمال مقبول وصحيح ، داخل في باب فَعّلَ بمعنى أفْعَلَ ، قال في اللسان : « الاصلاح : نقيض الافساد .... وأصْلَحَ الشيءَ بعد فساده : أقامه » .

(التلقيح)

وهو من الكلمات الكثيرة التداول في علمي النبات والحيوان ، بل شمل الانسان ايضاً ، وقد ورد في المعجمات بهذا النص وهذا المعنى في تلقيح النخل ، وعليه يقاس الباقي .

(التجسيد)

ويراد به تجلية الشيء وابرازه كأنه جسم ماثل بهيئته وأبعاده ، ولا مانع من القول بصحته اشتقاقاً من الجسد قياساً على اشتقاق العرب من اسماء الأعيان ، وفي اللسان : « الجَسَدُ : البدن ، تقول منه تجسّد كما تقول من الجسم تجسّم».

(التجليد)

ويراد به طريقة خاصة لحفظ الكتب في جلودٍ تصونها من التلف والتمزق . وهو استعمال صحيح فصيح ، قال في القاموس : « المُجَلّد : مَنْ يُجَلِّد الكتب » .

(التجميد)

ويراد به تماسك السائل كالماء والعصارة من شدة البرودة ، وقد ورد الثلاثي منه في المعجمات ، قال في اللسان : « الجَمْد بالتسكين : ما جَمَدَ من الماء وهو نقيض الذوب .... جَمَدَ الماء ... وكذلك الدم وغيره : اذا يبس » ، ولا مانع من تضعيفه للتعدية .

(التحييد)

ويراد به عدم الانحياز في موقفٍ مّا الى جهة من الجهات المتنازعة ،والحَيْد في اللغة هو الميل ، وعندما يكون احدهم منحازاً الى احدى تلك الجهات فلا مانع من القول بأن تحييده — والتضعيف هنا للتعدية — امالته عن ذلك الجانب الذي سبق له الانحياز اليه. كما يمكن أن يقال ان التضعيف هنا للسلب وان التحييد ازالة الميل كما في مَرَّضَ وقَذّى ؛ وان كنّا لم نجز القياس على ذلك .

(الترقيد)

ويطلق في عالم النبات على طريقة معينة في تكثير نبتةٍ مّا ، وقد ورد في المعجمات فعل رَقَدَ الثلاثي ، ولا مانع من تضعيفه للتعدية واطلاقه على المعنى المشار اليه من باب المجاز .

(التنجيد)

ويطلق في بعض الأقطار العربية على معالجة واصلاح فرش البيت ووسائده، وهو عربي فصيح .

(التخدير)

ويراد به معالجة الانسان بشيء يفقده الاحساس بالألم ، وهو استعمال مقبول وصحيح من باب فَعَّلَ بمعنى أفْعَلَ ، وقد جاء في المعجمات : « الخَدَرُ الذي يغشى الأعضاء ، وفعلُه خَدِرَ ، وأخْدَرَه هو » .

(التزهير)

ويطلق على النبات اذا ظهر زَهَرُه ، والوارد في المعجمات الإزْهار ، قال في اللسان : « أزْهَرَ الشجرُ والنباتُ .... اذا نَوَّرَ وظهر زهره .... وازْهَارَّ النبتُ كأزْهَرَ » ، ولا مانع من استعمال المضعّف في المعنى المتداول من باب فَعَّل بمعنى أفْعَلَ .

(التسيير)

ويطلق في بعض الأقطار العربية على صنفٍ من المَزارع يشارك في زراعتها وملك عائداتها عدد من الناس ، وتسمى (مزارع التسيير الذاتي) ، وهو معنى لم تعرفه العرب ولم يرد في المعجمات ، قال في اللسان : « سارَ الكلامُ والمَثَلُ في الناس : شاعَ ، ويقال : هذا مَثَلٌ سائر ، وقد سَيَّرَ فلان امثالاً سائرة في الناس » . وقد يقال بامكان الذهاب الى صحة هذا الاستعمال المعاصر للتسيير من باب المجاز ؛ لأن فيه معنى الشيوع الوارد في اللغة .

(التصوير)

ويراد به التقاط صورةٍ لشيء مّا بواسطة الآلة المُصَوِّرة ، ويسمى العامل في هذا المجال مُصَوِّراً ، والكلمة صحيحة فصيحة .

(التسويس)

ويراد به داء معيّن يصيب الأسنان ، قال في اللسان : « ساس الطعامُ ...

وسَوَّس : اذا وقع فيه السُّوْس » ، ولا مانع من اطلاق اللفظة مجازاً على الـــداء المذكور .

(التسبيس)

ويراد به جعل الشيء سياسياً أو مرتبطاً بالسياسة ، وهو اشتقاق لم نجد له وجهاً من الصحة لأن الفعل في الأصل واوي ، قال في اللسان : « السَّوْس : الرياسة ، يقال : ساسوهم سَوْساً، واذا رَأَّسُوه قيل : سَوَّسُوه وأساسُوه » ، وفي القاموس : « سُسْتُ الرعية سياسة : أمرتُها ونهيتُها » وكل ذلك بالواو .

(التفليس)

ويراد به اشهار الافلاس او الحكم على شخص بذلك ، وهو استعمال فصيح صحيح .

(التشخيص)

ويراد به معرفة الداء من قبل الطبيب ، وقد ورد في اللغة فعلُ شَخَصَ الثلاثي : يقال شَخَصَ بصره : أي فَتَحَ عينيه وجعل لا يَطْرِف . ولما كانت معرفة الداء بحاجة الى تأمل وتدقيق وكان ذلك مرتبطاً في العرف بالحملقة وفتح العينين ، أمكن القول بقبول هذا الاستعمال بتضعيفه للتعدية ثم اطلاقه مجازاً على المعنى المذكور .

(التحميض) ويطلق على طريقةٍ معينة تعامَل بها الرقوق (الأفلام) لأظهار ما انطبع فيها من صور ، وقد أوردت المعجمات الفعل الثلاثي منه بمعنى الحموضة ، كما ورد في اللسان : « تحمّض الرجلُ : تحوَّل من شيء الى شيء ، وحَمّضَه عنه وأحْمَضَه : حَوَّله » . ولا نرى مانعاً من استعمال لفظ التحميض بمعنى التحويل ؛ لأن الطريقة المشار اليها تقوم بتحويل الصور من حالة الخفاء فـــي الرقوق السوداء الى اخرى واضحة المعالم ، كما لا مانع من الاشتقاق من الثلاثي حَمُضَ أو حَمَضَ بعد تضعيفه للتعدية لأن الرقوق لا تظهر صورها إلاّ بعـــد وضعها في مادةٍ تعتبرها الكيمياء حامضة أو تصفها بذلك .

(التبليط)

ويراد تعبيد الطرق لتيسير السير فيها ، وهو تعبير فصيح وصحيح .

(التسليع)

ويراد به في المصطلح التجاري ادارة عمليات بيع السلع وشرائها ، والكلمة مشتقة من السلعة ، وهو استعمال مقبول لجواز الاشتقاق من الأسماء الجامدة كما مــــرَّ .

(التطبيع)

ويراد به جعل العلاقة بين دولتين او اكثر طبيعية أي قائمة على الصفاءوالمودة ، ولما كانت الطبيعة في اللغة هي الجبلّة التي جُبِل عليها الانسان لم تكن هناك اية رابطة بين هذا المعنى والمعنى الاصطلاحيالمذكور . اللهم الا اذا افترضنا ان الجبلة الانسانية مفطورة على الاستقامة والمودة وحسن السلوك مع كل الناس ؛ وان هذه المعاني داخلة في صميم الجبلة البشرية والطبيعة الانسانية ، ويكون معنىتطبيع العلاقة جعلها مستقيمة وحسنة وقائمة على ما يفترض فيها من صدق المعاملة وسلامة النية ، وتصبح الكلمة حينذاك في عداد الالفاظ المشتقة من الأسماء الجامدة .

(التسويق)

ويراد به تنظيم عملية توزيع السلع التجارية في السوق ،ولا مانع من القول بصحة الاستعمال اشتقاقاً من كلمة السوق ، قال في اللسان : « السوق : موضع البياعات .... وتسوَّق القومُ : اذا باعوا واشتروا » .

(التعليق)

ويراد به حرمان دولةٍ مّا من المشاركة في اجتماعات الهيئات الدولية التي هي عضو فيها ؛ عقوبة لها وتأديباً . ولا مانع من قبول هذا الاستعمال والقــول بصحته ، قال في التهذيب : « وقال تعالى في المرأة التي لا ينصفها زوجها ولــم يخلِّ سبيلها : فَتَذَرُوها كالمُعَلَّقة ... أي لا مُمْسَكَةَ ولا مُطَلَّقَة » ، وتعليق العضوية كذلك ، إذ تكون تلك الدولة ممنوعة من المشاركة في الاجتماعات ولكنها ليست فاقدة لصفة العضوية .

(التحليل)

ويطلق على طريقة معينة لفحص الدم وفضلات الانسان الاخرى لمعرفة ما تنطوي عليه. ولا مانع من القول بصحة الاستعمال وكونه مضعّفاً للكثرة، وفي اللسان: «وكل جامد أذيب فقد حُلَّ»، وعَدُّ التحليل المذكور اذابةً مجازٌ مقبول.

(التحويل)

ويطلق ذلك على طلب المدين من فرد اوجهة أن تدفع مقداراً معيناً من المال بالنيابة عنه الى دائنه، وفي اللسان: «حَوَّله اليه: أزاله .... يقال حَوَّلوا عنّا تحويلاً .... وأحلتُ فلاناً على فلان بدراهم أحيله إحالةً وإحالاً» والاسم الحوالة. والتحويل المستعمل اليوم يمكن أن يكون مأخوذاً من الفعل (حَوَّل) المضعّف مباشرة فيراد به مجازاً نقل مال من ذمة الى ذمة، أو يكون من الإحالة فيصبح فعّلَ بمعنى أفْعَلَ.

(التخويل)

ويراد به التفويض بالتصرف، وهو استعمال صحيح مقبول، وقد ورد الفعل خَوَّل بمعنى مَلّكَ وأعطى في المعجمات.

(التدجيل)

ويراد به المخادعة والمُراءاة، وهو فصيح وصحيح، قال في اللسان: «كل شيء مَوَّهْتَه بماء ذهب وغيره فقد دَجّلْتَه».

(التدويل)

ويراد به سلب خضوع مكان مّا لسلطان دولة معينة وجعله تابعاً لاشراف عدد من الدول. وعلى الرغم من ذهابنا الى صحة الاشتقاق من الاسم الجامد فان المقصود به المفرد منه لا الجمع كما دلنا الاستقراء، في حين ان كلمة التدويل المشار اليها قد اشتقها المعاصرون من (الدول) لا (الدولة). ومع ذلك فلا نجد فيها ما يحتم رفضها، والذوق السليم لا ينفر منها، وقديماً قيل: لا مشاحة في الاصطلاح.

(التفصيل)

ويطلق على تقطيع المنسوجات بما يلائم اجسام اصحابها تمهيداً لخياطتها ، وهو تعبير فصيح صحيح ، قال في اللسان : « وتفصيل الجزور : تعضيته ، وكذلك الشاة تفصَّل اعضاءً » .

(التوصيل)

ويستعمل بمعنى الوَصْل او الايصال ، وهو استعمال فصيح مأثور ، قال في اللسان : « وصَّلَه اليه وأوْصَلَه : أنْهاه اليه وأبْلَغَه اياه » .

(التأميم)

ويراد به سلب ملكيّة الأفراد لشيء مّا وجعله ملكاً للأُمّة ، وهو استعمال مقبول لا شائبة فيه ، لجواز الاشتقاق من الأسماء الجامدة .

(التحجيم)

ويراد به تصغير حجم الشيء او اعطاؤه حجمه الحقيقي . وربما يمكن القول بصحته وقبوله بجعله مشتقاً من الحجم ، إذ يكون معناه اعادة الشيء الى حجمه الحقيقي والكف عن اظهاره بما يزيد على واقعه ، وفي اللسان : « حَجَمَ البعيرَ يحجُمُه حَجْماً : اذا جعل على فمه حِجَاماً وذلك اذا هاج ....
وحَجَمْتُه عن الشيء أحْجُمه : أي كففته عنه » . وقد يقال بأن فَعّلَ – هنا – للسلب لأن معنى أحْجَمَ الثديُ وحَجَمَ : نهد ، ولكننا لا نرى مجوِّزاً للقياس في هذا الباب كما مرَّ .

(التطعيم)

ويستعمل بمعنى التلقيح ، وهو فَعّلَ بمعنى أفْعَلَ ، قال في اللســان : « أطْعَمْتُ الغصنَ إطعاماً : اذا وصلتَ به غصناً من غير شجره ، وقد أطعمتُه فطَعِم : أي وَصَلْتَه به فقَبِل الوصلَ » .

(التعويم)

ويطلق في علم الاقتصاد على رفع القيود عن عملةٍ مّا لمعرفة قيمتها الماليــة الحقيقية ، وأصل هذا الفعل ثلاثي لازم ، قال في اللسان : « عامَ في الماءعَوْماً :

سَبَحَ .... وعامَت النجومُ عَوْماً : جرَتْ » ، ولا مانع من تضعيفه للتعدية واطلاقه على المعنى الاصطلاحي المشار اليه من باب المجاز .

(التقييم)

ويراد به معرفة قيمة الشيء وبيان مدى جودته وحق قدره ، ولم أجد وجهاً مقبولاً لتصحيح هذا الاستعمال لأن فعله واوي ، وصوابه التقويم ، قال في اللسان : « قَوَّمَ السلعةَ واستقامها : قَدَّرَها ... والقيمة واحدة القِيَم ، وأصله الواو .... والقيمة ثمن الشيء بالتقويم ، تقول : تقاوَموه فيما بينهم » .

(التهديم)

ويستعمل في نقيض البناء ، وهو فصيح صحيح .

(التأمين)

ويطلق على انواع من المعاملات تضمن الحصول على مبلغ من المال عند المرض أو الشيخوخة او غير ذلك من الحالات ، وهو استعمال سليم مشتق من لفظة الأمان ، قال في اللسان : « إستأمن اليه : دخل في أمانه ، وقد أمَّنَه وآمَنَه » . ولما كان الناس المشاركون في هذه المعاملة بمنزلة الآمنين على انفسهم وعوائلهم – أو الداخلين في أمان المؤسسة المعينة – عند طوارق الأيام وطوارئ الأحداث كان الاستعمال صحيحاً لا شائبة فيه .

(التدجين)

ومعناه معروف ، وهو استعمال مقبول ،وقد صيغ على فَعَّل للتعدية ، قال في اللسان : « دَجَنَ بالمكان .... أقام به وألِفَه .... ودَجَنَ في بيته : اذا لزِمَه ، وبه سميت دواجن البيت » .

(التدخين)

وهو استعمال صحيح ، وقد ورد الفعل (دَخَّنَ) المضعَّف في ديوان الأدب : ٣٧٨/٢ واللسان .

(التزيين)

ومعناه مشهور ، والاستعمال فصيح صحيح ، قال في اللسان : « زانه وزَيّنَه بمعنىً .... ورجلٌ مُزَيَّنٌ أي مُقَدَّذُ الشعر ، والحجّام مُزَيِّنٌ » ، وكان يطلق في الأجيال السابقة على العامل في هذا المجال اسم (مُزَيِّن) ، وهو تعبير اكثر فصاحة وأصدق انطباقاً على الواقع من كلمة (حلاّق) .

(التعيين)

ويراد به تشغيل انسانٍ مّا في عمل من الأعمال التابعة للحكومة ، وهو استعمال مقبول وله وجه من الصحة ، قال في اللسان : « يقال أتيت فلاناً فما عَيّنَ لي بشيء وما عَيّنَني بشيء : أي ما أعطاني شيئاً » .

(التوطين)

ويراد به اتخاذ فردٍ أو افرادٍ مكاناً معيّناً وطناً لهم ، وهو استعمال صحيح وفصيح روته المعجمات .



تغيّر استثمار الأرض الزراعية في العراق

دراسة في الجغرافية الكمية

الدكتور علي محمد المياح

عضو المجمع العلمي العراقي

إن الغرض من هذا البحث هو دراسة التغيرات الجغرافية التي مرّ بها الانتاج الزراعي في العراق . وترتبط هذه التغيرات ارتباطاً وثيقاً بخطط التنمية الزراعية التي شهدها القطر بعد ثورة السابع عشر من تموز سنة ١٩٦٨ . وهي خطط تهدف الى تغيير اشكال الزراعة التقليدية وتحويلها الى زراعة نموذجية باستخدام الأساليب العلمية والمكننة الحديثة واعتماد التخطيط لكل العمليات الزراعية التي تمارسها وفق أسس إقتصادية وعلمية سليمة . لذا يصبح من المفيد معرفة فيما إذا كانت صور الزراعة قد أصابها شيءٌ من التغير تحت وطأة الحوافز التي طرحت على مختلف مستويات الاقتصاد . ومما لا شك فيه إن زيادة الانتاج الزراعي تعد إحدى دلائل التغير التي يمكن ملاحظتها بسهولة . ولكن التفاعل بين العوامل الاجتماعية الاقتصادية من ناحية والتنظيمات التقنية من ناحية أخرى يبعث على إيجاد تغير تعكسه صور إستثمار الارض الزراعية . وهو نوع من التغير يرتبط حدوثه بحصيلة عمليات مستمرة تختلف من سنة لأخرى . ومن هنا يصبح لزاماً دراسة التغير على إعتبار انه عملية مستمرة . ولكي نفهم التغير فهماً صحيحاً لا بد لنا من معرفة مقدار التغير الذي حدث خلال مدة زمنية معينة وتحديد معدل حدوثه في المدة ذاتها أيضاً . إن الفكرة التي تدعونا للأخذ بمعدل التغير تزودنا ببعد حركي يعيننا على فهمه على نقيض فكرة النسب الثابتة التي تقتصر على وصف خصائص نقاط زمنية معينة . وبناء على ذلك فان نهج هذا البحث يعني بدراسة

الجوانب المكانية للتغير وأبعادها الحركية . وإيضاحاً لهذا النهج درست التغيرات الجغرافية الحديثة التي طرأت على استثمار الارض الزراعية في مجموعة من محافظات القطر وتمّ قياسها ورسم خرائطها ومناقشتها على اعتبار أنها تمثل نموذجاً للتغير الزراعي الذي أحدثته الثورة .

مناهج دراسة التغير :

إن الذي يستعرض الأدب الجغرافي يتضح له أن دراسة تغيرات استثمار الاراضي الزراعية يمكن أن يعبر عنها بطريقتين :

أ — طريقة نوعية

ب — طريقة كمية

وقد يهتم التعبير النوعي للتغير بالتنظيم المكاني الذي يسود الأرض الزراعية في في نقاط زمنية معينة. فعلى سبيل المثال أن Kampp قد وازن بين توزيع استثمار الارض المخصصة لزراعة القمح والشعير في الدانمارك لسنة ١٩٣٧ — ١٩٣٩ كنسبة من دورة المنطقة في السنة الاخيرة . ومن ثم اعادة النظر في النتائج التي توصل اليها على أساس ما كان عليه توزيع هذين المحصولين في سنة ١٨٣٧ و ١٩٠٧ و ١٩٤٠ — ١٩٤٦ [١] .

ويمكن أن تعني الدراسة النوعية للتغير ايضاً بنوع المحاصيل التي تسود زراعتها في منطقة معينة . فقد وازن Weaver مثلا بين توزيع المحاصيل السائدة (تبعاً للمساحة المخصصة لمختلف المحاصيل) في نقطتين من الزمن للوصول الى فكرة عامة عن التغيرات المكانية لنوع المحاصيل التي تتنافس للحصول على حصتها من الارض الزراعية [٢] .

أما التعبير الكمي للتغير فيحاول على العموم الكشف عن مقدار ما يحصل من تغير في القوة النسبية للمحاصيل في مجموع الارض الزراعية خلال مدة زمنية

(1) Aage H. Kampp " The Changing Patterns of Iand use and the Agro-Geographical Diviison of Denmark" Geographia Polonica, Warsaw, 1970, PP. 171–184.

(2) J.G. Weaver, "changing Patterns of Cropland use in the Middle West" Economic Geography, Vol. 30 (1954), PP. 1–47.

ويتحدد مثل هذا التغير بأخذ نسبة نقطة الاختلاف بين نسبة مساحة الارض التي يشغلها المحصول منسوبة الى مجموع الاراضي الزراعية لنقطتين من الزمن يتم اختيارهما . وهنا ينقل لنا Bhatia ملاحظة اوردها J-T- Coppock يقول فيها ان مثل هذا الاجراء مفيد بصورة خاصة حينما تكون التغيرات صغيرة ، ولكن هناك خطرا من انها قد تظهر تغيرات ظاهرية فقط نتيجة لاختلاف مساحة الاراضي التي تخضع لكل وحدة ادارية . ولكن النتائج السلبية لهذا المحذور تختزل عندما تتم الموازنة بين النسب [١] .

وتحقيقا لغرض دراستنا التي تحاول الكشف عن التغير في نسبة المحاصيل في سلسلة زمنية قصيرة وجدنا أن استخدام دالة الخط المستقيم (Straight Line Function) تعد مناسبة لذلك .

وان تطبيق مثل هذه الدالة يشمل افتراضين على الاقل :

أولهما ان هناك درجة من الانتظام في التغير الذي يحدث

وثانيهما ان اتجاه هذا التغير يمكن أن يصور بخط مستقيم . [٢]

ويمكن الحصول على الخط المستقيم بتطبيق المعادلة المعروفة بهذا الاسم وهي :

$$ص = أ + م س$$

وذلك من خلال طريقة المربعات الصغرى للقيم السنوية التي تعبر عن نسبة الارض الزراعية المخصصة لزراعة كل محصول على انفراد في الناحية . وهذه المعادلة عبارة عن وصف رياضي دقيق لطبيعة الاقتران الواضح بين متغيرين . ومن الضروري أن نعرف كيف نترجم هذه المعادلة الى مصطلحات مبسطة بالنسبة للباحثين الذين ليس لهم انعطاف رياضي متين [٣] .

---

(1) Shyam S. Bhatia, "Dynamic Approach to the Analysis of Change". Geographia Polonica, 19, PP. 227–247.

(2) Margaret J. Hagood and D.O. Price, Statistics for Sociologists, New York , Henry Holt and Co., 1952, PP. 170–1. And S. Gregory, Statistical Methods and the Geographers, 2nd, Ed., London, :Longan, P.195.

(3) Hagood and Price , OP. Cit ,. P. 416.

وفي هذه المعادلة يمثل (ص) المتغير التاريخي ، أي نسبة الارض الزراعية المخصصة لزراعة محصول معين في كل وحدة زمنية . والحرف (س) يشير الى السنوات كأرقام متعاقبة ، في حين يرمز الثابت (أ) الى موقع الخط المستقيم على محور (ص) ، أما الثابت(م)فهو معامل الانحدار (Regraession Coefficjent) الـــذي يشير الى عدد وحـــدات (ص) التي تزيد أو تقل مع زيادة (س) بوحدة واحدة.وبعبارة اخرى إن الثابت (م) يعطي قياس التغير في المتغير (ص) مع كل تغير في المتغير (س) بوحدة قياس واحدة الذي يمثل الزمن في هذه الدراسة . أو إن الثابت (م) يعطي المقياس الخطي لسرعة التغير كل سنة . وأن شارة معامل الانحدار (—) تعطي دلالةعن جهة التغير [١] .

ولما كان الارتباط الخطي التام نادرا ما يحدث في المسائل الجغرافية على وجه الخصوص فان هذا لا يمنع من تمثيل البيانات بعدة نقاط لا تقع جميعها على استقامة واحدة ولكن يوجد بينها ارتباط من أي نوع كان. وايجاد معادلة مثل هذا المستقيم تستند على فكرة مفادها أن يكون مجموع مربعات الفرق بين المشاهدة والنقاط المناظرة الواقعة على النقاط ، هذا المستقيم في نهايتها الصغرى (طريقة المربعات الصغرى) [٢] .

وأيضاحا للطريقة التي وردت مناقشتها نذكر مثالا نستمده من وقائع هـــذه الدراسة . فعلى سبيل المثال إن النسبة المئوية للمساحة المخصصة لزراعة الخضروات في ناحية العزيزية في المدة الممتدة من ١٩٦٨ — ١٩٧٤ بلغت ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٩ ، ١٦ ، على التوالي من مجموع المساحة التي تشغلها زراعة مختلف المحاصيل في الناحية . واذا اخذنا نسبة المساحة المخصصة لزراعة الخضروات كمتغير (ص) ومثلنا الزمن بأرقام متعاقبة من (١ — ٦) كمتغير (س) فان تطبيق معادلة دالة الخط المستقيم يعطينا المعادلة التالية :

ص + أ = ١١٤ , ١ س

(1) Peter Hagget , Locational Analysis in Human Geography, New York, Martin's Press, Inc., 1965, PP, 293–4.

(٢) عبدالله عويس ، الاحصاء الجغرافي الزراعي ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية ، ١٩٧١ ، ص ١٩٣ .

وأن قيمة وشارة معامل الانحدار في هذه المعاد له يدل على أن نسبة المساحة المخصصة لزراعة الخضروات في ناحية العزيزية تزداد بمعدل يساوي(١١٤ و ١٪) في السنة. ويمكن الاستفادة من معدل التغير الخطي الذي حصلنا عليه لغرض الموازنة بين مختلف النواحي لمحصول معين أو بين مختلف المحاصيل في ناحية معينة .

الجغرافية العامة لمنطقة الدراسة :

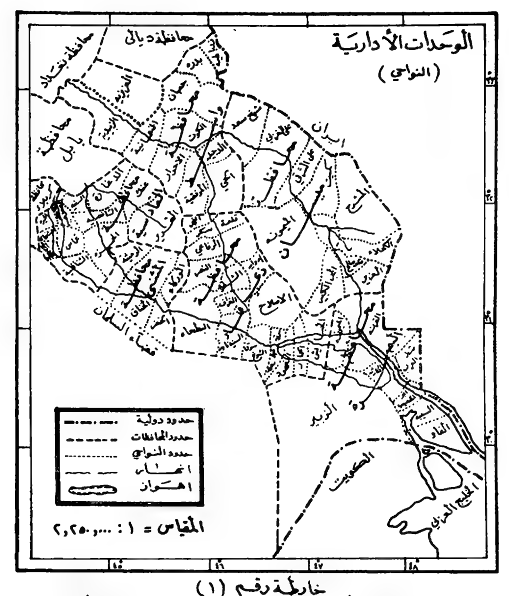
تحتل منطقة الدراسة الجزء الجنوبي من العراق وتشغل مساحة قدرها ٧٩٢٤٦ كيلومترا مربعا أو ما يعادل ٨ و ١٨ ٪ من مساحة العراق الكلية . [١] وسطحها في معظم اجزائه ، عبارة عن سهل رسوبي واسع لا يرتفع كثيرا عن مستوى سطح البحر . ولا يزيد ارتفاع اعلى جهاته على ٣٥ مترا بالنسبة لهذا المستوى . كما هي حال اطرافه الشمالية الشرقية . وينحدر سطح هذا السهل نحو الداخل انحدارا تدريجيا من الشرق والغرب حتى يبلغ مستوى اقل جهاته الداخلية ارتفاعا خمسة امتار عن سطح البحر فقط . وبذا يظهر وكأنه منطقة حوضية واسعة يجري نهر دجلة وما يتفرع منه في جانبه الشرقي في حين يسير نهر الفرات وفروعه محاذيا حافته الغربية . وتكتنف سطح هذه السهل كثير من الاهوار والمستنقعات تتخللها مساحات صغيرة من اليابس تظهر وكأنها أرخبيل داخلي مصغر .

والمطر قليل على العموم بحيث لايزيد معدل المطر هنا عن ١٢٠ ملمترا سنويا يتركز سقوطه في الفصل البارد من السنة . وعليه فان الزراعة في هذا السهل تعتمد اعتمادا أساسياً على الري من الانهار . وقد ساعدت ظروف السطح على الري سيحاً (بالراحة) في معظم انحاء المنطقة . ولا يظهر الري بالواسطة الا في جهاته الشرقية أو في الاماكن التي ترتفع فيها ضفاف الانهار .

وتقع في هذه المنطقة مجموعة من المحافظات هي البصرة وميسان وذي قار والمثنى والقادسية وواسط تضم فيما بينها ثلاثا وستين وحدة ادارية صغرى (ناحية) (خارطة ـ ١ ـ) وقد بلغت مساحة الأرض التي شغلتها زراعة المحاصيل الفصلية

---

(١) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ، ١٩٦٩ ، ص ٣٥ — ٤١ .



خارطة رقم (١)

المرجع ١- خارطة فهرس الوحدات الأدارية في العراق لخرائط ذات مقياس ١ : ٢٠٠,٠٠٠ مقياس خارطة الفهرس ١ : ١,٥٠٠,٠٠٠
٢- اعتمد في تعديلات الحدود الادارية على خرائط الكاداستر شعبة الكاداستر - مديرية المساحة العامة .

فيها ٢٤٥٣١٤٨ دونماً أو ما يعادل(٣ / ٢٠٪)من مجموع مساحة هذه المحاصيل في القطر كله . [1] ويستغل حوالي ثلث هذه المساحة في زراعة فصلية مرة واحدة في السنة بينما يستغل الجزء الباقي منها بزراعة فصلية مزدوجة طوال العام . وساعد

(١) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، نتائج التعداد الزراعي العام ، لسنة ١٩٧١ ، ج ١ .

على ذلك ارتفاع كثافة سكان الارياف فيها.اذ يبلغ عدد سكان مراكز الاستيطان الريفي مثلاً في ناحية القادسية بمحافظة القادسية وناحية السيبة بمحافظة البصرة ٦٢٤ نسمة و ١٠٠٤ نسمة على التوالي.وان معدل عدد مراكز الاستيطان في هاتين الناحيتين يبلغ مركزا واحدا في كل ٦ و ٤ و ٨ و٣ كيلو مترا مربعا من مساحة الناحيتين على التوالي. وعملت هذه الحقائق مجتمعة على جعلها احدى مناطق الزراعة الكثيفة في العراق . اذ تزرع فيها مختلف المحاصيل المعروفة زراعتها في القطر فيما عدا زراعة التبغ وبنجر السكر وبعض المحاصيل البقولية . ومع ذلك فقد اخترنا في بادئ الامر ستة مجاميع رئيسة من هذه المحاصيل تتنافس فيما بينها لتوسيع رقعتها . ولما كان الغرض من هذا البحث في هذا المجال طرح طريقة بحث كمية يمكن بها الكشف عن حصيلة التغير الاقليمي لمحصول من المحاصيل مماله أهميته في تتبع مناهج التنمية وتقصّي آثارها ، إكتفينا بتطبيق ذلك على زراعة الخضروات في هذه المنطقة لسببين رئيسين هما :

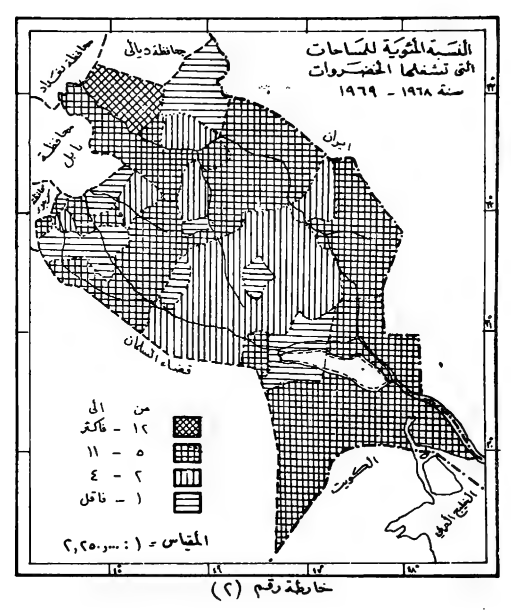
١ ـ انها تعد مظهراً مثاليا من مظاهر الزراعة الكثيفة .

٢ ـ إنها زراعةرائدة حالتدون انتشارها في هذه المنطقة عوامل اجتماعية/اقتصادية ارتبطت بنظم الزراعة التي كانت سائدة قبل الثورة .

وتحقيقاً لاغراض هذه الدراسة تمّ تحويل جميع الارقام المطلقة الى نسب تمثل ما يشغله كل محصول من مجموع الارض المخصصة لزراعة المحاصيل في كل ناحية من النواحي ولكل سنة من سنوات الدراسة . وتمّ الحصول على معدلات التغير الخطية لكل محصول في كل ناحية وفقاً للطريقة التي سبقت الاشارة اليها أما التغير الكمي لكل محصول في كل ناحية من النواحي فقد حدد أيضا إعتماداً على الاختلاف النسبي في نسبة الارض المخصصة لزراعة المحاصيل بين سنة الاساس والسنة النهائية . وهكذا أمكن إبراز الصور المكانية للسنتين المذكورتين والتغير الكمي وتوزيعها الاقليمي .

الخضروات

يظهر التوزيع الجغرافي لزراعة الخضروات في سنة ١٩٦٨ / ١٩٦٩ (خارطة-٢-)

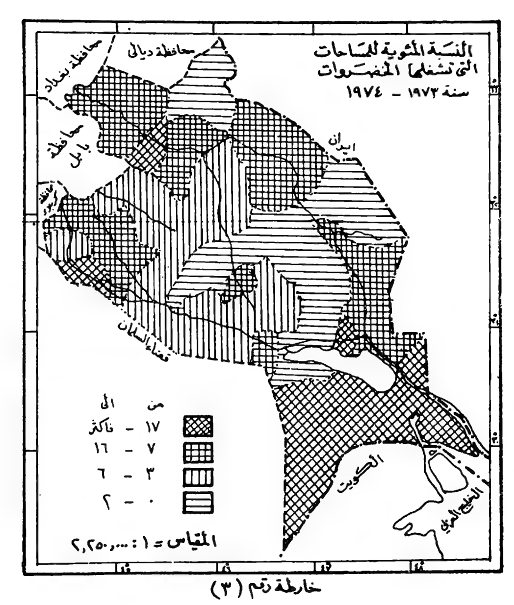


خارطة رقم (٢)

تركزاً واضحاً في منطقتين تحتل احداهما الطرف الجنوبي من المنطقة وتشمل نواحي محافظة البصرة كافة . وتحتل الاخرى الاطراف الشمالية منها وتشمل ناحية العزيزية والنعمانية والاحرار في محافظة واسط . وتظهر زراعة الخضروات على أقلها في منطقتين ، إحداهما تشغل الطرف الشمالي الغربي من منطقة الدراسة وتتركز في نواحي محافظة القادسية ولا سيما ناحية المشخاب والقادسية وغماس

والحمزة والدغارة . والأخرى تقابلها في الطرف الشمالي الشرقي وتتركز في بعض نواحي محافظة واسط وهي زرباطية وجصان وبدرة. كما يظهر لها توزيع جغرافي مبعثر يتوزع على ناحية الوركاء في محافظة المثنى وناحية الدواية في محافظة ذي قار

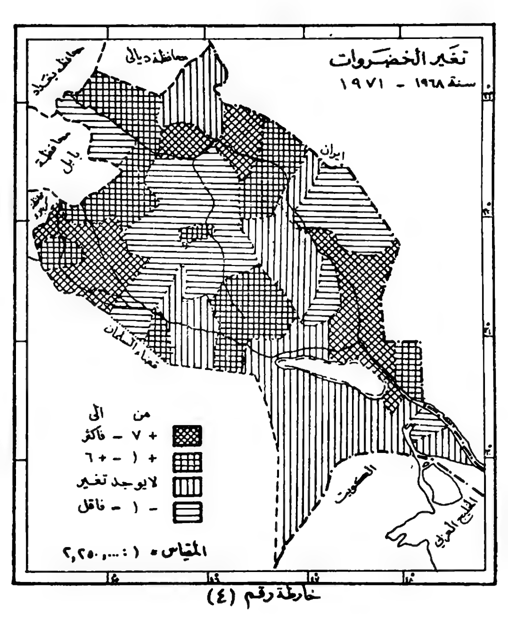
والموازنة بين هاتين المنطقتين الرئيستين تبين ان زراعة الخضروات تبلغ اعلى كثافة لها في المنطقة الجنوبية الرئيسة ولاسيما في نواحي الزبير وصفوان والسيبة



خارطة رقم (٣)

وأبي الخصيب والفاو . اذ تشغل زراعتها هنا الارض المستغلة في الزراعة الفصلية كافة . بينما لاتزيد اعلى نسبة لزراعة فيالمنطقة الرئيسة الاخرى على ١٩ ٪ من مجموع الاراضي المزروعة فعلا كما هي الحال في مركز ناحية النعمانية .

وتبرز موازنة التوزيع الجغرافي لزراعة هذه المحاصيل في السنة النهائية اختلافاً جوهرياً (خارطة - ٣ -). فبينما تبقى نواحي محافظة البصرة مكونة المنطقة الرئيسة



خارطة رقم (٤)

لزراعتها في الجنوب تفقد نواحي المنطقة الاخرى صورتها الاولى .وتتسع زراعتها في نواحي محافظات اخرى لم يكن لها اهمية تذكر فيسنة الاساس كما هي حال ناحيتي مركز العمارة ومركز قلعــة صالح في محافظــة ميسان . ونواحي السنية والمهناوية والصلاحية والشنافية في محافظة القادسية .

ويبدو من خارطة تغير الخضروات (خارطة ـ ٤ ـ) ان زراعتها قد استعدت اما على حساب محاصيل زراعية اخرى أو نتيجة لاتساع المساحة الكلية المخصصة للزراعة في الناحية كما هي الحال في نواحي محافظة القادسية وميسان . وبقيت زراعتها في كثير من النواحي محافظة على ما كانت عليه . وخير مثال على ذلك ما نلحظه على بعض نواحي محافظة البصرة وميسان وذي قار وواسط . كما يظهر أن مساحاتها قد قلت في كثير من النواحي .

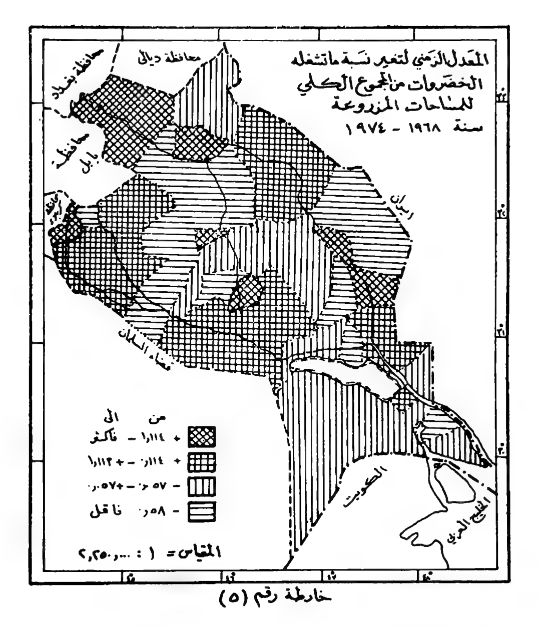
إن الصورة المكانية التي يبرزها المعدل الخطي لتغير الخضروات(خارطة ـ ٥ ـ) تحمل في طياتها واجهات لطبيعة التغير الزراعي الذي حدث في هذه المنطقة . ويمكن ان نجمل هذه على النحو الآتي :

أولا ـ إن معدلالتغير كان ايجابياً على العموم ويظهر بوضوح في المنطقة الشمالية الغربية التي تشمل معظم نواحي محافظة القادسية وناحية الرميثة المجاورة لها في محافظة المثنى . كما تظهر في ثلاث نواحي من محافظة واسط هي : العزيزية والصويرة ومركز الكوت .

ثانيا ـ ويظهر معدل التغير سلبياً فيمنطقتين رئيستين تشغل احداهما الجزءالاوسط من منطقة الدراسة . وتمتد في بعض نواحي محافظة واسط والقادسية والمثنى مكونة نطاقا يأخذ اتجاها شماليا جنوبيا يمتد في الجزء الاوسط من المنطقة .

أما المنطقة الثانية فتحتل الاجزاء الشرقية المتطرفة من محافظة ميسان.

ثالثا ـ ويظهر للتغير معدل إيجابي بسيط (١١٤ , ٠ / ١١٣ , ١) في ثلاث مناطق بارزة تشغل النواحي الجنوبية من محافظة ذي قار والشمالية من نواحي محافظتي القادسية وميسان وناحيتي السويب والهارثة في محافظة البصرة .



خارطة رقم (٥)

رابعا ـ ويظهر تغير غير ملموس في عدد كبير من النواحي سلبا أو ايجابا (ـ ٠,٥٧ ، ٠ ـــ + ٠,٠٥٧ ، ٠) موزعة بين نواحي محافظة واسط وذي قار والبصرة .

خامسا ـ إن النواحي التي يظهر فيها معدل تغير عال تدل على زيادة أهمية زراعة الخضروات ومنافستها لمختلف المحاصيل التي تزرع في الناحية . فمن المعروف أن محاصيل الخضروات لها قدرة عاليـــة على المنافسة الاقتصادية نظرا لارتفاع

مردود وحـــدة المساحة بالنسبة لغيرها من المحاصيل . ولذلك فهي تستحوذ في بعض النواحي على اجود الاراضي الزراعية حيث الترب المزيجة الجيدة الصرف كما هي الحال في نواحي العزيزية والصويرة من محافظـــة واسط . ويساعد على ذلك وقوعها على الطريق الرئيس الذي يربطها مبشرة بمدينة بغـــداد . ومثل هذا القول يصح على مركز ناحية العمارة حيث تتوفر ظروف البيئة الملائمـــة من ناحية، واتساع سوقها المحلية كمّاً ونوعا من ناحية اخرى . وتستأثر زراعتهـــا على اكبر المقننات المائية واليد العاملة في نواحي محافظة القادسية والمثنى . فقـــد ادت شحة ميـــاه الفرات الى تقلص مساحات الاراضي التي تزرع رزّاً فيها وشجعت على زراعة هذه المحاصيل التي تدل على زيادة كلفة الانتاج وتدر دخـــلا عالياً بما يتوفر من مقننات مائية . وكل هـــذا يعني ان زراعة الخضروات بدأت تلعب دورا اكثر أهمية في الاقتصاد الزراعي القائم في هذه النواحي .

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إن هذا النهج يزودنا بسبل تحليل التغير المكاني على مر الزمن ويسمح بتكامل الابعاد المكانية «الزمانية معا . ولهذا اهميته في تتبع مراحل خطط التنمية والكشف عما حققته في مدة زمنية معينة . وهنا يبرز الجانب التطبيقي لهذا النهج في البحث الجغرافي .

* * *

أبحاث في الكيمياء العضوية

الدكتور جابر الشكري

عضو المجمع

الأستاذ في كليّة العلوم/جامعة بغداد

مقدمـــة

خلّف لنا الفلاسفة والعلماء العرب مآثر جمّة في النواحي « التقنيّة » والصناعيّة فعندما نقلوا الفكر اليوناني ، سرعان ما صيّروا المفاهيم الفلسفيّة الى علمٍ عملي واقعي ، وأدخلوا العلم في الصناعة ، وطوّروا « التقنيات » التي كانت مألوفة الى الأفضل ، كما ابتكروا صناعات جديدة مبنيّة على أُسُس علميّة حسب الأعراف المألوفة في ذلك الزمان . ولنورد بعض الشواهد على ما أسلفنا .

لاينكر أن العرب أخذوا صناعة الورق من الصين ، ولكنهم طوروا بهذه الصناعة ، فهم الذين اكتشفوا طريقة صنع الورق من النُفايات ، بعد أن كان يصنع من الحرير ، ثم القطن والكتّان . لقد أدّى اكتشافهم هذا الى انتشار الفكر والمعرفة ، ذلك لتوفّر الورق كمّاً ونوعاً ، فأصبح الكتاب متيسّراً لمن يطلبه ، وبالسعر الذي يناسبه .

وبرع العرب بصناعة الفولاذ وتعدين المعادن المعروفة عندهم ، كما حلّقوا بصناعة الزيوت والصابون ومواد التجميل والعطور والأصباغ والزجاج والتزجيج وغيرها من الصناعات ، وهناك صناعة مهمّة برز فيها العشّابون وبعض

(*) بحث القي في المؤتمر الكيمياوي العربي السادس (العراقي التاسع) المنعقد في بغداد ، بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على تأسيس الجمعية الكيمياوية العراقية (٢٣ — ٢٨ شباط/فبراير — ١٩٨٠) .

الأطباء قوامها إستخلاص العقاقير الطبيّة من مصادرها الطبيعيّة ، حيوانيّة كانت أو نباتيّة ، فاستخلصوا من الأعشاب موادّ طبيّة مهمّة ، لاتزال تستعمل في الطب الحديث ، كما وصفها العرب قديماً . وقد حضّروا المعاجين والمساحيق والأقراص الطبيّة ، ووصلوا باستخلاصهم لهذه المواد الى درجة من النقاوة تكاد تكون على ما هي عليه الآن .

ولمّا نقل الغرب العلوم العربيّة ، وبدأت النهضة الصناعيّة في أوربة ، بدأ معها تفكير جديد ، وهو معرفة ما هيّة المواد الكيمياوية التي تكمن في كلّ مصدرٍ من مصادرها ، فالعلم يتقدّم الى الأمام ، ولكلّ عصرٍ تفكيره ومداركه . ثم أخذ الكيمياويون يبحثون عن تركيب المواد التي استخلصوها بطرقهم الجديدة ، ولما تمّ لهم ذلك أخذوا يقلّدونها في المختبرات ، ثمّ يبنون المصانع والمعامل لانتاج موادّ جديدة ، ومثال ذلك « حامض الساليسيل » الذي استخلص من الصفصاف و وردلسان الثور ، ومنه جاء « الأسبيرين » وعرفوا التركيب الكيمياوي لصبغة النيل التي استخلصوها من نبتة النيل ، التي يقال لها أيضاً النيلة والعِظْلِمْ ، ثم حضّروها في المختبرات ، وأخيراً في الصناعة ، ومثلها صبغَة « الأليزارين » التي استخلصوها من ثُبتة الفُوّة ، التي يقال لها أيضاً عروق الصباغين . وكذلك حامض الليمون المستخلص من الليمون الحامض وهكذا .

فتح لنـــا الكيمياوي الألماني – فوهلر Woehler – باب البناء Synthesis للمواد الكيمياوية ، خاصة العضويّة منها ، فقد أزال الاعتقاد بعدم إمكانيّة تحضير المواد العضويّة إلاّ من مصدرها الطبيعي ، ولما حضر اليوريا ، مادة البول ، سنة ١٨٢٨ م ، بدأت التحضيرات تسير بخطاً واســعة ، وتحلّل الكيمياوي من قيودٍ كانت تكبّله بقوّة ، و أخذ يبني المواد كيفما يخطر بباله ويريد ، فذرة « الكاربون » ذات الأربــع أيدي تستطيع الامساك والارتباط بكل ما يهواه العامل في المختبر الكيمياوي .

إن الكيمياء تدخل في كلّ صناعة من الصناعات المألوفة ، أمّا الصناعات الكيمياوية البحتة ، فهي صناعات معقّدة ، لها مفاهيم وأسس خاصة بها ، وفيها مداخل عويصة . ونحن اليوم في وطننا العربيّ نقيم صناعاتنا الكيمياوية على أسسٍ علميّة ، ونسعى لتكامل هذه الصناعات ، لنستطيع اللّحاق بركب التقدّم الصناعي الغربيّ ، فالوطن العربيّ غنيٌّ بالمقوّمات الأساسيّة للصناعات الكيمياويّة ، فهو منبع للنفط والغاز ، وهو موطن للكبريت والفوسفور ، وقد حباه الله بالمياه الحلوة والمياه الملحة ، وفي باطن أراضيه الشيء الكثير من خامات المعادن .

البحث العلمي :

يطول النقاش كثيراً في أساليب البحث العلمي ، فقائل يقول بوجوب البحوث التطبيقيّة ، وآخر يقول بالبحوث المجمعيّة (الأكاديميّة) ، وثالث يسعى لأن يوفّق بين الرأيين ، فيقول إن البحث العلمي يجب أن يشمل كلّ ناحية من نواحي الفكر ، سواء في ذلك نظرياته وتطبيقاته ، وحجّته في ذلك قويّة ، فكم من نظريّة علميّة وُضِعَت أولاً ، ثمّ أصبحت أساساً لقاعدة صناعيّة مهمّة ، وكم من مادة كيمياويّة حُضّرت ولم يعرف صاحبها لماذا حضّرها ، ولكنّها أصبحت بعد عشرات من السنين من أشهر المواد في عالم التجارة ، ومثال ذلك الـ « دي . دي . تي .DD.T » الذي حُضّر سنة ١٨٧٤م(*) ، وعرفت فوائده سنة ١٩٤٠ .

سُئل العالم الألماني « أتوهان ، O.Hahn » في حفل أقيم له سنة ١٩٦٤ في بون ، بمناسبة بناء غوّاصة ذريّة سُمّيَت باسمه : هل كنت تعلم أن اكتشافك سيؤدي الى مثل بناء هذه الغوّاصة الذريّة ؟ فاجاب – أقسم إني أجريت التجربة ، ولا علم لي بما سيحدث عنها ، إلاّ أني شاهدت منها نتائج أذهلتني في الحال .

* Zeidler : Ber. 7, 1180, (1874)

إني أَحُثّ الباحثين على البحث في كلّ مجال من مجالات العلم والمعرفة ، فقد قال الكيمياوي الفرنسي – برتلون ، ١٨٢٧ – ١٩٠٧م ، في كتابه المشهور ، الكيمياء في القرون الوسطى ، طبع باريس ١٨٩٣ – كلّ من يدخل في المختبر يحصل على شيء ، ويجب أن لا يستهان بما يحصل عليه مهما كان صغيراً .

يُقدَّر عَدَد المواد الكيمياوية المسجّلة حتى الآن بمقدار خمسة ملايين مادة ، أمّا المستغلّة منها في الصناعة فلا تتعدّى المئة الف . لقد حَضّر الطبيب والكيمياوي الألماني – أيرلـــخ ، E. Ehrlich – نحواً من الف مادة ، ولكن دخلت ست مواد منها فقط في عالم الطب ، كان من أشهرها مادة « السلفرسان Salvarsan » (*) وقد نشرت الجمعيّة الكيمياوية الأمريكيّة Amer. Chem. Soc. إحصائيّة طريفة بعدد المواد المستثمرة طبياً ، وهي : عقارٌ واحد يدخل في الطبّ من مجموع يراوح من ٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ مادة كيمياويّة .

ومن المؤكّد أن عدداً كثيراً من الباحثين (العَرَب) قد شاركوا في هـــذا الميدان مشاركة جادّة جيّدة ، وقد كنت أوّد لو أقدّم إحصائيّة متكاملة بالمواد الكيمياويّة المسجّلة بأسماء علمائنا وأساتذتنا الأفاضل .

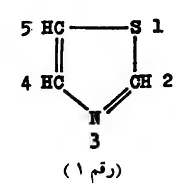
ومن المهم جداً إيجاد مراكز بحوث عربيّة تقوم بدراسة ما ينتجه العلماء العرب للأفادة ممّا يمكن إدخاله في أي مجال من المجالات العلميّة ، وبهذا ترتبط النظريّة بالتطبيق ، ومآل ذلك كلّه التكامل الصناعيّ .

وبمزيد من الغبطة والسرور ، وبكلّ اعتزاز وفخر ، أن أكون أحد الذين شملهم شرف المشاركة في تعليم مبادئ علم الكيمياء لعددٍ كبير من الاخوة والأبناء ، مدّة تُربي على ثلاثين عاماً . وأقدّم احترامي وتقديري الى كلّ من آزرني وشجّعني على إجراء بعض البحوث الكيمياوية التي استطعنا بها إيجاد ثلّة متواضعة من المواد الجديدة ، خاصة البحوث التي شملت مشتقات الثيازول – Thiazole Derivatives

(*) ضد السفلس ، وتسمى أيضاً ٦٠٦ ، (١٩٠٩) .

الثيـــازول :

والثيازول C_3H_3NS مـــن صنف المركبات الكيمياويّة العضويّة ذات الحلقات غير المتجانسة Heterocyclic Compounds ، يتكوّن من حلقةخماسيّة تحتوي على ذرة نتروجين وذرة كبريت وثلاث ذرات كاربون (رقم ١)(•)



(رقم ١)

اكتشف هـــذا المركب الكيمياوي الألماني هانج A. Hantzsch ســـنة ١٨٨٨م،واليه يعود الفضل في تحضير هذا الصنف من المركبات . وبعد أربعين سنة من تحضيره ، ظهرت بوادر تشير الى أهميّته الصناعيّة و الطبيّة . وقـــد حاول الكيمياويون البحث عن مصادر وجوده في مواد طبيعيّة ، نباتيّة أو حيوانيّة ، ولكن ظهر أن مركبات الثيازول نادرة الوجود في الطبيعة . وقد دَرَسْتُ عدداً غير قليل من العطّاريات القديمة ، وما توصّل اليه الباحثون في طبيعتها ، فلم أستطع العثور على ما يشير الى وجود مركب كيمياوي من مشتقات الثيازول في هذهالمواد .

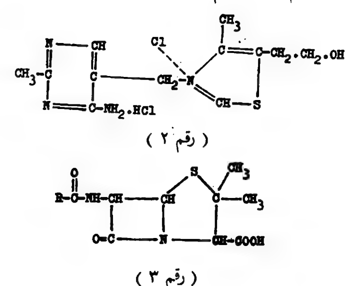
ومن المعلوم أن الحلقة الخماسيّة قويّة البنيان ، وهي أثبت من الحلقة السداسيّة كحلقة البنزول (البنزين) مثلاً ، ولكن على الرغم من ذلك كانت مركبات الحلقة السداسيّة واسعة الانتشار في الطبيعة ، بعكس مركبات الحلقة الخماسيّة فانّها قليلة جداً . وقد أُجْرِيَت دراسات على هذه الظاهرة ولم تسفر عن نتائجواضحة .

وفي ســـنة ١٩٢٦ م اكتشف الطبيبـــان الهولنديان « جـــونسن ودونـــات — Jansen & Donath » فيتامين ب ١ (Vitamine B1) (•)، حيث استخلص من

(•) تشير الرواشم من رقم ١ الى ١٨ الى الصيغ الكيمياوية للمركبات .

• Jansen & Donath : Weekblad, 23, 201, (1926)

قشور الأَرُزّ . وفي سنة ١٩٣٦ م استطاع ويلمز J. Williams ، معرفة تركيبه الكيمياوي وتحضيره في المختبر ، وبذلك ثُبِّتت صيغته التركيبيّة بصورة نهائيّة . وقد اعتبر فيتامين ب ١ أوّل مادة طبيعيّة يدخل الثيازول في تركيبها . (رقم٢) . ثــم جاء البنيسلين ســنة ١٩٤٢ – ١٩٤٥ م ، المستخلص مــن عفن الخبز Penicillium Notatum ، ووجد في بنائه الثيازول المُهدرج – الثيازوليدين Thiazolodine (رقم ٢) (رقم ٣)



(رقم ٢)

(رقم ٣)

ولو ألقينا نظرة على بعض مشتقات الثيازول وأهميّتها ، لأخذنا العجب العجاب من هذا المركب البسيط ، فالبنيسلين مثلاً أبرز مادة كيمياويّة ظهرت في النصف الثاني من هذا العصر ، وعقارات السلفون أميدات Sulphon Amides نالت شهرة واسعة أيضاً ، وفي مقدّمتها « السيبازول Cibazole (رقــم ٤)

(رقم ٤)

ومن مشتقات الثيازول المركب المعروف باســم « بنزثيازول Benzthiazole (رقم ٥) ، وهو المادة الأوليّة في صناعة مجموعة معيّنة من الأصباغ الحسّاسة

التي تستعمل في التصوير (رقم ٥) Photo Sensitiziny Dyes .

N, CH, S

(رقم ٥)

فأغلب هذه الأصباغ لها خاصيّةالتألق Flourescenee ،وهي ظاهرة فيزياويّة مهمّة، وقد برزت في مشتقات البنزثيازول بصورة واضحة وقويّة ، قادت الى استعمال هذه الأصباغ في مجال التصوير الملوّن وصناعة الرقوق الملوّنة (رقم ٦)

رقم الصبغ	عدد ذرات الكاربون في السلسلة	
١	١	C-CH=C (S, N, Cl, C_2H_5, S, N, C_2H_5)
٢	٣	C-CH=CH-CH=C (S, N, Cl, C_2H_5, S, N, C_2H_5)
٣	٥	C-CH=CH-CH=CH-CH=C
٤	٧	C-CH=CH-CH=CH-CH=CH-CH=C
٥	٩	C-CH=CH-CH=CH-CH=CH-CH=CH-CH=C
٦	١١	C-CH=CH-CH=CH-CH=CH-CH=CH-CH=CH-CH=C

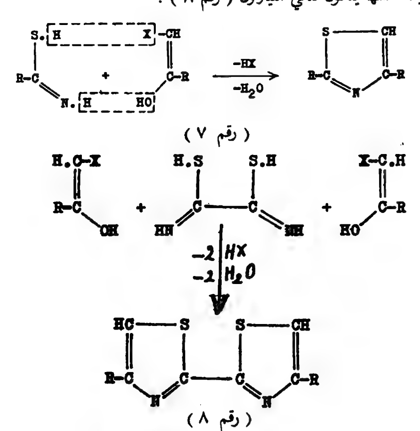
(رقم ٦)

حساسية الصبغ ١ وتألقه ، أزرق ، بطول موجي مقداره 450 mu
حساسية الصبغ ٢ وتألقه ، برتقالي ، بطول موجي مقداره 600 mu
حساسية الصبغ ٢ وتألقه ، أحمر ، بطول موجي مقداره 700 mu
حساسية الصبغ ١ وتألقه ، بطول موجي مقداره 810 mu
حساسية الصبغ ٥ وتألقه ، بطول موجي مقداره 920 mu
حساسية الصبغ ١ وتألقه ، بطول موجي مقداره 1020 mu

تحضير مركبات الثيازول

توسّعت الأبحاث في مجال تحضير مشتقات الثيازول في نحو سنة ١٩٤٠ م ، ولا سيما الأبحاث التي نشرها كل من H. Erlenmeyer و P. Karrer و R. Wizinger (سويسرة)، وغيرهم من علماء الكيمياء . وقد تم إنتاج العديد من المواد الجديدة تقدّر بنحو ٥٠٠٠ مادة ، دخل كثير منها في الصناعة والطب . ومن هذا المنطلق دَرَسْتُ مع بعض زملائي هذا الموضوع من موضوعات الكيمياء العضويّة ، فحضّرنا زُهاء مئة مركب من مشتقات الثيازول ، وقد اتّبعنا في أغلبها طريقة « هانج » وهي الطريقة المثلى لتحضير الثيازول حتى الآن، وتلخّص بما يأتي :—

تكثّف الألفا — هالوكيتونات أو الألدهيدات مـع الثيوأسيت أمايد ، فينفصل الحامض الهالوجيني ثمّ الماء ، وتتكون حلقة الثيازول(*) ، (رقم ٧) ، وبالطريقة نفسها يتكون ثنائي الثيازول (رقم ٨) .



* A. Hantzsch : Ann. 2441 , 1, (1888) .

الأبحاث الخاصة

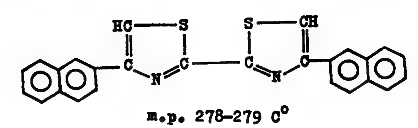
والآن نعرض المواد الجديدة التي حَضَّرناها في مختبرات جامعة بغداد ، وقد أَحْجَمْتُ عن نشر التفاصيل وطرق العمل ، وأوصاف كل مادة من المواد ، وكذلك ذكر أسمائها العلميّة ، ويمكن الرجوع اليها في المجلات الكيمياويّة الدورية المتخصّصة بنشر الأبحاث الجديدة .

أولاً

٤ ، ٤ – (ثنائي – بتا – نفتيل) – ٢ ، ٢ – ثنائي الثيازوليل .

4,4'- (di -B- naphthyl - 2,2 - dithiazolyl

(رقم ٩) ، ونطلق عليه اسم = ثيازول – ر . ص . ح – Thiazole - R.S.H.



(رقم ٩)

لقد درس هذا المركب(*) في مؤسسة «كلاين وسميث» الأمريكيّة (**) ووجد أنه يخفض كميّة الكولوسترول في الدم بنسبة ١٠٨٪ . وبحسب علمي أن البحث مستمرّ عليه . وإني أضع هذا العقّار تحت تصرّف كل كيمياوي عربيّ يرغب أن يبحث فيه من الوجهة الطبيّة بدون أيّ التزام كان أو شرط .

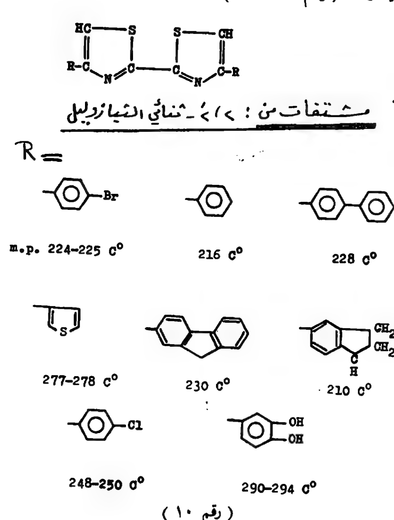
ثانيـــاً :

وهذه مجموعة جديدة من الثيازولات ، وقد درست أغلبها في كليّة الطب

(*) J. Shukri : J. Indian Chem. Soc.
Vol. 39, No. 9 p.561, (1962)

(**) Smith – Kline & French Lab. (Phil.)
U.S.A. Enhance ment of Cholesttrol Solubility in Vitro (214), No. 6968, (1972) .

البيطري / جامعة بغداد ، ووجــد في بعضها تأثيرات حياتيّة ضد البكتريـــات Antibacterial ، خاصة المشتقات الأمينيّة منها ، والبحث مستمرّ بصورة جيّدة ، ونأمل أن نحصل على نتائج مرضيّة في القريب(*) . وهذه نماذج للصيغ الكيمياويّة لبعض الثيازولات (رقم ١٠ — ١٣)



(رقم ١٠)

(*) J. Shukri and S. ALazawe : J. Indian Chem. Soc. Vol. 44. No. 9, p. 801, (1967). p. 801, (1967),
,, ,, Vol. 45, No. 11, p. 1056, (1968).
J. Shukri : Wiss. Z. Univ. Halle, XXVI 77 M, H. 5, S. 59 – 61, (1977)
,, : Iraq J. Ssi, Vol. 20, No. 1, p.75, / (1979).

مشتقات من
٣-بريديل-٢-ثيازوليل

S — CH
C = N — C-R

R =

CH_3- m.p. 42 C°

— C₆H₄ — CH_3 160-163 C°

— C₆H₄ — C₆H₅ 173-176 C°

CH_2 CH_2 C H_2 160-163 C°

S — CH, C = N, C — C₆H₄ — Cl m.p. 195-197 C°

NO_2, S, C = N, C, O, CH_2, H_2 170-173 C°

S — CH, C = N, C — C₆H₄ — Br m.p. 116 C°

(رقم ١١)

S — CH
N — C — N — C-R

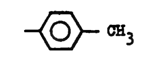
مشتقات من:

٤ - بريديل - ٢ - ثيازوليل

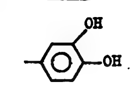
R =

—⟨○⟩— Cl

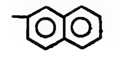
m.p. 234–236 C°



105–107 C°



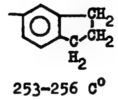
250–252 C°



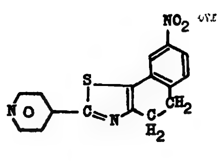
257–259 C°

N
H

203–205 C°



253–256 C°



275–278 C°

(رقم ١٢)

S—CH, R—C=N—C (thiazole ring) with 3,4-dihydroxyphenyl (OH, OH)

$R =$

مشتقات من :
كيتاكو - ثيازوليل

CH_3- m.p. 181 C^o

NH_2- 248-250 C^o

(phenyl)-NH- 250-252 C^o

(2-pyridyl, N) 223 C^o

(3-pyridyl, N) 228 C^o

مشتقات من :
فنيل أمين -
ثيازوليل

$R=$ (phenyl)-NH—C=N—C—R, S—CH

(biphenyl) 234-236 C^o

(indanyl: CH_2, CH_2, C, H_2) 152-155 C^o

NO_2

(phenyl)-NH—C=N—C, S, CH_2, C, H_2 204-205 C^o

(رقم ١٣)

ثالثـــاً :

ولقد استطعنا تحضير مركبات أخرى من الثيازولات ومن صنف أصباغ الآزو Azo - dyes . وقد صَبَغَتَ الصوف والقطن والحريـــر الصناعي بألوان ثابتـــة جذابة . وبعون الله حصلنا فيها على ثلاث براءات اختراع عراقيّـــة ، في كلّ براءة اختراع أربعة أصباغ . وقد أطلقنا عليها اسم « ثيازولات العلوم — Scienzoles » ذكرى لكليّة العـــلوم في جامعة بغـــداد . وكان من بيـــن هذه الأصباغ أربع مواد أظهرت لنا خواص الدلائل الكيمياوية « Indicators » ، ويمكن الافادة منها في عمليّات التسحيح « حامض A <———> قاعدة « Acid – Buse, Indicators

مشتقات الـ (الفا — بيريديل) - Alfa - Pyridyl

براءة اختراع عراقية رقم ١٢٥٥ ، تاريخ المنح ١٩٧٩/١٠/٢٢ ، الصنف ٤ (رقم ١٤)

R تساوي الجذور :

١) m.p. 240–242 C°

٢) 266–268 C°

٣) 260–262 C°

٤) 226–228 C°

(رقم ١٤)

مشتقات الـ (البتا – بيريديل) Beta – Pyridyl

براءة اختراع عراقيّة رقم ١٢٥٣، تاريخ المنح ١٩٧٩/١٠/٢٢، الصنف ٤ (رقم ١٥) .

R تساوي الجذور :
١ و ٢ و ٣ و ٤

(رقم ١٥)

مشتقات (الثيازوليل) — Thizolyl

براءة اختراع عراقية رقم ١٢٥٤ ، تاريخ المنح ١٩٧٩/١٠/٢٢ ، الصنف ٤ (رقم ١٦) .

R تساوي الجذور !
١ و٢ و٣ و٤

(رقم ١٦)

رابعـــاً :

وقد ساقنا البحث في الثيازول الى ناحية أخرى من نواحي البناء والتركيب Synthesis ، فحضّرنا مؤخراً مجموعة من مركبات السلفون أمايد Sulphonamides(*)، وقد أرسلنا بقسم من هذه المركبات الى المؤسسات والمعاهد الطبيّة المتخصّصة في العراق وخارجه لاجراء الفحوص الحياتيّة عليها . وتشير التقارير الأوليّة الى نتائج مشجّعة على الاستمرار والمزيد من الدراسة ، إذ يحتمل أن تكون ثمرة ذلك الحصول على عقارات مفيدة من نوع المضادات الحياتيّة « Antibiotics » .

أ — ترتبـــط مجموعة السلفون أمايد - NH – SO2 - مباشرة بالثيازول فـــي الموقع (2-)، وترتبط المجموعة الأخرى (R) في الموقع (4-) . (رقم ١٧)

HC —— S
R-C N=C-NH-SO_2-C6H4-NH_2
(4) (2)

R =

F-C6H4- m.p. 218–220 C°

Br-C6H4- 198 C°

CH_3 155 C°

OCH_3 218 C°

OCH_3 / OCH_3 181 C°

Cl / Cl 180 C°

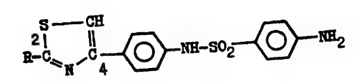
218–220 C°

CH_3-C —— S
C6H5-C N=C-NH-SO_2-C6H4-NH_2

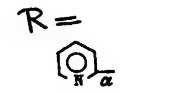
212 C°

(رقم ١٧)

ب– أمّا في هذه المركبات فترتبط مجموعة السلفون أمايد -NH–SO2- بالفنيل أولاً ثم يأتي الثيارول في الموقع (-4) ، وترتبط المجموعة (-R) في الموقع (-2) . (رقم ١٨)



R =







m.p. 206–208 C° m.p. 210–212 C° m.p. 270 C°

(رقم ١٨)



الموضوعية ووحدة الحقيقة

الدكتور ياسين خليل

استاذ المنطق وفلسفة العلوم
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

١ ـ الموضوعية Objectivity في البحث العلمي شرط اساس من شروط الطريقة العلمية ، ومبدأ جوهري لمن اراد التقدم في سبيل العلم ، لأن الالتزام به مـن مستلزمات الباحث والعالم الساعي نحو كشف قاعدة او قانون او صياغة نظرية علمية شاملة. والموضوعية ضرورية للعلم والمعرفة على السواء من اجل استقراء واستقصاء عالم الحقائق الجزئية باتجاه ادراك عالم الحقائق الكلية ، فهي مرتبطة بالتجريبية والبحث القائم على الملاحظة والتجربة المختبرية ، كما يبقى ارتباطها فعالاً في مجال المفاهيم وصياغة الفروض والقوانين العامة والنظريات . وبذلك يكون المجال الحيوي لفعل الموضوعية في حدود العلوم الطبيعية بخاصة ، والعلوم التجريبية عامة .

نصادف في الفلسفة والعلم كلمة « موضوعي Objective » على أساس انها صفة ، وتعنى ما يكون متعلقاً بالشيء Object ، وهو معنى يناقض دلالة الكلمة « ذاتي Subjective » وذلك لتعلق الذاتي بالذات Subject دون الموضوع . ويقال من الناحية الفلسفية ان شيئاً ما موضوعي اذا كان ذلك حقيقة او واقعـة وهو نقيض الذاتي ، ويكون الشيء موضوعياً عندما يكون الاساس هو الشيء وليس الذات ، والذاتي ما كان متصلاً بالشعور والمشاعر والميول ، فالموضوعي ما كان متحققاً في الشيء ، وعلى نقيضه الذاتي وهو ما لم يكن متحققاً في الشيء او الموضوع ، ويتحقق في المشاعر والميول والمواقف المتباينة للذات [١] .

والموضوعية مهمة للعلم ، ولم يتوصل الانسان الى ادراك اهميتها وضروريتها الا

بعد فترة طويلة من البحث الدائب والمعاناة المتواصلة ، حيث عرف في نهاية الامر كيفية وضع الحدود التي تفصل عالم الذات عن عالم الموضوع ، وعدم تصوير الموضوع من خلال الذات بكل ما تحمله من الاهواء والانفعالات والتصورات الوقتية التي ترافق عملية الادراك في بعض الاحيان ، ثم التركيز على فهم الموضوع من غير ان يكون للذات اي دور سوى الفهم والادراك بعيداً عن الاهواء والميول المتباينة والتصورات .

٢ — تذكر المصنفات والقواميس الفلسفية ان ابرز ما حققه الفكر الاوروبي الحديث على صعيد الطريقة العلمية هو انه استطاع ان يتحرر من الذاتية ويتوجه نحو الموضوعية في العلم ، فحقق بذلك قفزات كبيرة في البحث العلمي ، وخلق ارضية فكرية صالحة لنمو المعرفة العلمية في الطريق الصائب . ولقد كان نقد فرنسيس بيكون (١٥٦١ — ١٦٢٦) للعقل علامة بارزة في تاريخ الفلسفة ، حيث بيّن بوضوح الاوهام التي تعترض التفكير العلمي وهي اوهام القبيلة ، واوهام الكهف ، واوهام السوق ، وأوهام المسرح ، ودعا الى ضرورة التخلص منها من أجل بناء معرفة علمية اساسها الاستقراء [٢] . وأخذ الفكر الاوروبي يشق طريقه نحو بناء العلم بعد أن تعينت الارضية الفكرية في اشتراط الموضوعية في العلم ، فأقام الطريقة العلمية وما يرتبط بها من استقراء Induction ، وتعليل او تفسير Explanation ، واستدلال Deduction ؛ وتمثيل او تشبيه Analogy ، سواء كان ذلك في حدود صياغة القوانين العلمية ، او في حدود التثبت من صدقها بالاسلوب التجريبي .

لقد اكدت المؤلفات التي تناولت موضوع الطريقة العلمية على دور العلماء والفلاسفة الاوروبيين في إرساء دعائم الطريقة ، وأغفلت الجهود الكبيرة التي بذلها العلماء والفلاسفة العرب من قبل في هذا المجال وما يرتبط به من افكار ومبادئ وشروط ، ونعذرهم لعدم معرفتهم بتراثنا العلمي ، ولكننا لا نستطيع ان نعذر انفسنا عندما نردد ما يقوله غيرنا بغير وجه حق ، فنقع في الخطأ والتوجيه المخالف للحقيقة.

ان الواجب العلمي الملقى على عاتق الباحث العربي في الجامعات والمراكز العلمية

هو البحث عن الحقيقة ، وتصحيح الآراء الخاطئة والمضللة ، واعطاء كل ذي حق حقه في سياق التطور العلمي والتأريخي من خلال كشف ما انجزه العلماء العرب وما خلفوه من اعمال على صعيد النظر والعمل .

وتتجلى غايتي في هذا المبحث ان ابرهن بالادلة على مقدار تمسك العلماء العرب بالبحث الموضوعي ، ودعوة الفلاسفة والمفكرين العرب الى الالتزام بالحقيقة والصدق والعدل في الاحكام ، وصلة الموضوعية بالشك العلمي كمنهج له اصوله الفكرية ، وبالبحث عن الحقيقة الواحدة كغاية يسعى العالم والفيلسوف الى تحقيقها.

٣ ـ ان أفضل وسيلة لعرض الصلة بين المحاور العلمية الثلاثة : الشك العلمي ، والموضوعية ووحدة الحقيقة ، تكون في بحث منهج الشك العلمي من زاوية ارتباطه بالموضوعيـــة اولاً ثم بحث الموضوعية او ما يعادلها من مفاهيم او مقولات في الفكر العلمي والفلسفي العربي ثانياً، ثم بحث وحدة الحقيقة من زاوية الموضوعية والمنهج العلمي ثالثاً .

فالشك هو اول الطريق نحو ازالة الاوهام او الشبهات ، فهو طريقة في النقد ، نقد العقل الانساني من جهة ونقد المفاهيم والاقوال والاحكام من جهة اخرى . ولا يخفى على الباحث في الفكر العربي الاسلامي بان الشبهات والشكوك من الأمور الواجب ازالتها في المسائل الدينية والشرعية ليستقيم الحكم وينجلي الحق ، ويأخذ العدل مجراه. وقد اخذ هذا الواجب طريقه في الفكر الفلسفي والفكر العلمي، بل واصبح الشك في الأقوال والآراء الواردة عن الأقدمين من اليونان والهنود وغيرهم هو الأساس في التثبت منها ، كما كان لاثارة الشكوك والشبه المختلفة حول مسألة مطروحة للبحث هو الطريقة الواجب اتباعها قبل الوصول الى الأحكام العامة القطعية. وهذا معناه ان العلماء العرب رفضوا التقليد والانسياق وراء الاعتقاد الجازم لمجرد ان الاقوال والآراء قد وردت على لسان مفكرين وعلماء كبار امثال ارسطو (٣٨٤ـ ٣٢٢ ق.م.) ، واقليدس (٣٦٥ ؟ ـ ٣٠٠ ؟ ق. م .) ، وبطلميوس (٨٥ ؟ ـ ١٦٥ ؟) وغيرهم من اليونان .

٤ ـ وقد وقف الامام ابو حامد محمد الغزالي (ت ـ ٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م)

موقفاً نقدياً رائعاً في كتابه « تهافت الفلاسفة » ، حيث ناقش آراء الفلاسفة والزم التناقض في اقوالهم بالاضافة الى ايراد الحجة او البينة العقلية ، وحمل على من اعتنق آراء الفلاسفة من دون نظر وتصديق وتحقيق، فيقول: « وانما مصدر كفرهم سماعهم اسماء هائلة ، كسقراط وبقراط وافلاطون وارسطو طاليس وامثالهم ، واطناب طوائف من متبعيهم وضلالهم في وصف عقولهم ، وحسن اصولهم ،ودقة علومهم : الهندسية ، والمنطقية ، والطبيعية ، والآلهية ، واستبدادهم - لفرط الذكاء والفطنة - باستخراج تلك الأمور الخفية ، وحكايتهم عنهم انهم - مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم - منكرون للشرائع والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الاديان والملل ، ومعتقدون انها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة . فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ما حكى عن عقائدهم طبعهم ، تجمّلوا باعتقاد الكفر ، تحيزاً الى غمار الفضلاء بزعمهم ، وانخراطاً في سلوكهم ، وترفعاً عن مسايرة الجماهير والدهماء، واستنكافاً من القناعة بأديان الآباء ،ظناً بأن اظهار التكايس في النزوع عن تقليد الحق ، بالشروع في تقليد الباطل ، جمال ، وغفلةً منهم عن ان الانتقال الى تقليد عن تقليد ، خرق وخبال ، فأية رتبة في عالم الله اخس من رتبة من يتجمل بترك الحق المعتقد تقليداً بالتسارع الى قبول الباطل تصديقاً دون أن يقبله خبراً وتحقيقاً » [٣] .

ويقوم المذهب النقدي للغزالي على أربعة أركان يسميها مقدمات ، وهي تعرب عن مساق الكلام في كتابه ، فالمقدمة الأولى تقوم على اظهار التناقض في أقوال الفلاسفة ، وتقوم المقدمة الثانية على أن الخلاف بين الفلاسفة يرجع الى لفظ مجرد او اختلاف معاني الألفاظ ، بينما تقوم المقدمة الثالثة على أساس حسن الظن والاعتقاد في الفلاسفة ومسالكهم ، وتقوم المقدمة الرابعة على أساس أن فهم العلوم الالٓهية يحتاج الى المنطقيات والرياضيات [٤] .

والغزالي في ذلك يميز بوضوح بين العلم الالٓهي والعلم الرياضي والعلم الطبيعي ، حيث يرى أن العلم الالهي لا يرقى الى اليقين الذي يتوفر في العلوم الحسابية والمنطقية ، وان العلوم الرياضية والمنطقية تقوم على البراهين ، وتفتقر العلوم الطبيعية الى المشاهدة والرصد بالاضافة الى الإختبار والإعتبار .

والعلم اليقيني الذي يهدف اليه الغزالي معرفة خالية من الشك ، ومطلبـــه العلم بحقائق الأمور ، « فالعلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بـــل الأمان من الخطأ : ينبغي أن يكون مقارناً لليقين ، مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه — مثلاً — من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعباناً ، لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً ، فاني اذا علمت ان العشرة اكثر من الثلاثة ، فلو قال لي قائل : لا ، بل الثلاثة اكثر ، بدليل اني اقلب هذه العصا ثعباناً ، وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم اشك — بسببه — في معرفتي ، ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه ! فأما الشك فيما علمته ، فلا . ثم علمت ان كل ما لا اعلمه على هذا الوجه، ولا اتيقنه : هذا النوع من اليقين فهو : علم لا ثقة به، ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه ، فليس بعلم يقيني »[٥].

٥ — ويقف الحسن بن الهيثم (٩٦٥ — ١٠٣٨م) في مقدمة العلماءالعرب في مزاولة النقد التحليلي من أجل ازالة الشكوك والشبه ابتغاء بناء معرفة علمية موضوعية ، ويتميز مذهب النقد والشك عند ابن الهيثم بميزات عديدة أهمها أنه :

أ — اصبح منهجياً بدلالة استخدامه بدقة عند معالجة اقوال وآراء الأقدمين في العلوم، فكانت خطوات النقد متتالية مصحوبة بامتحان للاقوال والآراء المختلفة .

ب — اصبح محور تفكيره من أجل كشف الحقائق العلمية عن طريق ازالة الشكوك والشبه المثارة حول المسألة المطروحة .

ح — أصبح مقترناً بالاختبار على المستويين ، النظري والتجريبي ، وذلك عـــن طريق البرهان بوجود التناقض في النظرية العلمية او المذهب ، وعن طريق اللجوء الى التجربة والاعتبار لاثبات الصدق او للتكذيب .

ويتجلى الشك بصورة واضحة في كتاب ابن الهيثم الموسوم « الشكوك على بطلميوس» ، حيث بدأ بمقدمة منهجية رائعة لمذهبه في النقد والشك فيقول : «الحق مطلوب لذاته ، وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده ، ووجود الحق صعب ، والطريق اليه وعر ، والحقائق منغمسة في الشبهات ، وحسن الظن بالعلماء

في طباع جميع الناس ، فالناظر في كتب العلماء اذا استرسل مع طبعه ، وجعل غرضه فهم ما ذكروه ، وغاية ما أوردوه ، حصلت الحقائق عنده هي المعاني التي قصدوا لها ، والغايات التي أشاروا اليها . وما عصم الله العلماء من الزلل ، ولا حمى علمهم من التقصير والخلل . ولو كان ذلك كذلك لما اختلف العلماء في شيء من العلوم ، ولا تفرقت آراؤهم في شيء من حقائق الامور ، والوجود بخلاف ذلك . فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين ، المسترسل مع طبعه في حسن الظن بهم ، بل طالب الحق هو المتهم لظنه فيهم ، المتوقف فيما يفهمه عنهم ، المتبع الحجة والبرهان ، لا قول القائل الذي هو انسان ، المخصوص في جبلته بضروب الخلل والنقصان .

والواجب على الناظر في كتب العلوم ، اذا كان غرضه معرفة الحقائق ، أن يجعل نفسه خصماً لكل ما ينظر فيه ، ويجيل فكره في متنه وفي جميع حواشيه ، ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه ، ويتهم ايضاً نفسه عند خصامه فلا يتحامل عليه ولا يتسامح فيه . فانه اذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق وظهر ما عساه وقع في كلام من تقدمه من التقصير والشبه » (٦) .

٦ – وطريقة ابن الهيثم في الشك العلمي ذات هدف علمي ، فهي تسعى الى تطوير المعرفة العلمية عن طريق امتحان الآراء والاقوال ، كما تسعى الى كشف الحقائق ابتغاء الوصول الى اليقين من دون شك وشبه . وقد اتبع ابن الهيثم هذه الطريقة بدقة في أبحاثه وكشوفه البصرية ، وكانت النتائج التي توصل اليها خير معبر عن سلامة الطريقة والتزامه بها. ويمكننا من خلال ابحاثه ومؤلفاته أن نطرح طريقته وفق الخطوات الآتية : –

أولاً : ان يثير الشكوك والشبهات حول مسألة مطروحة للبحث ، فاذا كانت التجربة والاعتبار لا تؤيدها ، التزم بالحكم التجريبي ورفض ما عداه . اما اذا ايدت التجربة والاعتبار حكم المسألة ، فانه ينتقل الى توسيع الحكم وطرح قول كلي لامتحانه من جديد وهكذا حتى يصوغ الحكم بصورته النهائية .

ثانياً: أن يثير الشكوك والشبهات حول مسألة مطروحة للبحث، فاذا كان الحكم

فيها مخالفاً لمبدأ أو قول كلي مقبول بالبرهان والاعتبار ، رفض ذلك الحكم . اما اذا اتفق حكم المسألة مع قول كلي مقبول بالبرهان والاعتبار ، فذلك برهان نظري على صدقــه .

ثالثاً : أن يثير الشكوك حول مسألة مطروحة للبحث . فاذا ظهر بين حكمها وحكم آخر او أحكام أخرى تناقض ، فذلك دليل على ضعف النظرية العلميــة التي اشتملت على هذه الأحكام ، وبرهان على فسادها أو فساد بعض احكامها .

فبالنسبة للخطة المنهجية الأولى رفض ابن الهيثم نظرية الشعاع التي يرى اصحابها أن شعاعاً يخرج من البصر فيلامس الاشياء ليحدث الإبصار ، فقلبها على وجهها الصحيح ، فقال ان انعكاس الشعاع عن الأجسام هو المسؤول عن الابصار [٢] . وفي مجال دراسته للأضواء الطبيعية والمكتسبة أخذ يتوسع في القول الكلي « ان الضوء يمتد على خطوط مستقيمة » وذلك بالاعتبار والتجارب عن طريق دراســة سلوكه في الاجسام المشفة ، ليصل الى القول الأعم وهو : إن الشعاع هو كل ضوء يمتد على خطوط مستقيمة في جسم مشف كان الضوء ضوء الشمس أو كان ضوء القمر او كان ضوء الكواكب او كان ضوء النار » [٨] .

وبالنسبة للخطوة المنهجية الثانية نجد ابن الهيثم يبدأ أولاً باثارة الشكوك مثال ذلك عند بحثه للمكان في « رسالة المكان » ، فيقول : « وطريق البحث عن ذلك هو أن يخص كل واحد منهما او ينظر فيما يلزمه من الشبه الشنيعة والشكوك المعترضة فان سلم احدهما من الشبه والشكوك كان اولى من قرينه ، وان لزم كل واحد منها شبه وشكوك ، كان أقلها شبهاً وشكوكاً أولى باسم المكان من الآخر » [٩] . ثـم يستعين بما توصل اليه من أحكام كلية حول المادة والمدافعة والممانعة والخلاء ليصل في نهاية الأمر الى القول الكلي الخاص بالمكان وهو « فمكان الجسم هو ابعاد الجسم التي اذا جردت في التخيل كانت خــلاء لا مادة فيه مساوياً لجسم شبيه الشكل بشكل الجسم » [١٠] .

وبالنسبة للخطوة المنهجية الثالثة نذكر ما أثاره ابن الهيثم من شكوك وشبــه حول بعض المسائل الفلكية لبطلميوس محــاولاً من وراء ذلك اثبات التناقض في

النظرية ، وقد استخدم هذا الاسلوب في بطلان بعض اقوال بطليموس في كتابه « الشكوك على بطلميوس » من ذلك ما ذكره في اكثر من موضع وختم بقوله :

فهذه المواضع التي ذكرناها هي المواضع المتناقضة التي وجدناها في كتاب المجسطي . ومنها ما هو معذور فيه ، ومنها ما ليس له عذر فيه . وذلك ان منها مواضع تجري مجرى السهو الذي لا يعرى البشر منه . فهو معذور فيه ، ومنها مواضع ارتكبها بالقصد ، وهي الهيئات التي قررها للكواكب الخمسة ، فليس له فيها عذر »[11] .

٧ ـ ان الغاية التي يهدف منهج الشك العلمي الى تحقيقها تتجلى في بناء معرفة علمية سليمة من الشبهات وخالية من الآراء الخاطئة والأهواء والميول التي قد ترافق العمل العلمي ، ثم الوصول الى الحقيقة واليقين الذي يسقط معه كل ظن وشك وشبهة .

ولا يتوقف طلب الحقيقة العلمية عند منهج الشك ، بل يتجاوز ذلك الى طرح مقولات ومبادئ تعبر عن منهجية الفكر العلمي العربي في استقصاء واستقراء الحقائق ، وتعبر في الوقت نفسه عن « الموضوعية » ابتغاء كشف الحقيقة الواحدة . ومن الضروري ان نتوقف قليلاً عند جملة من الملاحظات في سبيل بيان مجموعة المقولات التي تؤلف قاعدة الموضوعية في الفكر العربي .

الملاحظة الاولى :

ان البحث في التراث العربي بفرعيه الفلسفي والعلمي لا يزودنا بمصطلح « الموضوعية » ، حيث لا نجد من علماء وفلاسفة العرب من استخدم هذا المصطلح في ابحاثه ومصنفاته ورسائله بالمعنى الذي نستخدمه في الوقت الحاضر .

الملاحظة الثانية :

ان البحث في التراث العربي يزودنا بمصطلحات أخرى تصل الى مرتبة المفاهيم والمقولات الواجبة في الفكر العربي الاسلامي ، مثل : الحق والعدل ، وطلب الحقيقة واليقين ، والابتعاد عن الميول والاهواء . وهذه المصطلحات وان كانت

دينية في الاصل وذات جذور فقهية ، الا أنها بفضل العلماء العرب اكتسبت صبغة علمية حتى اصبحت جزءاً لا يتجزأ من الفكر العلمي العربي .

الملاحظة الثالثة :

ان البحث في التراث العلمي العربي يزودنا بموقف واضح من البحث عـــن الحقيقة ، حيث نجد العالم والفيلسوف العربي يبدأ في الغالب بنقد الآراء والأقوال واثارة الشكوك والشبه حول المسألة المطروحة ، ويستخدم النظر العقلي والمنطقي ويستعين بالتجارب ، من أجل الكشف عن الحقيقة . وهو لا يعتقد بالخلاف حول الحقيقة ، بل يرى انها واحدة فيسعى في طلبها ، ويرفض الأقوال او المذاهـــب والنظريات المتباينة حولها ، لكونها قاصرة عن إدراكها ، محاولاً في الوقت نفسه بيان سبب قصورها عن إدراك الحقيقة .

٨ ــ ان الاساس الفكري للطريقة العلمية مبني على مجموعة من الأصول التي تستمد من العقيدة الاسلامية قوتها وحيوتها ، اذ فتح الاسلام أمام الباحث سبـــل الولوج في خفايا الطبيعة والنفس الانسانية ، وازال من طريقه كل معوق في سبيل التقدم العلمي ، فكانت العقلانية في الفهم ، والحجة في البرهان ، والعدل في الأحكام ، والطلب المثابر لاستجلاء الحقيقة وازالة الشكوك ، ووحدانية الخالق المؤدية الى التمسك بوحدة الطبيعة والحقيقة ، مجموعة الاصول التي اكتسبت بفضل المثابرة العلمية اردية علمية اضافة الى اورديتها الدينية ، فكانت خير قاعدة للتمسك بالبحث الموضوعي من اجل ادراك اليقين بالعلم والعمل .

لا شك ان مفهوم « الموضوعية ، والذاتية » من المفاهيم المستخدمة في الفلسفة الحديثة والعلم الحديث ، وان العلماء العرب لم يطرحوا ذلك ، بل استحدثـــوا مفاهيم مناسبة مستمدة من التراث اللغوي والعقيدة الاسلامية وما نجم عنهما من دراسات تبلورت بوضوح بفضل علماء اللغة والفقهاء ، فأصبحت المعين الذي ترتشف منه العقول العلمية في المنطلق والدراسة وتقويم النتائج ، وتحولت بعض المفاهيم الدينية فيما بعد وبالتدريج بفضل تقدم العلم الى معايير تقاس بها البحوث

والنتائج ، اضافة الى ما تشترطه على العالم الذي يريد كشف الحقيقة لذاتها من شروط واجبة التنفيذ .

ان أفضل سبيل لاستجلاء موقف العلماء والفلاسفة العرب من الموضوعية ووحدة الحقيقة هو في عرض مقولاتهم الفكرية والمنهجية ، وتوضيح ذلك بالنصوص والتطبيق . فمن هذه المقولات ما يأتي :

الحق والعدل :

تمثل مقولة الحق ومقولة العدل جوهر العقيدة الاسلامية ، وان الفقه الاسلامي يتوخى دائماً الحق والعدل في كل ما يتصل بحياة الانسان المسلم سواء في المعاملات او الارث والوصايا او الخراج وغير ذلك من اوجه النشاط الانساني ، بالاضافة الى ضرورة بناء الدولة والمؤسسات المرتبطة بها على اساس الحق والعدل .

وتمثل مقولة الحق ومقولة العدل جوهر البحث العلمي الساعي نحو كشف الحقيقة . وارتبطت مقولة الحق بالعلم والعقيدة معاً ، وارتبط العلم بالعمل ، فكان العلم دليل العمل ، فلا خير في علم من دون عمل ولا خير في عمل من دون علم وان غاية العلم ادراك الحق . ولا يمكن ادراك الحق الا عند ازالة الشكوك والشبهات لذلك فان الواجب يقتضي تخليص الحق من كل أثر من آثار الشبه والضلالات. ويذكر ابن الهيثم مقولة الحق في سياق منهجي يقوم على أساس التخلص من الشك بقوله : « ولما كملت لأدراك الأمور العقلية ، انقطعت الى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتي وحدسي الى ادراك ما به تنكشف تمويهات الظنون ، وتنقشع غيابات المتشكك المفتون ، وبعثت عزيمتي الى تحصيل الرأي المقرّب الى الله جل ثناؤه ، المؤدّي الى رضاه ، الهادي لطاعته وتقواه » (١٢) .

وارتبطت مقولة العدل بالعلم الطبيعي ، فكانت الأساس في كثير من الفروع الطبيعية التي تعتمد على التجربة والمشاهدة بالاضافة الى استعماله في التحكيم بين الأقوال والمذاهب والأقوال المتعارضة والمتناقضة :

يبدأ عبدالرحمن الخازني (ت - ٥٥٠ هـ - ١١٥٥م) في كتابه «ميزان الحكمة» بتحليل لمفهوم العدل في الاخلاق والدين والعلم ، فيقول عن العدل : « فان العدل

نظام الفضائل جملة وملاك الخيرات اجمع ، لأن الفضيلة التامة هي الحكمة ،وهي شقّا العلم والعمل وشطرا الدين والدنيا ، علم تام وفعل محكم والعدل مجمع بينهما وملتقى كاليهما به تنال قاصية كل مجد وبسببه يجاز قصب السبق في كل خير » [١٣] . ثم يقول : « والعدل في العمل نوعان (عمل) وهو تهذيب الاخلاق ورعاية المساواة بين قوى النفس ، والقيام عليها بحسن السياسة على ماقيل (اعدل الناس من انصف عقله من هواه) ومن تتماته النصفة بين ذويه وكف اذاه عن غيره حتى يأمن الناس شره » [١٤] .

ثم يتناول حكام العدل بالتفصيل ، فيرى انهم ثلاثة بحسب اقسام العدل : الأول : كتاب الله العزيز وهو القانون الأعظم الذي يرجع اليه في الأصول والفروع . والثاني : الأئمة المهتدون والعلماء الراسخون المنتصبون لحل الشبه ورفع الشكوك . والثالث : الميزان الذي هو لسان العدل وترجمان الانصاف بين العامة والخاصة »[١٥].

وميزان الحكمة في رأي الخازني هو الذي استنبطته الافكار وأكملته التجربة والامتحان ، عظيم الشأن لما فيه من المنافع ونيابته عن حذاق الصناع » [١٦].

وغاية الخازني من كل ما تقدم : —

أ — التمييز الواضح بين العدل كمقولة عامة ، والعدل في الاعمال العلمية . فالعدل مطلوب من أجل الدقة والوزن في بناء الاجهزة العلمية والموازين المختلفة ، وهو مطلوب في التحقق من الأشياء واوزانها المائية والهوائية واوزانها النوعية عامة سواء كانت معادن او احجاراً او سوائل .

ب — توثيق الصلة بين العدل كمفهوم ديني والعدل المرتبط بالتجارب من أجل الحصول على نتائج مضبوطة ، لذلك نجد التجربة والامتحان في قياس الوزن النوعي لاي معدن اوجوهر او سائل تقوم على اساس الدقة والعدل في النتائج والاحكام .

وعلى الرغم من أن أبا الريحان البيروني (٩٧٣ — ١٠٤٨ م) لم يعتمد مذهب الشك العلمي في ابحاثه العلمية ، وذكر ذلك صراحة في كتابه « القانون المسعودي» بقوله : « الآراء في المقاصد مختلفة والاقاويل بحسبها كثيرة ، وليس هذا موضع اتساع في مناقضة الشبه وتجريد الحق من وضر الشكوك ، ومبادئ هذه الصناعة

(يقصد علم الفلك) وان كانت ضرورية لاستنادها الى البراهين المساحيّة ، فانها لم تترتب في الكتب المشهورة ، بحيث تستحكم الثقة بها فيمكن الاشارة اليها والاحالة عليها . . »[١٧] ، الا أن البيروني اتخذ منهجاً آخر وصولاً الى الحق ، وهو أن يبدأ بالاصدق من المبادئ ، ثم يقوم بترتيب ما يمكن البرهان عليه في نظام ، بحيث يسهل على المرء ادراك الصدق والحق من خلال البرهان والحجة العقلية او المنطقية بالاضافة الى المشاهدة والرصد .

وقد ميز الامام الغزالي بوضوح بين الرجل والحق باعتماد مقولة للامام علي بن ابي طالب (رض) : « لا تعرف الحق بالرجال ، بل اعرف الحق ، تعرف اهله » فقال « والعاقل يعرف الحق ، ثم ينظر في نفس القول . فان كان حقاً قبله ، سواء كان قائلاً مبطلاً ، او محقاً ، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من اقاويل أهل الضلال ، عالماً بأن معدن الذهب الرغام »[١٨] .

الحقيقة واليقين :

٩ — إن طلب الحقيقة ابتغاء اليقين الذي تسقط عنده كل الشبهات كان مطمح الفلاسفة والعلماء العرب ، فكان المنهج او مجموعة الطرق التي سلكوها ابتداءاً بالمحسوس وانتهاءاً بالمعقول هو السبيل نحو ادراك الحقيقة .

اذا تصفحنا كتب الفلاسفة والعلماء العرب طلباً لمعرفة ما تنطوي عليه كلمة « حقيقة » من دلالات ، فاننا سرعان ما نواجه عدة استعمالات ابرزها : —

أ — الحقيقة او الحقائق بالمعنى المادي ، ويقصد به المحسوس الذي نتيقن منه ، او المحسوسات التي لا يتداخل الشك معها. كما تستخدم «الحقيقة او الحقائق بمعنى ما ثبت صدقه بالتجربة والاعتبار والامتحان . فالنتائج العلمية التجريبية حقائق اذا ما كانت صادرة عن رصد او مشاهدة او تجربة .

ب — الحقيقة او الحقائق بالمعنى العقلي ، ويقصد به المعقول او المعقولات التي ثبت صدقها بالبرهان ، سواء كان ذلك البرهان قائماً على الحجة التي لا يشوبها شك ، او البرهان القائم على الاستدلال والاستنتاج في الرياضيات والمنطق ، وذلك

عن طريق افتراض مقدمات صادقة بالضرورة واشتقاق نتائج صادقة منها بنـــاءاً على صدق ويقين المقدمات .

ج ـ الحقيقة او الحقائق بالمعنى الميتافيزيقي او اللاهوتي ، فالحقيقة الميتافيزيقية مختلفة عن الحقيقة الدينية ، كما ان الميتافيزيقية هي موضع خلاف ، وتختلف عن الحقيقة المنطقية والرياضية والطبيعية ، اما الحقيقة الدينية فان العقل يقبلهـــا لاعتمادها على الوحي والالهام .

ولنا هنا وقفة عند كل نوع من انواع هذه الحقائق ، فنبدأ بالمحسوسات اولاً فالحواس خمس : البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، وتنفعل هذه الحواس بمحسوساتها ، فالبصر محسوسه النور والوان الاجسام وغير ذلك من الاشكال والهيئات حتى يعرف بها كمية المعدودات. والسمع محسوسه الاصوات والهواء الحامل اليه . والشم محسوسه الروائح والهواء يوصلها بحواملها الى الخياشيم اذا انفصلت من المشموم . والذوق محسوسه الطعوم والرطوبة تحملها وتوصلها الى الذائق . واللمس يلاقي الكيفيات التي هي محسوساته [١٩] .

ولقد اولى العلماء العرب موضوع البصريات اهتماماً كبيراً ، وانفرد ابن الهيثم في معالجة المحسوسات البصرية (او المبصرات) بتحليل علمي اساسه المشاهدة الهادفة والتجربة المختبرية وامتحان الظواهر من أجل معرفة حقيقتها ، فدرس حقائق محسوسة مثل شروق الاضواء ونفاذها في الأوساط المختلفة الكثافة ، وانعكاسها وانعطافها سواء كانت هذه الاضواء طبيعية او مكتسبة ، وغير ذلك من الظواهـــر الضوئية مثل القوس قزح والهالة واحوال القمر . . . ، ليصل باستقراء منتظم الى اكتشاف حقائق علمية عامة هي الاقوال الكليةاو الأحكام العامة اوالقوانين[٢٠].

وتناول عدد غير يسير من العلماء العرب موضوع الاوزان النوعية للمعادن والاحجار والمائعات ، واشتهر منهم على وجه الخصوص كل من البيروني والخازني وعماد الدين الخوام البغدادي (القرن الثالث عشر الميلادي) ، وكمال الدين الفارسي (القرن الثالث عشر الميلادي)، وجمشيد غياث الدين الكاشي (ت ـ حوالي ١٤١٩ ، ١٤٢٩م) [٢١]. وكان للحقائق العلمية التي توصلوا لها بالتجربة ، خير مثال عـــلى

ما تحققه التجربة بفضل الموضوعية من حقائق دقيقة اطلق عليها اسم القانون بعض الاحيان . فقد ذكر كتاب ميزان الحكمة ما نصه : « الحديد اخذت خالصاً من توباله وخبثه واملكت عجنه بالطرْق المتين وتشديد الايقاد ، واعتبرت انواعه فتردد ماء المائة فيها بين اثني عشر مثقالاً وخمس دوانيق وطسوجين فجعلناه قانوناً »[٢٢].

اما الحقائق العقلية فانها كانت اكثر الأنواع حضوراً في الفلسفة والعلم معاً ، وقد اطلق عليها الإمام الغزالي اسم « الضروريات »[٢٣] مرة والعقليات مرة اخرى . ولكن المعقولات ليست خالية من الأوهام والاغلاط ، وان ازالة هذه الأوهام وصولاً الى الحقيقة واليقين هي مهمة علم المنطق ، وقد ذكر الغزالي بواعث تحرير كتابه « معيار العلم » ، فقال : « فلما كثر في المعقولات مزلة الاقدام ، ومثارات الضلال ، ولم تنفك مرآة العقل عما يكدرها من تخليطات الاوهام ، وتلبيسات الخيال ، رتبنا هذا الكتاب معياراً للنظر والاعتبار ، ميزاناً للبحث والافتكار . وصيقلاً للذهن ، ومشحذاً لقوة الفكر والعقل ، فيكون بالنسبة الى أدلة العقول ، كالعروض بالنسبة الى الشعر ، والنحو الى الاعراب ، اذ كما لا يعرف منزحف الشعر عن موزونه الا بميزان العروض ، ولا يميز صواب الإعراب عن خطئه ، الا بمحك النحــو . كذلك لا يفرق بين فاسد الدليل وقويمه ، وصحيحه وسقيمه ، الا بهذا الكتاب . فكل نظر لا يتزن بهذا الميزان ، ولا يعاير بهذا المعيار ، فاعلم انه فاسد العيار ، غير مأمون الغوائل والأغوار »[٢٤] .

وقد فصل الغزالي القول في المادة التي يكون منها القياس ، فبحث في المقدمات التي يصفها بانها يقينيات صادقة واجبة القبول ، وقسمها الى اربعة اصناف هي : الاوليات العقلية المحضة ، والاوليات الحسية ، والمجربات والحدسيات ، وأخيراً ما يجري مجرى الاوليات العقلية . ويحدد الاوليات العقلية المحضة بقوله : « هي قضايا تحدث في الانسان من جهة قوته العقلية المجردة ، من غير معنى زائد عليها يوجب التصديق بها »[٢٥] . ويدخل في هذا الصنف قضايا منطقية واخرى رياضية ، من ذلك : ان الشيْ الواحد لا يكون قديماً وحديثاً معاً ، وان الاثنين اكثر من الواحد . اما الاوليات الحسية مثال قولنا : الشمس منيرة ، والثلج بارد ، « فان العقل المجرد ،

اذا لم يقترن بالحواس لم يقض بهذه القضايا ، وانما ادركها بواسطة الحواس » [٢٦] وتتميز هذه الأوليات بأنها جلية يدركها العقل بمساعدة الحواس ، اذ لا سبيل الى مجاحدتها او نقضها، فالشمس التي تشرق بضوئها لا يمكن ان تكون الا منيرة، والثلج الذي نتفحصه بالحس لا يمكن ان يكون الا بارداً ، ولا يمكن أن يكون خلاف ذلك . فهذه قضايا صادقة ويقينية . والصنف الثالث : المجرّبات وما يجري مجراها من الحدسيات ، « والمجرّبات امور وقع التصديق بها من الحس بمعاونة قياس خفي » [٢٧] ، مثال ذلك : النار محرقة ، والقطع مؤلم .

والقياس الخفي الذي يتحدث عنه الغزالي هو مبدأ السببية ، يؤيد ذلك ما ذهب اليه بالقول : « ولا تخلو عن قوة قياسية خفية تخالط المشاهدات ، وهي انه : لو كان هذا الأمر اتفاقياً، او عرضياً غير لازم، لما استمر في الاكثر من غير اختلاف، حتى اذا لم يوجد ذلك اللازم استبعدت النفس تأخره عنه ، وعدته نادراً ، وطلبت له سبباً عارضاً مانعاً » [٢٨] . أما الصنف الرابع فانه يحدد قضاياه بقوله : «القضايا التي عرفت لا بنفسها ، بل بوسط ، ولكن لا يغرب عن الذهن اوساطها ، بل مهما احضر جزَيْ المطلوب ، حضر التصديق به ، لحضور الوسط معه» [٢٩]، مثال ذلك : الاثنان ثلث الستة .

ويرى الغزالي في بيان اليقين ان « البرهان الحقيقي ما يفيد شيئاً لا يتصور تغيره، ويكون ذلك بحسب مقدمات البرهان ، فانها تكون يقينية ابدية لا تستحيل ولا تتغير ابداً . واعني بذلك ان الشيء لا يتغير ، وان غفل انسان عنه ، كقولنا : الكل اعظم من الجزء . والاشياء المساوية لشيء واحد متساوية ، وامثالها . فالنتيجة الحاصلة منها ايضاً يقينية »[٣٠] .

« فأما العقليات الصرفة المتعلقة بالنظر في الالٓهيات ، ففيها بعض مثل هذه اليقينيات (الحسابية والهندسية والأوليات الحسية) ، ولا يبلغ اليقين فيها الى الحد الذي ذكرناه ، الا بطول ممارسة العقليات وفطام العقل عن الوهميات والحسّيات ، وايناسها بالعقليات المحضة . وكلما كان النظر فيها اكثر ، والجد في طلبها أتم ، كانت المعارف فيها الى حد اليقين التام اقرب » [٣٢] .

وحدة الحقيقة :

١٠– ترتبط هذه المقولة بغيرها من المقولات السابقة ، وتتميز عنها بأنها الغاية التي يسعى اليها العالم والفيلسوف . فالشك واثارة الشبهات حول المسائل المطروحة انما يقصد الى كشف الحقيقة والتخلص نهائياً من الاوهام والميول والآراء التي تتعرض لهوى النفس ونزعاتهـا . وطلب الحق سلوك البـاحث باتجاه معرفة الحقيقـة ، كما ان العدل أساس العمل العلمي ومنهج صائب ابتغاء تحقيق الموضوعية والنتائج العلمية الدقيقة . واذا ارتبطت الحقيقة باليقين ، فان العلم متحقق بوحدة الحقيقة ، لان اليقين هو الصدق الضروري الذي لا مجال الى دحضه مطلقاً ، وان الحقيقة اليقينية لا بد أن تكون واحدة لجميع المشتغلين بالفلسفة والعلم .

ويتفق كل من الحسن بن الهيثم والغزالي في موقفهما من اعتقادات الناس المختلفة والشك فيها جميعاً ، لاعتقادهما ان الحقيقة واحدة ، فقال ابن الهيثم : « اني لم أزل منذ عهد الصبا مرتاباً في اعتقادات هذه الناس المختلفة ، وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأي ، فكنت متشككاً في جميعه ، موقناً بأن الحق واحد ، وان الاختلاف فيه انما هو من جهة السلوك اليه [٣٢] . »

ويقول الغزالي : « ولم أزل في عنفوان شبابي – منذ راهقت البلوغ : قبـل بلوغ العشرين الى الآن ، وقد أناف السن على الخمسين – اقتحم لجة هـذا البحر العميق ، واخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور ، واتوغل في كل مظلمة ، واتهجم على كل مشكلة ، واتقحم كل ورطة ، واتفحص عن عقيدة كل فرقة ، واستكشف اسرار مذهب كل طائفة ، لأميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع » [٣٣] .

ولكننا الآن ازاء مشكلة منطقية وفلسفية هي : هل ان مجرد الاعتقاد بوحدة الحقيقة والايمان بها يكفي أم هناك ما يدعم هذا الاعتقاد علمياً من خلال مجموعة مبادئ او طرق منهجية وشروط ؟

وللاجابة عن هذا السؤال ارى ان نميز من جديد بين الحقيقة العلمية والحقيقة العقلية ، واقصد بالحقيقة العلمية كل ما يتوصل اليه العقل من احكام عامة عن

طريق التجربة والمشاهدة والاستقراء ، واقصد بالحقيقة العقلية كل ما يسلم به العقل تصديقاً مجرداً مثل قضايا الهندسة والحساب والمنطق .

اعتمد ابن الهيثم والبيروني والخازني منهجاً استقرائياً في العلوم ، واكد كل واحد منهم على دور التجربة والامتحان في التوصل الى الحقائق العلمية ، ويربط ابن الهيثم في منهجه العلمي لطلب الحقيقة بين الاستقراء ومقولة العدل والموضوعية الخالية من اتباع الهوى بقوله : « ونجعل في جميع ما نستقريه ونتفحصه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرّى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء » [٣٤] .

وابن الهيثم كغيره من العلماء العرب واجه اقوالاً ومذاهب مختلفة ومتعارضة ، فوقف منها موقف الممتحن المؤمن بوحدة الحقيقة ، فينشدها لغايتها او لذاتها ، فاستمد من الملاحظة والرصد والتجربة المختبرية سبيله العلمي للتثبيت من الاقوال والمذاهب ، وزاد على ذلك باكتشاف حقائق علمية جديدة . ونظراً لاعتقاده الراسخ بوحدة الحقيقة ، فقد بحث في العوامل التي تؤدي الى عدم ادراكها وكان صائباً في تشخيصه ، وكانت اقواله في ذلك خير برهان على عزمه لاكتشاف الحقيقة العلمية ، فيقول : « وكل مذهبين اما أن يكون احدهما صادقاً والآخر كاذباً ، واما أن يكونا جميعاً كاذبين والحق غيرهما جميعاً ، واما أن يكونا جميعاً يؤديان الى معنى واحد هو الحقيقة ، ويكون كل واحد من الفريقين القائلين بذينك المذهبين قد قصر في البحث ، فلم يقدر على الوصول الى الغاية فوقف دون الغاية ، أو وصل أحدهما الى الغاية وقصر الآخر عنها ، فعرض الخلاف في ظاهر المذهبين ، وتكون غايتهما عند استقصاء البحث واحدة . وقد يعرض الخلاف ايضاً في المعنى المبحوث عنه من جهة اختلاف طرق المباحث ، واذا حقق البحث وانعم النظر ظهر الاتفاق وانسفر الخلاف » [٣٥] . وينطبق هذا القول على الاحكام العامة او القوانين العلمية كما يصدق كذلك على النظريات العلمية ، ومن الواضح ان ابن الهيثم قد التزم بمبدأ عدم التناقض في العلم ، اذ لا يجوز أن تكون المذاهب والنظريات المتناقضة صادقة معاً ، ويضيف ابن الهيثم من خلال حسه التجريبي ومنهجه النقدي القائم

على الشك وصولاً لادراك الحقيقة ، ومنهجه في الاستقراء ، فقرات أخرى يبين فيها مواضع الاختلاف بين المذهبين ، وفي كل ذلك يشير الى اليقين والاحتمال والاختلاف في مناهج البحث ، فعندما يتطابق مذهب ما مع الحقيقة تطابقاً كلياً، فلا بد أن يكون صادقاً ، وان المذهب المناقض له لا بد أن يكون كاذباً . اما اذا لم يبلغا الغاية وهو إدراك الحقيقة الواحدة ، فان صدقهما سيكون احتمالياً، وقد يكون الاختلاف الظاهر بين المذهبين مرده الى الاختلاف في طرق البحث ، وهذا أمر يمكن ازالته عند التحقق منه والبحث الدقيق فيه .

وركز الغزالي بحثه في الحقيقة العقلية ، فهي صادقة بالضرورة ، وهي يقينية تامة ، وأنه لا سبيل الى مجاحدتها ، فهي واحدة ، لان مبدأ عدم التناقض شرطها ، فلا يمكن أن تكون الى جانبها حقيقة عقلية صادقة تكذبها . « والعلم اليقيني هو أن تعرف أن الشئ بصفة كذا ، مقترناً بالتصديق بأنه لا يمكن أن لا يكون كذا ، فانك لو أخطرت ببالك امكان الخطأ فيه والذهول عنه ، لم ينقدح ذلك في نفسك اصلاً ؛ فان اقترن به تجوز الخطأ وامكانه ، فليس يقيني [٣٦]» .

وقد طرح الغزالي مبدأ عاماً في سياق تحليله لليقين ، يقوم على مبدأ عدم التناقض ويتناول فيه القضايا اليقينية ، والمذاهب ، والعلم اليقيني ، فيقول : « فالتناقض في البراهين الجامعة للشروط التي ذكرناها ، محال . فان رأيتها متناقضة فاعلم أن أحدهما ، أو كلاهما ، لم يتحقق فيه الشروط المذكورة ، فتفقّد مظان الغلط والمثارات السبع التي فصلناها » [٣٧] . والذي يقصده الغزالي من ذلك الاستدلال او القياس وضرورة ان تكون مقدماته يقينية ، وان المثارات السبع هي الشروط الواجبة في القياس الصحيح [٣٨] .

والاختلاف بين الحقيقة العلمية والحقيقة العقلية واضح ، فالاولى تخضع لاستقراء ومشاهدة وتجربة وطرق مباحث ، وقد تكون متطابقة مع المذهب او لا تكون ، كما يمكن ان يكون التطابق معها جزئياً بسبب عدم الوصول الى الغاية ، وان على الباحث أن يتحرى المعنى المبحوث وطرق المباحث لكشف اسباب الاختلاف بين مذهبين يؤديان الى الحقيقة . اما الثانية ، فانها اما ان تكون صادقة ونقيضها كاذب ، اذ

لا يجتمع الصدق والكذب فيها ، او أن التناقض قد وقع بسبب عدم التزام أحد البراهين او كلاهما بالشروط الواجبة في القياس الصحيح .

وفي ختام هذا المبحث لابد لنا للتيسير من تلخيص ما توصلنا اليه من نتائج على هيئة نقاط واضحة ومحددة : —

أولاً :

لا نجد في التراث العلمي العربي مصطلح الموضوعية بالمعنى الذي نعرفه في الفلسفة والعلم في العصر الحديث، بل نجد منهجاً دقيقاً فيه من الشروط والقواعد والمقولات ما يجعل الموضوعية بالمعنى الأوروبي جزءاً من محتوياته . وبعبارة اخرى: اذا اطلقنا على هذا المنهج اسم « الموضوعية العربية » لكانت الموضوعية بالمعنى الأوروبي جزءاً منها .

ثانيـاً :

ارتبطت الموضوعية العربية بالبحث عن الحقيقة ، ولما كانت الحقائق منغمسة في الشبهات والاوهام والاغاليط والخيالات، فلا بد من منهج دقيق يحقق الموضوعية يقوم على أساس الشك في الاقوال والآراء والمحسوسات لازالة هذه الشبهات والأوهام فتنكشف الحقائق . وكان الشك العلمي والشك الفلسفي هو المنهج الذي بفضله يمكن التثبت من صدق الحواس والآراء والأقوال ، لأنه الطريق الذي يضع الباحث في اول مراحل البحث الموصل الى كشف الحقيقة .

ثالثاً :

ارتبطت الموضوعية العربية بأنواع متباينة المستوى من الحقائق ، فالحقيقة الحسية والتجريبية ، حقيقة العقلية الضرورية ، والحقيقة اللاهوتية الميتافيزيقية ، ليست واحدة، وان المنهج المقترح للكشف عنها ليست واحداً . فالحقيقة الحسية والتجريبية تخضع للرصد والمشاهدة والاستقراء ، وهو منهج يكفل ازالة الأغاليط في المعرفة الحسية والتجريبية ، والحقيقة العقلية الضرورية تخضع لشروط وقواعد المنطق ، وهو منهج يكفل ازالة اوهام العقل باتجاه كشف الحقائق الدينية ، والحقيقة

اللاهوتية الميتافيزيقية لا تخضع لمنهج الاستقراء كما لا تخضع لمنهج الاستدلال والبرهان ، فهي تخمينية .

رابعاً :

ارتبطت الموضوعية العربية بمجموعة من المقولات هي : الحق والعدل ، والحقيقة واليقين ، ووحدة الحقيقة . وان ماتشترطه هذه المقولات من سلوك ومطالب كفيل الى هداية الانسان فالعدل في الاحكام وعدم الميل مع الآراء والأهواء ابتغاء الحق شرط ضروري ؛ والبحث من الحقيقة ابتغاء ادراك اليقين هو السلوك الذي تطمئن اليه النفس عند انكشاف الحقيقة ، والاعتقاد بالحقيقة الواحدة يبعد الباحث عن الوقوع في التناقض ، اذ لا يمكن ان تكون الحقائق متناقضة ، وان المطلب الأساس للباحث يتجلى في ازالة التناقض وصولاً الى ادراك الحقيقة الواحدة .



(١) انظر في ذلك القاموس الفلسفي تحت عنوان : الموضوعية . Obektiv

Philosophisches Worterbuch p: 215-216
Herausgegeben von
W. Brugger S. J.
Verlag Harder Freiburg 1953

(٢) دعا بيكون الى ذلك في كتابه « المنطق الجديد Novum Drganum الذي انجزه سنة ١٦٢٠ ، ويظهر من عنوانه انه اراد وضع منطق آخر يعارض به منطق الاستدلال لارسطو .

(٣) محمد ابو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة ص ٧٤ ، تحقيق سليمان دنيا ، الطبعة الرابعة (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦) .

(٤) المصدر نفسه : المقدمة الاولى : ص ٧٦ – ٧٨ ، المقدمة الثانية : ص ٧٩ – ٨١ ، المقدمة الثالثة : ص ٨٢ – ٨٣ ، المقدمة الرابعة : ص ٨٤ – ٨٥

(٥) محمد ابو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال ص ١٣ – ١٤ حققه وعلق عليه عبدالحليم محمود الطبعة الرابعة : (مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤) .

(٦) الحسن بن الهيثم : الشكوك على بطلميوس ص ٣ – ٤ : تحقيق عبدالحميد صبرة ونبيل الشهابي (دار الكتب والوثائق القومية ، مصر ، ١٩٧١) .

(٧) التزم اصحاب مذهب الشعاع من اليونان بالقول ان الابصار يحدث بخروج شعاع او نور من العين فيلامس الأشياء ، وقد ذهب امبادوفليس (٤٩٠ – ٤٣٠ ق.م.) الى الاعتقاد بان الابصار يحدث بخروج عناصر من البصر لتلتقي بعناصر مشابهة لها يبعثها الجسم ، وذهب الافلاطونيون الى الاعتقاد بان الابصار يحدث بانبعاث قوة نورية من البصر ، وانبعاث نور مشابه من الاجسام المضيئة بذاتها ، حيث يندمج الاثنان معاً في شعاع واحد فيحدث الابصار . والتزم بنظرية الشعاع هذه كل من اقليدس وبطلميوس .

(انظر : ياسين خليل : العلوم الطبيعية عند العرب ص ١٢٣ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ١٩٨٠)

(٨) الحسن بن الهيثم : رسالة في الضوء ، ص ١٨ – ١٩ (حيدر آباد – الدكن ، الهند ١٣٥٧هـ)

(٩) الحسن بن الهيثم : رسالة المكان : ص ٣ (حيدر آباد – الدكن ، الهند ١٣٥٧ هـ)

(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(١١) الشكوك على بطلميوس : ص ٣٧ .

(١٢) ابن ابي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٥٥٢ : شرح وتحقيق : نزار رضا . (منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت) .

(١٣) عبدالرحمن الخازني : ميزان الحكمة ، ص ٢ : (حيدر آباد – الدكن ، الهند ، ١٣٥٩هـ)

(١٤) المصدر نفسه ص ٣

(١٥) المصدر نفسه ص ٣ – ٤ .

(١٦) المصدر نفسه ص ٤ – ٥ .

(١٧) ابو الريحان البيروني : القانون المسعودي الجزء الأول ص ٢٤ (حيدر آباد – الدكن ، الهند ١٩٥٤ م) .

(١٨) المنقذ من الضلال ص ٤٦ .

(١٩) ابو الريحان البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر ص ٤
(حيدر آباد – الدكن ، الهند ١٣٥٥ ه) .
(٢٠) انظر كتابي « العلوم الطبيعية عند العرب » – الفصل الثاني – الذي يتناول الطريقة العلمية في العلوم الطبيعية ، وفيه تفصيل القول عن منهج ابن الهيثم في الاستقراء
(٢١) جمشيد غياث الدين الكاشي : مفتاح الحساب ص ١٧٣ : تحقيق وشرح احمد سعيد الدمرداش ومحمد حمدي الحفني الشيخ . (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة) .
(٢٢) ميزان الحكمة ص ٦١ – ٦٢ .
(٢٣) المنقذ من الضلال ص ١٥ .
(٢٤) محمد ابو حامد الغزالي : معيار العلم ص ٥٩ – ٦٠ : تحقيق سليمان دنيا ، الطبعة الثانية (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠) .
(٢٥) المصدر نفسه ص ١٨٦ .
(٢٦) المصدر نفسه ص ١٨٧ .
(٢٧) المصدر نفسه ص ١٨٨ .
(٢٨) المصدر نفسه ص ١٨٩ .
(٢٩) المصدر نفسه ص ١٩٢ .
(٣٠) المصدر نفسه ص ٢٤٦ .
(٣١) المصدر نفسه ص ٢٤٧ .
(٣٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٥٥٢ .
(٣٣) المنقذ من الضلال ص ١٢ .
(٣٤) مصطفى نظيف : الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية ص ٣٣
(جامعة فؤاد الأول – كلية الهندسة ، المؤلف رقم ٣) مصر ١٩٤٢
نص من مخطوطة المناظر – المقالة الاولى
(٣٥) المصدر نفسه : ص ٣٢ ، نص من مخطوطة المناظر – المقالة الأولى .
(٣٦) معيار العلم ص ٢٤٦ .
(٣٧) المصدر نفسه ص ٢٤٦ .
(٣٨) المصدر نفسه : ص ٢٠٧ – ٢١٨
ذكرت المثارات السبع في : المغالطات في القياس : الفصل الأول : في حصر مثارات الغلط .

الغادة في أسماء العادة

تصنيف

الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني

تحقيق

هلال ناجي

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

فأمّا المصنف الحسن بن محمد الصاغاني (٥٧٧ — ٦٥٠ هـ) فقد انتهى اليه علم اللغة في عصره . وقد ترجمت له ترجمة وافية عند نشري كتابه « تعزيز بيتي الحريري » فلا مبرر لاعادتها لقرب العهد بها .

كما تناولت في تلك الترجمة التعريف الوافي بآثاره مخطوطة ومطبوعة ومفقودة . لذا سأقصر الحديث في هذه المقدمة على كتابه « الغادة في اسماء العادة » والذي انشره اليوم اول مرة .

لقد وقع الوهم في اسم هذا الكتاب عند جميع الذين تتبعوا آثار الصاغاني وترجموا لـــه .

سماه الدكتور عزة حسن « كتاب العادة في أسماء الغادة » [1] .

وسماه الدكتور ابراهيم السامرائي « اسماء الغادة في اللغة » [2]

وسماه أحمد خان « كتاب العادة في أسماء الغادة » [3] .

---

(١) ما بنته العرب على فعال — المقدمة ص ١٧ .

(٢) مقدمة كتاب يفعول ص ٣ .

(٣) مقدمة كتاب الانفعال الصحيفة ر .

وسماه الدكتور سامي مكي العاني « العادة في أسماء الغادة » [١] .

وفي الفوائد البهية سماه « أسماء القاره » [٢] وهو تحريف بيّن .

لقد لحق التصحيف او التحريف اسم هذا الكتاب قبل قرون . فالسيوطي يسميه « أسماء الغادة »[٣] .

واسماعيل باشا البغدادي سماه « العادة في أسماء الغادة » [٤] .

أما بروكلمان فقد كان أقربهم الى الصواب إذ سماه « أسماء الغادة في أسماء العادة [٥] » .

والصواب ما ذكره الصاغاني في صدر كتابه هذا من أنه جمع أسماء العادة مرتبة على حروف المعجم في كتاب سماه « الغادة في أسماء العادة » ليقرب تناولها ويسهل حفظها .

وقد صنف هذا الكتاب أيام وجوده في مكة المكرمة في بواكير القرن السابع الهجري . في السنوات التي جاور فيها بيت الله الحرام وسمى نفسه « الملتجئ الى حرم الله تعالى » .

لقد ذكر بروكلمان مخطوطة واحدة من هذا الكتاب هي مخطوطة داماد زاده المرقمة ١٧٨٩ (E) .

ولقد اعتمدت في نشرتي هذه على مخطوطتين لم يذكرهما بروكلمان .

الأولى : ورمزت لها بالحرف (أ) وأتخذتُها أمّاً ، هي مخطوطة خاصة في خزانتي تقع ضمن مجموع لغوي نفيس عليها تملك لأحد اجدادي هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن الحسين الحسني البغدادي مؤرخ عام ٩٢٣ هجرية .

وهذا الكتاب هو الرسالة الأولى في المجموع وتشغل منه الصحائف ١ — ١١ وقد سقطت من الكتاب ورقة العنوان وأعيدت كتابتها بخط حديث .

---

(١) الدر الملتقط في تبيين الغلط (مستل) ص ١٤٦ ودر السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة ص ٦ .

(٢) الفوائد البهية ص ٦٣ .

(٣) بغية الوعاة ٥٢٠/١ .

(٤) هدية العارفين ٢٨١/١ .

(٥) بروكلمان — الترجمة العربية — ٢١٧/٦ .

والمخطوط في الأغلب من مخطوطات القرن التاسع او العاشر الهجري . ولم يذكر فيه اسم ناسخه ولا تاريخ النسخ .

والثانية : ورمزت لها بالحرف (ث) تقع ضمن مجموع محفوظ في مكتبة المؤسسة العامة للآثار والتراث في بغداد رقمه ١٢٦٠٥ ، يحتجن سبع رسائل وكتابنا هذا هو الرسالة الخامسة فيه وتشغل الصحائف ١٣١ ــ ١٤١ منه .

والمجموع حديث النسخ كتبه عبدالرزاق الملا محمد الحاج فليح البغدادي ، وكان فراغه منه في الثامن من رمضان سنة ١٣٥٩ هجرية .

لقد أثبتُّ ما بين النسختين من اختلاف في الهوامش وأغلبها تحريفات لحقت نسخة الآثار العامة .

لقد سلكت في تحقيق هذا الكتاب مسلكاً جديداً يتلخص في تخريج كل لفظة من ألفاظ (العادة) في المعجمات بغية توثيقها . وقد بذلت الجهد في ذلك ، وندّت عني كلمات ، والكمال لله وحده .

ورحم الله الصاغاني الذي بذل من جهده في خدمة لغة القرآن الكريم ، ما تنوء به الهمم وتقعد دونه العزائم .

ولعل نشر هذه الرسالة الفريدة في موضوعها ، يحفز ذوي القدرات على تحقيق ونشر ما بقي من آثاره المخطوطة .

ان هذا الكتاب وإن اشتمل على مادة لغوية خاصة تشبه ما كان يفرده اللغويون القدامى ، أمثال الأصمعي وأبي زيد الأنصاري وابن السكيت من رسائل لغوية ، إلاّ انه مفيد في بابه والمؤلف رائد فيه .

ثم اني أسأل الله ــ جلّت قدرته ــ ان يديم عليّ نعمه ، وأن يجعل جهدي هذا في ذخائري يوم العرض ، انه نعم المولى ونعم النصير .

هلال ناجي

الغادة في أسماء العادة

تصنيف (١)

الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني

رحمه الله تعالى [١] [١٣١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ، والصلوة على محمد رسوله وعبده ، وعلى عترته الطاهرين وولده ، وعلى آله واصحابه ومن تابعهم من بعده .

قال الملتجىءُ الى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني . المسدودُ عنه طرق الاحرام ، المصدودُ عن زيارة النبيّ عليه الصلوة والسلام .

هذا وقد رقصت العيسُ بالحُجّاج ، وفاضت بالملبين الفِجاج ، فأصبح مُحَـلأً (٢) عن النمير وهو صديان ، منشداً لتلهفه بيتي (٣) غيلان (٤) [٢]

[١٣٢] كَأَنّني مِنْ هَوَى خَرْقاءَ مُطّرَفٌ
دامي الأَظَلّ بَعيدُ الشَّأْوِ مَهْيُومُ
دانَى لَهُ القَيْدُ في دَيْمومَةٍ قُذُف
قَيْنَيْهِ وَانْحَسَرَتْ عَنْهُ الأَناعِيمُ (٥)

من بعد ما ضرع جائراً ، لا عن القصد حائراً ، مجداً غير منقرٍ ، منشداً قول أخي منقر (٦) :

١ — لطالما حَـلأْتُماها أَنْ تَـرِدْ
٢ — فَخَلّياهـا والسِّجـالُ تَبْتَرِدْ
٣ — تشف ببردِ المـاءِ ما كانتْ تجـد
٤ — مِنْ حـرِّ أيّام وَمِنْ لَيْلٍ وَمِدْ (٧)

اذن الله له في الحج فيأذن من هو دونه ، وفي زيارة نبيه الذي جعله أمينه .
هذا كتابٌ فيما أحاط به علمي من أسماء العادة مرتبة على حروف المعجم ، ليقرب تناولها ، ويسهل حفظها . واسمه الذي سميته به « الغادة في أسماء العادة » والله تعالى مفتّح أبواب النجاح ، ومسبّب أسباب السراح ، فكل عسير عليه يسير ، وكل أمير لديه أسير ، وهو نعم المولى ونعم[٣] النصير . [١٣٣]

باب الهمزة

الأسْلُ ، والأُسنُ . يقال : هو على آسالٍ من أبيه وآسانٍ من أبيه [٨] ، والايلةُ .

باب الباء

البِكْلَةُ [٩] ، والبَكيلة [١٠] .

باب التاء

التُّخوم . قال ابن السكيت : لا واحـد للتخوم [١١] . وقال غيره : الواحد تخمٌ[١٢] والتُّقْنُ ، ومنه قولهم « الفصاحة من تقنه » [١٣] .
والتُّوزُ[١٤] ، والتُّوسُ [١٥] ، على الابدال كسَقْرٍ وزَقْرٍ[١٦] والسراط والزراط .

باب الجيم

الجَبْلة ، والجِبْلة ، والجبلّة[١٧] ، والجُبُلّةُ ، والجَبيلة ،[١٨] والجَديرةُ ، والجَديلةُ[١٩] ، والجَديةُ ، والجَذْرُ ، والجِذْرُ [٢٠] ، والإجْريّا [٢١] .
قال الكميت [٢٢] :

وَوَلّى بإجْرِيّا وِلافٍ[٢٣] كأنّــه
على الشّرَفِ الأقْصَى يُساطُ ويُكْلَبُ [٢٤]

وقال أيضاً : [٤]

على تلْكَ إجْرِيّايَ وهي ضَريبتي
ولــو أجْلَبُوا طُرّاً عَلَيَّ وأجْلَبُوا [٢٥]

[١٣٤] والإجْرِيّاءُ ، والإجْرِيّةُ ، والاجّيرة ، هذا إن جعلتها افعيلة وان جعلتها فعيلة فموضع ذكرها الهمزة . والجِرِيّاء ، والتجاليد ولا واحد لها .

باب الحاء

الحَرِيكةُ [٢٦] ، والمَحْسَرُ [٢٧] ، والحَوْزُ [٢٨] ، والحوزة .

باب الخاء

الخُلُقُ . قال الله تعالى : « (وانك لَعَلى خُلُقٍ عظيم) » [٢٩] .

وقال سالم بن وابصة [٣٠] :

١ — يا جُمْلُ إنْ يَبْلَ سِرْبالُ الشّبابِ فما
يَبْقَى جَدِيدٌ على الدُّنْيا ولا خَلَقُ

٢ — وَإنّما الناسُ والدُّنْيا على سَفَرٍ
فناظِرٌ أَجَلاً مِنْهُمْ وَمُنْطَلِقُ

٣ — عَلَيْكَ بِالقَصْدِ فيما أَنْتَ قائلُهُ
إنَّ التّخَلُّقَ يَأْتي دُونَهُ الخُلُقُ [٣١]

ويروى « أنت فاعله » . والخُلُقُ [٣٢]. والخَلِيقَةُ [٣٣]. والخنبر .

باب الدال

الدَّأْبُ ، والدَّأَب [٣٤] ، والدُّبّة [٣٥] ، والدِجَمُ ، والدِجْمَةُ [٣٦] ، والدُّربةُ [٣٧] ،

قال زهير [٣٨] :

[٥]

وفي الحِلْمِ إدْهانٌ وفي العَفْوِ دُرْبَةٌ
وفي الصِّدْقِ مَنْجاةٌ من الشَرِّ فاصْدُقِ

[١٣٥] والدَّسيعةُ [٣٩] ، والدهر [٤٠] ، قال متمم بن نويرة اليربوعي [٤١] :

لَعَمْري ! وما دَهْري بِتَأبين هالك
ولا جَزَعاً مما أصابَ فَأَوْجَعا [٤٢]

والدَّيْدَنُ . والدَّيْدانُ (٤٣) . قال الراجز :

ولا يَزال عنـدَهُمْ حَفّانُهُ
دَيْدانُهُمْ ذاك ، وذا دَيْدانُـهُ (٤٤)

والدَّيْدَدانُ ، والدينُ (٤٥) .

قال المُثَقِّبُ العَبْديُّ واسمه عائذ بن مِحْصَن (٤٦) يصف ناقته :

١ – إذا ما قُمْتُ أرْحَلُها بِلَيْـلٍ
تَأوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحـزيـنِ

٢ – تَقولُ إذا دَرَأتُ لَها وَضِيني
أهـذا دِينُـهُ أبَداً وَدِيني ؟

٣ – أكُلُّ الدَّهْرِ حَلٌّ وارْتِحالٌ
أما يُبْقي عَلَيَّ وما يَقيني ! (٤٧)

[والدينة] (٤٨)

باب الذال

الذَّرى (٤٩) .

باب الزاي

الزيرُ ، يقال : « ما زال ذلك زيرُهُ » ، وانشد يونس (٥٠) :

[٦] تقولُ الحارِثيّةُ أمُّ عَمْرٍو أهذا زِيرُهُ أبَداً وزيري ؟

[١٣٦] **باب السين**

السجيجـة ، والسَّجِيّةُ (٥١) ، والسُّرْجُوجَةُ (٥٢) ، والسُّرْجيجَةُ (٥٣) ، والسُّعُوفُ (٥٤) ، قال ابو عمرو : لا واحد للسعوف ، كما قال ابن السكيت في التخوم .

والسَّفْسُوقَةُ (٥٥)، والسَّليقة (٥٦)، يقال: فلان تكلم بالسليقة أي بطبعهلا عن تعلّمٍ . وقيل إن أبا الأسود الدؤلي وضع النحو حين اضطرب كلام العرب فغلبت السَّليقِيّةُ أي اللغة التي يسترسل فيها المتكلم بها على سليقته من غير تَعَمُّدٍ (٥٧) إعرابٍ ولا تجنّب لحنٍ . قال :

ولستُ بنحويٍّ يَلُوكُ لسانَهُ ولكن سَليقيٌّ أقولُ فأُعْرِبُ (٥٨)
والسليلةُ ، والسُّوسُ (٥٩) ، والسفة .

باب الشين

الشاكلة(٦٠) . قال الله تعالى « (قل كُلٌّ يعمل عـلى شاكِلَتِهِ) » (٦١)
والشَرَبَّةُ ، والشَرِيَّةُ (٦٢) ، والشكيمة(٦٣) ، والشِّمالُ (٦٤) .

قال عبد يغوث بن وقاص الحارثي(٦٥) ، وكان أُسر يوم الكلاب الثاني (٦٦) :
١ — ألا لا تلوماني كفى اللومَ ما بيا فما لكما(٦٧) في اللوم خيرٌ ولا ليا[٧]
٢ — أَلَمْ تَعْلَما أنَّ الملامَةَ نَفْعُها قليلٌ ، وما لَوْمي أخي من شماليا(٦٨)
[١٣٧] والشِّنْشِنَةُ(٦٩) . قال جدّ حاتم الطائي (٧٠) :
١ — شِنْشِنَةٌ أعْرِفُها من أَخْزَمِ (٧١)
وقد تمثّل به عقيل بن عُلّفة المرّي (٧٢) ، ويروى قبل الرجز (٧٣) :
٢ — إنّ بَنِيَّ رَمّلوني بالـدَّمِ
٣ — مَنْ يَلْقَ آسادَ الرجال يُكْلَمِ
٤ — ومن يكن درءٌ به يُقَوَّمِ (٧٤)
والشِّيمةُ (٧٥). قال عمرو بن شأس الأسدي (٧٦) في ابنه عِرار وكـان من أَمَةٍ سوداء :
فانَّ عِراراً إنْ يكُنْ ذا شَكيمَةٍ تُقاسينَها منهُ فما أَمْلكُ الشِّيَمْ (٧٧)
والشِّئْمَةُ بالهمز (٧٨) .

باب الضاد

الضريبة (٧٩) . قال زهير بن أبي سلمى :
وَمِنْ ضَرِيبَتِهِ التَقْوى ويَعْصِمُهُ من سَيِّءِ العَثَراتِ اللهُ والرَّحِمُ(٨٠)
والضميرة .

باب الطاء

الطِّباعُ (٨١) . ومنه حديث النبيّ — صلى الله عليه وسلم — (الرضاع يغيّـر الطباع)(٨٢) والطِبُّ(٨٣). قال فَرْوةُ بن مُسَيْكٍ : [٨]

وما إنْ طبُّنا جُبْنٌ ، ولكن مَنايانا ودولةُ آخرينا [84] [١٣٨]
والطَبْعُ والطّبيعةُ [85] والطُّرْقة [86] والطّريقَةُ [87] والطراق والطامــة [88] والطانة .

باب العين

العادة.ومنه حديث النبيّ–صلى الله عليه وسلم – (الخير عادة والشرّ لجاجة) [89] والعراق ، والعَرِيدُ[90] ، والعَريكَةُ[91] ، والعِسْنُ[92] .

باب الغين

الغَريزَةُ [93] ، ومنها حديث النبيّ – صلى الله عليه وسلم – (الجبنُ والجُرأةُ غرائز يضعها الله حيث يشاء لأوقاتها ولأمَ بين مختلفاتها وغرز غرائزها)[94] .

باب القاف

القِرْق [95] ، والقَرْوى[96] ، والقَرْواء [97] ، والقَرِيحَةُ[98] ، والقِشْمُ [99]

باب الكاف

الكَوْرُ [100] .

باب الميم

الأمْدودُ [101] ، والمَــرِسُ [102] ، والمَرِنُ [103] ، والمَطِرُ ، والمَطِرَةُ ، والمَطرَةُ [104]

باب النون [٩]

النَجْرُ ، والنُّجارُ ، والنِّجارُ [105] . وسرق اعرابيٌّ ابلاً فأدخلها [١٣٩] السوق ، فقالوا له : من أين لك هذه الابل فقال [106] :

١ – تَسْألني الباعــةُ : أَيْنَ دارُها
٢ – إذْ زَعْزَعُوها فَسَمَتْ أبْصارُها
٣ – فقلتُ رِجْلي وَيَدي قَرارُها
٤ – كــلُّ نِجارِ إبِلٍ نِجارُها

والنَحْتُ ، والنُّحاتُ ، والنّحيتة [١٠٧] ، والنّحيزَةُ [١٠٨] . قال ذو الرمة يصف ناقته :

كَأَنّها جَمَلٌ وَهْمٌ وما بَقِيَتْ إلاّ النّحيزَةُ والألْواحُ والعَصَبُ[١٠٩]

والنّحاسُ ، والنُّحاس [١١٠] ، والنّحيلةُ [١١١] ، والنّسيسَةُ ، [١١٢] ، والنُّشْنِشَةُ [١١٣] كَأَنّها قَلْبُ الشِّنْشِنَة ، وقد روي « نِشْنِشَةٌ أعرفُها من أخْزَم »

وأمّا حديث ابن عباس [١١٤] – رضي الله عنه – انه قال : « كان عمر – رضي الله عنه – اذا صلّى جلس للناس ، فمن كانت له حاجة كَلّمَهُ ، وان لم يكن لأحدٍ حاجة قام فدخل . قال : فصلّى صلواتٍ لا يجلس للناس فيهن ، قال : فحضرتُ البابَ فقلتُ : يا « يرفا » أبأَميرِ المؤمنينَ شكاةٌ ؟ فقال : ما بأمير المؤمنين من شكوى . فجلستُ فجاء عثمان بن عفان ، فجاء « يَرْفا » فقال : يا بن عفان قم ، يا بن عباس قم ! [١٠] فدخلنا على عمر فاذا بين يديه صُبَرٌ من مالٍ على كل صبرةٍ منها كتفٌ . [١٤٠] فقال عمر : اني نظرت في أهل المدينة فوجدتكما من أكثر أهلها عشيرة فخذا هذا المال فاقتسماه ، فما كان من فضلٍ فردّا . فأمّا عثمان فجثا ، وأما أنا فجثوت لركبتي قلت : وان كان نقصان رددت علينا ، فقال عمر – رضي الله عنه – « نشنشة من أخْشَن » أما كان هذا عند الله إذ محمد وأصحابه يأكلون القدّ ؟ قلت : بلى والله ، لقد كان عند الله ومحمد حيّ ، ولو كان عليه فتح لصنع فيه غير الذي تصنع .

قال : فغضب عمر وقال : إذَنْ صنع ماذا ؟ قلت : إذَنْ لأكل وأطعمنا ، قال : : فنشج [١١٥] عمر حتى اختلفت اضلاعه ، ثم قال : اني وددت اني خرجت منها كفافا لا عليّ ولا لي .

فقد قيل فيه معنيان : أحدهما : ان يشبّهه بأبيه العباس في شهامته ورَمْيِهِ بالجواباتِ المصيبة ، ولم يكن لقريش مثل رأي العباس .

والثاني : يريد ان كلمته هذه منه حجر من جبل ، يعني ان مثلها يجيء من مثله

وانه كالجبل في الرأي والعلم [١١٦] ». وهذه قطعة منه . قوله : نشج : أي بكى، وهو مثل بكاء الصبيّ إذا ضُرِبَ فلم يُخرج بكاءه وردّده في صدره .

[١١] والنّقيبةُ [١١٧] ، والنّقيمةُ ، والنّكيثةُ [١١٨] ، والنُّميُّ [١١٩]

قال ابو وجزة السعدي : [١٢٠]

ولولا غيرُهُ لكشفْتُ عنهُ وعنْ نُمِّيّةِ الطّبْعِ اللّعينِ [١٢١] [١٤١]

باب الهاء

الهِجِّيرُ [١٢٢] ، والهِجِّيرى [١٢٣] . وفي حديث عمر — رضي الله عنه — انه كان يطوف بالبيت وهو يقول : « ربّنا آتنا في الدُّنيا حسَنةً وفي الآخرةِ حسَنةً وقِنا عذابَ النارِ » ماله هِجِّيرى غيْرَها [١٢٤] .

قال ذو الرمة يصف صائداً رمى حُمُراً ورَدْنَ عينَ أُثالٍ [١٢٥] :

حتّى إذا زَلَجَتْ عَنْ كُلِّ حَنْجَرَةٍ [١٢٦]

إلى الغَليلِ ولَمْ يَقْصَعْنَهُ نُغَبُ [١٢٧]

رَمَى فأَخْطَأَ والاقدارُ غالبَةٌ

فانْصَعْنَ والوَيْلُ هِجّيراهُ والحَرَبُ

والإهْجِيرَى ، والهِجْوِيّا ، والأُهْجُورَةُ [١٢٨] ، والهُذَيْرِ بسا [١٢٩] ، والمُهْوَئِنَ [١٣٠] .

آخر الكتاب

وتم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

آميــن

(١) في آ : تصنيف الحسن ، وفي ث : للعلامة الحسن .
(٢) محلأ : مطروداً عن الماء وممنوعا منه .
(٣) في ث : ببيتي .
(٤) غيلان : هو ذو الرمة (٧٧ — ١١٧ هـ) . غيلان بن عقبة العدوي . شاعر مضري فحل. عشق ليلى المنقرية واشتهر بها . جيد التشبيه . له ديوان مطبوع . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٥٢٤ وخزانة البغدادي ١/٥١ — ٥٣ وطبقات فحول الشعراء ٥٤٩ والأغاني ١٠٦/١٦ والاشتقاق ١١٦ واللآلى ٨١ — ٨٢ .
(٥) البيتان لذي الرمة في ديوانه ص ٥٦٩ — ٥٧٠ . ورواية الديوان لعجز البيت الاول : بعيـد السأو . والسأو : الهمة .
المطرف : بعير قد اشترى حديثا . والاظل : اصل الخف . الشأو : الطلق السريع العدو . مهيوم من الهيام وهوداء تستحر منه جلود الابل تأخذها كالحمى تشرب فلا تروى .
ديمومة : خلاة بعيدة . والقذف : البعد . وقيناه : عظما ساقيه . وانحسرت : انكشفت . والاناعيم : جمع نعم وهي الابل .
(٦) الابيات دون عزو في جمهرة اللغة ٢٨٠/٣ .
ورواية الاول في الجمهرة : لا ترد .
والاشطار الاول والثاني والرابع لراجز دون عزو في نظام الغريب ص ١٤١ ورواية الاول فيه : لا ترد .
والاول والثاني فقط في اللسان والتاج مادة (حلأ) دون عزو ورواية الشطر الأول فيهما : لا ترد .
(٧) في ث : رمـد .
(٨) جاء في اللسان مادة (أسل) : « وتأسل أباه : نزع اليه في الشبه كتأسنه وقولهم : هو على آسال من ابيه مثل آسان أي على شبه من ابيه وعلامات واخلاق » .
مما يستدرك على الصاغاني في باب الهمزة : قال ابن السكيت : ما زال ذلك إجيراه أي عادته (انظر اللسان مادة أجر) .
(٩) البكلة : الخلق ، والحال والخلقة ، انظر اللسان مادة بكل .
(١٠) البكيلة : الزي والهيئة .
(١١) جاء في اللسان مادة (تخم) : قال ابن السكيت : سمعت أبا عمرو يقول : هي تخوم الارض والجمع تخم ، وهي التخوم ايضا على لفظ الجمع ولا يفرد لها واحد .
(١٢) جاء في اللسان مادة (تخم) : « وانه لطيب التخوم والتخوم أي السعوف يعني الضرائب » قلت : والسعوف : الطبيعة ولا واحد له . وهي طبائع الناس . ويقال للضرائب سعوف .
(١٣) جاء في اللسان مادة (تقن) ما نصه : والتقن : الطبيعة . والفصاحة من تقنه أي من سوسه وطبعه .
(١٤) جاء في اللسان مادة (توز) ما نصه : التوز : الطبيعة والخلق كالتوس .
(١٥) جاء في اللسان مادة (توس) ما نصه : التوس : الطبيعة والخلق .

يقال : الكرم من توسه وسوسه أي من خليقته وطبع عليه .... قال الشاعر :
إذا الملمات اعتصرن التوسا .
أي خرجن طبائع الناس .

(١٦) الزقر والسقر : لغة في الصقر وهو من جوارح الطير .

(١٧) جاء في اللسان مادة (جبل) : جبلة الشيء : طبيعته وأصله وما بني عليه .
وجبلته وجبلته : خلقه . والجبلة : الخلقة .

(١٨) في اللسان مادة (جبل) ما نصه : وفلان ميمون العريكة والجبيلة والطبيعة .

(١٩) الجديرة : الطبيعة (انظر القاموس المحيط مادة الجدر) .
والجديلة في اللسان (جدل) بمعنى : الطريقة والناحية والعزيمة .

(٢٠) جاء في اللسان مادة (جذر) ما نصه : وأصل كل شيء : جذره ، بالفتح عن الاصمعي ، وجذره ، بالكسر ، عن أبي عمرو .

(٢١) جاء في اللسان مادة (جرا) ما نصه : الكرم من إجرياه ومن إجريائه أي من طبيعته . وفي القاموس المحيط مادة (جرى) : الاجريا : الوجه الذي تأخذ فيه وتجري عليه والخلق والطبيعة كالجرياء والاجرية بالكسر .

(٢٢) الكميت بن زيد الأسدي (٦٠ – ١٢٦ ﻫ) ابو المستهل . طبع ديوانهالدكتور داود سلوم .
انظر ترجمته في صدر ديوانه وفي معجم الشعراء ٢٣٨ –٢٣٩ والأغاني (٣٢٨/١٦) ومعاهد التنصيص ٩٣/٣ والشعر والشعراء ٥٨١ والخزانة ٦٩/١ – ٧١ واللآلى ١١ – ١٢ والمؤتلف ٢٥٧ .

(٢٣) ث : الاف

(٢٤) البيت للكميت في اللسان (جرا) . وهو مما يستدرك على ديوانه صنعة الدكتور داود سلوم .

(٢٥) البيت للكميت في اللسان (جرا) ورواية عجزه في اللسان :
ولو اجلبوا طراً علي وأحلبوا . وهو مما يستدرك على ديوانه .

(٢٦) جاء في اللسان مادة (حرك) ما نصه : وفلان ميمون العريكة والحريكة . قلت : والعريكة : الطبيعة ، وقد مرت .

(٢٧) في اللسان (حسر) : فلان كريم المحسر أي كريم المخبر .

(٢٨) في اللسان مادة (حوز) : والحوز : الطبيعة من خير أو شر . وحوز الرجل : طبيعته من خير أو شر .

(٢٩) رقم الآية الكريمة ٤ ك سورة القلم رقم ٦٨ .

(٣٠) سالم بن وابصة الأسدي : شاعر فارس من العصر الاموي . انظر شعره واخباره في المؤتلف والمختلف ٣٠٣ وانساب الاشراف ٣٤٤/٥ وشرح شواهد المغني ٤١٩ – ٤٢٠ وشرح التبريزي لحماسة ١٢٠/٢ و ٨٥/٣ و ٩٢/٣ .

(٣١) الابيات الثلاثة لسالم بن وابصة من قطعة تناثرت ابياتها في المصادر . فهي جميعا في شرح شواهد المغني ص ٤٢٠ من اصل خمسة ابيات . وستة ابيات منها من بينها الثالث في البيان والتبيين ٢٣٣/١ وروايته : اعمد الى القصد فيما انت راكبه ان التخلق يأتي دونه الخلق
وثلاثة ابيات منها له في شرح المرزوقي ص ٧١٠ – ٧١١ من بينها البيت الثالث وروايته : ...

انت فاعله ، وهذه الثلاثة في شرح التبريزي ١٢٠/٢ - ١٢١ . وفي المؤتلف والمختلف ص٣٠٤ بيت واحد له من هذه القصيدة ليس من ابياتنا هذه . وفي شرح المغنى ص ٤٢٠ ذكر انه رآها في المؤتلف معزوة لسالم بن وابصة . وثلاثة ابيات من القصيدة في نوادر ابـي زيد ص ١٨١ من بينها عجز البيت الثالث الموجود عندنا ، فرواية النوادر مداخلة كالآتي :

يا ايها المتحلي غير شيمته ... ان التخلق يأتي دونه الخلق

وصوابها رواية الجاحظ في البيان والتبيين :

يا ايها المتحلي غير شيمته ... ومن سجيتـه الإكثار والملق

اعمد الى القصدفيما انتراكبه ... ان التخلق يأتي دونه الخلـق

والبيت الثالث متدافع فقد نسب للعرجي في الحيوان ١٢٨/٣ والعقد ٣/٣ . وزهر الآداب ٨٤/١ والشعر والشعراء ٥٧٥ وذكر محققا شرح المرزوقي في هامش الصحيفة ٧١٠ انهـا نسبت لذي الاصبع في حماسة البحتري ٣٥٨ ، قلت : ولم أجدها فيه والذي لذي الاصبع في حماسة البحتري ص ٢٢٥ مما يتفق في المعنى مع البيت الثالث عندنا قوله :

كل امرىء راجع يوماً لشيمته ... وإن تخلق اخلاقاً الى حين

وبالرجوع الى ديوان ذي الأصبع العدواني ص ٦٨ وجدنا البيت الثالث بالرواية التالية

إعمد الى الحق فيما انت فاعله ... إن التخلق يأتي دونه الخلق

وقد اعتمد المحققان في تخريجه على مصدرين احدهما الامتاع والمؤانسة ١٥٩/١ وقد ذكره دون عزو ، فلا يصلح بالتالي مصدراً للتعرف على قائله .

والمصدر الآخر هو مجموعة المعاني ص ١٦٠ . ومجموعة المعاني مجهولة المؤلف فلا يصح اعتمادها لمفردها في التعرف على قائل البيت لا سيما حين تناقضها مصادر اخرى شهيرة وكثيرة .

نسبة هذا البيت لذي الاصبع مردودة للسبب المتقدم .

ويبقى بعد هذا الفصل في الابيات المتدافعة .

بالرجوع الى ديوان العرجي ص ٣٢ - ٣٣ نجد قطعة في عشرة ابيات اولها :

يا من لعين قد اجلى نومها الارق ... فدمعها بعد نوم الناس يستبق

وهذه القطعة ليس فيها البيتان الاول والثاني من ابياتنا مما يعزز نسبتها لسالم بن وابصة . واما البيت الثالث فقد ورد منسوبا للعرجي في ديوانه بالرواية التالية :

إرجع الى الحق إما كنت فاعله ... إن التخلق يأتي دونه الخلق

ونسب البيت الثالث للعرجي في الحيوان ١٢٨/٣ بالرواية التالية :

ارجع الى خيمك المعروف ديدنه ... ان التخلق يأتي دونه الخلق

وذكر محققه في الهامش انه في مخطوطتين من مخطوطات الحيوان عبارة (وقال آخر) وانه اعتمد المخطوطة التي عزت الشعر للعرجي وجاءت موافقة لما في العقد وزهر الآداب والشعراء .

والثالث للعرجي في الشعر والشعراء ص ٥٧٥ وروايته :

ارجع الى خلقك المعروف ديدنه ... ان التخلق يأتي دونه الخلق

والثالث للعرجي في العقد الفريد ٣/٣ وروايته مماثلة لرواية الحيوان والثالث للعرجي في زهر الآداب ٨٤/١ ورواية صدره : ارجع الى خلقك المعروف وارض به . وهذا ينتهي بنا الى ان البيت الثالث فقط من ابياتنا متدافع بين سالم بن وابصـة والعرجي ومرجع هذا في نظري ان

القصيدتين على وزن وروي وغرض واحد فدخلت بعض ابيات احداهما في الاخرى ، وهـذا التداخل قديم فيما يبدو . فقد ذكر ثعلب الابيات في اماليه ٢٤٨/١ – ٢٤٩ دون عزو .
على اننا نلاحظ بوضوح ان بعض الابيات قد سلمت لسالم بن وابصة ، ذلك انها لم ترد ضمن قصيدة العرجي المشار اليها في ديوانه . ومن هذه الابيات البيتان الاول والثاني عندنا فلم ينسبهما أي مصدر للعرجي . وكذلك البيتان الثاني والثالث من القطعة المنسوبة لابن وابصة في شـرح المرزوقي ص ٧١٠ – ٧١١ .
وكذلك الابيات من ٣ – ٦ الواردة في البيان والتبيين ٢٣٣/١ – ٢٣٤

(٣٢) في اللسان مادة (خلق) : والخلق الخليقة أعني الطبيعة .
(٣٣) الخليقة : الطبيعة التي يخلق بها الانسان (انظر اللسان مادة خلق) .
(٣٤) في اللسان مادة (دأب) : الدأب والدأب : بسكون الهمزة وفتحها العادة والشأن .
(٣٥) في اللسان مادة (دبب) : يقال : دعني ودبتي أي دعني وطريقتي وسجيتي . ودبة الرجل : طريقته من خير أو شر .
(٣٦) في اللسان مادة (دجم) : قال الازهري : وقد قيل دجمة ودجم للعادات .
(٣٧) في اللسان مادة (درب) : الدرابة : الدربة والعادة .
(٣٨) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٢٥٢ .
إدهان : مداهنة ومصانعة . دربة : عادة .
(٣٩) جاء في اللسان مادة (دسع) : الدسيعة : الطبيعة والخلق .
(٤٠) في اللسان مادة (دهر) : وما ذاك بدهري أي عادتي .
(٤١) متمم بن نويرة اليربوعي (توفي نحو سنة ٣٠ هـ) : شاعر كبير من اصحاب المراثي . صحابي وشريف في قومه من بني تميم .
انظر ترجمته واخباره في طبقات فحول الشعراء ٢٠٤ والشعر والشعراء ٣٣٧ – ٣٤٠ ومعجم الشعراء ٤٣٢ والاغاني ٢٣٩/١٥ والاصابة ٤٠/٦ (ت ٧٧١٩) والتبريزي ١٤٨/٢ وخزانة البغدادي ٢٣٦/١ .
(٤٢) البيت لمتمم في مجموع شعره الذي نشرته السيدة ابتسام الصفار في كتابها المعنون « مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي » ص ١٠٦ . انظر تخريجه هناك .
وروايته في المجموع : ولا جزع .
(٤٣) في اللسان مادة (ددن) : والديدن الدأب والعادة ، وهي الديدان .
(٤٤) البيت دون عزو في اللسان مادة (ددن) .
(٤٥) في اللسان (ددن) : والدين : العادة . وفي القاموس المحيط مادة (الددن) ما نصه : والديدن والديدان والديدنان : العادة .
(٤٦) المثقب العبدي : عائذ بن محصن ، شاعر جاهلي قديم كان في زمن عمرو بن هند وهو من قبيلة عبدالقيس . له ديوان مطبوع بشرح الاستاذ حسن كامل الصيرفي . انظر ترجمته واخباره في : طبقات فحول الشعراء ص ٢٧١ والشعر والشعراء ٣٩٥ والاشتقاق ١٩٩ واللآلى ١١٣ والاقتضاب ٤٢٥ والخزانة ٤٢٩/٤ وانظر ترجمته الدقيقة الموسعة في صدر ديوانه .
(٤٧) الابيات للمثقب في ديوانه ص ١٩٤ – ١٩٨ .
(٤٨) زيادة في (ث) وبخط مغاير محدث . والدينة في المعاجم : العادة .

(٤٩) في اللسان مادة (ذرا) : إن فلاناً لكريم الذرى أي كريم الطبيعة .

(٥٠) جاء في اللسان مادة (زور) : وأنشد يونس . ثم ذكر بيت الشاهد دون عزو . قال معناه : أهذا دأبه ابداً ودأبي .

(٥١) السجية : الطبيعة والخلق . انظر اللسان مادة (سجا) .

(٥٢ و ٥٣) في اللسان مادة (سرج) ما نصه : والسرجيجة والسرجوجة : الخلق والطبيعة والطريقة . وفي القاموس المحيط مادة (سرج) : السرجيجة والسرجوجة : الطبيعة .

(٥٤) في اللسان مادة (سعف) ما نصه : والسعوف : الطبيعة ، ولا واحد له . قال ابن الاعرابي : السعوف طبائع الناس من الكرم وغيره ، ويقال للضرائب سعوف ، قال : ولم يسمع لها بواحد من لفظها .

(٥٥) جاء في اللسان مادة (سفسق) ما نصه : ابو عمرو : فيه سفسوقة من أبيه ودبة أي شبه . قلت : وقد مر ان الدبة من اسماء العادة .

(٥٦) في اللسان مادة (سلق) : السليقة : الطبيعة والسجية .

(٥٧) في ث : تعهد

(٥٨) البيت والخبر الذي قباه في اللسان مادة (سلق) .

(٥٩) في اللسان مادة (سوس) . السوس : الطبع والخلق والسجية .

(٦٠) في اللسان (شكل) : وشاكلة الانسان : شكله وناحيته وطريقته .

(٦١) رقم الآية الكريمة ٨٤ ك سورة الاسراء رقم ١٧ .

(٦٢) في اللسان مادة (شرب) : ويقال : ما زال فلان على شربة واحدة أي على أمر واحد . وفي القاموس المحيط مادة (شري) : الشرية : الطبيعة والطريقة .

(٦٣) الشكيمة : قوة القلب والأنفة والانتصار على الظلم ، وهو ذو شكيمة أي عارضة وجد . ولم أجدها في المعاجم بمعنى العادة .

(٦٤) في اللسان مادة (شمل) : الشمال : الطبع ، والجمع شمائل .

(٦٥) عبديغوث بن وقاص الحرثي : شاعر جاهلي وفارس من سادة قومه مذحج . أسر يوم الكلاب الثاني ، واختار ان يموت بقطع اكحله ووقع خلاف في اسم ابيه ، انظر ترجمته واخباره في : الأغاني ٢٥٣/١٦ وشرح شواهد المغني ٦٧٥ وخزانة البغدادي ٣١٣/١ والمحبر ٢٥١ والسمط ٦٣/٣ والعقد الفريد ٢٢٨/٥ وذيل امالي القالي ١٣٢/٣ .

(٦٦) يوم الكلاب الثاني : هو يوم لتميم وحلفائها من العدنانية على بني الحارث ومذحج وحلفائها من اليمانية . وقتل من تميم في هذا اليوم زعيمها النعمان بن الحسحاس ، فقتلت أسيرها عبد يغوث الحارثي زعيم اليمانية ثأراً له . انظر العقد الفريد ٢٢٤/٥ — ٢٣٣ .

(٦٧) في ث : لكا .

(٦٨) البيتان لعبد يغوث في الاغاني ٢٥٩/١٦ ورواية الأول : نفع ولا ليا والثاني منهما له في اللسان مادة (شمل) .

(٦٩) الشنشنة : الطبيعة والخليقة والسجية .

(٧٠) هو ابن ابي اخزم الطائي (انظر اللسان شنن) ، وكان عاقا لابيه ، فمات وترك بنين عقوا جدهم وضربوه وادموه فقال هذا الشعر .

(٧١) انظر المثل في اللسان (شنن) وفي جمهرة الأمثال ٥٤١/١ وفيه انه : يضرب مثلا للرجل يشبه

اباه . وكان اخزم – جد حاتم – من اجود الناس ، فلما نشأ حاتم وفعل من افعال الكرم ما فعل قال : « هي شنشنة اعرفها من اخزم » . انظر المثل في فصل المقال ١٨٣ والميداني ٢٤٤/١ والمستقصى ٢٣٢ .

(٧٢) عقيل بن علفة المري : شاعر مشهور من غطفان عرف بغيرته الشديدة وغطرسته . من شعراء الدولة الأموية توفي نحو سنة ١٠٠ هـ ، أصهر اليه بعض خلفاء بني امية وبعض كبارهم مثل يزيد بن عبدالملك ويحيى بن الحكم بن أبي العاص . انظر ترجمته واخباره في: معجم الشعراء ١٦٤ – ١٦٥ وأمالي اليزيدي ٤٨ والمرزوقي ٩٨٧ و ١٢٤٥ والمؤتلف ٢٤٠ وطبقات فحول الشعراء ٧١٠ – ٧١٨ والاغاني ٨١/١١ وسمط اللآلى ١٨٥ وخزانة البغدادي ٢٧٨/٢ ورغبة الآمل ١٧٣/٤ و ١٦٣/٨ وجمهرة الأنساب ٢٥٣ .

(٧٣) في (ث) وردت العبارة مختلة كالآتي : وتمثل عقيل بن علفة المري وقد يروى قبل الرجز .

(٧٤) قصة الرجز فيما روى صاحب كتاب « العققة » ان عقيلا سمع ابنه علفة يشبب بامرأة مرية ، فظنها زوجته – لشدة غيرته – ، فغدا عليه بالسيف فكلمه اخوه فيه فحمل عليهما ، فرماه ابنه عملس بسهم في فخذه فصرعه فقال الرجز .

والاشطار الاربعة في كتاب « العققة » ص ٣٥٨ منسوبة لعقيل بن علفة ورواية الثالث فيه : ابطال الرجال .

ورواية الرابع : ذا أود يقوم .

والاشطار ٢ و ١ و ٣ لعقيل في طبقات فحول الشعراء ص ٧١٢ – ٧١٣ ورواية الثالث فيه: من يلق أحدان الرجال يكلم

والاشطار ٢ و ١ و ٣ و ٤ في معجم الشعراء ص ١٦٥ . وقد اوضح المرزباني ان : « قوله شنشنة اعرفها من أخزم ، قاله جد أبي حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عبدالله بن سعد بن أخزم بن أبي اخزم ، وانما اجتلبه عقيل لما جاء موضعه . ومنه يفهم ان الاشطار الثلاثة الاخرى لعقيل . يعزز هذا الرأي قول محمد بن العباس اليزيدي في الامالي ص ٤٩ بعد ان اورد الاشطار الاربعة منسوبة لعقيل . قال : قال ابن حبيب : هذا أخزم بن أبي اخزم الطائي جد حاتم طيء ، وانما تمثل بهذا البيت عقيل فوصله بشعره . وكان أخزم بن أبي اخزم وثب رجل على ابن اخيه فقتله فوثب أخزم على قاتل ابن اخيه فقتله ، فقال ابوه « شنشنة اعرفها من أخزم ».

ورواية اليزيدي للشطر الثاني : ضرجوني بالدم .

وروايته للشطر الثالث : ابطال الرجال .

وهي رواية مماثلة لرواية المرزباني في المعجم باستثناء الشطر الرابع فروايته عند المرزباني : ذا أود يقوم .

والاشطار الاربعة مرتبة كالآتي ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١ في امالي المرتضى ٣٧٤/١ رواية الثاني : زملوني بالدم .

رواية الثالث : ابطال الرجال .

ورواية الرابع : ذا أود

وقال عن الشطر الاول انه مثل اجتلبه عقيل .

والاشطار ٢ و ١ و ٣ في العقد الفريد ١٩٢/٢ .

ورواية الثاني : زملوني . ورواية الثالث : ابطال الرجال .

الاشطار ٢ و١ و ٣ في اللسان (شنن) ورواية الثاني : زملوني . وهي في اللسان منسوبة لابي اخزم الطائي .
والاشطار ٢ و ١ و٣ في جمهرة الامثال ورواية الثاني : ضرجوني . ورواية الثالث : ابطال .

(٧٥) جاء في اللسان مادة (شيم) : الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٧٦) عمرو بن شأس الاسدي : من اشراف قومه ، كثير الشعر في الجاهلية والاسلام وقد شهد القادسية وله فيها اشعار . طبع ديوانه الدكتور يحيى الجبوري في النجف سنة١٣٩٦هـ توفي بعدالقادسية بقليل . انظر ترجمته واخباره في مقدمة ديوانه . وفي المصادر التالية : الاصابة رقم الترجمة ٥٨٦٦ وسمط اللآلى ٧٥٠ والشعر والشعراء ٤٢٥ وطبقات فحول الشعراء ١٩٦ والاستيعاب (بهامش الاصابة ٥١٩/٢ .وشرح التبريزي ١٤٩/١ ومعجم الشعراء ٢٢ . والاغاني ٦٣/١٠ .

(٧٧) البيت في ديوانه ص ٧١ .

(٧٨) في اللسان مادة شأم : الشئمة : الطبيعة ، حكاها ابو زيد واللحياني ، وقال ابن جني : قد همز بعضهم الشئمة ولم يعلله،قال ابن سيده : والذي عندي فيه ان همزه نادر لانه ليس هنالك ما يوجبه .

(٧٩) في اللسان مادة (ضرب) : الضريبة : الطبيعة والسجية .

(٨٠) البيت لزهير في ديوانه ص ١٦٢ .

(٨١) في اللسان (طبع) : الطباع : كالطبيعة،مؤنثة ، قال الازهري : ويجمع طبع الانسان طباعاً، وهو ما طبع عليه من طباع الانسان في مأكله ومشربه وسهوله اخلاقه وحزونتها وعسرها ويسرها وشدته ورخاوته وبخله وسخائه .

(٨٢) الحديث النبوي الشريف في كنز العمال المجلد السادس ص ٢٧٠ ورقمه ١٥٦٥٣ . ذكره العجلوني في كشف الخفاء ٤٣١/١ وقال : رواه القضاعي عن ابن عباس مرفوعاً .

(٨٣) جاء في اللسان مادة (طبب) : وما ذاك بطبي أي بدهري وعادتي وشأني .

(٨٤) البيت لفروة بن مسيك المرادي من قطعة في اللسان مادة (طبب) .
وروايته : فما .
فروة بن مسيك بن الحارث المرادي ، صحابي له شعر . وفد على الرسول (صلعم) سنة تسع واسلم . واكرمه الرسول واستعمله على مراد ومذحج وزبيد من قبائل اليمن وكتب له كتابا فيه فرائض الصدقة . وبعد وفاة النبي ثبت على دينه وقاتل اهل الردة وبقي الى خلافة عمر بن الخطاب حيث اقره على ولايته . ثم سكن الكوفة في اواخر سنيه . وروى عدة احاديث . ومن شعره القصيدة التي منها البيت الشاهد ومنها سبعة ابيات اخرى في رغبة الآمل ١٠/٤ .
توفي فروة نحو عام ٣٠ هـ . انظر ترجمته في المصادر التالية :
طبقات ابن سعد ٦٣/١ القسم الثاني (وفد مراد) والاصابةرقم الترجمة ٦٩٨١ (٢٠٥/٣) وتاج العروس مادة (طب) .

(٨٥) في اللسان (طبع) : الطبع والطبيعة : الخليقة والسجية التي جبل عليها الانسان .

(٨٦) في اللسان (طرق) : الطرقة : العادة . ويقال : ما زال ذلك طرقتك أي دأبك .

(٨٧) في اللسان (طرق) : الطريقة : السيرة . وطريقة الرجل : مذهبه يقال : ما زال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة . والطريقة : الحال . والطراق : العادة (انظر القاموس المحيط مادة طرق) .

(٨٨) في اللسان (طيم) : طامه الله على الخير : جبله . وطانه أي جبله . ومنه الطيماء ، وهي الجبلة ، والطيماء : الطبيعة . يقال : الشعر من طيمائه أي من سوسه .

(٨٩) لم اوفق لتخريجه.

(٩٠) جاء في اللسان مادة (عرد) ما نصه : ما زال ذلك عريده أي دأبه وهجيراه . وفي (ث) العربد ، وهو تصحيف .

(٩١) جاء في اللسان مادة (عرك) ، العريكة : الطبيعة . يقال : رجل ميمون العريكة والحريكة والسليقة والنقيبة والنقيمة والنخيجة والطبيعة والجبيلة بمعنى واحد .

(٩٢) جاء في اللسان مادة (عسن) ما نصه : وهو على أعسان من أبيه أي طرائق ، واحدها عسن . وتعسن أباه وتأسله وتأسنه : نزع اليه في الشبه .

(٩٣) جاء في اللسان ما نصه : الغريزة : الطبيعة والقريحة والسجية من خير أو شر .

(٩٤) لم اوفق لتخريجه .

ولأم ولاءم بين الشيئين اذا جمع بينهما ووافق .

وفي النهاية في غريب الحديث والاثر ٣٥٩/٣ ما نصه : وفي حديث عمر « الجبن والجرأة غرائز» أي اخلاق وطبائع صالحة أو رديئة ، واحدتها غريزة .

(٩٥) جاء في القاموس المحيط مادة (قرق) ما نصه : القرق : العادة .

(٩٦) في ث : القرورى .

وجاء في اللسان مادة (قرا) : قال الاصمعي : رجع فلان الى قرواه أي عاد الى طريقته الأولى. وفي الحديث الشريف : لا ترجع هذه الامة على قرواها أي على أول امرها وما كانت عليه ، ويروى على قروائها ، بالمد .

(٩٧) في ث : القروراه .

والقرواء : العادة (انظر القاموس المحيط مادة القرو) .

(٩٨) جاء في اللسان مادة (قرح) : قريحة الانسان : طبيعته التي جبل عليها .

(٩٩) في اللسان مادة (قشم) : وقالوا : الكرم من قشمه أي من طبعه واصله . وفي القاموس مادة (قشم) : القشم: الطبيعة .

(١٠٠) في ث : الكوز ، وهو تصحيف .

الكور : الطبيعة . انظر التكملة والذيل والصلة للصاغاني مادة (كور) والقاموس المحيط للفيروز آبادي مادة (كور) .

(١٠١) الامدود : العادة . انظر القاموس المحيط مادة (المد) .

(١٠٢) جاء في اللسان (مرس) : ويقال هم على مرس واحد ، وذلك اذا استوت اخلاقهم .

(١٠٣) في اللسان مادة (مرن) : ما زال ذلك مرنك أي دأبك قال ابو عبيد : يقال ما زال ذلك دينك ودأبك ومرنك وديدنك أي عادتك .

(١٠٤) جاء في التكملة والذيل والصلة مادة (مطر) ما نصه : يقال تلك الفعلة من فلان مطرة أي عادة . وما زال على مطرة واحدة ، ومطرة واحدة ، ومطر واحد ، إذا كان على رأي واحد لا يفارقه . وفي اللسان مادة (مطر) : المطرة : العادة .

وفي القاموس المحيط مادة (مطر) : المطرة : العادة .

(١٠٥) جاء في اللسان (نجر) : النجر والنجار والنجار : الاصل والحسب. والنجر : الطبع .

(١٠٦) الاشطار دون عزو في حلية المحاضرة – مخطوطة القرويين رقم ١٩٧٧ – (الورقة ١١٣)
مع اختلاف في الرواية : فالشطر الثاني لا وجود له في الحلية . ورواية الأشطار في الحلية :

تسألني الباعة اين دارهــا فقلت رجلي ويدي قرارها
هواشــة مختلــف نجارهــا وكل نار لأناس نارهــا

وفي اللسان مادة (نجر) شطران دون عزو هما :

نجــار كل إبــل نجارهــا
ونار إبــل العالمــين نارهــا

فهذه إبل مسروقة من آبال شتى وفيها من كل ضرب ولون وسمة ضرب . والنار : السمة .
تقول العرب : ما نار ابلك ؟ أي ما سمتها ؟ .
وشطرا اللسان في التاج مادة (نجر) ورواية الاول : كل نجار إبل نجارها .

(١٠٧) جاء في اللسان مادة (نحت) ما نصه :
النحيتة : الطبيعة التي نحت عليها الانسان أي قطع ، وقال اللحياني : هي الطبيعة والاصل والكرم من نحته أي اصله الذي قطع منه . ابو زيد : انه لكريم الطبيعة والنحيتة والغريزة ، بمعنى واحد . وقال اللحياني : الكرم من نحته ونحاسه ، وقد نحت على الكرم وطبع عليه . وجاء في التكملة والذيل والصلة مادة (نحت)النحت والنحات : الطبيعة .

(١٠٨) جاء في اللسان مادة (نحز) ما نصه : النحيزة : الطبيعة والنحيتة . والنحائز : النحائت .

(١٠٩) البيت لذي الرمة في ديوانه ص ٨ .
وهم : ضخم . النحيزة : الطبيعة . الالواح : العظام .

(١١٠) جاء في اللسان (نحس) : النحاس والنحاس : بكسر النون وضمهاالطبيعة والاصل والخليقة ونحاس الرجل ونحاسه : سجيته وطبيعته .
وفي ث : النخاس ، وهو تصحيف .

(١١١) في القاموس المحيط : النخيلة : الطبيعة .

(١١٢) في القاموس المحيط : النسيسة : الطبيعة

(١١٣) جاء في اللسان مادة (نشش) ما نصه : والنشنشة : لغة في الشنشنة ما كانت .

(١١٤) ابن عباس = عبدالله بن عباس (ت ٦٨ هـ) : الصحابي الجليل حبر الأمة ، ، توفي في الطائف انظر ترجمته واخباره في : الاصابة (ت ٤٧٨١) وصفة الصفوة ٣١٤/١ حلية٣١٤/١ ونكت الهميان ١٨٠ والمحبر ٢٨٩ ونسب قريش ٢٦ وتاريخ الخميس ١٦٧/١ .

(١١٥) في ث : فتشح ، وهو تصحيف .

(١١٦) الخبر باختصار في اللسان مادة (شنن) .
والصبرة : ما جمع من الطعام بلا كيل ووزن .
والكتف : من الخيل والابل ، ما فوق العضد .

(١١٧) جاء في اللسان مادة (نقب) . والنقيبة : الطبيعة .
والنقيبة ، والنقيمة ، والطبيعة ، بمعنى واحد .

(١١٨) النكيثة : الطبيعة (انظر القاموس المحيط مادة نكث) .

(١١٩) جاء في اللسان مادة (نمم) : النمية : الطبيعة .
ونمي الرجل : نحاسه وطبعه .

(١٢٠) ابو وجزة السعدي : هو يزيد بن عبيد السلمي ونشأ في بني سعد بن بكر بن هوازن . شاعر مجيد ، ثقة ، قليل الحديث ، مقرئ توفي بالمدينة سنة ١٣٠ ﻫ .
انظر ترجمته واخباره في : الشعر والشعراء (طبعة الشيخ شاكر) ص ٧٠٢ . وخزانة البغدادي ١٤٧/٢ - ١٥٠ والاغاني (الثقافة) ٢٣٩/١٢ - ٢٥٣ والتهذيب ٣٤٩/١٢ والتاريخ الكبير للبخاري ٣٤٨/٢/٤ وغاية النهاية ٣٨٢/٢ والقاموس المحيط مادة (وجز) .

(١٢١) البيت بروايته لأبي وجزة في اللسان (نمم) .

(١٢٢) جاء في اللسان (هجر) : الجوهري : الهجير : الدأب والعادة ، وكذلك الهجيرى والإهجيرى .

(١٢٣) في اللسان (هجر) : التهذيب : هجيرى الرجل : كلامه ودأبه وشأنه .

(١٢٤) حديث عمر - رض - انظره في النهاية في غريب الحديث والاثر ٢٤٦/٥ وفي اللسان (هجر).

(١٢٥) البيتان لذي الرمة في ديوانه ص ١٦ .
زلجت : زلقت . الغليل : حرارة العطش . لم يقصعنه : لم يكسرنه . النغب : جمع نغبة وهي الجرعة . انصعن : تفرقن . هجيراه : عادته . والمعنى : حتى اذا زلقت جرع من الماء الحنجرة الى الغليل وما شفين الغليل ، وماهن فاخطأ ، وقدر الله غالب ، فتفرقت الحمر ، والويل والحرب عادته ودأبه .

(١٢٦) في ث : حجرة ، وهو تحريف .

(١٢٧) في ث : لغب ، وهو تحريف .

(١٢٨) جاء في التكملة والذيل والصلة مادة (هجر) :
والهجير والهجريا والأهجورة : الهجيرى
وجاء في اللسان مادة (هجر) :
وما زال ذلك هجيراه وإجرياه هجيراه وإهجيراه ، وهجيره وأهجورته أي دأبه وشأنه وعادته .

(١٢٩) جاء في التكملة والذيل والصلة مادة (هذرب) :
الفراء : ما زال ذلك هذيرباه أي هجيراه

(١٣٠) المهوئن : لم أجدها بمعنى العادة ، فهي في اللسان بمعنى الوطىء من الارض والوادي . وفي القاموس المحيط : المكان البعيد أو الوهدة .
وفي المخصص لابن سيده مادة (ﻫ أ ن) : المكان البعيد
وفي صحاح الجوهري مادة (ﻫ و أ) : الصحراء الواسعة .

كتب الوقف والابتداء وعلاقتها بالنحو

الدكتور أحمد خطاب العمر
(جامعة الموصل)

تمهيد :

لا بد أن نعرّف القارئ أولا ، ماذا يقصد بمصطلح « الوقف والابتداء » قبل أن ندرس كتبه ، قال فيه القسطلاني ما ملخصه : « يتوقف هذا العلم على معرفة الوقف والابتداء حينما يضطر القارئ الى قطع نفسه ، لأن للكلام بحسب المعنى اتصالاً يقبح معه ، وانفصالاً يحســـن معه القطع ، فاحتيج الى قانون يعرف ما ينبغي من ذلك . » [1] فهو المعرفة بمواضع الوقف عند القراءة و الابتداء بعده بما يلائم المعاني ، فهو علم عرفه القدماء ، ولم يهتم به المحدثون اهتماماً كبيراً ، لأنهم عدُّوه جزءاً من علم القراءات ، وإن كنا قد ذهبنا الى غير ذلك.[2] وعد أبو يوسف ألفاظه من البدع ، إلا أنه توقيف عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكر النحاس في حديث مسند أنه صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته ، ورُوي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قوله : « لقد عشنا برهة من دهرنا وإنّ أحدنا ليؤتى الايمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم ، فنتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها كـــما تتعلمون أنتم القرآن . ولقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته ، ما يدري ما آمره ، ولا زاجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه » . [3]

---

(١) لطائف الاشارات ١/٢٤٧ .

(٢) ينظر بحثنا : « مقدمة في الوقف والابتداء » مجلة آداب الرافدين / ج ٨ / ١٦٥ ، سنة ١٩٧٧ م.

(٣) القطع والائتناف ، ص ٨٧ .

والباحث فيه — كما حدد القدماء — يحتاج الى النحو والتفسير والقراءات والقصص ، فقد نقل النحاس عن ابن مجاهد قوله : « لا يقوم بالتمام الا نحويّ عالم بالقراءة ، عالم بالتفسير عالم بالقصص ، وتلخيص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن » . ثم أضاف « يحتاج صاحب علم التمام الى المعرفة بأشياء من اختلاف الفقهاء في أحكام القرآن » . [٤]

وهذا العلم وإن كان ميدانه هو القرآن الكريم ، لا يعني أنهم قصروه عليه ، وإنما كانوا يراعونه في أحاديثهم وأقوالهم . فقد ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على من قال : ما شاء الله وشئت ، ولم يسأله عن نيته . ونقل عن ابراهيم النَّخَعي أنه كره أن يقال : « لا والحمد لله ، ولم يكره نعم والحمدلله » ، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرجل معه ناقة « أتبيعها بكذا ؟ فقال : لا عافاك الله ، فقال : لا تقل هكذا ، ولكن قل : لا وعافاك الله » فأنكر عليه لفظه ، ولم يسأله عن نيته [٥]

أما الوقف فقد ذكروا له أنواعاً وألفاظاً ، اختلفت عند كل باحث فيه . فأبو بكر الأنباري يذكرها ثلاثة : تامّاً وكافياً وقبيحاً ، وفي موضع يذكرها : تامّاً وحسناً وقبيحاً ، وأبو جعفر النحاس يذكرها أكثر من ذلك : التام والكافي والحسن والصالح والجيد والبيان والتبيين والمفهوم والقبيح . والأشموني : تام وأتم وكاف وأكفى وحسن وأحسن وصالح وأصلح وقبيح وأقبح . أما السّجاوندي فمراتبه عنده : لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة وما لا يجوز الوقف عليه .

أما تعريفات أشهرها ، فهي [٦] :

١ — الوقف التام : وهو ما يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، ولا يتعلق ما بعده بشيء مما قبله ، لا لفظاً ولا معنى . وسمي تاماً لتمام لفظه بعد تعلقه . وأكثر ما يوجد عند رؤوس الآي ، كما في قوله تعالى : [أولئك

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .
(٥) القطع ، ص ٩٣ .
(٦) تنظر هذه التعريفات في الاكتفاء ، ورقة ٧٢ ، وفي منار الهدى ، ص ١٠ ، ١١ .

هم المفلحون] « البقرة - ٥ » ؛ لأنه آخر صفة المؤمنين ويبتدئ : [إن الذين كفروا] « البقرة - ٦ » .

٢ — الوقف الكافي : وهو ما يحسن الوقف عليه و الابتداء بما بعده ، إلا أن له به تعلقاً مّا من جهة المعنى ، فهو منقطع لفظاً ، متصل معنى ، وسمي كافياً لاكتفائه واستغنائه عما بعده ، واستغناء ما بعده عنه بألا يكون مقيداً له ، وهذا واضح في الحروف التي يبتدأ بها في أوائل بعض السور .

٣ — الوقف الحسن : وهو ما يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، للتعليق اللفظي ، كما في قوله تعالى : [هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً] « البقرة - ٢٩ » . قال أبو حاتم : الوقف على « جميعاً » حسن في السمع ، وليس بتمام ، لأن (استوى) « البقرة - ٢٩ » معطوف على (خلق) فهو داخل في الصلة ، ولا يوقف على الصلة دون الموصول ، ولا على الموصول دون الصلة .

٤ — وقف البيان : وهو أن يبين معنى لا يفهم بدونه ، كالوقف على قوله تعالى : [وتُوَقِّرُوه] « الفتح - ٩ » . فرق بين للضميرين ، فالضمير في [توقروه] للنبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وفي (تسبّحوه) « الفتح - ٩ » لله تعالى، والوقف أظهر هذا المعنى المراد .

٥ — الوقف الصالح : وهو ما كان بعد الآية معطوفا عليه ، نحو قوله تعالى : [واذ استسقى موسى قومه] « البقرة - ٦٠ » . فالوقف عليها وقف صالح ؛ لأن ما بعدها ، وهو قوله : [فقلنا اضْرِبْ بعصاكَ الحَجَرَ] معطوف عليها .

ويعرف السّجاوندي الأنواع التي تفرد بها ، فيقول فيها : [٧]

اللازم : ما لو توصل طرفاه ، غير المرام ، وشفع معنى الكلام .

والمطلق : ما يحسن الابتداء بما بعده ، كالاسم المبتدأ به .

---

(٧) الوقف والابتداء ورقة ٢ — ورقة ٥ .

والجائز : ما يجوز فيه الوصل والفصل ، لتجاذب الموجبين من الطرفين .
والمرخص ضرورةً : ما لا يستغني ما بعده عما قبله ، لكنه يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس ، لطول الكلام .

هذا هو موضوع الوقف والابتداء ، الا أن التطبيق على الآيات الكريمة يظهر هذه المعاني التي حدد أصحاب التمامأنواع الوقف علىأساس منها . فجاءت كتبهم تطبيقاً لتلك التحديدات . فلتراجع هناك ؛ لأن بحثنا هذا ليس مجـــالاً لذلك .

كتب الوقف والابتداء :

الذين كتبوا في علم الوقف والابتداء كثيرون ، فلم تقتصر الكتابة فيه على قارئ أو مفسر أو نحوي أو لغوي ، وإنما قد نجد القارئ يخلّف فيه كتاباً أو أكثر ، وكذلك النحوي واللغوي ؛ لأن وضعه كما أشرنا ظهر مع حاجة المسلمين الى فهم القرآن ، وارادةُ الفهم ظهرت مع نزول آياته . فهذا العلم اذن قديم . وبسبب هذا كثرت الكتب التي بحثت فيه ، وذكرته الكتب التي لها علاقـــة بالدراسات القرآنية ، وخاصة كتب التفسير . وحينما استقرينا الكتب التي ترجمت للقرّاء والنحاة ، استطعنا أن نصل الى العدد الذي سندرجه في آخر البحث . إلا أن ما يهمنا هنا مادة هذه الكتب ومنهجها ، لنستطيع أن نوجد الصلة بين هذا العلم وعلم النحو . وعلى هـــذا سندرس عدداً من الكتب التي تمكّنا من رؤيتها، لنكشف عن تلك المادة وذلكَ المنهج . وسنستعرض كل كتاب مستقل عن غيره أولا ، لنربط بعدها فيما تشابه من مناهجها ، فيبين للقارئ أثر القاعدة النحوية في تعيين مواضع تلك الوقوف وأنواعها . وقد تكون هذه الكتب ممثلة لمناهج كتب الوقف والابتداء عامة كما سيتبين للقارئ فيما نعرضه هنا .

١ — كتاب ايضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الانباري [٨] .

ذكر أبو بكر الانباري في القسم الأول من كتابه كثيراً من المسائل العامة

(٨) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر الانباري ، توفي سنة ٣٢٨ هـ . غاية النهاية ٢/٢٣٠ .

التي تبدو وكأنها لا تتعلق بموضوع الكتاب علاقة مباشرة ، فقد ذكر كثيراً من الأحاديث مسندة الى رواتها ، تحث على الشغل بالقرآن ، إعرابه ، وضبط شكله ؛ وتكلم على ظهور اللحن وتفسير القرآن بالشعر ومسائل نافع ، ثم عرض لعدد من الأحكام النحوية التي لا يوقف عليها [٩] ، ولخص منهجه فقال :

١ — « ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه ، معرفةُ الوقف والابتداء فينبغي أن يعرف الوقف التام ، والوقف الكافي الذي ليس بتام ، والوقف القبيح الذي ليس بتام ولا كاف » . [١٠]

٢ — وقال : « وأنا مفسر ذلك كله باباً باباً ، وأصلا أصلا ، وذاكرٌ اختلاف القراء والنحويين فيه ، ومبين ذلك بعد استقصاء هذا الوقف التام والكافي في كل سورة من أول القرآن [١١] » .

٣ — وقال : « وأنا مبتدئٌ في أول الأبواب بِما لا خلاف فيه بين القرّاء والنحويين ، وعاقد أصول الباب في أوله ، ثم تفرعها بعد ذلك ، وذاكر الاختلاف بعد الاتفاق [١٢] » .

ثم ذكر أسانيد ما في الكتاب من القراءات ، وما لا يتم الوقف عليه ، وتناول « الا » المفصولة ومواضعها . ثم فصل أنواع الوقف وصفاتها ، ففرق بين نوعين من الوقف : النوع الذي يوقف به على آخر الكلمة وما يحدث لها من تغيير ، فمهد له بحذف الألفات والياءات والواوات ، وما يحدث لها في أوائل الفعل والاسم وبعض أحكام ذلك ، وما يحدث لها من قراءات ، ثم ذكر ما يحدث لهاء التأنيث عند الوقف وذكر التنوين وما يبدل منه في الوقف وأحكاماً أخرى فيما يحدث لبعض الكلمات ومذاهب القراء في القراءة ، كوقف حمزة والكِسائي وأبي عمرو ، ثم ذكر الوقف في السُّوَروهو النوع الثاني الذي يوقف فيه على آخر العبارة ، بسبب ما يحدث لها من تغييرات إعرابية . ثم ابتدأ بسورة الفاتحة ،

(٩) ايضاح الوقف والابتداء من ص ١١٦ — ١٥٠ .
(١٠) ايضاح الوقف والابتداء ، ص ١٠٨ .
(١١) ايضاح الوقف ، ص ١١٠ .
(١٢) ايضاح الوقف ، ص ١١٥ .

ثم السُّوَر ، الى آخر القرآن . وكان يستعين بأقوال القرّاء والنحاة في الآيات التي تناولها وما يحدث لها عند الوقف ، فيردّ أو يؤيد ، مستخدما شواهدهم التي استشهدوا بها ، كنافع وابن عامر وأبي جعفر وشيبة وعاصم والاعمش وأبي عمرو وحمزة والكسائي وابن سعدان والفرّاء وأبي عبيدة وعيسى بن عمر وسيبويه والخليل وأبي حاتم وثعلب . وهذه نماذج من المسائل التي عالجها في كتابه ، تدل على أسلوبه ، ومدى التزامه بمنهجه الذي وضعه :

١ – قال في أول سورة الفاتحة : « قوله [بسم الله الرحمن الرحيم] » الوقف على « بسم » قبيح ؛ لأنه مضاف الى الله تعالى ، والمضاف والمضاف اليه بمنزلة حرف واحد ، والوقف على « بسم الله » حسن ، وليس بتام ؛ لأن «الرحمن» نعت لـ « الله » ، والنعت متعلق بالمنعوت ، فلا يحسن الابتداء به ؛ لأنه جارٍ على ما قبله ، وكذلك الوقف على « الرحمن » ، والوقف على « الرحيم » تامّ ، والوقف على « الحمد » قبيح ، لأنه مرفوع باللام ، والمرفوع متعلق بالرافع لا يستغنى عنه ، والوقف على « الحمد لله » أحسن ، وليس بتامّ ، لأن « الرحمن الرحيم » نعتان لـ « الله » ، والنعت متعلق بالمنعوت [١٣] .

٢ – وذكر في سورة الأعراف قوله تعالى : « يا أيّها النّبيّ حسبُك الله » « الآية ٦٤ » وقف حسن إذا نصبت ، « ومن اتبعك من المؤمنين » بفعل مضمر ، كأنك قلتَ : يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المؤمنين ، قال الشاعر :

اذا كانت الهيجاء وانشقّتِ العصا
فحسبك والضحاك سيفٌ مُهَنّدُ

أراد : يكفيك ويكفي الضحاك . وان جعلت « من » في موضع رفع على النسق على « الله » ، لم يحسن الوقف على « الله » . وقال السجستاني : « معناه : ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله » ، قال أبو بكر : « وهذا غلطٌ لأن المفسرين والنحويين على خلافه ، وإنما رغب النحويون عنه ؛ لأنه ينقطع من الأول اذا

---

(١٣) ايضاح الوقف ، ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

فعل به ذلك ، وهو متصل على مذهبهم ، فليس بهم حاجة الى قطعه منه »[١٤] .

٣ — وذكر في سورة التوبة قوله تعالى : « إن الله بريءٌ من المشركين ورسوله » (الآية ٣) ، فقال : « اجتمعت القرّاء على رفع « الرسول » إلا عيسى ابن عمر وابن أبي اسحاق ، فانهما كانا ينصبانه . فمن رفعه كان له مذهبان : أحدهما أن يقول : نسقته على ما في بريءٌ من ذكر الله ، فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على « الرسول » ، ولا يحسن على « المشركين » . والوجه الآخر أن تقول : رفعته على الاستئناف ، وأضمرت له رافعاً ، كأني قلت : إن الله بريءٌ من المشركين ورسولُهُ بريءٌ منهم . فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على « المشركين » ، ولا يحسن على « الرسول » . وعلى مذهب ابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر ، يحسن الوقف على « الرسول » ولا يحسن على « المشركين » ؛ لأن « الرسول » نسق على « الله » »[١٥] .

٢ — كتاب القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس[١٦] :

كتاب أبي جعفر هذا أشمل وأدق من سابقه ، فهو حينما يبحث في مواضع الوقف والابتداء يمهد للموضوع أولاً بأبواب تتعلق بموضوع الكتاب علاقة مباشرة . والأبواب هي :

١ — باب ذكر أشياء من فضائل القرآن وفضائل أهله .
٢ — باب ذكر قراءة النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .
٣ — باب ذكر من تكلم من الصحابة والتابعين في القطع والائتناف .
٤ — باب ما يحتاج اليه من حقق النظر في التمام .
٥ — باب ذكر الأسانيد لِما في الكتاب .

وهو في عرض الآيات التي يوقف عليها ، يستقري آراء كثير من العلماء الذين أبدوا آراءهم فيها ، وكذلك أقوال النحاة ، فيناقشهم : يرد عليهم ، أو

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٦٨٧ ، ٦٨٨ .
(١٥) المصدر نفسه ، ص ٦٨٩ ، ٦٩٠ .
(١٦) هو احمد بن محمد بن اسماعيل المرادي النحوي (ت سنة ٣٣٨ هـ) . انباه الرواة : ١٠٤/١ .

يؤيدهم ، بأدلة من قياسات النحو . ويختلف عن أبي بكر الأنباري في أنه يكثر من آراء البصريين ، ويعـدّها قياساً يقيس عليها ، ويخطّىء الكوفيين احياناً ، فجاء كتابه أوسع وأغزر مادة ، إضافةً الى أنه استقرى أنواع الوقف ، وذكر أسماءها جميعا .

وإنْ بحثنا في منهج الكتاب ، فاننا نلحظه يؤكد الربط بين مواضع الوقف والمعاني ، قال : « فقد صار في معرفة الوقف والائتناف التفريق بين المعاني ، فينبغي لقارئ القرآن إذا قرأ أن يتفهم ما يقرأ ويشغل قلبه به ، ويتفقد القطـع والائتناف ، ويحرص على أن يفهم المستمعين في الصلاة وغيرها » . ثم قال : « ومن لم يعرف ما وصله الله (عز وجل) في كتابه وبين ما فصله ، لم يحلّ له أن يتكلم في القطع والائتناف [17] » . ويؤكد علاقة النحو بذلك كما سنرى .

ثم يوضح منهجه فيه ومادته ، فيقول :

١ — « وهذا الكتاب نذكر فيه التمام في القرآن العظيم فيما كان الوقف عليه كافياً أو صالحاً وما يحسن الابتداء به وما يجتنب من ذلك » ، ويقول : « ونؤلفه سورة سورة كما تقدم في كتبنا ، غيرأنّا نذكر قبل ذلك أشياء من فضائل القرآن وأهله .. » .

٢ — ونقل عن ابن مجاهد ما يحتاج اليه صاحب علم التمام ، فقال : « لا يقوم بالتمام الا نحوي ، عالم بالقراءة ، عالم بالتفسير ، عالم بالقصص وتلخيص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن [18] » .

وكان بشير الى أن ذلك مستخرج على أصول النحويين [19] . وكرر هذا كثيراً في مواضع أخرى .

أما الاعلام الذين ذكر أنه سيعتمد عليهم ، وذكرهم في أول الكتاب من قرّاء أو نحويين ، فهم : نافع ويعقوب الحضرمي وأبوحاتم السجستاني والكسائي

---

(١٧) القطع والائتناف ، ص ٧٨ — ١٠٠ .

(١٨) القطع ، ص ٧٨ .

(١٩) انظر مثلا ، ص (١٢٥) .

والفرّاء ومحمد بن سعدان وأبو عبيدة والخليل والأخفش سعيد وعلي بن سليمان والطبري وسيبويه وغيرهم كثيرون .

ونستطيع أن نتلمس أثر هذا المنهج في كتابه حينما نطالع الكتاب ، وهذه نصوص مختارة من ذاك :

قال في سورة الفاتحة [٢٠]: الوقف على « الله » جائز ، إلا أنه لا ينبغي أن يفعل ذلك ؛ لأن [قوله : رب العالمين الرحمن الرحيممالك يوم الدين] نعت ، وهذا التمام ، ولا يقف على « إياك » لأنه في موضع نصب بـ « نعبد » ، ولا على « نعبد » لأن ما بعده معطوف عليه ، والتمام « نستعين » ، ولا يوقف على «إهدنا » لأن « الصراط » منصوب به ، ولا على « الصراط » لأن المستقيم نعت له ، ولا على « المستقيم » لأن ما بعده بدل ، ولا على « الذين » لأن ما بعده من صلته ولا « عليهم» لأن « غير » بدل من«الذين » أو نعت ،فاننصبتعلى الحال أو الاستثناء فكذا أيضاً ، ولا على « المغضوب » لأن « الذين » يقوم له مقام الفاعل بعده ، والتمام « ولا الضالين » . وقال في قوله تعالى : [ولنعم دار المتقين] « النحل - ٣٠ » : هو قطع كاف إن قطعت ما بعده منه ، فقلت : « جنـــات عـــدن » (النحل - ٣١) مرفوعة بالابتداء ، وخبره « يدخلونها » ، وإن قلت « جنات عدن» مرفوعة بالابتداء ينوى بها التقديم ، لم تقف على « المتقين » ، وكذا إن قلت « جنات عدن » » مرفوعة بـ « نعم دار » لم تقف أيضاً على « المتقين » ، هـــذا قول محمد بن سعدان إذا قلت : نعم الرجل زيد ، رفع زيدا بـ « نعم الرجل » ، وان رفعت « جنات » باضمار مبتدأ صلح الوقف على « المتقين»[٢١] .

وقال محمد بن عيسى في « وإليه أنيب » (الشورى - ١٠) تمام الكلام .وقال أبو جعفر : ان قدّرت أن يكون : « فاطر السموات والأرض » مرفوعاً بالابتداء جاز ما قال ، وان جعلته مرفوعاً على اضمار مبتدأ كفى الوقف على ما قبله ، وان جعلته نعتاً لم يكف الوقف على ما قبله وكذا إن خفضته على البدل من الهاء التي

---

(٢٠) القطع ، ص ١٠٨ .

(٢١) القطع ، ص ٤٢٨ .

في « إليه » ، وانءنصبته على المدح كفى الوقف على ما قبله ، وكذا إن نصبته على النداء المضاف [٢٢] .

٣ – كتاب الاكتفاء في علم الوقف والابتداء ، لأبي عمرو الداني [٢٣] :

عرّف الداني بكتابه وذكر منهجه فيمقدمته ، فقال : « هذا كتاب الاكتفاء في معرفة الوقف التام والوقف الكافي والوقف الحسن في كتاب الله تعالى ،اقتضبته من أقاويل المفسرين ومن كتب القراء والنحويين واجتهدت في جمع متفرقه . وتمييز صحيحه من سقيمه، وايضاح مشكله، وحذف حشوه، واختصار ألفاظه. وتقريب معـــانيه . وبيّنت ذلك كله فأوضحته ، ودللت عليـــه ، وشرحته على على قدر طاقتي وانتهاء معرفتي ، ولم أخله مع ذلك في المواضع التي يحتاج اليها من حديث وتفسير وقرآن ومعنى وإعـــراب ، من غير أن أستغرق في ذلك . أستقصي جميعه ، اذْ كان سلفنا (رحمهم الله تعالى) قد كفونا ذلك ، وشفوا منه في كتبهم وتصانيفهم » . ثم تحدث عن طريقته فيه فقال : « والآن غرضنا في هذا الكتاب القصد الى الإيجاز والاختصار ، دون الاحتفال والإكثار ، لكي يخف تناوله ، وتسهل فائدته ، ويقرب معناه ، ويعم نفعه المبتـــدئْ الطالب والمنتهي الثاقب [٢٤] » .

ثم ذكر أبواب الكتاب فذكر : باب الحث على تعليم التام ، وروى فيه بعض الأحاديث مسندة ، من ذلك : « ومما يبين ذلك ويوضحه ما روى تميم الطائي عن عدي بن حاتم قال : جاء رجلان الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فتشهد أحدهما ، فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « قم واذهَبْ ، بئس الخطيب أنت » قـــال الشيخ أبو عمرو : ففي هذا الخبر ايذان بكراهية القطع على المستبشع من اللفظ بما يبين حقيقته ، ويدل على المراد منه ؛ لأنهصلى الله عليه وسلم انما أقام الخطيب

---

(٢٢) القطع ، ص ٦٣٩ .

(٢٣) هو عثمان بن سعيد : ولد سنة ٣٧١ هـ ، وتوفي سنة ٤٤٤ هـ . الاعلام : ٣٦٦/٤ .

(٢٤) الاكتفاء ورقة ٧٤ .

لمّا قطع على ما يقبح ، اذ جمع بقطعه بين حال من أطاع ومن عصى ، ولم يفصل بين ذلك ، وانما كان ينبغي له أن يقطع على قوله : « فقد رشد » ، ثم يستأنف ما بعد ذلك ، ويصل كلامه الى آخره ، فيقول : ومن يعصهما فقد غوى . واذا كان مثل هذا مكروهاً مستبشعا في الكلام الجاري بين المخلوقين ، فهو في كلام رب العالمين أشد كراهية واستبشاعاً ، وأحق وأولى أن يجتنب[٢٥] » .

ثم باب ذكر البيان على أقسام الوقف ، فباب ذكر تفسير الوقف التام فعرّفه وذكر المواضع التي يوقف عليها وقفاً تاماً ، وأتى بأمثلة على ذلك ، ثم باب ذكر تفسير الوقف الكافي ، ثم باب ذكر الوقف الحسن . وتكررت أسماء الأعلام الذين نقل عنهم ابن الانباري والنحاس ؛ لأنه اعتمد عليهما وأشار الى نقله عن كتابيهما ، فجاء وكأنه صورة ملخصة عنهما ، من ذلك قوله في سورة العنكبوت في قوله تعالى : « ومن دون الله أوثاناً » كاف لِمن قرأ « مودّةُ بينكم » بالرفع سواء نوّن أو لم ينوّن ، ان رفع المودة بالابتداء وجعل الخبر في المجرور أو باضمار المبتدأ ، أي هي أو تلك فان رفعها على أنها خبر ان وجعل « مــا » بمعنى « الذي » والتقدير : إن الذي اتخذتموه « مودةُ بينكم » ، لم يكف الوقف قبلها ، ومن قرأ بالنصب سواء أضاف أو لم يضف ، لم يقف على ما قبلها لتعلقها بها ، لأنها مفعول من أجلها وقف على [في الحياة الدنيا] [٢٦].

وجاء في سورة عَبَسَ قوله : « واختلف القراء في كسر همزة « إنا صببنا » وفي فتحها . فمن كسرها ، فله تقديران : أحدهما أن يجعلها تفسيراً للنظر الى الطعام ، فعلى هذا لا يتم الوقف قبلها ، ولا يبتدأ بها . والآخر أن يجعلها مستأنفة ، فعلى هذا لا يتم الوقف قبلها ويبتدأ بها . ومن فتحها ، فله أيضاً تقديران : أحدهما أنه يجعلها مع ما اتصل بها ، والآخر أن يجعلها في موضع رفع خبرا لمبتدأ محذوف ، بتقدير : هو أنا ، فعلى هذا لا يوقف قبلها ، ولا يبتدأ بها [٢٨] . »

---

(٢٥) المصدر السابق .

(٢٦) الاكتفاء ، ص ١١٨ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

(٢٨) المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

وفي سورة قريش : « قال الفرّاء : اللام في قوله « لإِيلافِ » ، متعلقة بفعل محذوف ، والتقدير : اعجبوا لإيلاف قريش رحلةَ الشتاء والصيف ، وتركهم عبادة رب العالمين ، والمعنى عند الخليل وسيبويه : فليعبدوا رب هذا البيت «لإِيلاف قريش » أي : ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة ، واعترافاً بها ، واللام متعلقة بقوله : « فليعبدوا » ، وقال الاخفش : اللام متعلقة بآخر الفيل ، والمعنى عنده : فعل بهم ذلك ، ليؤلف قريشاً . وهذا خطأ بيّن ، وذلك أنه لو كان كما قال لكان « لإِيلاف قريش » بعض آياتِ [ألم ترَ] .وفي إجماع المسلمين على الفصل بينهما وأنهما سورتان ، والوقف على « والصيف » كاف على قول الفرّاء [٢٩] » .

٤ ــ الاقتداء في الوقف والابتداء ، لمحمد بن عبدالله النكزاوي [٣٠] :

لم يخرج هذا الكتاب عما كانت عليه الكتب المتقدمة عندما عالج مسائل الوقف والابتداء في مواضع الآيات من سوَرها ؛ لأن الكتاب ملخص للكتب السابقة ، وقد ذكر هو ذلك فقال : « فقد رغب إليَّ جماعة من المشتغلين بتلاوة القرآن المتصفين بالتجويد والاتقان أن أجمع لهم ما يجري الى حالة الاقراء مما يتعلق بالوقف والابتداء » .

ولكنه امتاز عنهم في أنه مهّد لكل سورة بذكر عدد آيها ، ومكية هي أم مدنية ، فقال : « ... وأن أقدم على ذلك عدد آي القرآن وتعيينها ، وعدد كلمه وحروفه وتبيينها ، على ما في ذلك من الاختلاف والجمع والايتلاف مع ذكر النظائر في العدد المأثور ما يشبه الفواصل على القول المشهور .. » . ثم قال في منهجه : « بحيث لا أخليه من حديث وتفسير وأسباب وقراءة ومعنى وإعراب ، من غير استغراق في ذلك ولا إطناب ، ولا تكلّف ولا إسهاب ، إذْ علم القرآن أشرف العلوم وأرفعها وأحقها بالتقديم وأنفعها » . وبعد هذا التمهيد ذكر أبواب الكتاب :

١ ــ باب في بعض السنن والآثار التي فيها ذكر السور .

---

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .

(٣٠) هو عبدالله بن محمد مقرئ . ولد سنة ٦١٤ هـ ، وتوفي سنة ٦٨٣ هـ . غاية النهاية ٤٥٢/١ .

٢ – باب ذكر من جاء عنه عقد الآي في الصلاة من الصحابة .
٣ – باب ذكر من جاء عنه ذلك من التابعين .
٤ – باب ذكر من كان يعد الآي من أئمة القراء .
٥ – باب ذكر جامع العدد . ذكر فيه عدد أهل المدينة والبصرة والكوفة والشام .
٦ – باب جملة عدد آي القرآن .
٧ – باب جملة عدد كلم القرآن وحروفه .
٨ – باب في ذكر معنى السورة والآية والكلمة والحرف .
٩ – باب ذكر المكي والمدني من السور .
١٠– باب أقسام الوقف والابتداء . فعرّف كل نوع ، وأتى بالأمثلة له .
١١– باب ذكر شيء من فضائل القرآن .
١٢– باب أسماء الأئمة الذين اشتهر عنهم الوقف والابتداء . ثم ابتدأ بسور القرآن ، « قال في (ألم) : اختلف الأئمة في الوقف عليها ، قيل إنه روى ابن مهران عن الاخفش أنه قال : يجوز الوقف على كل حرف منها ، ويكون وقفاً تاماً ، ويكون كل حرف منها جملة مستقلة بذاتها بمعنى : هذه ألف وهذه ميم ، وقيل : ليس مراد الأخفش ما ذكر أن كل حرف منها جملة مستقلة ، وإنما مراده أن كل حرف منها كلمة بذاتها يمكن الوقف عليها دون أختها عند الضرورة وانقطاع النَّفَس . قلت : ذلك غير جيد ، لأن الكلام ما وقع الا في وقف الاختيار ، لا في وقف الاضطرار ؛ لأن القارئ اذا اضطر الى الوقف إما لانقطاع نفس أو غيره ، فانه يقف على آخر . وقيل : لا يجوز الوقف على كل كلمة منها ، وانما يجوز الوقف على الحروف بجملتها . وقيل : لا يجوز الوقف على الحروف بجملتها ، واذا جاز الوقف على الحروف بجملتها ، فهل يكون وقفاً تاماً أو كافياً ؟ فقيل : تام . وإن كان تاماً ، فهل تكون هذه الحروف في محل رفع أو نصب ؟ فقيل : تكون في محل رفع خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هذا المتلوّ والمقروء (ألم) وقيل : في محل نصب مفعول به بفعل

مضمر ، تقديره : أقرأ وأتلو (ألم) ، ويكون في محل نصب على الإغراء ، تقديره : عليك ألم ، وقيل : كاف ، وهو قول أبي حاتم . وقيل : لا ينبغي الوقف عليها بجملتها ، لأنها في محل رفع على الابتداء ... » [٣١] .

٥ — المقصد لتلخيص ما في المرشد ، لأبي يحيى زكريا الانصاري [٣٢] :

الكتاب تلخيص لكتاب المرشد ، لأبي سعيد العماني ، الذي ذكر عنه أبو يحيى الانصاري أنه التزم أن يورد فيه جميع ما أورده أهل هذا الفن ، ثم قال : « وأنا أذكر مقصود ما فيه مع زيادة بيان محل النزول ، وزيادة أخرى غالبها عن أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرىء » . وبعدها مهد للموضوع ، ذكر أنواع الوقف وعدّدها ، وذكر خلافات العلماء فيها ، وجاء ببعض الأمثلة على ذلك . وأبواب الكتاب هي :

١ — في ألف الوصل : ذكر فيه مواضعه .
٢ — في الياءات : وذكرها ضربين : ضرباً تُثْبَتُ خطّاً ، وضرباً تحذف.
٣ — في هاء التأنيث .
٤ — فيما جاء من هاء التأنيث مكتوباً بالتاء ومكتوبا بالهاء .
٥ — في الهاءات التي تزاد في آخر الكلمة للوقف عليها .
٦ — في الوقف على هاء الكتابة .
٧ — في الوقف على آخر الكلمة المتحركة منوّنة وغير منوّنة .
٨ — في كلا .
٩ — في الكلمتين اللتين ضمت إحداهما الى الأخرى فصارتا كلمة واحدة لفظاً .

ثم ذكر سور القرآن ، مبتدئاً بسورة الفاتحة . ومما قاله فيها : « والوقف على

---

(٣١) ص ١٦ وجـه .

(٣٢) هو زكريا بن محمد بن أحمد الانصاري قاض مفسر من حفاظ الحديث . (٨٢٣ — ٩٢٦ هـ). اعلام ٣/٨٠ .

آخر التعوذ تام ، وإن لم يكن من القرآن ؛ لأنا مأمورون به عند القراءة ، وعلى البسملة تام بل أتمّ ، وتقديره : ابتدائي — بسم الله ، أو أبتدئُ بسم الله ، وعلى « الحمد » غير جائز لأنه لا يفيد ، وقس به ما يشبهه ، وعلى « الله » قبيح للفصل بين النعت والمنعوت ، وعلى « رب » غير جائز لما هو وللفصل بين المتضايفين اللذين هما كشيء واحد « العالمين » صالح ؛ لأنه رأس آية ، وليس تاماً ، للزوم الابتداء بعده بالمجرور بغير جار « الرحيم » كاف وليس تاماً ، كذلك «الدين» تام ، و « نعبد » جائز ، وليس حسناً وإن كان آخر آية ؛ لأن ما بعده بدل منه ، وهو متعلق به ، « انعمت عليهم » جائز ، وليس حسناً ، لأن ما بعده مجرور نعتاً ، أو بدل ، أو منصوب حالا أو استثناء ، وكل منهما متعلق به . وقال أبو عمرو : حسن ، وليس بتام ولا كاف ، سواء جر ما بعده أم نصب « ولا الضالين » تامّ [٣٣] .

وقال في سورة البقرة : « على قلوبهم » جائز « وعلى سمعهم » تام . وقال أبو عمرو : كاف ، وقيل : تام . هذا ان رفعت « غشاوة » بالابتداء أو بالظرف ، أي : استقر ، أو حصل على أبصارهم غشاوة ، وان نصبتها كما روي عن عاصم إما بختم أو بفعل دل عليه ختم ، أي : وجعل على أبصارهم غشاوة ، أو بنزع الخافض ، وأصله بغشاوة ، فالوقف على سمعهم على الثاني من الأوجه الثلاث كاف . وقال أبو عمرو : لا يوقف عليه ، وعلى الآخرين جائز ، « غشاوة » صالح ، وقال أبو عمرو : فإن أراد به أنه صالح فلا خلاف [٣٤]» .

٦ — منار الهدى في بيان الوقف والابتدا [٣٥] ، لأحمد بن محمد بن عبدالكريم الأشموني :

قال الأشموني عن كتابه : « سميته (منار الهدى في بيان الوقف والابتدا) ،

---

(٣٣) ص ٢٨ .
(٣٤) ص ٣٣ .
(٣٥) هو احمد بن محمد بن عبدالكريم الأشموني : فقيه ومقرئ ، وهو من أهل المئة الحادية عشرة للهجرة (معجم المؤلفين ١٢١/٢) .

مقدماً أمام المقصود فوائد وتنبيهات ، تنفع القارئ ، وتعينه على معرفة الوقف والابتداء ، ليكون على بصيرة اذا خاض في هذا البحر الزخار » . ثم زاد فقال : « ولا يقوم بهذا الفن الا من له باع في العربية ، عالم بالقراءات ، عالم بالتفسير عالم باللغة التي نزل القرآن بها على خير خلقه [٣٦] » .

وذكر هذه الفوائد : الفائدة الأولى أسماء من كتب بالوقف والابتداء ، وفي الفائدة الثانية عرّف الوقف والابتداء ، وذكر أنواعه ومراتبه ، والمواضع التي يوقف عليها ، والأحكام النحوية التي تعيّن هذه المواضع ، وذكر في هذه الفوائد عدة تنبيهات ، وجاء بعدها بموضوعات سماها « مطالب » وهي : مطلب علوم القرآن ثلاثة ، ومطلب استخراج عمر النبيّ صلى الله عليه وسلم من القرآن ، ومطلب ثواب القارئ ، ومطلب أهل الجنة ، ومطلب كيفية قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ومطلب ما لقارئ القرآن في بيت المال ، ومطلب الاستعاذة ، ومطلب البسملة ، ومطلب وصل أوائل السورة بأواخرها .

ثم ذكر سور القرآن الكريم ، ومما جاء فيها :

« بعوضة » قرئ بالرفع والنصب والجرّ ، فنصبها من سبعة أوجه ، كونها منصوبة بفعل محذوف ، تقديره : أعني بعوضة ، أو صفة لما ، أو عطف بيان لمثلاً أو بدلا منه ، أو مفعولا ليضرب و « مثلا » حال تقدمت عليها ، أو مفعولاً ثانياً ليضرب ، أو منصوبة على إسقاط بين والتقدير : ما بين بعوضة ، فلما حذفت « بين » أعربت بعوضة كاعرابها . أنشد الفرّاء:

يا أحسنَ الناس ما قرناً الى قدم
ولا حبال محب واصل يصل

أراد : ما بين قرن الى قدم ، وعليه لا يصلح الوقف على « ما » لأنه جعل عراب « بين » فيما بعدها ، ليعلم أن معناها مراد، فبعوضة في صلة « ما » ورفعها ، أي : « بعوضة » من ثلاثة أوجه : كونها خبراً لمبتدأ محذوف ، أي ما هي بعوضة ،

---

(٣٦) ص ٤ .

أو إن « ما » استفهامية وبعوضة خبرها ، أيْ: أيّ شيءٍ بعوضة أو المبتدأ محذوف ، أي : هي بعوضة ، وجرها من وجه واحد ، وهي كونها ، أي « بعوضة » ، بدلا من « مثــلا» على توهم زيادة البــاء ، والاصــل أن الله لا يستحيي بضرب مثل بعوضة ، وهو تعسف تنبو عنه بلاغة القرآن العظيم ، والوقف يبين المعنى المراد . فمن رفع بعوضة على أنها مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف ،لأن الوقف على « ما » تام ومن نصبها ، أي بعوضة ، بفعل محذوف ، كان كافياً لعدم تعلق ما بعدها بما قبلها لفظا لا معنى ، وكذلك يكون الوقف على « ما » كافياً اذا جعلت « ما » توكيداً ؛ لأنها إذا جعلت تأكيداً ، لم يوقف على ما قبلها . وأما لو نصبت « بعوضة » على الاتباع « لما » ونصبت « ما » على الاتباع « لِمثلاً » فلا يحسن الوقف على « ما » ؛ لأن بعوضة متممة لـما ، كما لو كانت بعوضة صفة لما ، أو نصبت بدلا من « مثلا » أو كونها على اسقاط الجار أو على أن « ما » موصولة ؛ لأن الجملة بعدها صلتها . ولا يوقف على الموصول دون صلته ، أو أن « ما » استفهامية وبعوضة خبرها ، أو جرت بعوضة بدلا من « مثلا » ، ففي هذه الأوجه السبعة لا يوقف على « ما » لشدّة تعلق ما بعدها بما قبلها(٣٧) .

٧ ــ الوقف والابتداء ، لمحمد بن طيفور السجاوندي (٣٨) :

أخّرنا ذكر هذا الكتاب لأنه تفرّد في تسميته أنواع الوقف ، فلم يذكرها على المصطلحات التي استعملتها الكتب التي عرضناها ، فقد ذكر مراتبها عــلى الوجه الذي أدرجناه في تعريفات أنواع الوقف ، وهي : لازم ، ومطلق ، وجائز ، ومجوز لوجه ، ومرخص ضرورة . فهو قد وضع تعريفاتها ، وأتى لها بالأمثلة ليوضح ما يراه مناسبا ، ثم شرع في ذكر سور القرآن الكريم ، متبعاً الطريقة نفسها في الاستعانة بالقاعدة النحوية ، ليعين موضع الوقف ونوعه ــ بحسب مصطلحاته ، واستعمل حروفاً لمعان تتغير بتغير التراكيب ، ثم إنه أورد أنــه

---

(٣٧) ص ٣٧ .

(٣٨) هو ابو عبدالله محمد بن طيفور : نحوي مقرئٌ مفسر ، كان في وسط المائة السادسة للهجرة غاية النهاية ١٥٧/٢ .

اعتمد على كتابين ، هما : المقاطع والمبادي لأبي حاتم السجستاني ، والمرشد لسعيد العماني .

قال في الوقف اللازم : « وتأول ذلك قوله تعالى : « وما هم بمؤمنين » ، إذْ لو وصل بقوله : [يخادعون الله] صارت الجملة صفة لقوله : [مؤمنين] فانتفى الخداع عنهم ، وتقرر الايمان خالصاً من الخداع ، كما تقول : ما هو بمؤمن مخادع ، ومراد الله جل ذكره ، نفي الايمان ، وإثبات الخداع[٣٩] » .

وقال في سورة البقرة : « ألم » لاختلاف «لا ريب » على حذف خبر « لا » ، تقديره : لا ريب فيه كما ذكرنا ، « فيه » مكرراً في قوله : أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال ، ثم يستأنف « فيه » ، ومن وصل جعل « فيه » فيه رجال ، ثم يستأنف « فيه » ومن وصل جعل « فيه » خبر « لا » عند المؤمنين ، والوقف فيهما على « فيه » ، وهدى خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هو هدى[٤٠] .

وبعد : وهذا عرض للكتب التي استطعنا أن نراها ، ذكرنا فيه مناهجها أولاً بأساليب مؤلفيها من مقدماتها ، وذكرنا بعضاً من أساليبهم عند إرادتهم تعيين الوقف على الآيات الكريمة والغاية من هذا البحث أنّ نريد أن نثبت أن للأحكام النحوية أثرها الواضح في هذا العلم ، وفي تعيين مواضع الوقف وأنواعها . فالنصوص التي اخترناها من الكتب ، كلها نصوص ، ظهر فيها أثر تلك القواعد والأحكام ، لتكون دليلاً ، نوضح للقارئ بواسطته مناهج هذه الكتب ، وقد يدعم هذا كثرة الأعلام من نحويين وقرّاء ، أوردهم هؤلاء المؤلفون ، واستشهدوا بآرائهم .ولكن قد يعترض معترض في أن هذه النصوص القليلة قد تكون متعمداً في اختيارها لهذه الغاية ، ويمكننا أن نجيب عن هذا : أن أولئك المؤلفين كانوا في مواضع كثيرة من كتبهم لا يذكرون القواعد استناداً الى أن مسألة مماثلة قد مرت ، فلا داعي لإعادة التعليل والقاعدة ، ولهذا جاءت الاقسام الأخيرة من هذه الكتب خلواً

---

(٣٩) غاية النهاية ٢ .
(٤٠) غاية النهاية ٦ .

من كثرة التعليلات وذكر الأحكام ، ولكن القاعدة هي الأساس التي قاسوا عليها في تعيين تلك المواضع ، ومن أجل أن نضع البرهان أمام القارىء نختار كتابين من هذه الكتب هما : « ايضاح الوقف والابتداء » « والقطع والائتناف» لقدمهما ، ولاعتماد الكتب المتأخرة عليهما ، لنعرض مدى استيعاب هذين الكتابين لكثير من القواعد النحوية المناقشات التي أورداها ؛ وذكرهما الخلافات النحوية ، واستعمالهما كثيراً من المصطلحات النحوية ، واشاراتهما الى حروف المعاني ، وايرادهما الشعر الذي يستشهد به النحويون ، لنلخص الى أن هذا العلم متأثر تأثراً كبيراً بعلم النحو .

من ذلك ما قاله أبو بكر في نصبِ [مشارق الارض ومغاربها] ، فيهما وجهان : أحدهما أن تكون منصوبة بـ « أورثنا » على غير معنى محل ، والمحل هو الذي يسميه الكسائي صفة ، يسميه والخليل أصحابه من البصريين ظرفاً ، والوجه الثاني أن ينصب التي بـ « أورثنا » وينصب « المشارق والمغارب » على المحل [41] . وقال في : [قول الحق] « مريم ـ ٣٤ » : ومن قرأ « قول الحق » نصبه على وجهين : أحدهما أن ينصبه على المصدر ، كأنه قال : « أقول قولاً حقاً » ، والوجه الآخر أن ينصبه على خبر « ذلك » ، ويجعل « ذلك » في مذهب « كان » كما تقول : هذا زيد أخاك ، وهذا الخليفة قادماً ، فتنصبه ، لأنك قرنت بـ « هذا وذلك » الفعل ، ونصبت به كما تنصب في « كان »[42] .

وقال في (أَشِحَّة) « الاحزاب ـ ١٩ » ينتصب من أربعة أوجه : إحداهن أن تنصبه على القطع من « المعوقين » ، كأنه قال : قد يعلم الله الذين يعوقون عند القتال ، ويشحون عند الانفاق على ـ فقراء المسلمين ، ويجوز أن يكون منصوباً على القطع من « القائلين » ، أي : هم أشحة ، ويجوز أن تنصبه على القطع مما في « يأتون » ، ويجوز أن تنصبه على الذم [43] . الى كثير من المصطلحات

---

(٤١) ايضاح الوقف ص ٦٦٥ .

(٤٢) ايضاح الوقف ، ص ٧٦٣ ، ٧٦٤ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٨٤١ ، ٨٤٢ .

التي نجدها في مواضع كثيرة من الكتاب ، كالترجمة ، والصلة ، والجحد ، وما لم يسم فاعله .

وقال أبو جعفر النحاس في قوله تعالى : « ثم استوى على العرش الرّحْمن » « الفرقان - ٥٩ » : ان جعلته بدلا من المضمر الذي في « استوى » كان التام « ثم استوى على العرش الرحمن » ، وهذا قول البصريين والكسائي لا يجيز . غير أنه لا يقول : على البدل ، ويقول : مردود على المضمر ، والفرّاء لا يجيز أن يرد على المضمر ظاهراً ، لأن المضمر عنده لا يبين [٤٤] » .

وقال في : [وتَلّه للجبين] « الصافات - ١٠٣ » : ليس بكاف عند الكوفيين ؛ لأنه لم يأت بجواب لما ، والجواب عندهم « وناديناه » ، والواو مقحمة وليس هو كذا عند البصريين ، لا يجوز عندهم زيادة الواو ، لأنها للعطف ، والجواب عندهم محذوف [٤٥]» .

وقال في : [حذر الموت] « البقرة - ١٩ » : قال الأخفش « حذر الموت » التمام ، وقال غيره : لا يوقف على « من الصواعق » ، لأن ما بعده علة له ، وهذا يجيء على قول سيبويه ؛ لأنه قال : هذا باب ما ينتصب من المصادر ، لأنه عذر وقوع الأمر ، فانتصب لأنه موقوع له ، قال أبو جعفر : فهذا مفعول من أجله ، كما تقول : جئتك ابتغاء العلم . وقال الفرّاء : وأما قوله « حذر الموت» ، فانه منصوب على التفسير يحسن فيه من أو ما في جنسه [٤٦] » .

ونجد أيضاً في الكتاب كثيراً من المصطلحات التي استعملها النحاة قبله ، كالترجمة والتبيين والقطع والمردود وما لم يسم فاعله . ولكن لا يعني هذا أنهم قد قصروا كتبهم على الأحكام والقواعد النحوية فقط ، ولكن — كما أشرنا في مقدمة البحث — أن صاحب التمام يحتاج الى القراءة والتفسير والنحو واللغة وشيءٍ من خلافات الفقهاء ، ليستطيع على أساس منها أن يعين نوع الوقف وموضعه ، فلهذا أيضاً جاءت كتبهم وقد احتوت على كثير من مسائل تلك العلوم .

---

(٤٤) القطع ، ٥٢٤ .

(٤٥) القطع ، ٦٠٦ .

(٤٦) القطع ، ص ١٢٣ .

اسماء من كتب بالوقف والابتداء

ضرار بن الصُّرَد ، ت ١٢٩ هـ (الفهرست ص ٣٦) .
ابو عمرو بن العلاء ، ت ١٥٤ هـ (تاريخ التراث العربي ص ١٤٨) .
حمزة بن حبيب الزيات ، ت ١٥٦ هـ (الفهرست ص ٣٦) .
محمد بن الحسن ابو جعفر الرؤاسي ، ت ١٧٠ هـ . له كتابان : الوقف الكبير والصغير (الفهرست ص ٦٤) .
يحيى بن المبارك اليزيدي ، ت ٢٠٢ هـ (معجم الادباء ٢٦٠/٧) .
يحيى بن يزيد الفراء ، ت ٢٠٧ هـ (إنباه الرواة ١٦/٤) .
خلف بن هشام ، ت ٢٢٩ هـ (الفهرست ص ٣٦) .
محمد بن سعدان ، ت ٢٣١ هـ (الفهرست ص ٣٦) .
عبدالله بن يحيى أبو عبدالرحمن اليزيدي ، ت ٢٣٧ هـ (انباه الراوة ١٥١/٢) .
حفص بن عمر ابو عمر الدوري ، ت ٢٤٦ هـ (الفهرست ص ٤٦) .
أحمد بن يحيى ثعلب ، ت ٢٩١ هـ (الفهرست ص ٧٤) .
سليمان بن يحيى الضبي ، ت ٢٩١ هـ (الفهرست ص ٣٦) .
محمد بن أحمد بن كيسان ، ت ٢٩٩ هـ (الفهرست ص ٨١) .
إبراهيم بن السريّ أبو اسحاق الزجاج ، ت ٣١١ هـ (هدية العارفين ٥/١) .
محمد بن القاسم أبو بكر الأنباريّ ، ٣٢٨ هـ (مطبوع في دمشق سنة ١٩٧١).
محمد بن محمد بن عباد المالكيّ ، ت ٣٣٤ هـ (معجم الادباء ٩٠/٧) .
أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس ، ت ٣٣٨ هـ (رسالة الدكتوراه بتحقيقنا) .
الجعدي (الفهرست ص ٣٦) .
هشام بن عبدالله (الفهرست ص ٣٦) .
أحمد بن محمد بن أوس المقرئ ، ت ٣٤٠ هـ (في مكتبة شهيد علي باشا رقمه (٣) .
محمد بن الحسن العطار ، ت ٣٥٤ هـ (معجم الادباء ٥٠١/٦) .

محمد بن عبدالله بن أشتة ، ت ٣٦٠ هـ (طبقات النحاة واللغويين ، الورقة ١٣٩)
أبو بكر بن مِقْسَم ، ت ٣٦٢ هـ (الفهرست ص ٣٣) .
الحسن بن عبدالله بن المرزبان ، ت ٣٦٨ هـ (الفهرست ٦٣) .
أحمد بن الحسن بن مهران النيسابوري ، ت ٣٨١ هـ (معجم الأدباء ٤١٢/٢) .
'سماعيل بن عباد أبو القاسم ، ت ٣٨٥ هـ (انباه الرواة ٢٠٣/١) .
عبدالله بن أبي محمد (الفهرست ٥١) .
عثمان ابن جني ، ت ٣٩٢ هـ . (معجم الادباء ٣١٦/٥) .
مكي بن أبي طالب ، ت ٤٣٧ هـ . (هدية العارفين ٤٧١/٢) .
محمد بن عبدالكريم الخزاعي ، ت ٤٠٨ هـ (تاريخ التراث العربي ١٦٩/١) .
محمد بن عبدالملك ابن السراج ، ت ٥٤٩ هـ (حاج بشير أغا ، رقم ٥) .
عبدالعزيز بن علي المعروف بابن الطحان ، ت ٥٦٠ هـ (رقمه في دار الكتب ١٩٤١١ ب) .
حميد بن علي بن نصر (في حدود الأربع مئة) (غاية النهاية ٢٥٧/١) .
أحمد بن محمد بن سهل ، ت ٥٦٩ هـ (طبقات المفسرين ١٢٩/١) .
الحسن بن احمد أبو العلاء الهمداني ، ت ٥٦٩ هـ (غاية النهاية ٢٠٤/١) .
محمد بن سهل العطار ، ت ٥٦٩ هـ (هدية العارفين ٩٧/٢) .
عبدالعزيز بن علي أبو الاصبع الاشبيلي ، ت ٥٥٩ هـ (هدية العارفين ٥٧٩/١).
عيسى بن عبدالعزيز بن سليم ، ت ٦٢٩ هـ (هدية العارفين ٨٠٨/١) .
عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، ت ٦٤٦ هـ (روضات الجنات١٧٢/٥).
عبدالسلام بن علي الزواوي ، ت ٦٨٠١ هـ (هدية العارفين ٥٧٠/١) .
برهان الدين ابو محمد ابراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢ هـ ،) (ذيل بروكلمان ١٣٤/٢) .
محمد بن تاج الدين المعروف بابن الامام ت ٧٤٥ هـ (هدية العارفين ١٥٢/٢) .
ابراهيم بن موسى بن بلال الكركي ، ت ٨٥٣ هـ (طبقات المفسرين ٢٣/١) .

عبدالله بن إبراهيم الشناوي (مصور في المكتبة المركزية ـ جامعة بغداد) .

اسماء من سموا كتبهم بـ « وقف التمام » :

نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم ، ت ١٩٩ هـ (الفهرست ص ٣٦) .

يعقوب بن اسحاق الحضرمي ، ت ٢٠٥ هـ (معجم الادباء ٣٠٢/٧) .

الفراء ، ت ٢٠٧ . له كتاب الابتداء والتقطيع . (انباه الرواة ١٧/٤) .

سعيد بن مسعدة الاخفش ، ٢١٥ هـ . (انباه الرواة ٤٢/٢) .

روح بن عبدالمؤمن ، ت ٢٣٤ هـ . (الفهرست ص ٣٦) .

نصر (ولعله نصر بن علي المتوفى سنة ٢٥٠) هـ (الفهرست ص ٣٦) .

احمد بن عيسى اللؤلؤي (الفهرست ص ٣٦) .

عفيف الدين بن عبدالباقي ، أكاديمية نازيوند دى لنس ، رقمه ٣٤٨ .

وهذه اسماء من اطلقوا على كتبهم اسماء اخرى :

عبدالله بن عامر ، ت ١١٨ هـ . له كتاب المقطوع والموصول (تاريخ التراث العربي ١٤٨/١) .

شيبة بن نصاح ، ت سنة ١٣٠ هـ . له كتاب الوقوف (تاريخ التراث ١٤٨/١) .

علي بن حمزة الكسائي ، ت ٢٨٩ هـ . له مقطوع القرآن و موصوله (انباه الرواة ٢٧١/٢) .

أبو حاتم السجستاني ، ت ٢٥٥ هـ . له المقاطع والمبادى (انباه الرواة ٦٢/٢) .

الفضل بن محمد الأنصاري . له كتاب الوقف (تاريخ التراث١٤٨/١) .

أحمد بن كامل بن شجرة ، ت ٣٥٠ هـ . له كتاب الوقوف (معجم الادباء ١٧/١) .

أبو بكر بن مِقْسَم ، ت ٣٦٢ هـ . له كتاب عدد التمام (إنباه الرواة ١٠١/٣).

أحمد بن الحسن بن مهران النيسابوري ، ت ٣٨١ هـ . له كتاب وقف القرآن (معجم الأدباء ٤١٢/٢) .

مكي بن أبي طالب ، ت ٤٣٧ هـ . له كتاب شرح الوقف التام والوقف على كلا) . (هدية العارفين ٤٧١/٢) .

الحسن بن الحسن بن أحمد العطار . له كتاب الهادي في علم المقاطع والمبادى (طوبقبي ، رقمه ١٦٤٢) .

أحمد بن يوسف الكواشي ، ت ٦٨٠ هـ . له كتاب الوقوف (هدية العارفين ٩٨/١).

الحسن بن أم قاسم المرادي ، ت ٧٤٩ هـ . له كتاب وقف حمزة (غاية النهاية ٢٢٨/١) .

عبدالله بن محمد الجزري ، ت ٨٣٣ هـ . له رسالة في الوقف (الظاهرية ، رقمها ٥٤٦٥) .

ابراهيم بن موسى الكركي ، ت ٨٥٣ . له كتاب الآلة في معرفة الوقف ولحظة الطرف في معرفة الوقف (هدية العارفين ٢٠/١) .

خير الدين بن علي ، ت ٨٦ هـ . له كتاب الوقوف (طوبقبي رقمها ١٦٨٩) .



الأرقام العربية

الدكتور أحمد مطلوب

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

لا تحتاج الأرقام العربية الى من يثبت أصالتها ، فقد حفظتها القرون وصانتها الطروس ، وكانت مسيرتها الطويلة دليلاً على تلك الأصالة في خضمّ الأحداث . ولكنّ ما يظهر في الأفق بين حين وآخر يدعو الى الوقوف على الحقائق ، ليعرفها النشْء ويستنير بها في طريقه الطويل ، وليعرف أن العرب قبل الاسلام كانوا يكتبون الأرقام بالحروف كما يشير اليه حجر النمارة الذي عثر عليه في أطلال النمارة بحوران ، ويؤكده نصّ أبرهة الأشرم المنقوش على سد مأرب المشهور [1] وحينما نزل القرآن الكريم ذكر الأرقام بالكلمات ، وجاءت في آياته البينات صيغ مختلفة لها ، فمن الآحاد قوله تعالى : « ثاني اثنين » [2] ، ومن العشرات قوله : « تلك عشرة كاملة » [3] ، وقوله : « إنْ تستغفر لهم سبعين مرة » [4] ، ومن المئات قوله : « ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا » [5] ، ومن الألوف قوله : « فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاما » [6] ، وقوله : « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » [7].

---

(١) ينظر تأريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي (بغـداد ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م) ج٣ ص ١٩٧ ، وبحثه عن كتابة ابرهة في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٦ م المجلد الرابع ج ١ ص ١٨٦ ، ٢١٨ - ٢١٩ ، والأرقام العربية ورحلة الارقام عبر التأريخ للعقيد الركن المتقاعد سالم محمد الحميدة (بغـداد ١٩٧٥) ص ٧٨ - ٨٢ .

(٢) التوبة ٤٠ . (٣) البقرة ١٩٦ . (٤) التوبة ٨٠ .

(٥) الكهف ٢٥ . (٦) العنكبوت ١٤ . (٧) المعارج ٤ .

واستُعمل نظام الترقيم على حساب الجمل ، فكان الألف يساوي واحداً والباء اثنين ، والياء عشرة ، والقاف مائة ، والغين ألفاً . وعند تركيب الأعداد تضاف الحروف ، فاذا أريد الرقم «١٢٤٠» كتبوا « مرغ » لان الميم أربعون والراء مائتان، والغين ألف .

ويتضح في هذا التقسيمالنظام العشري إلاّ الصفر ، فقد أقاموا الحروف على وحدات تتكون كل واحدة من تسعة أرقام ، فالحروف التسعة الأولى وهي : الألف والباء والجيم والدال والهاء والواو والزاي والحاء والطاء تحمل الآحاد ، والتسعة الثانية وهي : الياء والكاف واللام والميم والنون والسين والعين والفاء والصاد تحمل العشرات ، والتسعة الثالثة وهي : القاف والراء والشين والتاء والثاء والخاء والذال والضاد والظاء تحمل المئات ، ويحمل الرقم الأخير وهو الغين الألف . ويبدو أن استخدامهم للحروف لم يجعلهم يفكرون بالصفر في تلك المرحلة من حياة الأرقام العربية .

وهذا التقسيم يثير الاستغراب ، لان العرب في تلك المرحلة لم يتصلوا بالهنود ، ولا يمكن تفسير ذلك إلاّ بأمرين :

الأول : إن النظام العشري غير منقول عن الأمم الأخرى وانما هو أصيل عرفه العرب في بيئتهم كما عرفه غيرهم في بيئاتهم أيضاً .

الثاني : ان هذا النظام كان بابلياً [١] ، ولا يستبعد أن يكون الهنود قد أخذوه عن البابليين مثلما أخذه العرب ، على الرغم من ان بعض الباحثين يشير الى أن الأرقام الهندية وصلت الى مدارس الرهبان في وادي الرافدين عام ٦٢٢ للميلاد. [٢] ولكن القدماء لم يشيروا الى ذلك ، بل ذهب معظمهم الى أن الفكرة هندية ، قال أحمد بن أبي يعقوب المتوفى سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) [٣] : « قال أهل العلـــم

---

(١) ينظر بحث « لوح رياضي على نظرية لاقليدس من تل حرمل » للاستاذ طه باقر (مجلة سومر المجلد ٦ الجزء الثاني سنة ١٩٥٠ م) ص ١٩ ، كتاب تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك لقدري حافظ طوقان (القاهرة ١٩٤١ م) ص ١٢ .

(٢) ينظر شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة الالمانية زيغريد هونكه . الطبعة الثالثة بيروت١٩٧٩ ص ٧٢ .

(٣) تنظر ترجمته في الأعلام لخير الدين الزركلي . (الطبعة الثالثة) ج ١ ص ٩٠ .

إن أول ملوك الهند الذين اجتمعت عليه كلمتهم برهمن الملك الذي في زمانه كان البدء الأول ، وهو أول من تكلم في النجوم وأخذ عنه علمها . والكتاب الأول الذي تسميه الهند « السند هند » وتفسيره « دهر الدهور » ، ومنه اختصر « الارجبهر » والمجسطي ، ثم اختصروا من الأرجبهر « الأركند » ، ومن المجسطي كتاب بطليموس . ثم عملوا من ذلك المختصرات والزيجات وما أشبهها من الحساب ووضع التسعة الأحرف الهندية التي يخرج منها جميع الحساب الذي لا يدرك معرفتها ، وهي : (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) . فالأول منها هو واحد وهو عشرة وهو مائة وهو ألف ، وهو مائة ألف ، وهو ألف ألف ، وهو عشرة آلاف ألف ، وهو مائة ألف ألف ، وعلى هذا الحساب أبداً فصاعدا . والثاني : وهو اثنان ، وهو عشرون ، وهو مائتان ، وهو ألفان ، وهو عشرون ألفاً ، وهو مائتا ألف وهو ألفا ألف . وعلى هذا الحساب يجري التسعة الأحرف فصاعداً ، غير ان بيت الواحد معروف من العشرة ، وكذلك بيت العشرة معروف من المائة وكذلك كل بيت . وإذا خلا بيت منها يجعل فيه صفر ، ويكون الصفر دائرة صغيرة »[1].

ولكن التطور الذي مرّ به العرب في ظل الاسلام دفعهم الى التفكير بطريقة أخرى تكون أيسر من طريقة حساب الجمل ، وكان لاتصالهم بالحضارات القديمة أثر في اكتشاف نظام جديد ، فقد وجدوا ان الهنود تخلصوا من الرموز والحروف ووضعوا لكل رقم شكلاً يدل عليه ، ويكتسب قيمتـه من المرتبة التي يوضع فيها كمرتبة الآحاد أو العشرات أو المئات أو الألوف . وكان الفلكي محمد بن ابراهيم الفزاري الكوفي المتوفى نحو سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦ م)[2] قد ألف كتاباً سماه « السند هند الكبير » ونقل فكرة الأعداد من الهنود ووضع لها الأشكال التي عليها . وكان الفزاري هذا عالماً بالنجوم وهو الذي قال فيه يحيى بن خالد البرمكي : « أربعة لم يدرك مثلهم في فنونهم : الخليل بن أحمد ، وابن المقفع ، وأبو حنيفة ،

---

(١) تأريخ اليعقوبي (النجف ١٣٥٨ هـ) ج ١ ص ٦٥ .

(٢) تنظر ترجمته في الأعلام ج ٦ ص ١٨١ ، وقد ذكره ابن النديم في الفهرست (تحقيق رضا تجدد — طهران) ص ٣٣٢ وقال عنه : « وهو أول من عمل في الإسلام اسطرلابا ، وعمل مبطحا ومسطحا »

والفزاري » ، وقال جعفر بن يحيى : « لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو ، والاصمعي في الشعر ، والفزاري في النجوم ، وزلزل في ضرب العود »[1] .

وقد ذكر الحسين بن محمد بن حميد المعروف بإبن الأدمي[2] في زيجه الكبير المعروف بنظم العقد ، انه قدم على الخليفة المنصور في سنة ست وخمسين ومائة رجل من الهند قيّم بالحساب المعروف بالسند هند في حركات النجوم مع تعاديل معمولة على كردجات محسوبة لنصف نصف درجة مع ضروب من اعمال الفلك من الكسوفين ومطالع البروج وغير ذلك في كتاب يحتوي على عدة أبواب وذكر انه اختصره من كزدجات منسوبة الى ملك من ملوك الهند يسمى « فيغر » وكانت محسوبة لدقيقة ، فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب الى اللغة العربية وأن يؤلف منه كتاب تتخـــذه العرب أصـــلاً في حركات الكواكب فتـــولى ذلك محمد بن ابراهيم الفزاري ، وعمل منه كتاباً يسميه المنجمون « السند هند الكبير ». وتفسير السند هند باللغة الهندية الدهر الداهر . وكان أهل ذلك الزمن يعملون به الى أيام الخليفة المأمون فاختصره له أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وعمل منه زيجه المشهور ببلاد الإسلام ، وعوّل فيه على أوساط السند هند ، وخالفه في التعاديل والميل »[3] .

هذه العقلية الجبارة التي كان الفزاري يتمتع بها فتحت الطريق لعالم الرياضيات الكبير محمد بن موسى الخوارزمي المتوفى بعد سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م)[4] ، فقد أعاد كتابة « سند هند كبير » وأضاف اليه الشيْ الكثير . قال ابن النديم : « وهو من أصحاب علوم الهيئة ، وكان الناس قبل الرصد وبعده يعوّلون على زيجــه

---

(١) ينظر معجم الادباء لياقوت الحموي (تحقيق د. س . مرجليوث) القاهرة ١٩٣٠م الطبعة الثانية — طهران ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م . ج ١ ص ٣٣٦ .

(٢) ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٣٣٩ وقال : « وله من الكتب انحرافات الحيطان وعمل الساعات»

(٣) تأريخ الحكماء (وهومختصر الزوزني من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء) لجمال الدين القفطي (طبعة مكتبة المثنى بالتصوير) ص ٢٧٠ . وينظر شمس العرب تسطع على الغرب ص ٧٣ ، وينظر تراث اسلام لشاخت وبوزورث ترجمة الدكتور حسين مؤنس واحسان صدقي (الكويت ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٨ م) القسم الثالث ص ١٥٩ .

(٤) تنظر ترجمته في الاعلام ج ٧ ص ٣٣٧ .

الأول والثاني ، ويعرف بالسند هند »[1] . وألف كتابين مهمين هما : كتاب الجبر والمقابلة [2] ، وكتاب الحساب الذي شرح فيه نظـــام الأعداد والأرقام الهنديـــة .

ولكن الأرقام التي استعملها العرب لم تكن الهندية صورةً ، فبعد أن كانـــوا يكتبون الأعداد بالحروف وجدوا في طريقة الهنود سهولة ويسراً فاستخدمـــوا النظام الذي اتبعوه ، أي أنهم لم يأخذوا شكل تلك الأرقام كما هي عند الهنود ، على الرغم من أن بعض الباحثين يرجح ان الارقام (٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩) في اشكالها الهندية اشتقت من الحروف الأولى للكلمات المقابلة لهذه الأرقام الأبجدية الهندية البكترية المستعملة في شمالي الهند . أما الأرقام الثلاثة الأولى (١، ٢، ٣) فيعتقد انها جاءت على التوالي من سحبة قلم واحدة وسحبتين وثلاث سحبات متوازيـــة [3] غير أن أبا الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ ﻫ (١٠٤٨ م)[4] يقول : « وليس يجرون عـــلى حروفهم شيئاً من الحساب كمـــا نجريه عـــلى حروفنا في ترتيب الجمل . وكما أن صور الحروف تختلف في بقاعهم كذلك أرقام الحساب وتسمى « انك » . والذي نستعمله نحن مأخوذ من أحسن ما عندهم ولا فائدة في الصور إذا عرف ما وراءها من المعاني . وأهل كشمير يرقمون الأوراق بأرقام هي كالنقوش أو كحروف أهل الصين ولاتعرف إلاّ بالعادة وكثرة المزاولة ، ولا تستعمل في الحساب على التراب »[5] لقد ذكر ان الحروف الأبجديـــة والأرقام إختلفت لدى الهنود بأنفسهم في إقليم ما عنه في إقليم آخر ، واستطاع خلال رحلاته المتعددة في الهند أن يتعرف على علومهم ولغتهم وأن يشرح طريقة

---

(١) الفهرست ص ٣٣٣ .

(٢) طبع في القاهرة بتحقيق علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي احمد سنة ١٩٦٨ م .

(٣) ينظر علوم العرب الرياضية وانتقالها الى أوربة لاحمد فهمي أبو الخير (القاهرة ١٣٤٩ ﻫ - ١٩٣٠ م) ص ١٧ - ١٨ ، وكتاب الارقام العربية ص ٧٥ .

(٤) تنظر ترجمته في الاعلام ج ٦ ص ٢٠٥ .

(٥) تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة (حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٧٦ ﻫ - ١٩٥٧) ج ١ ص ١٣٦ .

أخذ العرب للارقام الهندية من غير أن يأخذوا عن الهنود شكل تلك الأرقام كما هي[١]، ومعنى ذلك أن شكل الرقم العربي ليس كشكل الرقم الهنـــدي ، وان الذي أخذه العرب هو الفكرة القائمة على النظام العشري المعروف ، لان حكماء الهند « وضعوا تسعة أرقام للعقود التسعة المشهورة » [٢] . وليس من عيب في أن يأخذ العرب ذلك ، وانما يدل على تفتحهم واستفادتهم من الحضارات القديمة ، وليس من بأس في أن يقول الاستاذ قدري حافظ طوقان « :وكان لدى الهنود أشكال عديدة للارقام هذّب العرب بعضها وكوّنوا من ذلك سلسلتين عرفت احداهما بالارقام الهندية وهي التي تستعملها هذه البلاد واكثر الأقطار الاسلامية والعربية ، وعرفت الثانية باسم الارقام الغبارية وانتشر استعمالها في بلاد المغرب والاندلس ، وعن طريق الاندلس وبوساطة المعاملات التجارية والرحلات التي قام بها بعض علماء العرب والسفارات التي كانت بين الخلفاء وملوك بعض البلاد الاوربية دخلت هذه الأرقام وعرفت فيها باسم الأرقام العربية »[٣] .

ولكن ذلك الأخذ لم يكن حرفياً ، لان صور الارقام الهندية تختلف اختلافا واضحا عن اشكال الارقام العربية [٤] ، وقد ذهب الدكتور عدنان الخطيب الى أن منشأ الأرقام العربية كان صور حروف الابجدية العربية وليس الأشكال والرموز التي كان الهنود يستخدمونها كما يزعم بعض الباحثين بلا دليل ، وانها لم تقم على تعداد الزوايا التي تحتويها صورة كل حرف[٥] . وبذلك تسقط دعـــوى من ذهب الى ان الارقام الغبارية هي العربية الأصيلة وأن الارقام المألوفة في العالمين العربي

(١) ينظر شمس العرب تسطع على الغرب ص ٨ .
(٢) مفتاح الحساب لجمشيد غياث الدين الكاشي (تحقيق احمد سعيد الدمرداش والدكتور محمد حمدي الحفني — القاهرة) ص ٤٦ .
(٣) تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ٢١ — ٢٥ . وتنظر طرق انتقالها الى اوربة في كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ص ٨٠ وما بعدها .
(٤) تنظر الأرقام الهندية في Number Words and Number Symbals P.416 وتنظر في مفتاح الحساب لجمشيد ص ٨ ، شمس العرب تسطع على الغرب ص ٨٥ ، ومجلة الطباعة العدد العاشر (١٩٨٠) ص ١٢ .
(٥) تنظر مقالته في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ٥١) ج ٢ ص ٣٩١ .

والاسلامي هندية ، وهي دعوى لم تظهر لولا ان الإثنتين عربيتان ، وان الدخول من هذا الباب الذي لا يشك فيه سهل لا يثير ما أثارته الدعـوة الى الحروف اللاتينية من شبهة معروفة في القرن العشرين .

وكان الخوارزمي قد ذكر نوعين لشكل الأرقام ، وقد ساد الأول وما يزال مستعملاً واختفى الثاني بعد ان أصبح أصل الارقام المستعملة في العالم الآن مـع اختلاف يسير ، أي ان ما يعرفه العالم الآن ليس كالشكل الذي يعرف بالارقام الغبارية وانما حدث فيه بعض التغيير ليلائم الحرف الأجنبي .

إن الأرقام العربية – كما يتضح من البحث – سلسلتان : الاولى المستعملـة الآن في معظم البلاد العربية والاسلامية وهي ما تعرف بالهندية ، والثانية الغبارية التي استعملت في الاندلس والمغرب وأخذها الاوربيون . وهذا ما ذكره الخوارزمي والمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه والعقيد الركن سالم محمد الحميدة [١] . ولكن الأخير قال أيضاً إن الخوارزمي أول من ألف كتبه بأرقام السلسلة الهندية ، وان شهرته وأهميـة مؤلفاته كانا عاملاً مهماً في انتشارها في المشـرق العربـي والبلدان الاسلامية الأخرى ، اذ ان مؤلفاته كانت هي المعمول بها في الدولة العباسية خلال تلك المرحلة ، وقد ساعد ذلك سلسلة الأرقام الهندية على الانتشار ومكّنها من ازاحة سلسلة الأرقام الغبارية في هذه الأجزاء من الدولة الاسلامية [٢] . ومعنى ذلك أن الارقام المستعملة الآن في العالمين العربي والاسلامي هي الأشكال الأصلية وليست الغبارية كما يذهب الى ذلك بعضهم وينادي بالغاء الأرقام المشرقية [٣] . لقد ثبت ان الأرقام المشرقية هي الاصل وانها هي التي شاعت قديما وحديثـا واستعملت في المخطوطات العامة او في مخطوطات الحساب . ومن ذلك كتاب

---

(١) ينظر شمس العرب تسطع على الغرب ص ٨٤ ، والارقام العربية ص ١٠٩ .

(٢) ينظر الأرقام العربية ص ٩٩ ، ١١٧ .

(٣) جاء في مقدمة مقالة السفير عبدالهادي التازي : « وقد توصل أعضاء هاته الحلقة الى التحقق من أن الارقام المغربية المستعملة الآن في العالم الغربي هي الارقام العربية الاصيلة التي يجب اعتبارها والاقتصار عليها في العد والترقيم » . (مجلة اللسان العربي ج ٢ ص ٣٦ – كانون الثاني سـنة ١٩٦٥ م) .

« رفع الإشكال في مساحة الأشكال » ليعيش بن ابراهيم بن يوسف الأموي الأندلسي المتوفى بعد سنة ٧٧٢ هـ (١٣٨٠م)[١]. وكتاب «تلخيص المفتاح» لجمشيد ابن مسعود بن محمود الكاشي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ (١٤٢٩ م)[٢] وكان الجزائريون الى سنوات قليلة يذيلون مخطوطاتهم بالأقام المعروفة ، ومن ذلك ما جاء في خاتمة « اتحاف المصنفين والادباء في الاحتراس عن الوباء » لحمدان خواجة المولود في الجزائر العاصمة سنة ١١٨٩ هـ ، فقد ذكر أنه انتهى من كتابه سنة ١٢٥٢ هـ[٣] وغير ذلك كثير جداً ، وهو يثبت ان بعض الأقطار العربية التي أخذت في الآونة الأخيرة بالرقم المغترب كانت تستعمل الرقم الأصيل الى عهد قريب . ولذلك فليس صحيحاً ما ذهب اليه الحميدة من أن الغبارية أقدم بدليل بقائها في المغرب[٤] بل العكس هو الصحيح ، أي إن تأخرها كان سبب انتقالها الى أوربة وأخذها الصورة المعروفة هناك .

إن الأرقام التي يستعملها الأجانب عربية الأصل، وقد وردت معظم صورها في بعض كتب الأندلس والمغرب، وممن ذكرها أبو محمد عبدالله (أو عبدالرحمن) ابن حجاج الأوزني البربري المعروف بابن الياسمين المتوفى ذبيحا بمراكش سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م)[٥] ، وقد قال في باب مراتب الاعداد : « اعلم ان الرسوم التي وضعت للعدد تسعة أشكال يتركب عليها جميع العدد وهي التي تسمى أشكال الغبار وهي هذه . . . وقد تكون أيضا هكذا . . . ولكن الناس عندنا على الوضع الأول ، ولو اصطلحت مع نفسك على تبديلها أو عكسها لجاز ، ووجه العمل على حاله لا يتبدل[٦] » .

---

(١) تنظر ترجمته في الاعلام ج ٩ ص ٧١. وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة منه برقم ١٢٤٧٢ .

(٢) تنظر ترجمته في الاعلام ج ٢ ص ١٣٢ .
وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة منه برقم ١٠٠٥١ ، وهي بخط علاء الدين محمد بن حسين ، وقد انتهى من نسخها سنة ٩٧٦ هـ .

(٣) طبع الكتاب في الجزائر سنة ١٩٦٨ م .

(٤) ينظر الارقام العربية ص ١١٦ .

(٥) تنظر ترجمته في الاعلام ج ٤ ص ٢٦٩ .

(٦) تلقيح الافكار في العمل برسوم الغبار . ومنه نسخة مخطوطة محفوظة برقم ٢٢٢ في الخزانة العامة بالمغرب .

ويلاحظ مما ذكره ابن الياسمين :

١ – ان النوع الاول هو الذي انتقل الى اوربة والعالم الاجنبي فيما بعد ، ولكنه ليس كالمستعمل الآن لان الأربعة والخمبسة تشذان عن ذلك ، أي انه تطوّر حينما انتقل الى اوربة ليلائم الحرف اللاتيني ، ولذلك لا يمثل هذا التطور أصالة الرقم العربي .

٢ – ان النوعين يسميان « أشكال الغبار » وان كان الناس في زمن ابن الياسمين على الوضع الأول .

٣ – ان الخلاف الواضح بينهما في اوضاعهما ما عدا (الثمانية التي تختلف اختلافاً كبيراً عن الثمانية المعروفة) .

٤ – ان كتاب « تلقيح الأفكار في العمل برسوم الغبار » لابن الياسمين أقدم وثيقة تحدثت عن أعداد الغبار واكدت انها مغربية أي عربية ، ومعنى ذلك ان هذا النوع ليس قديما وانما عرف وشاع في القرن السادس للهجرة .

٥ – ان شكل الأرقام الغبارية لم يبق على صورة واحدة وانما اختلف باختلاف الكتاب والعهود ، فمحمد بن أحمد بن يحيى المبارك التلمساني المتوفى سنة ٨٦٧ هـ (١٤٦٣ م) [1] رسم الارقام في شرحه لتلخيص ابن البناء رسماً فيه بعض الاختلاف ، ويتضح ذلك في الرقمين (٢ ، ٣) [2] . ويبدو ا لاختلاف واضحاً في صور الارقام الغبارية عند غير هذين الرجلين ، وقد أوضحهما الدكتور عدنان الخطيب بجدول ذكره في كتاب « تأريخ علم الحساب عند العرب » وفي مقالته التي نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق [3] .

إن الأشكال المختلفة التي كتبت بها الأرقام العربية لم تبق على حالها وانما أخذت تتوحد في شكل واحد جميل يلائم الحرف العربي ، وهذا الشكل هو

(١) تنظر ترجمته في الاعلام ج ٦ ص ٢٣٠ .
(٢) تنظر صورتها في مجلة اللسان العربي . ج ٣ ص ٦٨ (آب ١٩٦٥) وفي كتاب الأرقام العربية ص ٩٣ .
(٣) تنظر اللوحة الرابعة في كتاب تأريخ علم الحساب عند العرب ، وفي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد (٥١) ج ٢ ص ٣٩٢ .

السائد في معظم العالمين العربي والاسلامي في هذه الأيام . ولم يفكر بعضهم بأصالة الرقم الذي يستخدمه الأجانب إلا بعد أن دخلت اللغة الفرنسية بعض الأقطار العربية ووجدت بعض من يأخذ بها ، وإلاّ بعد أن ذكر الأجانب ذلك . تقول المستشرقة الألمانية زيغرد : « كل الأمم المتحضرة تستخدم اليوم الارقام التي تعلمها الجميع عن العرب ، ولولا تلك الأرقام لما وجد اليوم دليل تليفونات أو قائمة أسعار أو تقرير للبورصة ، ولما وجد هذا الصرح الشامخ من علوم الرياضة والطبيعة والفلك ، بل لما وجدت الطائرات التي تسبق الصوت أو صواريخ الفضاء . لقد كرمنا هذا الشعب الذي منّ علينا بذلك الفضل الذي لا يقدر حين أطلقنا على أرقام الأعداد عندنا اسم الأرقام العربية »[1] .

إن الرقم المألوف كان شائعاً الى وقت قريب ، ففي الجزائر – مثلاً – كانت الصحف العربية تستخدمه ، ويتضح ذلك في « المنتقد » و « الشهاب » اللتين كان عبدالحميد بن باديس يصدرهما منذ عام ١٩٢٥ م ، وفي « البصائر » التي كان يصدرها ويحرر فيها منذ سنة ١٩٣٥ م محمد سعيد الزاهري والطيب العقبي ومبارك بن محمد الميلي ومحمد البشير الابراهيمي . وكان الرقم نفسه يكتب في الاجازات العلمية والنصب التذكارية والمقابر والمخطوطات[2] . وحينما أصدرت الجزائر أول عملة وطنية سنة ١٩٦٤ كان الرقم المألوف عليها غير ان التحول بدأ

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٦٨ .

(٢) في زيارتي للجزائر التي تمت بين ٤/١٤ و ١٩٨٠/٥/١٤ اكتشفت هذه الحقيقة ، فقدرأيت ان العملة كانت تستخدم الرقم العربي ، ووجدت المخطوطات والصحف التي كانت تصدر في عهد الاحتلال الفرنسي تستعمل الرقم نفسه . والتقيت بعدد من المثقفين الذين أكدوا لي ذلك أيضاً ، وزرت الاستاذ الطيب ابراهيم المختار رئيس الفرقة التجارية والصناعية لمدينة وهران وهو في السبعين من عمره وتحدثت معه بهذه المسألة وقد رأيت الرقم العربي مكتوباً على لوحة تنصيب أول وكالة لأعضاء الفرقة التجارية وهو الثلاثون من ذي الحجة سنة ١٣٨٢ هـ الموافق الرابع والعشرين من أيار عام ١٩٦٣ م . وأطلعني على اجازة والده العلمية وهي مؤرخة في الرابع والعشرين من شعبان سنة ١٣٣٢ هـ ، وحدثني عن الشعب الباسل الذي كان يتحدى المستعمر بحرفه المعطاء ورقمه العربي . وزرت بعض المقابر وشاهدت ما كتب عليها ، ومنها مقابر جامع سيدي بومدين ومقابر مدرسة ابن خلدون في مدينة تلمسان وغيرها . لقد كان الرقم العربي وضاء في تلك المجالات كلها ، ولكنه بدأ ينحسر في المغرب العربي بعد الصيحة التي نادت بها مجلة اللسان العربي في عام ١٩٦٥ م .

يطرأ وأخذ رقم قيمة العملة وتأريخ اصدارها يكتبان بالرقم المغترب ، ويتضح ذلك في الدينار وخمسه اللذين صـدرا في عام ١٩٧٢ وفي الخمسة السنتيمات التي كتب عليها تأريخ (١٩٧٤ – ١٩٧٧) .

إن الرقم الأجنبي عربي ولكنه مغترب، اما الرقم المألوف فقد ظل مرتبطاً بالحرف العربي ، أي ان السلسلتين عربيتان على الرغم من أن الاولى تسمى « الهندية » والثانية تسمى « الغبارية » ، ولكن الاولى « أكثر عراقة ، وأبعد انتشاراً ، وأشـد التصاقاً بالتراث العربي الاسلامي ، وأوضح أثراً في كنوز الخط العربي»[1].

هذا ما كان من أمر الرقم العربي ، ويتضح مما تقدم :

١ – ان العرب أخذوا عن البابليين او الهنود النظام العشري .

٢ – ان العرب أخذوا عن الهنود فكرة الأرقام ولم يأخذوا أشكالها وصورها .

٣ – ان العرب استعملوا الأرقام المألوفة في كتب الحسابات والمخطوطات طوال القرون السابقة وما يزال الف مليون عربي ومسلم يستعملها في القرن العشرين .

٤ – ان الارقام الغبارية لا تتفق كل الاتفاق مع ما طوّره الاوربيون أي ان الصورة عربية النجار اوربية الدثار .

٥ – ان الارقام الغبارية لم تشع إلا في بعض الأجزاء من العالم العربي ، ولم تعرف إلاّ في بعض المخطوطات التي اتخذت دليلاً على هجر ما ألفه الناس وكتبوا به زمنا طويلا .

٦ – ان بعض الاقطار استعملت الارقام المألوفة في صحافتها واجازاتها العلمية ومخطوطاتها ومقابرها وعملتها ، ولم تستعمل الرقم المغترب إلاّ قبل أعوام قليلة.

فالسلسلة التي تستعمل الآن هي الأساس ولا يزال أكثر من ألف مليون عربي ومسلم ومستشرق يكتبون بها فلماذا يسعى بعضهم الى تغييرها ويدعو الى نقل الارقام التي استقرت في أوربة؟ لماذا تغير وقد استقرت في الكتب وارتبطت ارتباطاً وثيقاً. بحركة تطور الخط العربي وأصبحت جزءاً منه ، واستقامت فيأيدي الكتاب ، وانسجمت في الطباعة مـع الحروف العربية ؟ يقول الدكتور عدنان الخطيب

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ٥١ ، الجزء الثاني) ص ٣٩٥ .

« ظلت أحرف الأرقام المشرقية سائدة في مجملها جميع بلاد المشرق العربي والاسلامي وتطورت مع تطور الحرف العربي وأنواع الخطوط العربية والفارسية والعثمانية مسايرة بذلك ليونة هـذا الحرف وميزاته الانسيابية في مختلف الخطوط المعروفة حتى انها أصبحت اليوم وبعد ألف سنة من عمرها المديد جزءاً من التراث العربي الاسلامي في كتابة العربية ولغات الشعوب الاسلامية من فارسية وعثمانية وأردية وأفغانية وشعوب أخرى ما زالت تكتب لغاتها بالحرف العربي وان اختلفت صور بعض الارقام من بلد الى بلد . أما أحرف الارقام الغبارية فلاشك في أصالتها وجمال بعض الصور التي انتهت اليها في مختلف بلدان العالم وهي تتـلاءم كثيراً مع الخطوط المزوّاة وغير اللينة » [1] .

إن كتابة بعض الارقام الحالية تنطبق على النطق بها ولا سيما أعـداد العقود المعطوفة (٢١ ، ٢٢ . . .) وسيؤدي الاخذ بالارقام المغتربة الى كتابتها كما تكتب في معظم اللغات الأجنبية أي من اليسار الى اليمين ، وسيؤدي ذلك الى تغيير النطق بها لتنسجم مع الكتابة فيقال في الخمسة والعشرين « عشرون خمسة » وما هكذا نطقت العرب . يضاف الى ذلك ان الارقام المألوفة بسيطة أي ليست معقدة فكتابة الاثنين والاربعة والخمسة والستة والثمانية أسهل من كتابتها بالارقام المغتربـة التي تستغرق وقتاً أطول في الكتابة وجهداً أعظم في الاستدارة ولا يحتاج الصفر الى جهد في كتابته وان كان أحياناً يثير إشكالا إذا لم يكن واضحا ، ولكن الناس قد اعتادوا في الحسابات أن يذكروا الرقم او مجموع الارقام كتابة لئلا يحدث التباس او تزوير ، وهو ما يفعله الأجانب أيضاً خشية أن تضاف أرقام أخرى. ولا يخص ذلك الصفر العربي بل يشمل المغترب ايضا اذ يمكن أن يصير ستة أو ثمانية أو تسعة ، ولذلك كان موضع تساؤل من الأجانب وكانوا يقولون : « ألا يمكن بمنتهى السهولة لمن شاء الخداع أن يغير الصفر (0) مثلاً ليصبح (6)ستة؟ ان الطريقة الجديدة تسهّل علينا أعمالنا ولكنها تفتح باب الخداع على مصراعيه فكيف نأمنها في ابرام العقود والمواثيق ؟ »[2] .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ٥١ ، الجزء الثاني) ص ٣٩٥ .
(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٩٥ .

إن الارقام بنوعيها عربية ، ولكن ما اعتاد الناس عليه وشاع في انحاء العالمين العربي والاسلامي خير من النادر والاستعمال . وليست المسألة هنا قضية تفضيل وانما هي مسألة شيوع ، واذا كانت حجة العودة الى الارقام الغبارية انها عربية فلتؤخذ كما استعملت في العالم الاسلامي في مراحلها الاولى لا كما يستعملها الأجانب الآن، لأن العربية ترفض أرقاما لبست حلة غربية وان كانت عربية النجار.

إن الأخذ بالرقم كما طوره الأجانب تنكر للتراث العربي والاسلامي الذي سارت معه الأرقام قروناً طويلة ، وسيؤدي ذلك الى حرمان الأجيال الجديدة منه ، وليس في ذلك مصلحة للعرب والمسلمين ، وسيؤدي أيضاً الى صرف أموال طائلة من أجل اعادة طبع الكتب بالأرقام الجديدة وتغيير أجهزة الطباعة وأرقام آلات الكتابة التي تعدّ بالملايين . ولكن الأخطر من ذلك كله هو البدء بالتفكير في الخطوة الجديدة وهي الأخذ بالحرف الاوربي لينسجم مع الارقام ، أي انه العودة الى ما دعا اليه المستعمرون ، وأنصارهم ، وهو الأخذ بلغات أوربة ليتقدم العرب والمسلمون بعد أن تأخروا لأخذهم بلغة القرآن . وليس هذا تصوراً أو خيالاً فقد بدأت الدعوة باصدار صحف باللهجات المحلية أو بالحرف الأجنبي، وبدأت بعض المجلات العربية تكتب بخطوط بعيدة عن الحرف العربي الجميل، وبدأت تشيع عجمة الحرف بعد أن أشاعت عجمة اللسان .

وأخطر من ذلك الخطر ان الدول الاسلامية ستهتز الصورة لديها وربما فكرت قبل العرب بتغيير حروفها وأرقامها ما دام العرب انفسهم لم يحافظوا على تراثهم ولغة دينهم .

إن الاقدام على التغيير لا بدّ من ان يعقبه نفع عظيم ، وليس في تغيير الارقام شيٌ من ذلك وانما هي دعوة تثير البلبلة . وتخلق الاضطراب في وقت لم يعد لمثلها ان تظهر لتشغل العرب عن قضاياهم . ومن الخير ان يرجع بعضهم الى الرقم المألوف بعد ان استعمله الآباء والاجداد، وبعد أن استعمله الأبناء في ظل الاحتلال وكان معلما من معالم الاعتزاز ، وصورة من صور تحدي الاستعمار .

وصفوة القول : ان الأخذ بالرقم المغترب يؤدي الى :

١ -- قطع الصلة بكتب التراث العربي الاسلامي .

٢ -- اعادة طبع كتب التراث بالارقام الجديدة .

٣ -- تحويل ألف مليون عربي ومسلم الى اسلوب جديد في كتابة الارقام .

٤ -- تحويل النطق بالارقام العربية ولا سيما أعداد العقود المعطوفة ، أي تغيير اسلوب العدد في الكلام والتركيب .

٥ -- تغيير أجهزة الطباعة وتغيير أرقام الآلات الكاتبة، وفي ذلك خسارة اقتصادية عظيمة .

٦ -- دفع الدول الاسلامية الى تغيير الحرف العربي ليلائم الرقم الجديد.

٧ -- الانطلاق نحو تحقيق ما سعى اليه المستعمرون وأنصارهم وهو الأخذ بالحرف الأجنبي أولاً ثم الأخذ بلغة أجنبية ثانياً ، ليتقدم العرب بعد أن تأخروا لأخذهم بلغة القرآن . وليس ذلك ببعيد ، فقد وجد بعضهم في صلة الرقم الاوربي بالعرب وتسميته « الرقم العربي » سبيلاً تفضي به الى هذه الغاية بعد أن أخفق في فرض الحرف الاوربي لانه غريب عن حضارة العرب.

إن الدعوة الى تغيير الارقام فتنة وان اتخذت سمة عربية ، وانها ستصيب العرب والمسلمين جميعاً ، وقد قال سبحانه وتعالى : « واتقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أنّ اللهَ شديدُ العِقاب » .



حقوق الدول عديمة السواحل في الملاحة في البحار وفي الوصول اليها

الدكتور محمد الحاج حمود

كلية القانون والسياسة — جامعة بغداد

الدول عديمة السواحل هي الدول التي ليس لها سواحل تطل منها على بحر من البحار [1] . ولعلاقة هذه الدول بالبحار ثلاثة جوانب مختلفة :

— يتعلق الأول منها بحق هذه الدول في الملاحة في البحار .

— ويتعلق الجانب الثاني بحقها في المرور عبر أقاليم الدول المجاورة لغرض الوصول الى البحار .

— اما الجانب الثالث فيتعلق بمدى ما تتمتع به هذه الدول من حقوق في المشاركة في استثمار الثروات الحية وغير الحية للبحار .

وموضوع هذه الدراسة ينصب على بحث الجانبين الأول والثاني من علاقة الدول عديمة السواحل بالبحار وبيان موقف قانون البحار التقليدي منها وما أصابها من

---

(١) درج الكتاب على اطلاق تسميات مختلفة على هذه الدول كالدول المغلقة والدول المحاطة باليابسة والدول الحبيسة . وبما ان الامر يتعلق بواقع جغرافي معين هو عدم الاطلال على البحار ، لـذا وجدنا ان استعمال تسمية « الدول عديمة السواحل » هواقرب التسميات الى هذا الواقع الجغرافي وابعدها عن الغموض الذي قد تسببه التسميات الاخرى. ويبلغ مجموع الدول عديمة السواحل في العالم في الوقت الحاضر ٣٩ دولة، ٩ منها اوربية و ١٣ افريقية ودولتان في امريكا اللاتينية و ٥ دول اسيوية . انظر في الملاحظات الاحصائية حول هذه الدول :

L. LUCCHINI et M. VOELCKEL
Les Etats et la mer. Paris, la Documentation Française, 1978, P. 55 et ss.

تطور في مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار [1] . اما الجانب الثالث المتعلق بالمشاركة في استثمار ثروات البحار فسيكون موضوعا لبحث آخر يشمل كل الدول المتضررة بسبب موقعها الجغرافي .

يعود حق الدول عديمة السواحل في تسيير السفن في البحار الى معاهدة وستفاليا لعام ١٦٤٨ والى المعاهدات التي انهت الحروب النابليونية ، حيث طرحت هذه القضية بصورة غير مباشرة مع مشكلة حرية الملاحة في الأنهار الدولية ومع مشكلة حرية المرور (الترانزيت) . ثم تدرج استقرار هذا الحق منذ معاهدة باريس المعقودة في ٣٠ مايس ١٨١٤ ومرورا بمعاهدات الصلح لعام ١٩١٩[2] والى أن استقر نهائياً في تصريح برشلونة لعام ١٩٢١ . وكانت سويسرا الدولة المغلقة الأولى التي سيرت اول سفينة في عرض البحار ترفع علمها عام ١٨٦٤ . وقد لاقى هذا التصرف القبول والاعتراف من قبل أهم الدول البحرية عندما حيّت سفن تلك الدول السفينة السويسرية عند دخولها احد الموانئ اليابانية [3] .

---

(١) دعت الامم المتحدة الى عقد هذا المؤتمر بقرار من الجمعية العامة برقم ٣٠٦٧ في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٢ . وعقد المؤتمر دورته الاولى في نيويورك عام ١٩٧٣ والثانية في كاراكاس عام ١٩٧٤ والثالثة في جنيف عام ١٩٧٥ والرابعة والخامسة في نيويورك ١٩٧٦ والسادسة في نيويورك ١٩٧٧ والسابعة في جنيف ونيويورك عام ١٩٧٨ والثامنة في جنيف ونيويورك عام ١٩٧٩ التاسعة في نيويورك وجنيف عام ١٩٨٠. ومن المؤمل ان يوقع على النص النهائي للاتفاقية المقبلة لقانون البحار في كاراكاس عام ١٩٨١ .

(٢) لقد نصت اتفاقيات الصلح لعام ١٩١٩ على هذا الحق في المادة ٢٧٣ من معاهدة فرساي والمادة ٢٢٥ من معاهدة سان جرمان والمادة ١٥٣ من معاهدة نيي والمادة ٢٠٩ من معاهدة تريانون. انظر في موقف اتفاقيات الصلح لعام ١٩١٩ من الدول المغلقة كل من فوشي

P. FAUCHILLE : Traité de droit international public, Paris, 1925, t. I, 2e Partie, P. 33.
G. GIDEL : Le droit international public de la mer. Chateauroux, 1932, t. I, P. 79.

(٣) انظر في تفاصيل ذلك دوفيرون :

O. De FERRON : Le droit international de la mer. Paris — Genève, 1958, t. I, P. 77.

ان الاعتراف للدول عديمة السواحل بهذا الحق وببقية الحقوق ينتج عن مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين الدول . فالدولة ، حسب قول محكمة العـدل الدولية ، « تملك جميع الحقوق والواجبات الدولية المعترف بها في القانون الدولي»[١]. ويعتبر هذا المبدأ من الأركان الأساسية التي قامت عليها منظمة الأمم المتحدة[٢]. وهكذا ينطبق القانون الدولي للبحار بكل ما يتضمنه من حقوق والتزامات على الدول الساحلية وعلى الدول عديمة السواحل على حد سواء ، ولهذا يجب تفسير كل إشارة ترد بصورة مطلقة ، سواء في اتفاقيات جنيف للبحار لعام ١٩٥٨ أم في غيرها من الاتفاقيات المتعلقة بالبحار على أنها تشمل الدول الساحلية والدول غير الساحلية[٣] وهذا ما اكده نص المادة الرابعة من إتفاقية جنيف للبحر العالي لعام ١٩٥٨ بقوله ان « لكل الدول سواء كانت ساحليّة ام غير ساحلية ، الحق في أن تسير سفنا ترفع علمها في البحار العالية » . وهو ما اكدته ايضاً الفقرة الأولى من المادة الرابعة عشرة من اتفاقية جنيف للبحر الاقليمي والمنطقة المتاخمة لعام ١٩٥٨ بقولها « مع مراعاة أحكام هذه المواد فان سفن جميع الدول سواء أكانت ساحلية أم غيرها ، تتمتع بحق المرور البرئ في البحر الاقليمي » .

ولم يثر هذا الموضوع أية صعوبة في المؤتمر الثالث لقانون البحار عند مناقشة المواد المتعلقة به ، بل كانت هذه المواد موضع اتفاق عام بحيث وصلت الى النص المركب غير الرسمي للتفاوض دون تعديلات جوهرية[٤] .

---

(١) في رايها الافتائي الصادر في ١١ نيسان ١٩٤٩ فيموضوع تعويض الاضرار التي تصيب موظفي الامم المتحدة . مجموعة قرارات المحكمة ، ١٩٤٩ ، ص ٨٠ .

(٢) فقد ورد في ديباجة ميثاق المنظمة «.. وان نؤكد من جديد ايماننا .. وبما .. للامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية »، وفي الفقرة الثانية من المادة الاولى منه « انماء العلاقات الودية بين الامم على اساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب .. » .

(٣) ثييري :

H. THIERRY : Les Elats privés de Litoral maritime. RGDIP, 1958, P. 614.

(٤) صدر هذا النص عن المؤتمر الثالث لقانون البحار في نهاية دورته السادسة التي عقدت في نيويورك للفترة من ٢٣ مايس لغاية ١٥ تموز ١٩٧٧ تحت رقم **A/CONF. 62/WP. 10** وهو عبارة عن تجميع وتنقيح للنص الوحيد غير الرسمي للتفاوض (الوثيقة **A/CONF. 62/WP. 8**)+

لقد ساوت المادة ١٧ من ذلك النص بين الدول الساحلية وغير الساحلية في حق التمتع بالمرور البرئ في البحر الاقليمي بقولها « رهنا بمراعاة أحكام هذه الاتفاقية . تتمتع سفن جميع الدول ، سواء كانت ساحلية أم غير ساحلية ، بحق المرور البرئ عبر البحر الاقليمي » . كما أن الفقرة الأولى من المادة ٥٢ اعترفت بنفس الحق للدول غير الساحلية في المياه الارخبيلية . وكذلك الحال بالنسبة للمادة ٨٧ التي قررت في صدر فقرتها الأولى ان « تكون البحار العالية مفتوحة أمام جميع الدول ، سواءً أكانت ساحلية أم غير ساحليّة . . » .

ولا تقتصر المساواة على الملاحة فقط بل تشمل أيضاً المساواة في التحليق في اجواء البحر العالي ومد الاسلاك والأنابيب على قاع البحر العالي والجرف القاري للدول المختلفة . لقد تأكد ذلك بوضوح في أحكام الفقرة الأولى من المادة الثانية من اتفاقية البحر العالي لعام ١٩٥٨ والمادة الرابعة من اتفاقية الجرف القاري لعام ١٩٥٨ والمادة الأولى من إتفاقية الصيد وصيانة موارد الثروة البحرية في البحار العالية لعام ١٩٥٨ . وتأكد أيضاً وبنفس الصورة في أحكام المواد ٣٨ و ٥٤ و ٥٨ و ٧٩و٨٧ من النص المركب في تنقيحه الثاني والمادة الأخيرة تشتمل ، إضافة الى ما سبق . على المساواة في حق الصيد في البحر العالي .

وهكذا يمكن القول أنه لا توجد مشكلة فيما يتعلق بتطبيق القانون الدولي للبحار بالنسبة للحقوق المذكورة أعلاه . اذ أصبح من المتفق عليه في الوقت الحاضر أن الدول عديمة السواحل تستطيع استعمال المجال البحري بنفس الطريقة التي تستعمله فيها الدول الساحليّة تقريبا . اما المشكلة المعقدة فهي كيفية وصول تلك الدول الى البحر لممارسة حقوقها عليه ، أي مشكلة المرور عبر أقاليم الدول المجاورة[1].

\+ والنص الوحيد المنقح غير الرسمي للتفاوض »(الوثيقة A/CONF. 62/WP. 8 / Rev. 1) وقد صدر للنص المركب التنقيح الاول في نهاية الدورة الثامنة للمؤتمر والتنقيح الثاني في نهاية القسم الاول من الدورة التاسعة له .

(١) سنطلق تعبير دول المرور بالنسبة الى هذه الدول ، وهي لا تقتصر على الدول الساحلية المجاورة +

لقد سبق للفقه الدولي ان اهتم ببحث مشكلة نفاذ الدول عديمة السواحل الى البحر . وأيّدت الغالبيّة الساحقة من الفقهاء الدوليين حق هذه الدول في الوصول الى البحار . الا أنّ الاختلاف كان منصباً على تبرير هذا الحق . ويمكن تقسيم اراء هذه المجموعة من الفقهاء الى ثلاثة اتجاهات [1] . .

١ – الاتجاه الأول يبرر وجود هذا الحق بالقانون الطبيعي . يقول شارل دوفيشر ان مشكلة النفاذ الى البحر تمثل تعارضا بين فكرتين رئيسيتين ، فكرة حرية المواصلات الدولية ، التي تمثل مجموعة مصالح عالمية ، وفكرة السيادة الاقليمية . وبما أن البحر في جميع الأوقات هو مشترك **res communis** للانسانية اذا فعليه يكون لجميع الدول الحق في المشاركة في استخدامه ، وان هذا الحق مستمد من القانون الطبيعي [2] . لقد سبق ان ورد هذا الرأي في المذكرة التي رفعها جفرسون **Th. Jefferson** عام ١٧٩٢ للمطالبة بحق الولايات المتحدة في حرية الملاحة في مصب نهر المسيسبي . كما ورد في القانون الصادر عن الثورة الفرنسية في ٢٠ ايلول ١٧٩٢[3] .

٢ – ويستند الاتجاه الثاني في تبرير هذا الحق الى مبدأ حرية البحار نفسه . فيرى مارسيل سيبير **M. Sibert** ان هذا الحق هو النتيجة المنطقية لمبدأ حرية البحار . والى نفس هذا الرأي ذهب كل من جورج سل **G. Scelle** وهايد **Ch. Hyde**[4]

+ وانما هناك دول مرور عديمة السواحل أيضاً ، كما هو الحال بالنسبة الى لشتنشتاين التي تمر عبر اراضي سويسرا والنمسا وهي دول عديمة السواحل أيضاً. الا ان هذه الحالة نادرة وان دول المرور تكون عادة دولا ساحلية .

(١) انظر تفاصيل ذلك في المذكرة التي قدمتها الأمانة العامة للامم المتحدة الى مؤتمر جنيف لعام ١٩٥٨ حول الدول عديمة السواحل برقم **A/CONF. 13/29 et add. 1** والمنشور في الجزء الاول من الوثائق الرسمية لمؤتمر الامم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٥٨ . ص ٣١٢ وما بعدها من الطبعة الفرنسية .

(٢) شارل دوفيشير :

Charles De VISSCHER : Le droit international des communi - cations. Gand — Paris, 1923, P. 6 et ss.

(٣) مذكرة الامانة العامة للامم المتحدة ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣١٣ . ومعلوم ان مندوبي الدول عديمة السواحل اعتمدوا هذا الرأي اكثر من غيره عند مناقشة هذا الموضوع في مؤتمرات البحار ، كما سنرى فيما بعد .

٣ ــ أما الاتجاه الثالث فيبرر هذا الحق بفكرة الارتفاق في القانون العــام . وهي فكرة مقتبسة من القانون الداخلي . وفي ضوء هذا الرأي يكون حق الدول عديمة السواحل بالوصول الى البحر عبر أقاليم الدول المجاورة موجوداً بغض النظر عن وجود أو عدم وجود اتفاقية دولية تنص عليه . انه موجود بحكم الموقع الجغرافي للدول المعنيّة . وممن قال بهذا الرأي جوفر دولابراديل G. De Lapradelle وبوتر P. Potter وكروسن G. Crusen وفــالي F. A. Vali وفــوشي P. Fauchille ولوترباخت H. Lauterpacht وآخرين غيرهم[1] . وقد قدمت حكومة البرتغال حججاً مماثلة في القضية التي رفعتها ضد الهند عام ١٩٥٥ حول المرور عبر الاراضي الهندية للوصول من والى المستعمرات البرتغالية ، والتي صدر قرار المحكمة حولها في ١٢ نيسان ١٩٦٠ . فقد استندت البرتغال في ادعائها بهذا الحق الى وجود قاعدة عرفية دولية تضمن حقها في المرور عبر الأراضي الهندية لغرض الوصول الــى مستعمراتها هناك ، باعتبار ان هذا الحق ضروري وبدونه لا تستطيع ممارسة السيادة على تلك الأقاليم . فالقاعدة العرفية هنا ، حسب رأي الحكومة البرتغالية ، تقوم على أساس الضرورة Opinion necessitatis أكثر من قيامها على أساس الوجود القانوني الصرف Opinio juris . اضافة الى استقرار قاعدة في الأنظمة القانونية المختلفة يحق بموجبها لصاحب العقار أن يمر عبر عقار جاره للوصول الى عقاره ان لم يكن لذلك العقار منفذ آخر ، ووفقاً للمادة ٣٨-١-ج من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية يمكن القول بوجود هذا الحق عن طريق القياس وعلى أساس مبادئ القانون العامة المعترف بها من الأمم المتمدنة . اذ يكون للدولة عديمة السواحل الحق بالمرور عبر أقاليم الدول المجاورة . الا أن المحكمة الدولية لم تأخذ بهذه الحجج[2] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٣.

() انظر تفاصيل هذه الحجج وتعليق كافلش على وجهات نظر اطراف هذه القضية في :
L. C. CAFLISCH : Land — Locked and geographically disad— vantaged states and the new law of the sea. in Thesaurus Acroasium, Vol. VII. Institute of public international law and international relations of Thessaloniki, Thessaloniki, 1977, PP. 363 — 364.

ومقابل هذا الاتجاه الغالب في الفقه الدولي ، هناك اتجاه آخر يرى ان وجود هذا الحق يرتبط بالاتفاق الدولي . فالدولة عديمة السواحل لا تستطيع المرور عبر أقاليم الدول المجاورة الا بعد موافقتها . فالدولة المجاورة صاحبة سيادة على الأقاليم ولا يمكن تقييد هذه السيادة او الانتقاص منها الا بارادة تلك الدولة . وقد دافع عن هذا الرأي عدد من الفقهاء ، منهم ماكنير A. McNairومعلوم ان هذا الرأي ينسجم مع موقف الدول الساحلية ومع التعامل الدولي في هذا الشأن [1] .

أما على نطاق الاتفاقيات متعددة الاطراف فلم يتأكد حق الدول عديمة السواحل في النفاذ الى البحر بشكل صريح وواضح كمبدأ قانوني معترف به وقابل للتنفيذ تلقائياً وانما خضع للعديد من القيود . فالمادة الثانية من اتفاقية جنيف الخاصة بالنظام الدولي للموانئ البحرية المعقودة في التاسع من كانون الأول ١٩٢٣ منحت سفن الدول المتعاقدة معاملة السفن الوطنية او معاملة سفن الدولة الأكثر رعاية ، وما يزيد عن ذلك يخضع لمبدأ المعاملة بالمثل . كما أخضعت اتفاقية نيويورك المتعلقة بمرور تجارة الدول عديمة السواحل المعقودة في ٨ تموز ١٩٦٥ حق هذه الدول بالنفاذ الى البحر الى المعاملة بالمثل . ولم يتعدّ نطاق الاعتراف بهذا الحق هذه الحدود في بقية الاتفاقيات متعددة الاطراف كاتفاقية برشلونة حول حرية المرور المعقودة في ٢٠ نيسان ١٩٢١ والاتفاق العام للاتفاقيات للتعريفات الجمركية والتجارة GATT لعام ١٩٤٧ وميثاق هافانا لعام ١٩٤٨ وتصريح بوينس ايرس الاقتصادي الصادر في ٣ ايلول ١٩٥٧ [2] .

ونظراً لعدم كفاية الاتفاقيات متعددة الأطراف اعتمدت الدول عديمة السواحل في حل هذه المشكلة ، منذ القرن التاسع عشر ، على عقد الاتفاقيات الثنائية مع الدول المجاورة . وقد كانت الاتفاقية المعقودة في ١٦ آذار ١٨١٦ بين كل من

---

(١) مذكرة الامانة العامة للامم المتحدة ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ وكافلش ، المصدرالسابق ، ص ٣٦٤ .

(٢) للمزيد من المعلومات حول هذه الاتفاقية ، راجع دوفيرون ، المصدر السابق ، ص ٧٩ — ٨٠ وكافلش ، المصدر السابق ، ص ٣٦٤ وما بعدها .

ساردينيا والاتحاد السويسري وكانتون جنيف الاتفاقية الثنائية الاولى في هذا المجال . وقد ازداد ابرام مثل هذه الاتفاقيات فيما بعد ، نذكر منها على سبيل المثال الاتفاقية البريطانية الاثيوبية المعقودة في ١٥ مايس ١٩٠٢ التي منحت بريطانيا حق اقامة سكة حديد بين اوغندا والسودان . والاتفاقية المعقودة بين بريطانيا وجنوب افريقيا والمتعلقة بسوازيلاند والمعقودة في ٢٤ تموز ١٨٩٠ . والاتفاقيتان المعقودتان بين مالي والسنغال في ٨ حزيران ١٩٦٢ و ٢٦ تموز ١٩٦٨ . والاتفاقية المعقودة بين النيجر وفولتا العليا في ١٠ تشرين اول ١٩٦٦ . والاتفاقية المعقودة في ٢١ نيسان ١٩٢١ بين المانيا وبولونيا ومدينة دانزج الحرة . والاتفاقية المعقودة في ٢٨ تشرين اول ١٩٢٢ بين فنلندة والاتحاد السوفياتي . والاتفاقية المعقودة بين تشيكوسلوفاكيا وايطاليا في ٢٣ آذار ١٩٢١ . وثلاث اتفاقيات معقودة بين هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا في الاعوام ١٩٥٣ و ١٩٦٣ و ١٩٦٤ . والاتفاقية المعقودة بين هنغاريا وبلجيكا في ٢٠ آذار ١٩٦٧ . واتفاقيتا هنغاريا مع يوغسلافيا المعقودتان في ٩ شباط ١٩٦٢ و ٢٥ مايس ١٩٦٥ . واتفاقيتا النمسا مع بلجيكا عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٤ ومع تشيكوسلوفاكيا عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٧ ومع هولندة عام ١٩٥٩ والاتفاقية المعقودة بين بوليفيا والبرازيل في ٢٧ آذار ١٨٦٧ . والاتفاقية المعقودة بين باراغواي والارجنتين في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٧ . والاتفاقيات المعقودة بين الهند والنيبال في ٣١ تموز ١٩٥٠ و ١ تشرين ثاني ١٩٦٠ و ١٤ اب ١٩٧١ . والاتفاق المعقود بين بريطانيا وافغانستان في ٢٢ تشرين ثاني ١٩٢١ ، والاتفاقيات المعقودة بين افغانستان وكل من ايران وباكستان وتركيا في ١ شباط ١٩٦٢ . واتفاقيتا ٢ آذار ١٨٦٥ و ١٨ مايس ١٩٦٩ بين افغانستان وتركيا حول مرور البضائع والأشخاص [1] .

ومن مراجعة احكام تلك الاتفاقيات الثنائية يمكن استخلاص بعض الخطوط العريضة التي تعتبر قاسماً مشتركاً بينها . انّ اهم المبادئ التي تضمنتها تلك

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول احكام هذه الاتفاقيات وغيرها، راجع مذكرة الامانة العامة للامم المتحدة سالفة الذكر ، ص ٣١٤ وما بعدها . وغو فنداراج :

V. C. GOVINDARAJ : Land — Locked states and their right of access to the Sea. I. J. I. L., Vol. 14, No. 2, April — June 1974, PP. 193 — 199.

الاتفاقيات هي الاعتراف للدول عديمة السواحل بالمرور عبر أقاليم دول المرور المجاورة . وتطبيقاً لهذا المبدأ فانها قضت ، بصورة أو بأخرى ، بانشاء طرق برية وسكك حديد من قبل احدى الدولتين المعنيتين او كليهما واستعمال الطرق والسكك الحديد القائمة وحرية مرور الاشخاص والبضائع وفقاً للقوانين والقواعد القائمة في الدول المتعاقدة ، والاعفاء من الضرائب والرسوم مقابل مرور الأشخاص والبضائع عبر الاقليم وضمان مرور وسائل النقل المناسبة دون تأخير غير ضروري وانشاء مخازن لحفظ البضائع بمعدلات معقولة والتعاون في الجوانب الادارية لتجنب أي تأخير او عرقلة في المرور وضمان مناطق حرة وتسهيلات أخرى للدولة المغلقة في موانئ دولة المرور البحرية . وفيما يتعلق بالرقابة الجمركية في تلك المناطق الحرة فان تلك الاتفاقيات اختلفت بين فرض الرقابة الكمركية من قبل سلطات الدولة عديمة السواحل او فرضها من قبل دولة المرور او تركها دون رقابة جمركية [1] .

وعند اعداد مشروع اتفاقيات البحار عام ١٩٥٦ ، لم تتطرق لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة الى هذه المسألة . الا أن جهود بعض الدول عديمة السواحل [2] أدّت الى أن يضاف الى قرار الجمعيّة العامة للأمم المتحدة ، رقم ١١٠٥ (١١) الصادر في ٢١ شباط ١٩٥٧ والداعي الى عقد مؤتمر جنيف فقرة توصي بدراسة مشكلة نفاذ الدول عديمة السواحل الحر الى البحر « وفقاً للتعامل للتعامل الدولي والاتفاقات الدولية للدول عديمة السواحل » [3] .

---

(١) غوفنداراج : المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(٢) وهي كل من افغانستان والنمسا و بوليفيا والنيبال و باراغواي وتشيكوسلوفاكيا. وقد تقدمت هذه الدول بمشروع قرار الى الجمعية العامة لهذا المعنى . انظر الوثائق الرسمية للجمعية العامة ، الدورة الحادية عشرة ، الملاحق ، النقطة ٥٣ من جدول الاعمال ، الوثيقة A/ 3520 ، الفقرة ١٤.

(٣) لقد سبق للجمعية العامة للامم المتحدة ان أبدت جهود هذه الدول في قرارها المرقم ١٠٢٨ (١١) المتخذ في ٢٠ شباط ١٩٥٧ بقولها «ان من الضروري ان تتمتع الدول عديمة السواحل بتسهيلات المرور العابر المناسبة اذا رغبنا في تشجيع التجارة الدولية ». ودعا القرار جميع الدول الاعضاء في ألامم المتحدة الى « الاعتراف الكلي ، في مجال تجارة المرور العابر ، بحاجات الدول الاعضاء غير الساحلية ، وبالتالي منحها تسهيلات ملائمة حسب القانون الدولي و التعامل، مع الأخذ بنظر الاعتبار الحاجات المقبلة التي يقتضيها التطور الاقتصادي لتلك الدول » .

لقد عقدت الدول عديمة السواحل مؤتمراً تمهيدياً في جنيف للفترة من ١٠ الى ١٤ شباط ١٩٥٨ سبق المؤتمر العام تدارست فيه ما يجب اتخاذه من مواقف في المؤتمر ، وتوصلت الى اعداد وثيقة تتضمن سبعة مبادئ تهدف الى حماية مصالحها في البحار واعتبرتها جزءاً من القانون الدولى الحالي . ويمكن تلخيص تلك المبادئ بما يلي : (١)

١ــ ان حق الدول عديمة السواحل بالنفاذ بحرية الى البحر ينتج من المبـــدأ الأساسي في حرية البحر العالي .

٢ ــ حق الدول عديمة السواحل في رفع أعلامها على السفن .

٣ ــ حق سفن هذه الدول في الملاحة في البحار وفقاً للقواعد التي تخضع لها سفن بقية الدول .

٤ ــ حقها في المعاملة الأفضل أو على الاقل المعاملة المساوية لمعاملة سفن الدولة الساحلية في موانئها .

٥ ــ حرية المرور العابر بين الدولة عديمة السواحل والبحر للأشخاص والبضائع مع أخذ الاتفاقات الخاصة والاتفاقات القائمة بنظر الاعتبار. ويجب عدم اخضاع هذا المرور لأي رسوم جمركيّة أو ضرائب خاصة باستثناء الرسوم مقابل الخدمات.

٦ ــ تحتفظ دولة المرور بكامل الولاية على وسائل المواصلات ، ويكون لهـــا الحق في اتخاذ ما تراه من الاجراءات لضمان عدم مساس ذلك المرور بالأمن والصحة العامة فيها .

٧ ــ الابقاء على الاتفاقيات النافذة بين الدول عديمة السواحل ودول المرور وامكانية عقد اتفاقيات مماثلة في المستقبل بشرط ان لا يؤدي ذلك الى عرقلة تطبيق هذه المبادئ .

---

(١) تجد نص هذه المبادئ في الملحق السابع من الوثيقة التي قدمتها الدول المغلقة الى مؤتمر الامم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٥٨ تحت رقم A/CONF. 13/C. g/L. 1 والمنشورة في الجزء السابع من وثائق ذلك المؤتمر . المصدر السابق ، ص ٧١ وما بعدها .

ورغم الجهود التي بذلتها هذه الدول في المؤتمر الا أنها لم تنجح في التوصل الى الأحكام التي تنشدها . فقد ربط المؤتمر موضوع نفاذ الدول عديمة السواحل الى البحر بالاتفاق مع الدول الساحلية ووفقاً للقانون الدولي الاتفاقي القائم وبشرط المعاملة بالمثل ، وحددت الحقوق التي تتمتع بها سفن تلك الدول في موانئ الدول الساحلية بحدود الحقوق التي تتمتع بها سفن هذه الدول او الدول الأخرى في تلك الموانئ .

فقد نصت الفقرة الأولى من المادة الثالثة من اتفاقية البحر العالي على ما يلي :

« ١ — لغرض التمتع بحرية البحار العالية بقدر مساو مع الدول الساحلية ، يجب أن يكون للدول عديمة السواحل منفذ حر الى البحر . ولهذا الغرض يجب على الدول بين البحر وبين دولة عديمة السواحل ان تمنح ، بالاتفاق المشترك مع هذه الأخيرة ووفقاً للقانون الدولي الاتفاقي القائم :

أ — للدولة عديمة السواحل ، على اساس المبادلة ، حرية المرور عبر اقليمها ،

ب — والى السفن التي ترفع علم هذه الدول نفس المعاملة المطبقة على سفنها او على سفن أي دولة أخرى فيما يتعلق بدخول الموانئ البحرية واستعمالها » .

ومن دراسة نص هذه المادة نلاحظ وجود فرقين أساسيين بينها وبين المبادئ التي اعلنتها الدول عديمة السواحل . الأول هو أن الحقوق التي قرّرتها المادة الثالثة سواءً في حرية الوصول الى البحر أم المعاملة المساوية في موانئ الدولة الساحلية لا تمارس تلقائياً من قبل الدول عديمة السواحل وانما لا بد من وضعها موضع التنفيذ عن طريق عقد اتفاقيات ثنائية بين الدولة عديمة السواحل ودولة المرور المعنية . وبعبارة اخرى ان ممارسة هذه الحقوق مرتبط بارادة وموافقة دولة المرور ، في حين ان المبادئ التي اعلنتها الدول عديمة السواحل تعتبر تلك الحقوق حقوقاً طبيعية تمارس تلقائياً من قبلها . أما الفرق الثاني فهو ان المادة الثالثة تشترط لممارسة حرية المرور من قبل الدولة عديمة السواحل منح دولة المرور حق المعاملة بالمثل .

لم يتوصل المؤتمر الى نص المادة الثالثة المذكورة الا بعد مناقشات طويلة قدم الطرفان خلالها مختلف الحجج المتقابلة . فمن وجهة نظر الدول الساحلية يجب ان تقتصر ممارسة حرية البحار على البحار نفسها ولا تمتد الى الاقليم البري

لدولة المرور . اذ لا يمكن النظر الى المجالين البحري والبري بنفس المنظار ، لأن الأول لا يخضع لسيادة احد في حين أن الثاني يخضع لسيادة دولة المرور ، لذا يجب الفصل بين حرية البحار وبين ما تطالب به الدول عديمة السواحل من حق في المرور عبر اقاليم الدول الاخرى (١) . وكان رد الدول عديمة السواحل ان حرية البحار ستكون قليلة الفائدة ان ارتبطت امكانية الدول عديمة السواحل في الوصول الى البحر بارادة وحسن نية الدول الساحلية ، وان مبدأ حرية البحار ومبدأ المساواة بين الدول ، وهي من المبادئ المستقرة بثبات في القانون الدولي ، لا تكون لها أية قيمة عملية بالنسبة للدول عديمة السواحل ما لم يعترف لها بحق الوصول الى البحر وبحق المرور في البحر الاقليمي (٢) .

وترى دولة المرور الساحلية أيضاً أن ممارسة حرية الوصول الى البحر عبر أقاليمها واستعمال موانئها من قبل الدولة عديمة السواحل تلقائياً ودون الحصول على موافقتها المسبقة يعني الانتقاص من سيادتها وتقييدها . وكما هو معلوم ان القانون الدولي يقر لدولة الأقاليم فقط بحق تقييد تلك السيادة بارادتها الحرة لانها صاحبة السيادة المطلقة على الاقليم (٣) . وكان رد الدول عديمة السواحل انه ليس للدولة سيادة مطلقة على الاقليم . فالسيادة على الاقليم هي سيادة مقيدة بقيود القانون الدولي . واذا كانت السيادة على الاقليم هي سيادة مطلقة فكيف نتصور تقييد هذه السيادة بالقانون الاتفاقي . ثم اذا كان بالامكان تقييد هذه السيادة بالاتفاق الثنائي ، كما هو حاصل فعلا ، فلماذا لا يمكن تقييدها بالاتفاقات متعددة الاطراف

(١) انظر تدخل المندوب البريطاني في اللجنة الخامسة لمؤتمر قانون البحار لعام ١٩٥٨ . وثائق المؤتمر ، المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص ١٣ فقرة ٨ . وتدخل المندوب الباكستاني ، ص ٢٨ فقرة ٢١ من نفس المصدر .

(٢) المصدر السابق : تدخل مندوب النيبال ، ص ٧ فقرة ١٧ . ومندوب تشيكوسلوفاكيا ، ص ١٨ فقرة ٢٧ وص ٢٦ الفقرتان ٢ و ٤ . ومندوب هنغاريا ، ص ٩ فقرة ٨ . ومندوب بولونيا ، ص ١٧ فقرة ١٦ . ومندوب سيلان ، ص ١٨ فقرة ٣١ . ومندوب بوليفيا ، ص ٢١ فقرة ١٧ . ومندوب الاتحاد السوفيتي ، ص ٢٤ فقرة ٣ . ومندوب باراغواي ، ص ٣ فقرة ٣٤ .

(٣) المصدر السابق : تدخل المندوب الفرنسي ، ص ١٤ الفقرتان ١٧ و ١٨ . والمندوب الهندي ، ص ٢٩ الفقرة ٢٥ . والمندوب الهولندي ، ص ١٩ فقرة ٤٢ .

كاتفاقيات البحار المقبلة . والواقع ، تقول هذه الدول : ان السيادة يمكن ان تقيد بقواعد القانون الدولي الاتفاقي او العرفي . وابرز مثال على ذلك القيود التي وضعت على سيادة الدولة على بحرها الاقليمي ووفقاً للقانون الدولي العرفي . ولهذا لا يمكن القول ان الدول الساحلية تستطيع منع المؤتمر من تقييد تلك السيادة بمنح الدول عديمة السواحل حرية المرور الى البحر عبر أقاليمها [١] .

والحجة الاخرى التي اوردتها الدول الساحلية هي أن وضع هذا الالتزام على عاتق دول المرور الساحلية يولد شيئاً من عدم المساواة الفعلية بينها وبين الدول الساحلية الاخرى التي لا يقع عليها مثل هذه الالتزام [٢] . وكان رد الدول عديمة السواحل ان هذا القول صحيح ولكن الاختلاف في الموقع الجغرافي يولد في مجال قانون البحار عموماً عدم مساواة بين الدول اشد واعمق من هذه الحالة . فبعض الدول تتمتع بامتدادات قارّية واسعة في البحار وتسيطر لهذا السبب على كميات هائلة من الثروات الطبيعية ، في حين ان البعض الآخر ، بسبب انغلاق جرفه القارّي لا يتمتع الا بامتداد قارّي محدود وبالتالي بقدرمحدود من الثرواتالطبيعية . هذا اضافة الى أن المساواة بين الدول الساحلية والدول غير الساحلية لا يمكن ان تتحقق حتى إذا تمتعت هذه الأخيرة بكامل الحرية في الوصول الى البحر وفي استعمال موانئ الدول الساحلية المجاورة . فهي قبل كل شيء محرومة كلياً من المجالات البحرية كالبحر الاقليمي والجرف القارّي ، في حين ان الدول الساحلية مهما كانت القيود التي تخضع لها فانها صاحبة سيادة او حقوق على مجالات بحرية تختلف سعة من دولة الى اخرى . لذا تصل تلك الدول الى نتيجة مفادها ان اقرار بعض الحقوق للدول عديمة السواحل يخفف بعض الشيء من غلواء عدم العدالة القائمة بسبب اختلاف الموقع الجغرافي [٣] .

---

(١) المصدر السابق : تدخل مندوب افغانستان ، ص ٢٢ فقرة ٣٢ .

(٢) كافاش : المصدر السابق ، ص ٣٦٩ .

(٣) كافاش نفس المصدر .

وترى الدول الساحلية ايضاً ان اختلاف الظروف الجغرافية لكل دولة يستوجب ايجاد حكم خاص لكل منها وان وضع حكم عام في الاتفاقية المقبلة سيكون عديم الفائدة ، اذ سيكون غامضاً وربما غير ممكن التطبيق [1] . وقد يرد على ذلك بالقول ان مثل هذا الحكم العام سبق ان وجد سابقاً في اتفاقيات متعددة الأطراف ، وان تطبيق تلك الاتفاقيات لم يثر صعوبة من الناحية العملية ، اذ امكن عقد اتفاقيات تفصيلية لكل حالة على حده . وهذا ما يمكن الأخذ به ايضاً في الاتفاقيات المقبلة لقانون البحار [2] .

وأهم ما قالت به وفود الدول الساحلية من حجج قانونية ان حرية النفاذ الى البحر هي قاعدة اتفاقية لا بد من النص عليها في اتفاقية ثنائية تعقد بين الدولتين المعنيتين وان تكرار النص على تلك الحرية في عدد من الاتفاقيات الثنائية لا يكفي لقيام القاعدة القانونية العرفية الملزمة وانما لا بد من وجدود الشعور بالالتزام بها من قبل الدول ، وهذا الشعور لم يتوفر لحد الان . لذا لابد لممارسة هذه الحرية من عقد اتفاق خاص يعتمد على قاعدة المعاملة بالمثل [3] . لقد قدمت هذه الحجة للرد على الدول عديمة السواحل التي كانت تردد دائماً ان حريتها في النفاذ الى البحر هي قاعدة من قواعد القانون الدولي تلتزم بها الدول دون حاجة الى اتفاق خاص وذلك بسبب استقرار تعامل الدول عليها منذ زمن طويل في العديد من الاتفاقيات الدولية الثنائية وغير الثنائية [4] .

---

(١) اورد هذه الحجج مندوب سويسرا ، المصدر السابق ، ص ١٢ فقرة ٣٢ ، رغم ان بلاده دولة عديمة السواحل الا انها كانت متحفظة في هذا الاتجاه بسبب شعورها بوجود ضمانات كافية في الاتفاقيات الثنائية القائمة بينها وبين جيرانها من دول المرور.

(٢) كافلش : المصدر السابق ، ص ٣٧٠ .

(٣) الوثائق الرسمية لمؤتمر جنيف للبحار لعام ١٩٥٨ ، المصدر السابق، تدخل المندوب البريطاني ص ١٣ فقرة ٨. والمندوب الامريكي، ص ١٥ فقرة ٢ و ص ١٦ فقرة ٥. والمندوب الهولندي، ص ١٩ فقرة ٤٣ . والمندوب الايطالي ، ص ٣٦ الفقرتان ٦ و ٨. والمندوب اليوغسلافي ص ٢١، الفقرات ٢٤ – ٢٦ . والمندوب التايلاندي ، ص ٢٦ فقرة ٨ .

(٤) المصدر السابق : تدخل مندوب هنغاريا ، ص ١٠ فقرة ١١ و ص ٣٨ فقرة ٢٣. ومندوب باراغواي ، ص ٣٧ الفقرتان ١٥ و ١٦ .

وفي نهاية مناقشات اللجنة الخامسة للمؤتمر أقر إقتراح كان الوفد السويسري قد تقدم به[1] بعد أن أجريت عليه تعديلات طفيفة باغلبية واحد وخمسين صوتاً وامتناع ستة مندوبين عن التصويت ودون معارضة من احد ، وأصبح نص المادة الثالثة من اتفاقية جنيف للبحر العالي لعام ١٩٥٨ . ورغم اهمية هذا النص في مجال الاعتراف بحقوق الدول عديمة السواحل ، الا أنه لا يعتبر تطوراً كبيراً بالمقارنة مع النصوص التي سبق اقرارها في العشرينات من هذا القرن والتي كانت أهمها اتفاقية جنيف الخاصة بالنظام الدولي للموانئ البحرية المعقودة في التاسع من كانون الاول ١٩٢٣ وبروتوكول التوقيع الملحق بها ، واتفاقية برشلونة حول حرية المرور المعقودة في ٢٠ نيسان ١٩٢١ . اذ أن هاتين الاتفاقيتين تنصان على حرية المرور لكل الدول الاطراف عبر اقاليم الدول الأطراف الأخرى . وهذا يشمل حرية مرور الدول عديمة السواحل من والى البحر ، وهو لا يختلف من حيث الجوهر عن حكم المادة الثالثة من اتفاقية ١٩٥٨ . والفرق الوحيد بين النصوص القديمة والنص الجديد هو أن النصوص القديمة تقضي بحرية المرور لكل الدول الأطراف على أساس المعاملة بالمثل ، سواء كانت تلك الدول ساحليـــة أم غير ساحلية وسواء كان المرور بقصد الوصول من والى البحر أم كان بقصد الوصول الى أقاليم الدول الأخرى . في حين ان نص المادة ١٩٥٨ قصر الحرية على الدول عديمة السواحل وبقصد الوصول من والى البحر مع الابقاء على شرط المعاملة بالمثل . وكذلك الحال بالنسبة لحرية استعمال موانئ الدول الساحلية . فقد نصت اتفاقيتا ١٩٢١ و ١٩٢٣ على هذا الحق بنفس الطريقة العامة السابقة ، أي باعطاء الحق لسفن جميع الدول الاطراف بالتمتع بالمعاملة الوطنية او بأي معاملة أفضل تمنح للغير بشرط المعاملة بالمثل . وقد استثنيت الدول عديمة السواحل ضمنيّاً من شرط المعاملة بالمثل لعدم وجود موانئ لديها من الناحية العملية . وقد نصت المادة الثالثة من اتفاقية ١٩٥٨ على نفس الحق دون ان تربطه بالمعاملة بالمثل . الا أن اتفاقيتي ١٩٢١ و ١٩٢٣ تتقدمان على اتفاقية ١٩٥٨ من انهما لا تربطان التمتع بهذا الحقوق بعقد

---

(١) في الوثيقة A/CONF. 13/C. 5/L. 15

الاتفاقيات الثنائية وانما تطبق احكامها تلقائياً ، بينما تربط المادة الثالثة من اتفاقية ١٩٥٨ استعمال الحقوق الواردة فيها بعقد اتفاقيات ثنائية في المستقبل بين الدول عديمة السواحل ودول المرور المعنية [١] .

وهكذا لم يحقق مؤتمر جنيف ١٩٥٨ ما كانت الدول عديمة السواحل تصبو اليه ، خاصة فيما يتعلق بشرط المعاملة بالمثل وشرط إبرام الاتفاقيات الثنائية لممارسة الحقوق المذكورة في الاتفاقية . ولقد تولد الشعور لدى بعض الدول عديمة السواحل اثناء مناقشات المؤتمر انما تنوي الدول الساحلية الموافقة عليه لا يعتبر زيادة عما ورد في الاتفاقيات الثنائية التي سبق أن ابرمتها مع دول المرور المجاورة . وقد عبرت عن هذا الشعور بالاعلان عن نيتها بالاعتماد على تلك الاتفاقيات والتنسيق مع دول المرور المجاورة ، وهكذا تحقق كفايتها وغرضها[٢]

وحق الدول عديمة السواحل بالنفاذ الى البحر ، كما هو مقرر في المادة الثالثة من اتفاقية جنيف للبحر العالي لعام ١٩٥٨ ، هو حق خاص بتلك الدول كان الغرض منه تعويضها عن وضعها الجغرافي ، لذا يمكن لبقية الدول الاستفادة منه ، حتى من خلال اعمال شرط الدولة الاكثر رعاية الذي قد يرد في اتفاقيات اخرى[٣] ورغم رفض مؤتمر ١٩٥٨ للاقتراح الذي تقدمت به مجموعة من الدول بهذا المعنى[٤] ، الا أن النص لا يحتمل تطبيق ذلك الشرط من قبل دولة لها منفذ بحري مباشر . فطبيعة الحقوق الواردة في المادة الثالثة تجعلها ملتصقة بالدول عديمة السواحل فقط . وهذا ما تأكد لاحقاً بشكل صريح في الفقرة الأولى من المادة العاشرة من اتفاقية نيويورك لعام ١٩٦٥ حول مرور تجارة الدول عديمة السواحل التي نصت على أن

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، راجع كافلش ، المصدر السابق ، ص ٣٦٦ وما بعدها

(٢) الوثائق الرسمية لمؤتمر جنيف للبحار لعام ١٩٥٨ ، المصدر السابق ، تدخل المندوب السويسري ، ص ١١ الفقرتان ٢٩ و ٣٠ . ومندوب الفاتيكان ، ص ١٥ فقرة ٢٥.

(٣) C. PALAZZOLIDE : Quelques developpements recents du droit des gens en matière d'acces à la mer des pays depourvus de littoral. RGDIP., 1966, P. 700 et ss.

(٤) المادة التاسعة من الاقتراح المقدم في الوثيقة A/CONF. 13/C. 5/L. 6 المنشورة في الجزء السابع من الوثائق الرسمية لمؤتمر جنيف للبحار لعام ١٩٥٨ ، المصدر السابق، ص ٨٤ – ٨٥

« تتفق الدول المتعاقدة على أن التسهيلات والحقوق الخاصة الممنوحة بموجب هذه الاتفاقية الى الدول عديمة السواحل بسبب وضعها الجغرافي الخاص تستثنى من اعمال شرط الدولة الأكثر رعاية » . وهذا ما أخذت به لجنة القانون الدولي عند اقرارها لمشروع المواد الخاصة بشرط الدولة الاكثر رعاية الذي اقرته عام ١٩٧٨ . فقد ورد في الفقرة الاولى من المادة ٢٣ من المشروع : « لا تتمتع الدول المستفيدة من شرط الدولة الاكثر رعاية ، عدا الدول عديمة السواحل ، من الحقوق والتسهيلات الممنوحة من دولة الى دولة ثالثة عديمة السواحل لغرض تسهيل وصولها من والى البحر » [1].

وبسبب عدم اكتفاء الدول عديمة السواحل بالاحكام الواردة في الاتفاقيات متعددة الأطراف التي اتينا على ذكرها ، وخاصة اتفاقية جنيف للبحر العالي لعام ١٩٥٨ ، عاودت المحاولة مرة اخرى مع طرح فكرة اعادة النظر في قانون البحار .

فمنذ الاجتماعات الاولى للجنة الاستخدامات السلمية لقيعان البحار والمحيطات خارج حدود الولاية الوطنية [2] ، اصبح موضوع الدول عديمة السواحل النقطة التاسعة في جدول الموضوعات التي أوكلت الى لجنتها الفرعية الثانية [3] . الا أن لجنة الاستخدامات السلمية لقيعان البحار لم تتوصل الى نتيجة تزيد على اعداد جدول بالموضوعات التي تستحق البحث في مؤتمر دولي مقبل ، رغم المناقشات الطويلة التي دارت في اجتماعاتها المتكررة .

وعندما قررت الجمعية العامة للامم المتحدة الدعوة الى عقد المؤتمر الثالث لقانون البحار ، كان موضوع الدول عديمة السواحل من الموضوعات الرئيسية المعروضة عليه . وعند بحث الموضوع أمام اللجنة الرئيسية الثانية للمؤتمر إنبرت الدول عديمة

---

(١) تقرير لجنة القانون الدولي الى الدورة الحادية والثلاثين للجمعية العامة للامم المتحدة في الوثيقة A/31/10 .

(٢) سنشير الى هذه اللجنة فيما بعد بلجنة الاستخدامات السلمية لقيعان البحار .

(٣) تقرير لجنة الاستخدامات السلمية لقيعان البحار ، وثائق الجمعية العامة للامم المتحدة ، الدورة الثامنة والعشرين ، Supplement No. 21 (A/9021) ، الجزء الاول ، ص ٥١ من الطبعة الفرنسية .

السواحل تدافع عن وجهات نظرها امام مواقف دول المرور الساحلية المعاكسة ومنذ دورة المؤتمر الثانيـة التي عقدت في كاراكاس عام ١٩٧٤ قدمت الدول عديمة السواحل مشاريع عديدة [1] واخذت تدافع عن مواقفها لغرض الحصول على المزيد من الحقوق لتعويضها عن الضرر الناجم عن موقعها الجغرافي الذي حرمها من الاطلال على البحار للاستفادة من خيراتها ، وللحصول على مركز متكافئ مع الدول الساحلية . وتكاد الحجج العامة التي استند اليها كل طرف من الطرفين المعنيين لا تختلف عما قدم من حجج اثناء مناقشات مؤتمر عام ١٩٥٨ .

فترى الدول عديمة السواحل ان المادة الثالثة من اتفاقية ١٩٥٨ علقت حريتها في النفاذ الى البحر على شرط التبادل او المعاملة بالمثل من ناحية ، وعلى الاتفاق الثنائي من ناحية اخرى ، وبذلك اصبح هذا الحق مرتبطاً بارادة الدولة الساحلية المجاورة . وكان الأحرى ، وفق رأيها ، ان يعتبر حق هذه الدول في مباشرة المرور العابر مبدأ قانونيا ملزما يكفل لها اشباع حاجاتها الرئيسية في البحار دون أن يخضع لاهواء الدول الساحلية . اما شرط التبادل فيصدر عن افتراض خاطئ هو ان مصالح الدول عديمة السواحل واحتياجاتها المرتبطة باوضاعها الجغرافية تطابق مصالح دول المرور الساحلية . لذا ، فهي ترى ان على المؤتمر ، للوصول الى مساواة حقيقية بين الدول ، ان يقرر للدول عديمة السواحل حق النفاذ من والى البحر نفاذا حرا

---

(١) لقد سبق لسبع دول عديمة السواحل ان قدمت الى لجنة الاستخدامات السلمية لقيعان البحار مشروع مواد في الوثيقة : A/AC. 138/93 . كما قدمت بوليفيا مشروعاً اخر في الوثيقة A/AC. 138/92 وفي دورة كاراكاس قدمت ١٧ دولة عديمة السواحل مذكرة توضيحية في الوثيقة : A/CONF. 62/C. 2/L. 29 حول مشروع المواد المتقدم من الدول السبع طلبت فيها اعتبار ذلك المشروع اساسا للمفاوضات . وقدمت الباكستان مشروعاً في الوثيقة A/CONF. 62/C. 2/L. 48 . وقدمت بوليفيا وباراغواي مشروعاً حول معاملة سفن الدول عديمة السواحل في الموانئ في الوثيقة A/CONF. 62/C. 2/L. 76 . وفي اجتماع كامبالا الذي عقد في ٢٠ - ٢٢ اذار ١٩٧٤ اصدرت الدول النامية عديمة السواحل والمتضررة جغرافيا تصريحا بتسعة مبادئ تمثل وجهة نظرها حول ما تطالب به من حقوق ، الوثيقة A/CONF. 62/23 . اضافة الى اوراق العمل غير الرسمية العديدة التي قدمت اثناء الاجتماعات غير الرسمية للجنة الثانية للمؤتمر ولمجموعات العمل المتفرعة منها .

باعتباره مبدأ رئيسياً من مبادئ القانون الدولي[1]. وعلى دول المرور أن تضمن للدول عديمة السواحل حرية غير مقيدة في المرور المغاير وفي استعمال وسائل النقل والمواصلات المتاحة في إقليمها لغرض تيسير انتقال البضائع والاشخاص عبر إقليمها ، دون ان يخضع هذا المرور الى أية ضرائب او رسوم او أعباء مالية عدا ما كان مرتبطاً بخدمات محددة تقدمها دولة المرور. كما طالبت بمعاملة سفنها في موانئ الدول الساحلية معاملة لا تقل في جميع الاحوال عن معاملة سفن تلك الدول او غيرها من الدول المستعملة لتلك الموانئ . وطالبت باستعمال تسهيلات الموانئ بشكل يضمن لها مصالحها ولا يضر بمصالح دولة الميناء [2] .

وكان موقف دول المرور الساحلية معارضا لهذا الموقف . فقد كانت ترى ان حرية النفاذ الى البحر يجب ان تكون مقيدة بشرط التبادل من ناحية ، ومعلقة على ابرام اتفاقيات ثنائية او إقليمية بين الدول عديمة السواحل ودول المرور الساحلية تتحدد فيها الاحكام التفصيلية المتعلقة بنفاذ الاشخاص والامتعة والبضائع عبر أقاليم دول المرور [3] .

وعند اعداد النص الوحيد غير الرسمي للتفاوض حاول رئيس اللجنة الثانية ايجاد

---

(١) لقد شرحت بعض الدول عديمة السواحل هذه الفكرة بشكل مفصل في المذكرة التوضحية سالفة الذكر . كما قدمت نفس الفكرة بصيغة مادة (المادة الثانية) في مشروعها الذي سبق ان قدمته الى لجنة الاستخدامات السلمية لقيعان البحار والذي اعتبرته اساسا لبحث هذا الموضوع في المؤتمر الثالث لقانون البحار .

(٢) عبر عدد من مندوبي هذه الدول عن هذه الاراء في كلماتهم التي القوها اثناء الاجتماعات الرسمية للجنة الثانية للمؤتمر المنشورة في الجزء الثاني من وثائق المؤتمر الرسمية، وخاصة تدخل مندوب النيبال ، ص ٢٦٧ فقرة ١ . ومندوب تشيكوسلوفاكيا ، ص ٢٦٧ الفقرتان ٤ و ٦. ومندوب فولتا العليا ، ص ٢٦٨ فقرة ٨ . ومندوب منغوليا ، ص ٢٧٠ الفقرتان ٣٢ و ٣٣ . ومندوب هنغاريا ، ص ٢٧٢ فقرة ٥٦ . ومندوب بوليفيا ، ص ٢٧٥ الفقرتان ٨ و ٩. ومندوب باراغواي ، ص ٢٧٥ الفقرتان ١٢ و ١٣ . ومندوب افغانستان، ص ٢٧٧ الفقرتان ٣٧ و ٣٨ . كما وردت في المذكرة التوضيحية سالفة الذكر .

(٣) انظر في المصدر السابق تدخل مندوب نايجريا، ص ٢٧٤ الفقرتان ١ و ٣. ومندوب الهند، =

حلول توفيقية في الفصل السادس (المواد من ١٠٨ الى ١١٦)[1] لمعالجة موضوع الدول عديمة السواحل وما يمكن أن تتمتع به من حقوق في إطار الاتفاقية المقبلة لقانون البحار . الا ان تلك النصوص لم تحظ بقبول اي من الطرفين المعنيين . وفي الدورة السادسة للمؤتمر التي عقدت في نيويورك للفترة من ٢ آب لغاية ١٧ ايلول ١٩٧٦ تقرر في اللجنة الثانية تشكيل لجنة مصغرة للتفاوض مكونة من عدد من الدول عديمة السواحل وعدد آخر من دول المرور الساحلية وعدد من الدول التي لا تنتمي الى المجموعتين السابقتين [2] . وقد استمرت مفاوضات هذه المجموعة التفاوضية المصغرة خلال الدورة وتوصلت الى حلول توفيقية لأغلب نقاط الخلاف التي كانت قائمة ، ويمكن تحديد النقاط التالية كنقاط أساسية دارت حولها المفاوضات ، سواء اثناء مناقشات مجموعة التفاوض المذكورة أم قبلها أم بعدها في اجتماعات اللجنة الثانية او الهيئة العامة للمؤتمر .

١ ــ طبيعة حق الدول عديمة السواحل في المرور العابر والقيود التي ترد على هذا الحق : ترى بعض الدول عديمة السواحل ضرورة وصف المرور العابر بالمرور

= ص ٢٧٦ فقرة ٢٢ . ومندوب الباكستان ، ص ٢٧٩ الفقرتان ٥٧ و ٥٨ . ومندوب كينيا، ص ٢٨٢ — ٢٨٣ ، الفقرتان ١٠ و ١١ .

(١) لقد اصبحت المواد التي تخص هذا الموضوع فيالنص الوحيد المنقح للتفاوض هي المواد ١٠٩ — ١١٧ . ومعلوم ان النص الوحيد المنقح لم يتضمن اية تعديلات جوهرية على النص الوحيد فيهذا الخصوص .

(٢) نظراً لكون اغلب اجتماعات لجان المؤتمر الرئيسية ومجموعات التفاوض المنبثقة عنها غير رسمية ولم تنشر المناقشات التي دارت خلالها في محاضرة رسمية، لذا فقد اعتمدنا في اعداد هذا القسم من البحث على الوثائق التالية: — تقارير لجنة الخبراء العرب لقانون البحر التابعة لجامعة الدول العربية . — تقارير الوفد العراقي الى المؤتمر المذكورة — مذكرة سكرتارية اللجنة الاستشارية القانونية الاسيوية الافريقية التي قدمتها الى دورة اللجنة المعقودة في الدوحة (قطر) في كانون الثاني ١٩٧٨ حول قانون البحار ، ص ١٠٧ وما بعدها من الطبعة الفرنسية . — المذكرة التوضيحية للدول عديمة السواحل السالف ذكرها .

العابر غير المعـاق [1] . وتـرى دول أخرى عديمـة السواحل الاكتفاء بوصف المرور العابر بالحق بالمرور العابر باعتبار ان عبارة « غير المعاق » لا تضيف شيئاً لانه لا يجوز الحرمان من استعمال الحق او اعاقة استعماله . اما دول المرور العابر فبعضها يقبل تخويل الدول عديمة السواحل حق المرور العابر والبعض الآخر يمانع في بلادها تحول دون تقرير حق المرور لدولة اخرى على الاقليم الخاضع للسيادة الكاملة لها [2] .

اما بالنسبة للقيود التي يمكن ان ترد على حق الدولة عديمة السواحل في المرور العابر فقد ثار الخلاف حول نقطتين . الاولى تتعلق بتنظيم ممارسة حق المرور العابر . وهل يعطى الحق الى دولة المرور العابر لوضع شروط تنظيم ممارسة حق المرور العابر؟ لقد كانت معارضة الدول عديمة السواحل لإعطاء مثل هذا الحق الى دول المرور العابر تنطلق من ان ذلك يؤدي عملياً الى تعطيل ممارسة المرور العابر ، وبالتالي يستحسن ان يستعاض عن كلمة « الشروط » الواردة في الفقرة الثانية من النص الوحيد المنقح بكلمة « الاوصاف » التي تفترض وجود حق يستدعي الامر تنظيم استعماله دون فرض شروط عليه تؤدي الى تقييده . والنقطة الثانية تتعلق بنطاق التدابير التي يمكن لدولة المرورالعابر اتخاذها حماية لمصالحها ، وهل هي التدابير « الضرورية » أم التدابير « المشروعة » .

٢ ــ وسائل النقل التي يجوز للدول المغلقة استعمالها في دول المرور العابر : لقد قسمت المادة ١٠٩ من النص الوحيد المنقح هذه الوسائل الى نوعين : النوع الأول يمكن للدولة عديمة السواحل استعماله مباشرة استناداً الى نص الاتفاقية المقبلة لقانون البحار ويتكون من :

---

(١) تدخل مندوب زامبيا عند مناقشة المادة ١٠٩ من النص الوحيد في اللجنة الثانية خلال الدورة الرابعة انظر تقرير الوفد العراقي عن الدورة الرابعة ، التقرير الثامن ، ص ٣٧ .

(٢) تقرير لجنة الخبراء العرب لقانون البحر عن الدورة السادسة للمؤتمر ، ص ٢٩ ــ ٣٠ .

« ١ – عربات السكك الحديد ، والسفن البحرية والبحيرية والنهرية ، ومركبات النقل البرية . »

٢ – الحمالون ودواب الأحمال ، عندما تقتضي ذلك الظروف المحلية » .

أما النوع الثاني فهو الذي لا يحق للدول عديمة السواحل استعماله الا بالاتفاق مع دولة المرور ويتكون من « خطوط الأنابيب الغاز ووسائل النقل الاخرى غير المشمولة بالفقرة ١ » . الا ان نقطة الخـــلاف الاشد كانت حول الطيران المدني . فقد كانت بعض وفود الدول عديمة السواحل تطالب بضم هذه الوسيلة الى النوع الثاني ، اي الى الفقرة الثانية من المادة ١٠٩ من النص الوحيد المنقح [١] . في حين رفضت وفود دول المرور هذا الاقتراح واعتبرت ما مذكور من وسائل في النص هو أقصى ما يمكن الموافقة عليه [٢] .

٣ – شرط التبادل :

كان هذا الشرط موضع خلاف شديد بين الدول عديمة السواحل ودول المرور الساحلية منذ بداية اعمال المؤتمر الثالث لقانون البحار . فقد طالبت الأخيرة بالحق بالمرور عبر اقاليم الدول عديمة السواحل مقابل موافقتها على منحها حق المرور عبر أقاليمها [٣] ، الأمر الذي رفضته الدول عديمة السواحل ، اذ أنها ترى أن

---

(١) تقرير الوفد العراقي : المصدر السابق ، ص ٣٥ : تدخل مندوب كل من افغانستان وناميبيا والنيبال والنمسا وبوليفيا وليسوتو وتشيكوسلوفاكيا وباراغواي وروسيا البيضاء وبوتان ومنغوليا ونايجريا ولاوس عند مناقشة المادة ١٠٨ من النص الوحيد في اللجنة الثانية خلال الدورة الرابعة للمؤتمر .

(٢) نفس المصدر : ص ٣٥ تدخل مندوب كل من بيرو وتونس عند مناقشة المادة ١٠٨ من النص الوحيد في اللجنة الثانية خلال الدورة الرابعة للمؤتمر علماً أن الدول عديمة السواحل نفسها سبق ان اقترحت استبعاد الطيران المدني من هذا الموضوع واخضاعه للاتفاق الثنائي ، في الفقرة الثالثة من المادة العشرين من مشروعها الذي سبق ان تقدمت به الى لجنة الاستخدامات السلمية لقيعان البحار في الوثيقة A/Ac. 138/93 .

(٣) تقرير الوفد العراقي عن الندوة الثالثة ، التقرير الثالث ، ص ٦ : تدخل مندوب كل من نايجريا والارجنتين وبيرو في جلسة يوم ١/٤/ ١٩٧٥ للجنة الثانية ، وتدخل مندوب يوغسلافيا يوم ٢/٤/١٩٧٥ في نفس اللجنة ومندوب كل من ايران والبرازيل والسودان وتايلاند ورومانيا وليبيا في اللجنة الثانية عند مناقشة المادة ١٠٩ من النص الوحيد .

مطالبتها بحق المرور العابر ناتجة عن وضعها الجغرافي الذي يحرمها من الاتصال مباشرة بالبحر وان دول المرور هي دول ساحلية لا تحتاج الى مثل هذا الحق . ثم ان الربط بين الاعتراف بحق المرور العابر وبين الاعتراف بشرط التبادل يؤدي عملياً الى حرمانها من حق المرور ، وان الربط بين الأمرين مسألة لا مبرر لها سواء من الناحية المنطقية أم من الناحية القانونية ، اضافة الى ان هذا الامر يمكن أن يحل عن طريق الاتفاقات الثنائية التي يمكن التفاوض عليها وابرامها فيما بعد[١]

٤ ــ الرسوم والأعباء المالية :

لم يثر هذا الموضوع صعوبات اثناء المناقشات . فقد اتفق الرأي على عدم فرض أية رسوم او اعباء مالية على الأشخاص والبضائع ووسائل النقل التي تحملها الا اذا كان ذلك مقابل خدمات محددة تؤديها دولة المرور العابر الى الدولة عديمة السواحل . كما اتفق على فرض رسوم أو أعباء مالية على وسائل النقل التي تقدمها دول المرور العابر الى الدول عديمة السواحل كي تنقل عليها البضائع والأمتعة والأشخاص ، بشرط ان لا تزيد عن تلك التي تتقاضاها من مواطنيها عند استعمالهم لنفس الوسائل [٢] .

٥ ــ التعاون لتذليل الصعوبات التي تؤدي الى تأخير المرور العابر :

تقضي المادة ١١٥ من النص الوحيد المنقح على :

« ١ــ باستثناء حالات القوة القاهرة ، تتخذ دول المرور كل التدابير اللازمة لتجنب أي تأخير أو تقييد للمرور العابر .

---

(١) المصدر السابق : تدخل مندوبي لاوس وافغانستان في جلسة يوم ١٩٧٥/٤/١ اللجنة الثانية ومندوب النيبال في جلسة يوم ١٩٧٥/٤/٢ ، ص ٦ . وانظر كذلك المذكرة التوضيحية السالفة الذكر ، الفقرة E .

(٢) تنص المادة ١١٢ من النص الوحيد المنقح على ما يلي : « ١ــ لا يخضع المرور العابر لأي رسم جمركي او ضريبة او أي رسم آخر باستثناء الرسوم التي تجبى مقابل تقديم خدمات معينة بمناسبة هذا المرور العابر . ٢ــ لا تخضع وسائل المرور العابر التي تستخدمها الدولة غير الساحلية لضرائب او رسوم جمركية او أي رسوم اخرى تزيد على الرسوم التي تجبى مقابل استخدام وسائل النقل التي تخص دولة المرور » .

٢ – في حالة حدوث تأخيرات أو صعوبات في المرور العابر ، تتعاون السلطات المختصة في دولة او دول المرور وفي الدولة غير الساحلية لازالة هذه التأخيرات او الصعوبات بسرعة » .

وقد أثار هذا النص خلافاً بين الدول المعنية . فقد بين بعض مندوبي دول المرور العابر ان الفقرة الأولى تحصر حق دولة المرور العابر في فرض بعض القيود على ما تقتضيه حالات القوة القاهرة ، في حين ان الفقرة الثالثة من المادة ١١٠ تجيز لها فرض قيود أخرى لحماية مصالحها المشروعة [١] ، وهذا يؤدي الى التعارض بين النصين . ولتذليل هذه القضية اقترح مندوبو الدول عديمة السواحل تعديل الفقرة من المادة ١١٥ بحيث تقتصر على التعاون لمنع تأخير المرور بحيث يكون نطاق التعاون بين الدول عديمة السواحل ودول المرور العابر موجها لتذليل الصعوبات ذات الطبيعة الفنية المحضة اذا كانت تؤدي الى تأخير المرور أو تعرقل تدفقه ، ويجب ان يحصل التعاون في جميع الأحوال ، حتى في حالة القوة القاهرة[٢].

٦ – المعاملة المتكافئة في الموانئ .

لم تقبل الدول عديمة السواحل بحكم المادة ١١٦ من النص الوحيد المنقح الذي يضمن لسفنها « معاملة مساوية لتلك التي تتمتع بها السفن الأجنبية الأخرى في الموانئ البحرية » ، وطالب بعض مندوبيها بأن تتمتع سفن دولهم في الموانئ الأجنبية بمعاملة أفضل من تلك التي تتمتع بها السفن الأجنبية الأخرى وبمعاملة مساوية لمعاملة السفن الوطنية [٣] . ولم يقبل مندوبو دول المرور الساحلية بهذا الرأي قائلين ان المعاملة الأفضل تخرج اولا عن مجال اتفاقية قانون البحار وتعتبر من الأمور التي يتفق عليها بصورة ثنائية ، وان تقرير معاملة افضل السفن الدول عديمة السواحل

---

(١) تنص الفقرة الثالثة من المادة ١١٠ من النص الوحيد المنقح على ما يلي: « ٣- لدول المرور العابر ، في ممارستها لسيادتها الكاملة على اقاليمها ، الحق في اتخاذ كل التدابير التي تكفل الا تشكل الحقوق المنصوص عليها في هذا الفصل للدول غير الساحلية ، باية طريقة كانت ، تعديا على مصالحها المشروعة » .

(٢) لجنة الخبراء العرب لقانون البحر ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٣) تقرير الوفد العراقي عن الدورة الرابعة ، المصدر السابق ، تدخل مندوب سويسرا عند مناقشة المادة ١١٥ من النص الوحيد في اللجنة الثانية خلال الدورة الرابعة للمؤتمر ، ص ٤٠ .

قد يتعارض مع مصالح الدول الساحلية عندما تحتاج الى سلع معنية تنقلها سفن أجنبية الى موانئها ، فاذا كانت سفن الدول عديمة الساحل تتمتع بمعاملة افضل فان ذلك سيؤدي الى تأخير تفريغ البضائع التي تحتاج اليها الدولة الساحلية [1] . كما طالبت الدول عديمة السواحل كذلك بالحق باقامة مناطق حرة لاستعمالها الخاص باعتباره ضرورياً لممارسة حقوقها في الوصول الى البحر . وقد قوبل هذا الرأي بمعارضة شديدة من دول المرور العابر باعتبار ان الموانئ جزء من إقليم الدولة الساحلية ويخضع لسيادتها ، وان هذا الموضوع لا بد ان يخضع للاتفاق الثنائي بين الدول المعنية [2] .

ورغم المفاوضات الطويلة والجهود المضنية التي بذلتها الدول عديمة السواحل في المؤتمر الا أن تلك المواد لم تحصل عليها الا تعديلات قليلة عند اعداد النص التفاوضي المركب كحلول توفيقية تقرب من وجهات النظر المتعارضة بين الدول عديمة السواحل من جهة ودول المرور الساحلية من جهة أخرى . ويمكن تحديد نقاط الاختلاف بين مواد النص الوحيد المنقح ومواد النص المركب والتنقيحين اللذين صدرا بعده بما يلي :

١ ــ ان الاتفاقات التي تعقد لغرض ممارسة حق المرور العابر وفق الفقرة الثانية من المادة ١١٠ من النص الوحيد المنقح تركز على :

« شروط واحكام terms and conditions » ممارسة المرور العابر . بينما أصبحت تلك الاتفاقيات تتركز على« شروط وصور terms and modalities » المرور العابر وفق نفس الفقرة من المادة ١٢٥ من النص المركب . ومعلوم ان هذا التعديل يعتبر لصالح الدول عديمة السواحل لانه يخفف من شدة هذا القيد الاساسي الذي تتمسك به دول المرور البحرية :

٢ ــ ان الفقرة الثالثة من المادة ١٢٥ من النص المركب حددت التدابير التي يمكن لدولة المرور العابر اتخاذها حماية لمصالحها المشروعة بالتدابير « اللازمة

(١) تقرير لجنة الخبراء العرب لقانون البحر ، المصدر السابق ، ص . ٣٣

(٢) نفس المصدر .

necessery ، بينما جاء ذلك مطلقاً في الفقرة المقابلة لها من المادة ١١٠ من النص الوحيد المنقح . وهذا التعديل يمكن ان يعتبر لصالح الدول عديمة السواحل أيضاً لأنه يقيد من حرية دولة المرور العابر .

٣ ـ تقضي الفقرة الثانية من المادة ١٢٧ من النص المركب بعدم اخضاع وسائل النقل المارة مروراً وكذلك التسهيلات الاخرى المقدمة الى الدول عديمة السواحل الى ضرائب ورسوم تزيد على ما تفرضه دولة المرور العابر على نفس الوسائل والتسهيلات المستخدمة من قبلها ، بينما اقتصر حكم الفقرة الثانية من المادة ١١٢ من النص الوحيد المنقح على وسائل النقل فقط ولم يشمل التسهيلات. وهذا ايضا تعديل لصالح الدول عديمة السواحل .

٤ ـ وفي مجال التعاون في مجال وسائل النقل والمنشآت والمعدات المينائية تكون الدعوة الى التعاون وفق المادة ١١٤ من النص الوحيد المنقح لدولة المرور الساحلية ، بينما تكون الدعوة الى التعاون وفق المادة ١٢٩ من النص المركب من حق الطرفين معا .

٥ ـ وبالنسبة لتفادي او ازالة التأخيرات التي تصادف المرور العابر ، تقضي الفقرة الاولى من المادة ١١٥ من النص الوحيد المنقح بان تتخذ دول المرور العابر كل التدابير اللازمة لتجنب أي تأخير او تقييد للمرور العابر ، باستثناء حالات القوة القاهرة . بينما قصرت نفس الفقرة من المادة ١٣٠ من النص المركب اتخاذ التدابير لغرض تفادي التأخيرات او غيرها من الصعوبات ذات الطابع التقني فقط ولم تشر الى حالة القوة القاهرة .

ومن مقارنة ما توصل اليه المؤتمر الثالث لقانون البحار من احكام مع نص المادة الثالثة من اتفاقية البحر العالي لعام ١٩٥٨ نجد ما يلي :

١ ـ فيما يتعلق بالاحالة على الاتفاقيات الثنائية ، نلاحظ ان المادة ١٢٥ من النص المركب لم تربط استعمال حق المرور بالاتفاق الثنائي وانما اكتفت بتنظيم « شروط وصور » ممارسة حرية المرور عن طريق الاتفاقيات الثنائية ، على خلاف ما جاء في المادة ٣ من اتفاقية ١٩٥٨ . وهذا يعتبر تضييقاً مهما لقيد الاتفاق الثنائي .

٢ — ان النصوص الجديدة لم تتضمن شرط التبادل لممارسة حق المرور العابر على خلاف نص ١٩٥٨ .

٣ — وفيما يتعلق بمعاملة سفن الدول عديمة السواحل في الموانئ ، نلاحظ ان المادة ١٣١ من النص المركب لم تربط هذه المعاملة بابرام الاتفاقيات الثنائية ، على خلاف نص ١٩٥٨ ، كما أن النصوص الجديدة تمنح هذه السفن معاملة مساوية لتلك التي تتمتع بها السفن الاجنبية الاخرى ، لافي موانئ دولة المرور الساحلية وانما في موانئ جميع الدول . وهذا تقدم لصالح الدول عديمة السواحل قياساً على نص ١٩٦٨ . الا أن نص المادة ١٣١ المذكورة يعتبر من ناحية اخرى دون نص ١٩٥٨ من أنه حدد المعاملة بالمعاملة « المساوية لتلك التي تتمتع بها السفن الأجنبية الأخرى » فقط ، في حين ان نص ١٩٥٨ جعل معاملة هذه السفن مساوياً لمعاملة سفن دولة المرور الساحلية او افضل معاملة تمنح لسفن دولة اجنبية .

٤ — وتتضمن النصوص الجديدة تراجعاً آخر بالنسبة لنص ١٩٥٨ . فالفقرة الثالثة من المادة ١٢٥ تمنح دولة المرور العابر الحق في تقييد المرور العابر وذلك باتخاذ « كل التدابير اللازمة التي تضمن الحقوق والتسهيلات المنصوص عليها في هذا الجزء للدول غير الساحلية ولا تشكل.باية طريقة كانت ، تعديا على مصالحها المشروعة » . وعبارة « المصالح المشروعة » عبارة تقبل التوسع في التفسير وبالتالي يمكن ان تؤدي الى تقييد حق المرور العابر الى حد بعيد .

الخاتمـــة :

هكذا يبدو جلياً أن الدول عديمة السواحل لا تزال تعتمد بشكل اساسي فـــي الوصول الى البحر عبر أقاليم دول المرور المجاورة على الاتفاقيات الثنائية . اذ ان لهذا الموضوع جانباً يتعلق مباشرةً بالسيادة على الاقليم ، والسيادة على الاقليم تعتبر من صميم السلطان الوطني للدول ولا يمكن المساس بها او الانتقاص منها الا بموافقة دول الاقليم نفسها . ورغم التقدم النسبي الذي أحرزته الدول عديمـــة

السواحل في المؤتمر الثالث لقانون البحار بالمقارنة مع ما حصلت عليه في مؤتمر ١٩٥٨ ، الا أن محتوى النصوص الجديدة لم يخرج عن فكرة الاعتماد على الاتفاق الثنائي . فتلك النصوص ما هي الا تحديد للمبادئ العامة التي توصل الدول المعنية الى الاتفاق الثنائي . ولم يكن من الممكن الاتفاق على اكثر من ذلك . فبعد ان كاد المؤتمر يصل الى نقطة الفشل شعرت الدول عديمة السواحل ان لا سبيل أمامها الا القبول بالحد الادنى مما سبق ان طالبت به .

ان العوامل الجغرافية والسياسية التي حرمت هذه الدول من الاتصال المباشر بالبحر لا بد ان تؤخذ بنظر الاعتبار للوصول الى اتفاقية عادلة لقانون البحار ، بشرط عدم الإضرار بسيادة الدول الساحلية وبمصالحها السياسية والاقتصادية . أي لا بد من اقامة توازن بين حاجات الدول عديمة السواحل ، التي يعتبر اغلبها من الدول النامية ، وبين احترام سيادة الدول الساحلية ومصالحها . وقد حققت النصوص التي اتفق عليها في المؤتمر الثالث لقانون البحار هذه الموازنة الى حد بعيد . فقد أقرت للدول عديمة السواحل الحق بالوصول الى البحر عبر أراضي الدول المجاورة وببعض الحقوق الاخرى اللازمة لممارسة حريات البحار ، الا أنها ربطت امكانية التمتع بتلك الحقوق بموافقة الدول الساحلية ، أي بالاتفاق الثنائي . وفي الاتفاق الثنائي وبالارادة الحرة للدول المعنية وبحسن النية المطلوبة في التعامل الدولي يمكن الوصول الى أفضل السبل لضمان حقوق ومصالح الطرفين .

ومعلوم ان هذا الموضوع يمس المصالح العربية بصورة مباشرة . فهناك عدد من الدول الأفريقية والأسيوية عديمة السواحل التي تجاور الوطن العربي والتي يمكن أن تستخدم الأرض العربية لأغراض المرور . ولكن ، من ناحية اخرى ، تشكل الدول عديمة السواحل والدول الساحلية المتضررة بسبب موقعها الجغرافي ، التي تعتبر أغلب الدول العربية منها ، مجموعة واحدة اتخذت مواقف موحدة حول العديد من القضايا التي تمس مصالحها المشتركة . لذا كان موقف الدول العربية من موضوع وصول الدول عديمة السواحل الى البحر موقفاً دقيقاً وحذراً . فهي ،

من ناحية ، تعتبر من دول المرور وعليها اتخاذ نفس مواقف دول المرور الاخرى . وهي ، من ناحية اخرى ، اعضاء في مجموعة مصالح واحدة تدفعها الى اتخاذ مواقف مشتركة . وقد نجحت اغلب الدول العربية في التوفيق بين الموقفين . فلم تكن متشددة مع الدول عديمة السواحل فيما يتعلق بموضوع المرور ، وكانت متضامنة معها فيما يتعلق بالدفاع عن مصلحتها المشتركة في المشاركة في استثمار الثروات الحية للمناطق الاقتصادية المجاورة وفي استثمار ثروات قيعان البحار والمحيطات الواقعة خارج حدود الولاية الوطنية للدول .

والآن ، وبعد ان توصل المؤتمر الى الصيغ التوفيقية التي تحدثنا عنها سابقاً ، والتي إن دخلت حيز التنفيذ تشكل القانون الدولي الوضعي المقبل ، يكون من حق دول المرور العربية ان تنظم مرور الدول عديمة السواحل المجاورة عبر اراضيها في اتفاقيات ثنائية وفق صيغ تضمن احترام سيادتها الاقليمية ومصالحها السياسية والاقتصادية ، وتضمن في عين الوقت حقوق الدول عديمة السواحل في الوصول الى البحار والتمتع بحرياتها .



حُمَيْد الطّائي

اعظم قوّاد المأمون

الدكتور احمد نصيف الجنابي

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخــــل

قد تمرّ حوادثُ لها أهمية عظيمة ، وتأثير كبير في حياة الأمة ، دون أن يفطن اليها أحد ، وكأنها تمرّ مرّ السحاب .

وقد تنجبُ الأمة الأبطال والقادة ، والعلماء ، فتلقي عليهم الأيام ظلاً كثيفاً ، او تعمل الأيدي الخفية وغير الخفية على طمس معالم تلك الشخصيات . . .

وشخصية « حُمَيْد الطائيّ » : القائد المدبّر كانت الشخصية الظاهرة في معترك الأقران ، في عهدٍ من اكثر عهود الخلافة العباسية ، حراجة ، حيث قام بسهم وافر في تغيير دفة الأمور ، عندما أوشكت كفة « المأمون » أن تكون مرجوحة ، فنهز لها بطل الملمات : حميد الطائيّ ؛ ولولاه لكانت سلطة المأمون ، في مهبّ الريح العاصف .

فماذا يجب أن ينال هذا البطل ؟ أيُشاد بذكره ، وينشر طيب عرف عوده ؟ اوينال أرفع المناصب ؟

وإن كان الاخلاص والوفاء ، لا يمكن أن يجازى صاحبهما ، ولو أعطيناه كل مال الدنيا ومناصبها ، لأنّ المبدأ لا يفي به إلاّ الافذاذ ، وهم لا يحرصون على الأموال !

ولكن جزاء «حُمَيْد» كان جزاء سِنمّار ، فقد لعبت السلطة الغاشمة متعاونة مع أعداء حُمَيْد، لعبتها المعهودة، وشوهت ذلكم الوجه الناصع، وتلكم الشخصية الفذة ، فدبرت له مكيدة . . . كانت سبباً في مقتله .

(٢)

ويبدو أنّ الأيدي الأخطبوطية — في ذلك العصر — امتدت فحاولت ابعاد أخبار «حُمَيْد» من صفحات كتب التراجم ، ولكنها لم تفلح ، إلاّ في حدود ضيقة، اذ سارت الريح بعد وفاة المأمون، على غير ما كان يشتهي . فتسربت أخبار «حُمَيْد» الى سطور كتب التاريخ ، غير الرسميّ (والرسمي أحياناً) ، ولذلك كان من مصادري المهمة :

« رسالة أسماء المغتالين في الجاهلية والاسلام » لمحمد بن حبيب، (المتوفى ٢٤٥هـ) و « كتاب بغداد » لأحمد بن أبي طاهر ، (المتوفى ٢٨٠ هـ) ، و « مشاكلة الناس لزمانهم » : لليعقوبيّ ، (المتوفى ٢٨٤ هـ) . . . وان كانت المعلومات التي حصلت عليها قليلة .

حتى في حياة المأمون ، كان بعض الشعراء ، يقدر تلك المواهب الفذّة ، ويزنها بميزان المبادئ الكريمة فينشر العطر ، ويفكّ كمائم الورد . . .

وأشهر الشعراء المعجبين بكفاءة « حُميد الطائيّ » ، عن وعي ، هو « عليّ بن جبَلة العكوّك » ، الذي تتسم قصائده في «حُمَيْد» بمطابقة واقع الشخصية ، مع المحافظة على أصالة الفنّ ، وروح الشعر .

(٣)

وقد اخترتُ هذا الموضوع ، لأنّ كتب التراجم أهملت هذه الشخصية، اهمالاً يكاد يكون تاماً . حتى « تاريخ بغداد ، مدينة السلام » ، للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) بأجزائه الأربعة عشر ، لم يحفل بحُميد ، الذي لولاه لكانت بغداد — منذ بداية القرن الثالث — لعبة بيد أنصار« الحسن بن سهل » الذي سمّاه أهل بغداد : « بالمجوسيّ بن المجوسيّ » .

والهدف من هذا البحث ، وضع تلك الشذرات المتفرقة من الاشارات الى حياة البطل: « حُـمَـيْد الطائيّ » ، والقصائد التي قالها العكوّك عن حوادث تتصل به.. في سياق متناسق تنسجم فيه القصيدة بعمق تصويرها ، مع الحادثة التاريخية الثابتة ، فتبدو الأجزاء ، وحدةً متكاملة تعطي صورة صادقة لذلك القائد الذكيّ المظلوم . . . حتى تكون شخصية ماثلة للعيان .

واعتقد أن هذه أول صورة متكاملة لِحُـمَـيْد الطائيّ، وفقاً لمنهج تمتزج فيه الحادثة التأريخية، بالقصيدة الحية الناطقة، بأعمال الرجال الذين يصنعون التاريخ.

وارجو أن أكون قد وفيت ببعض ما عليّ تجاه فرد من أمة محمد ؛ الأمّة الحافلة بكل المكرمات . والله الموفق لكل خير وهو حسبي ونعم الوكيل .

حُـمَـيْد في الصورة

اذا عُدّ العظماء في عصر المأمون ، فانّ حُـمَـيْداً أولهم. وإنْ عُدّ الكرام المحسنون فانهم لا يقاسون بِحُـمَـيْد ، لانه بزّهم جميعاً .

وإنْ عُدّ القواد الافذاذ، وذوو المواهب النادرة فانّ حُـمَـيْداً اقدرهم وأقواهم وأبرزهم ، ولا سيما في ميدان الحرب والدهاء السياسيّ والتدبير العسكريّ .

وان عد رجال الملمات ومن يُعتدّ بهم في الخطوب المدلهمة والحوادث الجليلة فانّ حُـمَـيْداً الطائيّ أعظمهم وأولاهم بالذكر والتقدير.

وهو مع كل هذه الخلال الكريمة والمناقب العالية يكاد يكون مهملا عنداصحاب التراجم سواء أكانت قديمة أم حديثة . لانني لم أجد من كتب عنه من أصحاب التراجم ولا من استدرك عليهم .

أما الشعراء فنادراً ما مدحوه [1] ، غير أن عليّ بن جبَلَة العكوك قد مدحه بأربع عشرة قصيدة ومقطوعة [2] ، ورثاه بعينية رائعة تُعَدّ من فرائد المراثي في الشعر العربيّ كله . ولولا مدائح العكوّك في حُـمَـيْد والنتف النادرة التي وجدتها في كتب التاريخ العام لضاعت هذه الشخصية وذهبت معالمها وملامحها .

(١) الاغاني : ١٨ : ١١٣ وامالى القالى ٩٦/٣ ومن الغريب ان هذه المدائح لم تصل الينا ولم يصل سوى مدائح علي بن جبلة العكوك .

(٢) ينظر : « شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوك » (بتحقيقنا) .

ان شخصية حُمَيْد الطائي تستحق التخليد والتمجيد والتسجيل لانه رجل ماجد، وقائد فذ، ومن المع الشخصيات وأكرمهم يداً في عصر المأمون وهو من أعظم قواده، بل هو الذي ثبّت له أساس ملكه، وحارب اعظم منافسيه على الخلافة بعد اخيه الأمين - وهو عمه ابراهيم بن المهديّ. وقضى على جيشه في معركة فاصلة عند جسر ديالى، سيأتي ذكرها.

فمن هي هذه الشخصية ؟ وما ملامحها ؟. وما خطرها في ذلك العصر ؟

• فمن حُمَيْد ؟

هو حُمَيْد بن عبدالحميد بن ربعي بن خالد بن معدان الطائي. وابن عمه لحاً: قحطبة بن شبيب بن معدان الطائيّ [3] وقحطبـــه أحد نقباء بني العباس ودعاتهم [4] وابن قحطبة : حميد بن قحطبة وهو أحد القواد المشهورين زمن ابي جعفر المنصور وقد ساهم مساهمة فعالة في القضاء على ثورة محمد بن عبدالله، وكان على مقدمة جيش عيسى بن موسى الذي قضى على ثورة ابراهيم بن عبدالله أخي محمد [5]، وذلك (سنة ١٤٥ هـ)

وهم من بني سعد بن نبهان من طيّئ [6].

وابنه (محمد بن حُمَيْد)، هو الذي رثاه أبو تمام في رائيته المشهورة.

وقد أكد شرف المحتد وطيب الأصل علي بن جَبلة العكوّك (١٦٠ - ٢٢٤هـ) في مدائحه لحُمَيْد. حتى بالغ في ذلك.

ويظهر أن أبا الفرج الأصفهاني قد لاحظ ذلك فقال في وصف شعر علي بن جبلة : «مدّاح حسن التصرف واستنفد شعره في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وابي غانم حُمَيْد ابن عبدالحميد الطائيّ وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حق فضّل من أجله ربيعةَ على مُضَر. وجاوز في ذلك الحد» [7].

---

(٣) ابن حزم : جمهرة انساب العرب /٤٠٤ (ط دار المعارف بمصر. ١٩٦٢م).
(٤) الازدي : تاريخ الموصل / ١١٦ .
(٥) تاريخ الموصل : ١٨٩ .
(٦) ابن حزم : جمهرة انساب العرب/٤٠٤ .
(٧) الاغاني ١٨/١٠٠-١٠١ .

فهو يقول في قصيدة بائية يمدح بها حُمَيْداً : [٨]

الى أكرم ِ قحطـــان	وصلنـــا السهبَ بالسّهْبِ
الى مجتمـــع النَيْـــلِ	وملقى أرحـــلِ الـــرّكبِ
حُمَيْـــدٌ مَفْزَعُ الامّـــ	ـــةِ ، في الشرق وفي الغـــرب

. . . الأبيات

ويقول في مقطوعة أخرى [٩] :

لـــولا حُمَيْـــد لم يكـــن	حسب يُعَـــدّ ولا نَسَـــبْ
يا واحد العـــرب الـــذي	عـــزت بعـــزتـــه العـــرب

وقصائده في « حُمَيْد » تؤكد هذه المعاني كل التأكيد .

• **متى ظهرت شخصية حمُيد على مسرح الحوادث ؟**

ويظهر أن نجم حُمَيْد وطلعته ظهرت على مسرحالحوادث في زمن المأمون. وليس هناك ما يشير الى أنه ظهرت له مواهب أو فعاليات في غير هذا العصر . حتى أفول هذا النجم كان قبل أن ينتهي عهد المأمون حيث قتل مسموما سنة ٢١٠هـ ولم تمتد به الحياة وهو بارز على مسرح الحوادث سوى احدى عشرة سنة ، وان كانت تلك الحياة عريضة ، مليئة بالاعمال الجليلة والرهيبة . فهي حياة ممتدة وطويلـــة .

وأول دور بارز قام به « حُمَيْد » يبدأ في (سنة ١٩٩ هـ) عند قدوم الحسن بن سهل من خراسان بأمر المامون ، ونزوله الشماسية ببغداد [١٠] .

وبعد ذلك يبرز في كل الحوادث التي دارت رحاها في مدينة السلام وماحولها وقام بادوار هائلة في كل تلك الحوادث ، وكانفيما يظهر قائد القوات العسكرية . وليسمجرد قائد. وظل يقوم بخدمة المأمون حتى سلمه السلطة في(سنة ٢٠٤هـ).

(٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٨٦٥/٢ .

(٩) ابن طيفور : كتاب بغداد /١٦٢ والاغاني ١٠٥/١٨ وابن منظور مختـــار الاغاني ٣٤١/٥ .

(١٠) ابن قتيبة : المعارف : ٣٨٧ والطبري ٩٧٥/٣ .

وخلال هذه السنوات الخمس (من ١٩٩-٢٠٤ هـ) ، كان الرجل الذي يعمل بدقة وتصميم وخفاء ولايبرزعلى مسرح الحوادث الا في ادق الازمات ولقد كان ابن تغري بردي والعكوك هما الشخصان الوحيدان اللذان سجلا هذه الصفة . مع فرقين اساسيين : الفرق الاول أن ابن تغري بردي مؤرخ والعكوك فنان شاعر . والفرق بين المؤرخ والفنان كبير . والفرق الثاني أن العكوك مدح شخصا معجبا به رآه رأى البصيرة وابن تغري بردي سمع ماكتب عن حُمَيْد ، أو نقله وما راء كمن سمعا .

أما ابن تغرى بردى فقال عن حُمَيْد: «كان من كبار قواد المأمون وكان جبّارا وفيه قوة وبطش واقدام وكان يندبه للمهمات [١١] .

فأية شهادة صادقة هي ،وأية كلمة دقيقة بقدرما هي بعيدة الغور جمّة المعاني، تجمع تحتها كل صفات هذا الرجل .

أما شاعرنا العكوك فقد سجل هذه الصفات بطريقة الشاعر الفنان فقال :

حُمَيْـدٌ مفزَعُ الأمّـــ ـــةِ في الشرق وفي الغـرب
كأنّ الناسَ جسمٌ وَهْــ ـــوَ منه موضعُ القلـــب
اذا سالم أرضاً غـــ ـــنيـت آمنـة السـرب
وإنْ حـاربهـا حلّـتْ بهـا راغيـةُ السقـب

. . . الأبيات [١٢]

وقد أكد هذا المعنى في قصائد أخرى [١٣] .

• **الحسن بن سهل وحُميد الطائي :**

ان سياسة الحسن بن سهل وسياسة أخيه الفضل لم ترض أهل بغداد فثاروا في وجهه ووجه أخيه . وقد وصفت سياستهما على لسان أهل بغداد بانها « سياسة مجوسية » [١٤] .

---

(١١) ان تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٩٠/٢ .
(١٢) الشعر والشعراء ٨٦٥/٢ .
(١٣) كتاب بغداد /١٦٢ وابن المعتز طبقات الشعراء /١٧٩ والاغاني ١٠٥/١٨
(١٤) تاريخ اليعقوبي ٥٤٨/٢ والطبري ٩٩٨/٣ .

وكان المأمون قد عمل وهو في خراسان على تعقيد المشكلة إذ سحب « هرثمة بن أعين » الى خراسان في السنة التي وصل فيها الحسن بن سهل الى بغداد (سنة١٩٩هـ) ويؤيد ذلك الطبري فيقول : « وكانت الحربية حين خرج هرثمة الى خراسان وثبوا وقالوا : لا نرضى حتى نطرد الحسن بن سهل عن بغداد . وكان من عماله بها محمد بن ابي خالد وأسد ابن أبي الاسد فوثبت الحربية عليهم فطردوهم)[١٥] .

ولم يكتفوا بذلك بل اتخذ سخطهم اسلوبا جديدا ، اذ هاج الشغب ببغداد بين أهل الحربية والحسن بن سهل واخرجوا عليّ بن هشام نائبه من بغداد . وقالـوا « لا نرضى بالمجوس ابن المجوسيّ الحسن بن سهل ونطرده حتى يرجع الى خراسان.

ثم أن عيسى بن محمد بن أبي خالد لما اجتمع اليه اهل بغداد وساعدوه على حرب الحسن بن سهل بعد مقتل أبيه محمد [١٦] كتب الى أهل بغداد : اني مشغول بالحرب وجباية الخراج. فولوا رجلا من بني هاشم (فولوا منصور بن المهدي) وعسكر منصور بكلواذى وارادوه على الخلافة فأبى وقال : أنا خليفة امير المؤمنين حتى يقوم بالامر ، أو يُوَلّي من أحبّ فرضى بذلك بنو هاشم والقُوّاد والجند[١٧] كما ذكر الطبري .

هذا هو الموقف في بغداد وما حولها وهذه خطورته وهذه بعض جوانبه . فأين رجل الساعة ، وأين رجل الملمات والمهمات أين حميد الطائي ؟ ؟ .

يقول الطبري [١٨] ــ بعد أن حدد لنا ابعاد الموقف بعد ثورة اهل بغدد وطردهم لعمال الحسن بن سهل في بغداد ــ مباشرة : (جاء حميد الطائيّ من فوره في طلب بني محمد بن ابي خالد حتى انتهى الى المدائن فاقام بها يومه ثم انصرف الى النيل [١٩] فلمـــا بلغ منصورا خبره خرج حتى عسكر بكلواذى وتقـــدم

---

(١٥) الطبري ٣/٩٩٨ــ٩٩٩ (والحربية اكبر محلة فى بغداد فى الجانب الغربي).
(١٦) قتل يوم الاحد لسبع بقين من ربيع الاول سنة ٢٠١هـ (الطبري ٣ : ١٠٠٣).
(١٧) الطبري ٣ : ٩٩٨ ــ ٩٩٩ .
(١٨) الطبري ٣ : ١٠٠٦ــ١٠٠٧ .
(١٩) نهر النيل موجود الان قرب المحاويل وهو المقصود وينسب اليه اعلام كثـــار .

يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان إلى المدائن ثم ان منصورا وجه اسحاق بن العباس ابن محمد الهاشمي من الجانب الآخر فعسكر بنهر صرصر ووجه غسان بن عباد بن ابي الفرج ابا ابراهيم بن غسان صاحب حرس خراسان ناحية الكوفة فتقدم حتى اتى قصر ابن هبيرة فأقام به) .

هذا هو الموقف في الخارج والداخل ، فماذا فعل حميد تجاه الموقف العسكري الجديد وكيف سجل شاعرنا العكوك ذلك الموقف ؟

ان حميدا الطائي رجل الملمات والمهمات – كان فيما يظن قد علم بخبر غسان ابن عباد وكان يتتبع خطواته بدليل أن حميدا قد أحاط به عند وصوله حتى أن غسان لم يعلم الا وحميد قد أحاط به وبقصره . « فلما بلغ حميدا الخبر لم يعلم غسان الا وحميد قد أحاط بالقصر . فأخذ غسان أسيراً وسلب اصحابه وقتل منهم وذلك يوم الإثنين لاربع خلون من رجب سنة ٢٠١ هـ .

واقام حميد بعد هذه المباغتة الرائعة في النيل ووضح جماعة من الفرسان عند قصر ابن هبيرة .

ولكن بعد القضاء على جيش غسان بن عباد بقي هناك جيش آخر يقوده محمد ابن يقطين بن موسى الذي كان مع الحسن بن سهل الا أنه هرب منه الى عيسى ابن محمد بن أبي خالد .

وخرج ابن يقطين من بغداد يوم السبت لليلتين خلتا من شعبان [٢٠] حتى أتى « كوثى » [٢١] وبلغ حميدا الخبر فباغت « ابن يقطين » كما باغت أخاه من قبل فلم يعلم ابن يقطين حتى اتاه حميد واصحابه الى كوثى فقاتلوه فهزموه وقتلوا من أصحابه وأسروا وغرق منهم بشر كثير ، وانتهب حميد واصحابه ما كان حول كوثى . ثم انصرف حتى أتى النيل فأقام به .

ويظهر أن شاعرنا العكوك وصف هذه المواقف الرائعة بدقة وبلمحات الشاعر الفنان في بائيته التي يقول فيها [٢٢] :

---

(٢٠) الطبري ٣ : ١٠٠٧ .
(٢١) كوثى : كوثيان ، كوثى بمكة وكوثى بالعراق ببابل والثانية هي المقصودة
(٢٢) الشعر والشعراء ، ٢ : ٨٦٥–٦٦ .

حميد مفزع الأُمّة في الشرق وفي الغرب
كأن الناس جسم وَهْـوِمنه موضع القلب
اذا سالم ارضا غنيت آمنة السرب
وان حاربها حلت بها راغية السقب
اذا لاقى رعيل المو ت بالشطبة والشطب
وبالماذية الخضر وبالهندية العضب
غدا مجتمع القلب له جند من الرعب
فيا فوز الذي والى ويا بؤسى أخي الذنب

ولكن المشكلات ما تزال تنتظر رجل الملمات ليجد لها حلا والحقيقة أن معضلة الخلافة وولاية العهد التي جعلها المأمون لعليّ بن موسى الرضى سنة ٢٠١ هـ ، أثارت مشكلة جديدة .

« ففي هذه السنة جعل المأمون على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن على بن ابي طالب رضي الله عنه ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده. وأمر جنده بطرح السواد ، ولبس الخضرة وكتب بذلك الى الآفاق » [٢٣]

وهذا العمل لم يغضب الابناء [٢٤] واهل الحربية فقط ، وانما أغضب بني العباس جميعاً .

فلما أتى الخبر أهل بغداد قال بعضهم نبايع ونلبس الخضرة وقال بعضهم لا نبايع ولا نلبس الخضرة .

وكان بنو هاشم (العباسيون) يرون أن هذه الخطوة تعنى خروج الأمر من ايديهم الى العلويين .

وكان أهل بغداد يرون أنّ هذا العمل يعني خروج السلطان من مدينتهم الى بلاد العجم مرو وخراسان . ولهذا صاحوا جميعاً : « لا نبايع ولا نلبس الخضرة ولا نخرج هذا الأمر من ولد العباس ، وانما هذا دسيس من الفضل بن

(٢٣) الطبري ٣ : ١٠١٢ .
(٢٤) الابناء : هم ابناء انصار الدعوة العباسية . وكانوا اكبر جماعة سياسية في بغداد في العصر العباسي الاول .

سهل » . فمكثوا بذلك أياما يتداولون في الأمر ويقلبونه على أوجهه ليستقروا على رأي نهائي ليجمعوا على أمــــر .

واستقر الرأي على مبايعة « ابراهيم بن المهديّ » عمّ المأمون وهذا رأي أهـــل بغداد ولا سيما الأبناء واهل الحربية وعامة الجند وبني العباس (٢٥) .

فاجتمع قواد الحربية فبايعوا لابراهيم بن المهدي لخمس ليال خلوت من المحرم سنة ٢٠٢ هـ ، دعوا له بالخلافة وسمّوه (المرضيّ) . « ونزل الرصافة وصلى بالناس ببغداد في مسجد المدينة وعسكر بكلواذى ومعه الفضل بن الربيع ، وعيسى بن محمد بن ابي خالد وسعيد بن الساجور وكتب بالولايات وعقد الالوية واستقامت له الأمور وأطاعه الأبناء وأهل الحربية ومن والاها (٢٦) .

• « فماذا يفعل حُميد أمام هذا الموقف السياسي الجديد » ؟

أهل بغداد والأبناء بايعوا ابراهيم بن المهدي . وبنوا العباس اجمعون – الا من شذ منهم – بايعوا ابراهيم بن المهدي ايضا .

وجماعة من قواد حميد يكاتبون ابراهيم بن المهدي على أن يأخذوا له قصر ابن هبيرة الذي بناه حميد واتخذه مقراً عسكرياً له .

وكان هؤلاء القواد يكتبون في الوقت نفسه الى الحسن بن سهل يخبرونه أن حُميداً يكاتب ابراهيم بالولاء (٢٧) .

وهذا موقف الانتهازيين ، في كل زمان ومكان !

وازاء هذا الموقف المحرج ، وهذه الأوضاع المتقلبة ، وهذه الأحوال التي تتطور بسرعة هائلة ، وقف كالطود العظيم والنسر الكاسر ، ودبر الأمور وفكر فيها . . .

ويظهر أنّ حُميداً كان داهية بعيد النظر الى درجة كبيرة جدا ، وكان يدبر اموره بخفاء ولا يظهر على مسرح الحوادث كما اسلفت ، الا في اللحظة الحرجة ،

---

(٢٥) الطبري ٣ : ١٠١٣ واليعقوبي ٢ : ٥٤٨ – والمعارف ٣٨٨ .

(٢٦) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٤٨ .

(٢٧) الطبري ٣ : ١٠١٧ .

وبعد تصميم وتدبير ، بحيث لا يدخل مدخلا الا بعد تدبير الخروج منه بنجاح منقطع النظير .

وكان حميد – في هذا الوقت – نازلا بموضع قريب من الكوفة في خان الحكم عند نهر صرصر [٢٨] ، فراسل عيسى بن ابي خالد كما يقول اليعقوبي . ويؤيد الطبري [٢٩] مضمون رواية اليعقوبي ، ولكن اليعقوبي يذهب الى ابعد من ذلك فيقول : « ثم صار حميد الى بغداد فصلى خلف محمد بن ابي رجاء القاضي صلاة الجمعة وانصرف الى عسكره »[٣٠] .

ويعطي الطبري [٣١] تفاصيل عن خروجه فيقول : « وكان حميد قد خرج من بغداد يوم الثلاثاء حتى عسكر بكلواذى ثم اجتمع بالحسن بن سهل بالحاح من الحسن نفسه وكان اجتماعهما لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ٢٠٢ هـ .

وما أن علم سعيد بن الساجور – احد انصار ابراهيم بن المهدي – بخروج حميد ثم اجتماعه بالحسن بن سهل ، كتب الى ابراهيم بن المهدي يُعلمه بالخبر ويسأله ان يبعث اليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد حتى يدفعوا اليه القصر ،[٣٢] وعسكر حميد .

فلما علم أهل عسكر حميد بخروج عيسى بن محمد بن أبي خالد ونزوله على بعد فرسخ من القصر تهيّأوا للهروب ، فشن اصحاب سعيد بن الساجور على عسكر حميد ، فانتهبوا ما فيه .

كل هذا والمأمون بعيد عن المسرح وبعيد عن الأخطار ، انه ينتظر النهاية حتى يتربع على عرش بناه له حميد ، وأمثال حميد ، على الجماجم .

ان المأمون ليس له أي أثر في هذه الحوادث . . . وتمضي السنوات والأعوام وتسفك الدماء وتقطع الرؤوس والهامات وهو قابع في « مرو » ينتظر الفصل

---

(٢٨) اليعقوبي ٢ : ٥٤٨ .
(٢٩) الطبري ٣ : ١٠٣٠ .
(٣٠) تاريخ اليعقوبي ٥٤٨/٢ .
(٣١) الطبري ١٠١٧/٣ – ١٠١٨ .
(٣٢) القصر : هو قصر ابن هبيرة (الطبري ١٠٠٧/٣) .

الأخير . . . ولكن الفصل الأخير لم تجر حوادثه الا بعد حين . وذلك عندما بدأ (عيسى بن أبي خالد) أعظم قواد ابراهيم بن المهدي بالتحول من ولاء ابراهيم الى ولاء حميد، وذلك في سنة ٢٠٣هـ فكان يكاتب حُميداً والحسن بن سهل سراً[٣٣] .

وكان يُظهر لابراهيم الطاعة والتضحية ، ولم يكن يقابل حميداً ولا يتعرض له في شيء من عمله . وكان كلما تهيأ لقتال حميد يعتل بأن الجند يريدون ارزاقهم ومرة يقول : حتى تدرك الغلة . فما زال بذلك حتى اذا توثق مما يريد بينه وبين الحسن وحميد فارقهم على ان يدفـع اليهما ابراهيم بن المهدي يوم الجمعة لانسلاخ شوال [٣٤] .

أما ابراهيم بن المهدي فعلم بالخبر فلما كان يوم الخميس أرسل الى عيسى ابن أبي خالد فأمر به فضرب وجهه . وأخذ عدة من قواده فحبسهم وذلك يوم الخميس لليلـة بقيت من شوال سنة ٢٠٣ هـ ، — وبذلك فشلت المؤامـرة التي دبرها عيسى بن أبي خالد مع حميد والحسن ابن سهل .

ولكن حبس عيسى بن ابي خالد أثار لابراهيم مشكلة أخرى ، فلما علم أهل بيت عيسى واصحابه الخبر مشى بعضهم الى بعض وحرضوا الناس على ابراهيم بن المهدي ، واجتمعوا فشدوا على عامل ابراهيم بن المهدي على الجسر فطردوه وعبر الى ابراهيم فأخبره الخبر ، فأمر بقطع الجسر ، فطردوا كل عامل كان لابراهيم في الكرخ [٣٥] .

واستغل اصحاب عيسى وآله هذه الفوضى المدبرة فأرسلوا الى حميد يسألونـه المصير اليهم ، ليسلّموا اليه بغداد ، وفي الرسالة شرط منهم عليه أن يعطي جند أهل بغداد كل رجل منهم خمسين درهماً فاجابهم الى ذلك [٣٦] .

ويبدوا أن الحالة الاقتصادية في فترة حكم ابراهيم بن المهدي كانت متدهورة

---

(٣٣) الطبري : ٣/١٠٣٠–١٠٣١ .
(٣٤) الطبري : ٣ : ١٠٣١ .
(٣٥) الطبري : ٣ : ١٠٣٢ .
(٣٦) الطبري : ٣ : ١٠٣٤ .

في بغداد ، والا لما كان مبررا لوجود مثل هذا الشرط الذي يفتقر فيه الجندي الى خمسين درهماً ليبيع ولاءه ؛ فما أرخص ثمن الولاء !

يؤيد ذلك ما رواه غير واحد (٣٧) أن ابراهيم بن المهدي لما صارت اليه الخلافة اقترض من مياسير التجار مالاً ، ومن الذين اقترض منهم هو عبدالملك الزيات والد محمد بن عبدالملك الزيات ، ولم يؤدها اليهم . ولذلك هجـاه محمـد بن عبدالزيات . وكان ابراهيم بن المهدي يكرهه ويشنأه .

هذا الموقف يخدم حميدا ويمهد له السبيل للدخول الى بغداد فاستغل هذا الموقف وهو الاريب الالمعي والذكي البارع والقائد المحنك فجاء حتى نزل نهر صرصر بطريق الكوفة ، فخرج اليه قواد بغداد فلقوه غداة الاثنين فوعدهم ومناهم فقبلوا ذلك منه . ووعدهم أن يضع لهم العطاء يوم السبت في الياسرية على أن يصلوا الجمعة فيدعوا للمأمون ويخلعوا ابراهيم بن المهدي فأجابوه الى ذلك .

وهكذا لعب العامل الاقتصادي دورا فعال في نجاح حميد بجانب العوامل الاخرى السياسية والعسكرية .

ولم يدع حميد الطائي الفُرصة تمرّ دون استغلالها كل الاستغلال .

فأخذ يتقدم بسرعة نحو بغداد (فلما رأى اصحاب ابراهيم قواده أن حميداً قد نزل في أرجاء عبدالله بن مالك تحول عامتهم اليه واخذوا لـه المدائن) (٣٨) .

وأصبحت بغداد مهددة واصبح ابراهيم مهدداً ، وأدرك أنّ المعركة الفاصلة آتية لا ريب فيها ، فأخرج جميع ما عنده من جيوش وعدة ، فالتقيا بجيش حميد على جسر نهرديالى ، فانهزم اصحاب ابراهيم بن المهدي فتبعهم اصحاب حميد حتى ادخلوهم بيوت بغداد وذلك يوم الخميس لانسلاخ ذي القعدة(٣٩) سنة٢٠٣هـ ، فلما رأى الهاشميون والقواد أنّ كفة حميد وقواده قدرجحت ، أخذوا يلحقون بحميد ، واحداً واحداً فشق ذلك على ابراهيم . . .

---

(٣٧) كتاب بغداد : ١٠٨ـ١١٠ ، اشعار اولاد الخلفاء : ٢٧ .
(٣٨) الطبري ٣ : ١٠٣٤ .
(٣٩) الطبري : ٣ : ١٠٣٤ ، والذهبي : العبر ٣٨٩/١ .

وكان المطلب بن عبدالله بن مالك يكاتب حميداً على أن يأخذ له الجانب الشرقي.

وكان سعيد بن الساجور وعبدويه وجماعة من قواد ابراهيم يكاتبون « عليّ بن هشام» على أن يأخذوا له ابراهيم (٤٠) .

اما الفضل بن الربيع ، الذي كان من أشد انصار ابراهيم ، فانه ذهب الى حميد ، والتحق به (٤١) .

فلما جاء عيد الاضحى . ذهب ابراهيم سائراً من داره الى المسجد ، في موكب مهيب ، وهناك صلى بالناس صلاة العيد ، ثم رجع الى قصر الرصافة ، وغدى الناس فيه حسب العادة الجارية في البلاط العباسي .

وكان ذلك مجرد مناورة لرمي الرماد في العين . اذ انه هرب في اليوم الثاني من عيد الاضحى دون أن يعلم به احد (٤٢) (أي لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة) .

فلما جاء حميد وعليّ بن هشام وحاصروا قصر ابراهيم ودخلاه لم يجداه فيه . (٤٣)

ثم غلب حميد على غربي بغداد وعلى بن هشام (٤٤) على شرقيها .

ومن المرجح ان على بن جبلة العكوك قد خصص قصيدة طويلة هي القصيدة الرائية التي اوردها ابن المعتز (٤٥) لوصف الجهود التي بذلها «حميد» القائد المقدام، للتخلص من منافس المأمون الأكبر ابراهيم بن المهدي واحتلال بغداد لتسليمها الى المأمون بعد احتلالها بشهرين . كما سيأتي .

وقد مدح بهذه الرائية التي بلغت ستين بيتاً حميداً ، ووصف اول ما وصف كرمه وعطاياه التي كانت سبباً من اسباب انتصاره فقال :

(٤٠ ــ ٤١) الطبري ٣ : ١٠٣٦ .

(٤٢) التنبيه والاشراف للمسعودي /٣٠٣ وتاريخ بغداد ١٤٢/٦ ، اما الطبري فيجعل اختفاء ابراهيم لثلاث عشره بقيت من ذي الحجة (الطبري ٣ : ١٠٣٦) . ولكن رواية المسعودي والبغدادي هي التي تتفق ومنطق الحوادث .

(٤٣ ــ ٤٤) الطبري ٣ : ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ .

(٤٥) ابن المعتز : طبقات الشعراء ١٧٩ــ١٨٤ .

لــو حمى الدنيــا حميدٌ لــم يكنْ فيهــا فقيــرْ
مَلِكٌ كِلتــا يديــهِ بعــطــايــاهُ دَرور
وكلا يوميــه فــي الار ضِ بَشِيــرٌ ونــذيــر
وكفــاه أنّــهُ يَــمٌّ تُساميــهِ البحــور
أريحيٌّ منهــبُ المــا لِ وبالسيفِ شــتــور

وصفة الكرم هنا ليست مجرد مدح قاله شاعر لشخصية يعجب بها ولكنه حقيقة تأريخية سجلها اليعقوبي فقال : « وكان حميد بن عبدالحميد الطائي جواداً سمحاً مُفْضِلاً ، ووقف ضياعاً غلتها في السنة مائة الف دينار على أهل البيوتات وذوي الاقدار . وكان لا يردُّ احداً »[٤٦] .

فأية دلالة رائعة في قول التاريخ : كان حميد لا يرد احدا ؟ ؟ وهذا ما وصفه الشاعر الفنان هذا الوصف الفني الدقيق . ولم يكتف العكوك بذلك بل وصف خططه الدقيقة التي لايفطن اليها أحد لدقة تدبيرها ولشدة خفائها .

وركــوب ثبــج الخطـــ ـــة يخشــاهــا الجســور
ضمــن الأرض حمــيــد فهــو للارض خفــيــر
يا ابا غــانــم الغــنــ ـم على مــن يستجيــر
وأبا الأمــن اذا ضــا قــت من الخوف الصــدور
بك ركن الأرض يرســو ورحــى الملك يـــدور
أنــت للملك نصــيــر ولــك الله نصــيــر

ثم يصف ما فعله بجيوش ابراهيم بن المهدي وقواده وخاصة غسان بن عباد ومحمد ابن يقطين اللذين وصفنا هزيمتهما .

ويقول العكوك :

رُبّ ملتــفٍّ الســرايــا غــــرّهُ منك الغــــرور
ابطــرتْــهُ دَعــةُ النعــ ـمة والعــزّ النمــيــر
ألِــفَ النكثَ الى النكــ ـث يعــزّي ويغــيــر

(٤٦) اليعقوبي : مشاكلة الناس لزمانهم /٣٠ .

قَــدْتَــهُ بالخيـلِ قَوداً يومَ قيـدِ الخـيلِ زور
وخميس تقبـض الار ض لـه ؛ ظـل يسـير
تصـل البيـض خطـاه وقنـا الخـط شـجيـر
ويـنـاجي فيـك للمـو ت أيـامَى وشـمـور
مثـل مـالـفّ اليـه قـزع المـزن الصبـير
قد تركتَ الطيـر جـاءت لمـّـةً وهـو عـقـير

ولم يترك العكوك حميداً بل لازمة بعد ذلك فوصف كثيراً من جوانب شخصيته الفذة وأحواله . وما يتصل بـه .

• حُميد والعكوك بعد دخول المأمون بغداد :

وبعد احتلال بغداد من جانب حميد وعلى بن هشام بشهرين ورد المأمون بغداد، حيث دخلها ارتفاع النهار لاربع عشرة ليلة بقيت من صفر، ولباسه ولباس اصحابه واعلامهم كلها الخضرة .

فلما قدم نزل الرصافة وقدم معه طاهر بن الحسين فأمره بنزول الخيزرانية مع اصحابه ثم تحول فنزل قصره على شط دجلة .

وأمر حميدَ بن عبدالحميد وكُلَّ قائد أن يقيم في عسكره . فكانوا يختلفون الى دار المأمون ، كلَّ يوم .

وكان لحميد قصر على دجلة ايضا . ويظهر أن شاعرنا العكوك كان يزوره فيه . وقد اورد لنا صاحب الاغاني في مواضع متعددة من كتابه زيارات العكوك لحميد بن عبدالحميد . في الاعياد والمناسبات وغيرها .

وقد وصف قصره بأبيات لم تحتفظ لنا المصادر الا بأربعة أبيات منها، فقط[٤٧] ويظهر من الأبيات انها قيلت بعد دخول المأمون بغداد :

(٤٧) طبقات الشعراء /٤٣٤ ــ الاغـاني ١٨ : ١١٣ ــ امـالي القـالى ٩٦/٣ والثعالبي خاص الخاص ١١٨ ــ الراغب الاصفهاني : محاضرات الادباء ١٤٨/٣ الحماسة البصرية ١٤٦/١ .

دجلةُ تسقي وابو غانم يطعم من تسقي من الناس
أعدّ للمعروف أموالَهُ وسيفُه في حلبة الباس
يرتقُ ما يفتق اعداؤه وليس يأسو فتقه آسي
والناسُ جِسمٌ، وإمامُ الهدى رأسٌ، وأنت العينُ في الرأس

والذي يبدو بوضوح انّ اهمية حميد ودوره الكبير ما يزال مستمرا فان حميدا الطائي هو رجل الملمات وكان حميد يعرف ذاك من نفسه ويعلم انه رجل المهمات وانه أرسى ملك المأمون ولذلك كان يمن بذلك [٤٨] .

ومما يدل على بقاء هذه الأهمية ، هو ان الجند كتبوا الى المأمون كتبا وطرحوا رقاعا في المسجد يسألونه ارزاقهم . فوكل المأمون ذلك لحميد .

فاعطاهم حميد ذلك، وكان الذي وزّعه عليهم رزق ستة اشهر. وتم التوزيع لسبع بقين من صفر سنة ٢٠٤ هـ.

وكثيرا ما اشاد العكوك بهذه الصفات الكريمة والخلال المجيدة وهذا المكان الذي يتمتع به حميد في حكومة المأمون . . .

انه ركن هذا الملك . وأساسه . ولولاه لضاع هذا الملك وانهدم الأساس والبناء . انه يصور الحقيقة الثانية بصورة فينية دقيقة خالدة . .

ويظهر أن أكثر هذه القصائد كانت في أيام السلم والهدوء والاستقرار لان المصادر تؤكد أن أكثر هذه القصائد أهديت الى حميد في أعياد النوروز او أعياد الربيع وفي أيام المأمون ومنها نونيته التي أثارت النقاش كما يذكر ابن المعتز [٤٩] واورد ابو الفرج اربعة أبيات منها ، يقول فيها العكوك :

بطاعةِ الله طُلْتَ الناسَ كلّهمُ ونُصحِ هاد أمينِ الملكِ مأمونِ
حميد يا قاسمَ الدنيا بنائله وسيفه بين أهل النكث والدين
أنتَ الزمانُ الذي يجري تصرُّفُهُ على الانام بتشييدٍ وتليين

---

(٤٨) ابن حبيب : رسالة اسماء المقتالين من الاشراف ــ ضمن مجموعة نوادر المخطوطات ٢/١١٩ . كتاب بغداد : ٣٠٢ .
(٤٩) طبقات الشعراء : ٤٣٣ والاغاني ١٨ : ١٠٨ .

لولم تكنْ كانتِ الايّامُ قدفَنِيَتْ   والمكرُماتُ ومات المجدُ مُذْ حين
لقد مننتَ على الدنيا وساكنهـا   بظلٍّ أمنٍ بسيطٍ غيـر مأمون
طويتَ كلَّ حشا منها على أمل   الى قرينة خوف منك مأمون
اصبحتَ للملكِ عرنيناً تقوم به   يوم الكريهة جـدّاعَ العرانين

. . . . . . الأبيات (٥٠)

* **اغتيال حُميد وموقف العكوّك :**

ولكن . . . هل كان المأمون يقدر لهذا البطل صفاته ويثمن مواقفه . ويعطيه حقه ومكانته ؟ تلك التي اقام بها ملك المأمون الذي كاد أن يزول ؟ .

إنّ جميع الدلائل تشير الى أن المأمون لم يكن ليرتاح لهذه المنزلة العاليـة التي يتمتع بها حميد الطائي حتى روى ابن طيفور (٥١) في كتاب بغداد ، أنّ المأمون قال يوماً وفي مجلسه جماعة : « هاتوا من في عسكرنا من يطلب ما عندنا بالرياء» فقال كل واحد بما عنده الى أن قال المأمون حين ذكر اهل الرياء :

« تسبيح حميد وصلاة قحطبـة » ! !

ومن أقوال المأمون التي توضح موقفه من هذا الرجل وتفضح سريرة نفسه قوله :

« الحمدلله الذي وهب لي هذه الأخلاق التي اصبحت احتمل بها على بـن صالح وحميد بن عبدالحميد و . . » (٥٢)

وليس هذا موقفه من حميد فقط وانما هو موقف المأمون من العظماء والدهاة دائما ولا سيما الذين يقومون بأعمال جبارة يخدمون بها الدولة ويقيمون بناءها على اسس قوية من الاخلاص والوفاء .

انه امرؤ غادر لا وفاء له ولا اخلاص . انه امرؤ شيمته الغدر والاغتيال لعظماء الرجال ودهاتهم واقويائهم .

---

(٥٠) طبقات الشعراء ٤٣٣ والاغاني ١٠٨/١٨ .
(٥١) كتاب بغداد / ٥٥ .
(٥٢) نفسه / ٥٧ .

ولهذا فليس غريباً أن يغتال المأمون حميداً بالسُّم ، وذلك في سنة ٢١٠هـ[٥٣] ومن الغريب أن جميع المصادر ، خلا ابن حبيب ، قد سكتت عن هذا الاغتيال . وانما ذكرت وفاته سنة ٢١٠ هـ بطريقة عادية ليس فيها ايّ امر غريب . ولكنّ محمد بن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) أوضح في رواية مفصلة في رسالة « أسماء المغتالين » قصة الغدر الفاضحة التي دبرها المأمون لرجل الملمات حميد الطائي . يقول ابن حبيب [٥٤] (دعا المأمون حميداً يوماً فأتاه وعنده « احمد بن ابي خالد الاحول » (*) وكان الذي بين حميد واحمد بن أبي خالد سيئاً فلما قربت المائدة ، فساء ذلك حميداً فقال له : يا امير المؤمنين لا أماتني الله حتى يريني الدنيا عليك سهلة ، حتى ترى أيّنا انفع لك . فقال ابن ابي خالد : يا أمير المؤمنين إنما يتمنى فساد ملكك والفتنة ! !

فقام المأمون عن المائدة ولم يتم غداءه واحتقنها عليه . وانه لما اراد الخروج للبناء ببوران ابنة الحسن بن سهل قال لحميد : يا ابا غانم قد اذنت لك في الحج ، فانصرف حميد مسروراً . ثم اتاه جبريل بن بختيشوع [٥٥] فقال : يا ابا غانم – طر بذلك – فاني ارجو أن تأتي بكل جارية معك حاملا . وكان حميد مغرما بالنكاح حلالا وغيره ،فسقاه شربة. وكان عنده متطبب يقال له عبدالله الطيفوري، فلما رأى الشربة قال لجبريل : ابو غانم اليوم قد ضعف عن هذه . فقال له جبريل قد نسيت ! ! وعرف الطيفوري قصة الشربة فلم يكشف له امرها فلما شربها اخلفته مائتي مرة [٥٦] وجعل الطيفوري يطفئها حتى تماثل قليلاً . ثم اقام بعد ذلك فشكا اليه ما اصابه من الشربة . فقال له : ادخل الساعة الحمام .

---

(٥٣) ابن حبيب : رسالة اسماء المغتالين من الاشراف ، ضمن نوادر المخطوطات جـ ٢ : ١٩٩ .
(٥٤) رسالة اسماء المغتالين من الاشراف ــ نوادر المخطوطات ٢/١٩٩ــ٢٠٠ .
(*) يلاحظ ان الدور الذي قام به في قتل طاهر بالسم سنة ٢٠٧ هـ ، قام به في قتل حميد !!
(٥٥) طبيب مشهور في عصر الامين والمأمون وكان الرشيد قد استدعاه الى بلاطه (أوليري : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب / ٢١٨) .
(٥٦) أي اصابته باسهال فجعل يختلف الى المتوضأ .

فانتغضت به . فمكث مبطونا شهر رمضان كله . ومات ليلة الفطر سنة عشر ومائتين.

فيا لها من خسارة . . . ويا لها من خطيئة كبيرة ! !

لقد ادرك المأمون أنّ نجم حميد قد سطع وأن نفوذه اصبح قويا وان تأثيره يمكن ان يؤدي الى نتيجة خطرة بالنسبة لسلطته فنفذ تلك المؤامرة التي أودت بحياة اعظم القواد تدبيرا ، وأشدهم اثرا في توطيد اسس حكم المأمون . فتحركت نفس المأمون التي تعكس السياسة الغادرة بصورة واضحة .

انها السياسة التي لا ترقب في مؤمن إلاً ولا ذمة ما دامت هذه السياسة تحقق المطامع التي يريدها الخليفة او السلطان . . .

ان التفصيلات التي ذكرتها الرواية حشرت حشرا لتؤيد وجهة نظر السياسة والا فان المأمون هو صاحب السلطة والشأن وهو المسؤول عن هذه الفعلة الشنعاء ليخلص من هذا البطل الخطير والقائد النبيه العظيم او انه هو الذي مهد للامر قبل وقوعه فصرح في مجلس فيه جماعة بنيته الغادرة المبيتة تجاه حميد ، فاتهمه بالرياء واتهمه بعدم الاخلاص له (٥٧) وأوضح انه يضيق به ذرعاً ، وأنه ، يحتمله بصعوبة « الحمد لله الذي وهب لي هذه الاخلاق التي اصبحت احتمل بها عليّ بن صالح وحميد بن عبدالحميد » ! ! (٥٨)

فأية قوة غادرة يفصح عنها هذا القول ويدل عليها ؟ !

ومما يلفت النظر أن أحمد بن ابي خالد كاتب المأمون او وزيره هو الذي نفذ قتل طاهر بن الحسين بالسُم أيضاً ، في اليوم الذي أراده المأمون في تفصيلات لا مجال لذكرها الآن (٥٩) .

* آثار النبأ الجلل :

وقد هز هذا النبأ العالم الاسلامي بدون ادنى ريب ،وهز مشاعر المحبين لحميد.

---

(٥٧) كتاب بغداد لابن طيفور : ٥٥ .

(٥٨) نفسه : ٥٧ .

(٥٩) انظرها فى تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٥٦ ــ العقد الفريد ٢ : ٢٠٤ الديارات ٩٥ وفيات الاعيان ٢/٢٠٥ الفخري /٢٠٠ ابن كثير ٢٦٠/١٠ .

وكان صديقه العكوك اعظم من هزه موت حميد وأثار مشاعر الحب والاخلاص فيه . وعواطف الوفاء وحسن الرعاية وحفظ الذمم ، فرثى حميدا بقصيدة عينية رائعة تبدأ هكذا [٦٠] :

أَلِلدهرِ تَبكي أم على الدهر تجزَعُ	وما صاحبُ الأيام إلاّ مُفَجَّعُ
ولو سهلتْ عنكَ الاسى كان في الأسى	عــزاءُ مُعَزٍّ لِلبَّبيبِ ومَقْنَــع
تَعَزَّ بمــا عزيــتَ غيركَ إنهــا	سهــامُ المنــايــا حائماتٌ ووقَّعُ
أُصبنا بيوم في حميدٍ لو انّـــهُ	أصاب عروشَ الدهر ظلّتْ تضعضعُ
وأدّبنا ما أدّبَ الناسَ قبلنــــا	ولكنه لم يَبْــقَ للصبــرِ موضعُ
ألم ترَ للايام كيــف تصــرمتْ	بــه ، وبه كانت تُذادُ وتُدفعُ
وكيف التقى مثوىً من الارض ضيِّق	على جبلٍ كانت به الأرضُ تمنعُ ؟!

وهي قصيدة طويلة في اربعة وثلاثين بيتاً [٦١] ... وكانت لها شهرة كبيرة في عصرها وبعد عصرها . فكان أنْ غُنّي أوّلها المغنون [٦٢] . واعتبرت من قلائــد المراثي ، ونادر الشعر وبديعه [٦٣] وقد أثّرت في اعظم شعراء العربية : ابي تمام والبحترى والمتنبي [٦٤] .

ومن الملاحظ أن أحداً من الشعراء لم يرث حميدا ، غير العكوك كما أنّ هذه المرثية هي القصيدة الوحيدة له في فن الرثاء . ولم يرث أحداً قبل حميد ولا بعده ؛ وقد مات الرشيد (١٩٣ هـ) والامين (١٩٨ هـ) قبل حميد (ت ٢١٠هـ) ومات المأمون بعده) (ت ٢١٨ هـ) فكانت هذه القصيدة الفريدة لوحيد زمانه وفريد عصره : حُميد الطائيّ . . .

وبالرغم من شهرة هذه القصيدة وأنها للعكوّك في رثاء « حميد » ، فانّ الدكتور شوقي ضيف يقول : (وعثر القدر بمحمد بن حميــد في حروبه مع « بابك »

---

(٦٠) الاغاني : ١٨/١٠٧ .
(٦١ – ٦٢ – ٦٣) الاغاني ١٨/١٠٧ .
(٦٤) عندي بحث متكامل ؛ يتناول أثر العينية في قمم الشعر العربي الثلاث : ابى تمام والبحتري والمتنبي . وارجو ان يوفقني الله الى نشره ، وهو حسبي .

فخرّ صريعاً في ساحة البطولة والجهاد لأول سنة ٢١٤ للهجرة . ووجدت عليه بغداد والعالم الاسلامي ، وجداً شديداً . ورثاه أبو تمام بمراثٍ رائعة . ولعليّ بن جبلة مرثية بديعة فيه ، ويقال : بل هي في أبيه حميد ، ولكننا نرجح أنها فيه) .

ولو تفحصنا القصيدة العينية جيداً ، ونقدناها نقداً داخلياً ، لرجحنا أنها في حميد الطائيّ ، وليست في ابنه محمد ؛ فانّ الشاعر يكرر اسم حميد مرة بعد مرة ، ولو كان المرثيّ محمداً لقال : محمد ، ولم يقل : حميد . وواضح من قوله : « أصبنا بيوم في حميد » ، أنها قيلت في رثاء حميد .

هذه واحدة . . .

أما من جهة النقد الخارجيّ فان الرواية ترجح أيضاً أنها قيلت في رثاء حميد ، وليس هناك من يرى أنها في محمد ، سوى الدكتور شوقي ضيف . ولعلّ أهم الذين وثقوا نسبتها الى العكوّك في حميد ، هو أبو الفرج الأصفهانيّ[٦٥] . وهو ثقة في مثل هذه الأمور .

وهذه ثانية

أما الثالثة فانّ . المصادر ذكرت أنّ الذي رثى محمداً هو أبو تمام ، ومن ذا الذي لا يعرف رائيته الشهيرة في محمد بن حميد :

وما مات حتى مات مضربُ سيفه
من الضرب واعتلّت عليه القنا السمرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلاً ، فردّه
اليه الحفاظ المُرّ ، والخلق الوعرُ
فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت أخمصك الحشرُ
تردّى ثياب الموت حمراً ، فما دجى
لها الليل إلاّ وهي من سُندس خضرُ

(٦٥) الاغاني ١٠٧/١٨ وانظر : ابن خلكان ٣٩/٣ ، حيث وثق هذه النسبة ايضا .

وقد قال عنها « أبو دلف العجليّ »(٦٦) ، بحقّ : (لم يمت من رُثي بمثل هذا الشعر) .

ولعل الامعان في القصيدة وقراءتها بدقة يثبتان أنّ محمداً كان حياً عندما قيلت « القصيدة العينية » ، وهو ممدوح بالابيات الثلاثة الأخيرة من القصيدة ، وليس مرثياً :

وقد رأب الله الملا بمحمّد
وبالاصلِ ينمى فرعُه المتفرّعُ
أغرّ على أسيافه ورماحه
تقسّم انفاس الخميس وتجمعُ
حوى عن أبيه بذل راحته الندى
وطعن الكلى والزاغبيّة شُرَّعُ

وتلك سُنّة متّبعة عند الشعراء ، في رثائهم الميت والحزن عليه ، وفرحهم بمن يخلفه ويقوم مقامه . . .

أليست هذه الأدلة كافية للتدليل على أن القصيدة العينية هي للعكوك في رثاء حميد ؟ !

خاتمة البحث ونتائجه

كانت مهمة البحث ابراز ملامح شخصية عربية اسلامية ، تعد من أهم الشخصيات التي قادت الجماهير وغيرت موازين القوى لصالح الدولة العباسية ، في أشد عهودها خطورة .

لقد بين البحث نسب « حميد الطائي » ، فظهر أنّ نفراً من أهله وعشيرته ، كانوا دعاة العباسيين ، وانصارهم ، وقوّادهم .

ثم اوضح أهمية « حميد » وأثره في الحوادث الحرجة التي اضطربت فيها بغداد (من سنة ١٩٩ — ٢٠٤ هـ) .

---

(٦٦) هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل ، العجلي ، كان شاعرا اديبا ، وسمحا جوادا ، وبطلا شجاعا توفي ببغداد سنة ١٢٥ هـ .
(تاريخ بغداد ٤١٦/١٢ — ٤٢٣ والاغاني ٢٤٨/٨ ط . دار الكتب) .

وأبْرَزَ وقت دخول المأمون بغداد ، بعد كل الأحداث الخطيرة التي كادت تعصف بالخلافة العباسية ، وكيف كان مجيء المأمون في الساعة التي صفا فيها الجو ، وذهبت الأخطار المحدقة بالملك . . .

ومن خلال ذلك تتبعتُ القصائد والمقطوعات التي قالها الشاعر : « عليّ بن جبلة المعروف بالعكوّك » ، في « حميد » وجعلتها — مرتبطة ارتباطاً عضوياً مع الحادثة التاريخية وكأنها الوجه الآخر للعملة الذهبية .

(٢)

أما النتائج الجديدة التي توصل اليها البحث فهي :

(١) انّ « حميداً » كان أبرز قائد في السنوات التي اضطربت فيها بغداد ، وتنافس فيها المتنافسون على الملك .

(٢) وانه الشخصية الفذة التي قضت على مؤامرة « الحسن بن سهل » ذي النزعة المجوسية ، حيث اراد أن يقتلع جذور الدولة العباسية .

٣ — وأنّ « حميداً » هوالذي قضى على ثورة عم المأمون «ابراهيم بن المهدي» ، وقضى على جيشه في معركة فاصلة قرب جسر ديالى (حالياً) .

٤ — وان « المأمون » كان في (مرو) ، في اثناء كلّ تلك الحوادث ، ولم يأت الى بغداد إلاّ بعد أن صفا الجو ، وهدأت العاصفة .

٥ — وانّ المأمون عرف خطر تلك الشخصية ، وتأثيرها في الحوادث ، المقبلة ، فعمل على التخلص منه .

٦ — وكان اول ما عمله . . . الدعاية ضدّ « حميد » والتشكيك في ولائه للدولة العباسية ، بعد كل ما أسداه من خدمات . . . زاعماً أن ولاء « حميد » كان لوناً من الوان الرياء والنفاق !

٧ — ثم سخّر « أحمد بن أبي خالد الأحول » ليقوم بدوره المرسوم في قتل المنافسين بالسُّمّ ، وقد قام بالدور نفسه حيث قتل « طاهر بن الحسين » ايضاً .

٨ — واستعان المأمون بالطبيب «جبريل بن بختيشوع »فسقاه شربة ، بحجة تقوية

طاقته الجنسية ... (غير أنها كانت السُّم بالدسم . فصارت سبباً في موت حميد البطل الداهية . . .

أفهذا جزاء العاملين الصادقين المخلصين ؟ ! .

٩ – وظهر لي أنّ الشاعر العكوّك من أكثر الشعراء المعاصرين لحميد ، تقديراً لشخصيته وفهماً لمواهبه ، وقد اتسمت قصائده بأنها رائعة فنياً وصادقة وأنها تسجل بدقة أخطر الأحداث التي برّز فيها حميد ، بحيث ينسجم التأريخ والشعر بشكل لا نظير له إلا نادراً . . .

١٠ – وانّ « العكوك » هو الشاعر الوحيد الذي رثى حميداً بعينية طويلة تُعدّ من غرر المراثي ، وروائع القصائد وسارت مسير الشمس – فصار شعره بحق وسيلة من وسائل تخليد تلك الشخصية ، وأعظم سجل لمآثرها .

وهل بعد الشعر الصادق الرائع من وسيلة لتخليد الرجال ، اذا غمط التاريخ حقوقهم ؟ !



ضَبْطُ ٱلنَّصِّ وَٱلتَّعليقُ عَلَيْهِ

الدكتور
بشار عواد معروف
كلية الآداب – جامعة بغداد

مقدمة :

يحتل ضبط النص والتعليق عليه أهمية عظيمة في علم تحقيق المخطوطات العربية ويثير كثيراً من الاختلاف والجدل بين المعنيين بهذا الفن الجليل ؛ فمنذ أن بدأ العرب يعنون بتحقيق المخطوطات العربية ونشرها ظهر رأيان متضاربان حول الطريقة التي ينبغي اتباعها عند نشر التراث العربي ، الأول : يرى الاقتصار على إخراج النص مصححاً مجرداً من كل تعليق ، والثاني : يرى أن الواجب يقضي توضيح النص بالهوامش والتعليقات وإثبات الاختــلافات بين النسخ والتعريف بالأعلام وشرح ما يحتاج إلى شرح وتوضيح .

وأقامَ الفريقُ الأول رأيه على أن الغاية من التحقيق هي إخراج ما يسمى بـ «النص الصحيح » فلا حاجة بعد ذلك إلى إثقاله بالهوامش والتعليقات ، وقد أخذت به كثرة كاثرة من المستشرقين ومَن سار على نهجهم من العرب .

وارتأى الفريق الثاني أن طبع النص مجرّداً هو تحريف لطبيعة البحث العلمي واستقامته باعتبار « ان الأصل في إخراج النص أن ينظر المحقق فيه وفيما حوله . . وأن يكشف اثاراته وأن يبين عن إشاراته ، وأن يدل على المنازع التي صدر عنها ... ومثل هذا الجهد الذي لا بد منه في التحقيق ، لا بد منه بعد ذلك في الدراسة . . . فمن الخير إذاً أن يندمج هذان الجهدان معاً ، فيتولى محققو النصوص بالذات ، عمليات الشروح الأولى هذه ، لكي تصبح جاهزة للبحث الأدبي الصرف ،

أو للبحث التأريخي الصرف ، أو لهما معاً فتجلى مضيئة من غير عتمة ، نيّرة من غير لبس ، مخدومة خدمة محرّرة تتيح للباحث أن ينطلق بعد ذلك عنها ، دون أن يضطر إلى معاودة الجهد الذي بذله المحققون »[1] .

وقد بالغ بعض المتعانين لهـــذا الفن فأثقلوا هوامش الكتب التي عنوا بنشرها بتعليقات وتعاريف لا مبرر لها ولا مسوّغ كأنهم يريدون تَوْبلة الكتاب بهـــا تاركين خلفهم الصعب المبهم الذي هو بالتعليق خليق ، حتى بلغ الأمر ببعضهم أن عرّف بأعلام الناس كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومالك والشافعي ونحوهم ، وعرّف بمشاهير المواضع والبلدان مثل دمشق وحلب وحمص وبغداد والموصل والبصرة والقاهرة والاسكندرية ونحوها ، كما أن بعضهم كرر التعريف بالعلم المشهور في أكثر من موضع فأخرجوا التحقيق الدقيق عن طريقه القويم [2] .

---

(١) راجع مقدمة العالم الفاضل الدكتور شكري فيصل للجزء الثالث من « الخريدة » الشامية : ٢٤–٢٥

(٢) انظر مثلا لا حصراً التعليقات على « معجم السفر » للسلفي بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسنية ، والتعليقات على « تاريخ » ابن الفرات للدكتور الشماع ، والتعليق على كتاب « الروض النضر » للعمري الذي نشره الدكتور سليم النعيمي . وقد عرف الدكتور الشماع بمدن من مثل اذربيجان (٣/١) وحمص (٥/١) ، ودمياط (٦/١) ، وسمرقند (١٥/١) ، وخوزستان (١٦/١)، وبعلبك (٤٩/١) ، وحماه (٩٤/١)، واشبيلية (١٣١/١)، وحلب وحيفا وعكا (١٢/)، وصور (٩/٢) ، والموصل (٤٥/٢) ، ودمشق (٥٧/٢) ونحوها ، وقد عرف بدمشق بما يأتي : « دمشق ، البلدة المشهورة ، قصبة الشام ، وهي جنة الأرض بلا خلاف ، قيل : سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي سارعوا . فتحها المسلمون في رجب سنة ١٤ هـ بعد حصار ومنازلة بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشراحبيل بن حسنة . وتبعد عن بعلبك يومان ، وطرابلس ثلاثة أيام ، وصيدا ثلاثة أيام ، وحمص خمسة أيام ، وحماة ستة أيام ، والقدس ستة أيام ، ومصر ثمانية عشر يوماً ، وحلب تسعة أيام » فانظر أين الفائدة المتوخاة من مثل هذا التعليق البارد الذي ليس له أدنى قيمة أو فائدة .

وعرف الدكتور – سليم النعيمي – عضو المجمع العلمي العراقي السابق – عند تعليقه على كتاب « الروض النضر » للعمري بأعلام المؤلفين وترك المغمورين لعدم مراجعته ، فعرف مثلا بأعلام الناس مثل ابن خلكان (٦٨/١) ، وابن الوردي (١٣٧/١) ، ومعن بن زائدة الشيباني (٢٣١/١) ، وابن الجوزي (٢٣٤/١) ، وكرر التعريف بكبار الأعلام من غير أن يشعر كما يظهر من تعريفه بالصلاح الصفدي (أولاً في : ١٠٥/١ ثم في : ١٤٣/١) ، والحافظ ابن حجر العسقلاني (أولا في : ١٥٢/١ ثم في : ١٩٩/١) ، وابن عبدالظاهر (أولا في : ٦٩/١ ثم ثانية في : ١٥٤/١) فتأمل ذلك وتدبر الفائدة !

ومع كل الذي ذكرت فالحق : إن نشر النص مجرّداً من كل مراجعة وتعليق لا يصلح لتحقيق المخطوطات العربية من عدّة وجوه ، أبرزها :

١ – ندرة النُّسخ الخطية الصحيحة المتقنة السليمة الخالية من التصحيف والتحريف ، وأن أغلب المخطوطات العربيـــة كثيرة التصحيف والتحريف والسقط ونحو ذلك مما هو معروف عند أهل المعرفة به .

٢ – والغالبية العظمى من المخطوطات لم تصل إلينا بخطوط مؤلفيها ، بل بخطوط نساخ فيهم الجاهل والعالم فتعرّض كثير منها الى التغيير والتبديل والتحريف بحيث يؤدي نشرها على ما هي عليه إلى أخطار علمية وتربوية لأن القرّاء ليسوا دائماً من المتخصصين المتعمقين في العلم الذي يتناوله النص ، فضلاً عن أن إخراجها بهذا الشكل ينفي بطبيعته مصطلح « النص الصحيح » .

٣ – إن جمهرة المؤلفين والنُّسّاخ لم يعنوا بالإعجام ووضع الحركات الموضحة للنص ، بل ندر ذلك عندهم ، وكانوا يعتمدون على ما للقارئ من معرفة في موضوع الكتاب ، لذلك يصبح نشر مثل هذه الكتب بحالتها التي هي عليها لا يتعدى في أكثر الأحايين توفير نسخ خطية – قد تكون محرّفة مصحّفة مبهمة – من الكتاب وهو أمر ما أبعده عن التحقيق الدقيق .

٤ – افتقار المؤلفين والنسّاخ إلى وحدة كتابية مما يؤدي إلى تباين كبير في رسم بعض الكلم ، واستخدام كثير من الصيغ الكتابية غير المعروفة عند أهل عصرنا ، كما سنبينه بعد قليل .

ولكن إذا كان الأمر كما بيّنا والحال على ما ذكرنا فما هي السبل الصحيحة لضبط النص ومتى يقوم المحقق بالتعليق عليه ؟

إننا نعتقد أن ضبط النص والتعليق عليه أمران متلازمان ، فالغاية من التعليق يجب أن تتجه نحو خدمة ضبط النص وتوضيحه ودفع كل إبهام عنه ورفع كل غموض وإبهام فيه ولا يتأتى ذلك فيما نرى إلا بالعناية التامة بجملة أمور نوجزها بما يأتي :

أولا : تنظيم مادة النص :

لم يكن المؤلفون والنسّاخ يعنون في الأغلب الأعمّ بتنظيم مادة النص كما هو متعارف عليه في عصرنا من حيث بداية الفقرات ووضع النقط عند انتهاء المعاني، ووضع الفواصل التي تظهرها وتميزها ، بل يسردون الكلام سرداً ويوردونه متتالياً ، فيتعين على محقق الكتاب عندئذ إعادة تنظيم المادة بما يفيد فهم النص فهماً جيداً ويوضح معانيه ويظهر النقول والتعقيبات بصورة واضحة وذلك عن طريق تقسيمه إلى فقرات وجمل .

ولعل من أكثر الأمور أهمية في تنظيم النص تعيين بداية الفقرة ، حيث أن بداية الفقرة تقدم انطباعاً بأن المادة التيتتضمنها تكوّن وحدة مستقلة ذات فكرة واحدة ومرتبطة في الوقت نفسه بالسياق العام لمجموع النص، ففي التراجم مثلاً يمكن تقسيم الترجمة إلى عدة مجاميع مستقلة تكوّن بداية للفقرات وهي في الوقت نفسه العناصر الرئيسة المكونة للترجمة عند مؤلف معين . وعلى الرغم من أن المادة المتوفرة في ترجمة ما عند مؤلف معين تختلف حسب منهج ذلك المؤلف من جهة ، وحسب طبيعة المترجم له ومكانته العلمية أو الأدبية أو السياسية من جهة أخرى ، فإن المحقق يستطيع بعد دراسة النص أن يضع لنفسه منهجاً موحّداً في تنظيم النص استناداً إلى ذلك . ولو ضربنا مثلاً لتنظيم تراجم العلماء لاستطعنا من غير شك أن نترسّم الوحدات الرئيسة الآتية :

أ ــ اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته .

ب ــ مولده أو ما يدل على عمره .

ج ــ نشأته ودراساته وأخذه عن الشيوخ .

د ــ إنتاجه (مؤلفاته) وتلامذته .

هـ ــ مكانته العلمية وآراء العلماء فيه .

و ــ تحديد تاريخ وفاتــه .

ز ــ بعض الأمور المتصلة به .

وقد تتوفر هذه الامور جميعها في الترجمة الواحدة، وقد توجد طائفة منها أو لا يتوفر منها إلا القليل حسب الموازين التي ذكرناها قبل قليل .

وفي كتب اللغة مثلاً تكوّن المادة اللغوية الواحدة وحدة موضوعية قائمةبذاتها فتوضع في فقرة مستقلة وإن بدت قصيرة في بعض النصوص .

وفي كتب التاريخ المعنية بذكر الحوادث تكوّن الحادثة الواحدة وحدة موضوعية توضع مستقلة وحدها ، وهلم جراً استناداً الى طبيعة النص المحقق .

ومما لاشك فيه أن النقل عن كل مورد من الموارد التي اعتمدها مؤلف النص، يكون وحدة قائمة بذاتها ، فيتعين على المحقق حينئذ أن يبدأ النقل بفقرة مستقلة ينهيها عند الانتهاء من النقل .

وهنا تكمن الصعوبة وتظهر براعة المحقق ، وذلك لعدم وجود أسلوب واضح عند مؤلفي النصوص العربية في ذكر المصادر ، فكان بعضهم يشير إليها والآخر يغفل عنها . وكان المؤلفون الذين يعنون بذكر مصادرهم يستعملون عادة عبارات دالة على بداية النقل مثل « قال » و « ذكر » و « وجدت بخط فلان »[١] ونحوها . ويستعمل بعضهم عبارات دالة على انتهاء النقل نحو قولهم « انتهى »[٢] أو « هذا آخر كلام »[٣] فلان ولكن الصعوبة تظهر في عدة أمور منها :

أ – ان بعض المؤلفين يرجئ ذكر المصدر إلى نهاية النص فيعبر عنه بما يدل عليه نحو قول الذهبي في تاريخ الإسلام عند انتهاء نقله : « قاله الفلاس »[٤] أو « قال يحيى بن مندة ذلك[٥] » أو « ذكر هذا ابن الساعي »[٦] او « ذكر هذا هذا كله المسبحي »[٧] ونحوه ، فهذا تعيين لانتهاء النقل ولكننا نبقى في حيرة

---

(١) انظر مثلا تاريخ الاسلام للذهبي ، الورقة : ١٩٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨) ، والورقة : ١٠٦ من مجلد السعودية ، والورقة : ٢٠ – ٦٥ ، ٧٢ – ، ٨٨ ، ١٠٨ ، ١٣٩ ، ١٥٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ (أياصوفيا ٣٠١١) وغيرها .

(٢) مثلا تاريخ الاسلام ، الورقة : ٨٠ (أياصوفيا) .

(٣) نفسه ، الورقة ٢٤٤ من المجلد السابق .

(٤) نفسه ٣١/٢ ، ٤٥و١٢٦/٣ ، ٧/٤ (من الأجزاء المطبوعة) وغيرها .

(٥) الورقة : ٣٤٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٦) الورقة : ٢٣٥ (أياصوفيا ٣٠١٢) .

(٧) الورقة : ٢٢٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

لمعرفة بداية النقل لعدم وجود ما يثبت بدايته وليس لنا إلا الرجوع إلى الموارد الأصلية لتثبيت مواضع النقول ، أما اذا كان الكتاب مفقوداً فليس للمحقق إلا معرفته الواسعة وبراعته وتفهمه لطبيعة الكتب ما يعينه على معرفة ذلك .

ب – عدم اشارة كثير من المؤلفين إلى انتهاء النقل البتّة .

ج – ان الغالبية العظمى من المؤلفين كانوا يذكرون المؤلف ولا يعينون الكتاب فيقتصرون مثلاً على القول : « قال خليفة » ، أو « قاله الإدريسي » أو « قال موفق الدين ابن أبي أصيبعة » ونحو ذلك مع أن كثيراً من المؤلفين العرب قد ألفوا أكثر من كتاب ، ولا يستطيع إلا المحقق البارع معرفة مواضع النقول وتعيين الكتاب المقصود .

كل هذه الأمور توضح أن عملية تنظيم النص ليست من السهولة واليسر بالذي يتصوره بعضهم ، وأنها تحتاج إلى معرفة تامة بمناهج المؤلفات العربية وسعة اطلاع عليها واضطلاع بها .

ثانياً : ضرورة التعليل عند الترجيح :

جرت عادة كثير من المحققين أن يثبتوا الاختلافات بين النسخ عند المقارنة بينها في هامش الكتاب ، وبالغ كثير منهم في إيراد كل اختلاف بين النسخ وإن كان تافهاً ، لكنهم في الأغلب الأعم كانوا يتخذون النسخة الأم أصلاً ويثبتون كل الاختلافات الأخرى في الهامش من غير ترجيح ، وهي عملية لا تقدم فائدة كبيرة إذ أنها تترك عملياً الترجيح للقارئ الذي لم يسبر غور النص كما سبره محققه من طول معاناته له وصرْف جُمّاع وقته وهمته إليه .

ومن هذا المنطلق يتعين على المحقق إثبات ما يراه صواباً في أصل النص ، وتدوين ما يراه غلطاً أو ضعيفاً في الهامش [1] ، اللهم إلا إذا كانت النسخة بخط المؤلف

---

(١) جاء مثلا في المطبوع من كتاب الوافي للصفدي (٤٦/١ تحقيق ريتر) : « نقلت من خط الإمام العلامة الحجة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن » . فعلق المحقق الفاضل على لفظ « أبو » بقوله : « لعله أبي » . وهذا تعليق واه وكان حرياً بالمحقق أن يصححه في الأصل من غير نقاش لعدم وجود أدنى احتمال بصحة نسبته إلى الصلاح الصفدي العالم المشهور بالعربية

أو إذا تأكد له من غير أدنى ريب أن هذا هو اختيار المؤلف . فعليه في مثل هذه الحالة أن يثبت اختيار المؤلف في أصل النص وإن كان غلطاً [1] ، ويصحح في الهامش .

والمهم في كل هذه الأحوال التي ذكرناها أن المحقق مطالب دائماً بتعليل الترجيح وبيان الأدلة التي دفعته إلى هذا الأختيار ، حيث تصبح المقارنة بغير هذا التعليل خالية من أية فائدة ولا تقدم أي توثيق أو دعم لصحة النص . أما الترجيح بغير تعليل فإنه يوقع في الوهم ولا يقدم قراءة صحيحة للنص . فمن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب « العبر » للذهبي حيث رَجّح محقق الجزء الرابع الدكتور الفاضل صلاح الدين المنجد اسم « الحُطئة » بدلاً من «الحُطيْئة » في ترجمة أبي العباس احمد بن عبدالله بن أحمد ابن الحُطَيئة المتوفى سنة ٥٦٠ من غير تعليل ، بل قال في الهامش : « كذا ضبط في الأصل ، وفي الشذرات « الحطية» وفي النجوم : « الحُطَيئة » خطأ [2] هكذا قال ، ولو علّل لوجد نفسه مخطئاً في هذا الترجيح غير المُعلّل ولوجد أن الذي أثبته في الهامش هو الصحيح ذلك أن الناسخ قد كتب الهمزة ياءاً فلما اجتمعت عنده ياءان دمجهما وشدّدَها ، فكتبه « الحطيّة » وقرأه المحقق «الحطئة» ، وقد قيده شمس الدين ابن خلّكان بالحروف فقال : بضم الحاء المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد الهمزة هاء » [3] . ومن ذلك مثلاً ما ورد في كتاب « المشتبه » للذهبي الذي حققه الشيخ البجاوي فرجح وفاة أبي الحسن علي بن عبدالله ابن البُتّتِي المَشهور بسرعة القراءة سنة ٦٧١ بدلاً من سنة ٦٠٧ وعلق في الهامش قائلاً : « في م ، ص : ٦٠٧ » [4] وترك الأمر هكذا فلو راجع ودقق وأتعب نفسه قليلاً لوجد أن الذي أثبته في الهامش هو الصواب وأن الذي أثبته في الأصل خطأ مبين

(١) ولا ينطبق ذلك على الآيات القرآنية الكريمة ، فالكتاب العزيز واحد ثابت محفوظ قد تولى الله سبحانه حفظه ولايأتيه الباطل من أية جهة كانت .

(٢) العبر : ١٦٩/٤ .

(٣) وفيات الأعيان : ١٧١/١ من طبعة العالم إحسان عباس .

(٤) المشتبه : ١١٧ — ١١٨ .

لم يقل به لا الذهبي ولا غيره ، وقد ذكره الذهبي نفسه في وفيات سنة ٦٠٧ من تاريخ الاسلام [١] وأكد وفاته هذه في المختصر المحتاج إليه [٢] ومعرفة القراء الكبار [٣] ، كما ذكر وفاته في الثامن من رمضان من السنة قبله ابن الدبيثي [٤] ، والزكي المنـذري [٥] ، والجمال ابن الصابوني [٦] ، وذكره بعده العـلامة ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه [٧] وغيرهم [٨] .

وجرت العادة عند بعض المعنيين بالتحقيق مقارنة النص ببعض الكتب المطبوعة التي أوردت المادة التاريخية الموجودة في النص من غير اعتناء باختيار الطبعات الدقيقة التي تستحق أن يقارن المحقق نصه بها ، حيث تؤدي المقارنة بالطبعات الرديئة إلى زيادة اضطراب النص وتكثير الهوامش بغير فائدة ترتجى ولا عائدة تعم النص . مثال ذلك ما جاء في مقدمة « معجم السفر » للسلفي : « أبو العباس أحمد بن عبدالغفار بن أمشته » ، فعلقت المحققة الفاضلة على لفظ « أمشته » بقولها : « في تذكرة الحفاظ : أسنة » [٩] وما انتبهت إلى أن كلا اللفظين مصحف وأن الصواب فيه « أشته » بفتح الهمزة [١٠] وسكون الشين المعجمة وفتح المثناة كما في « المشتبه » للذهبي [١١] والطريف أن السلفي نفسه قد ترجم له في « معجم

---

(١) م ١٨ ق ١ ص : ٢٧٨ بتحقيقنا .
(٢) المختصر : ١٥٠/٣ .
(٣) الورقة : ١٨٦ .
(٤) ذيل تاريخ مدينة السلام ، الورقة : ١٧٥ (من مجلد كيمبرج) .
(٥) التكملة ، الترجمة : ١١٦٦ وتعليقنا عليها .
(٦) تكملة إكمال الإكمال : ٦١ .
(٧) توضيح المشتبه ، الورقة : ١٥٠ (من نسخة سوهاج) .
(٨) وانظر أيضاً غاية النهاية لابن الجزري : ٥٢٦/١ .
(٩) معجم السفر : ٢١ .
(١٠) وقد ضمها بعضهم (أنظر تبصير المنتبه لابن حجر : ٢٠/١) .
(١١) المشتبه : ٢٨ وانظر العبر : ٢٣١/٣ .

السّفر»[1] لكن المحققة لم تنتبه الى ذلك، فلو ان المحققة رجعت الى الكتب المختصة لما وقعت في هذا الخطأ الذي هو كثير في هذا الكتاب .

ومن ذلك ما ورد في الجزء الأول من تاريخ ابن الفرات [2] : « وقال الحافظ ابن الجوزي . . . وحدثني عبدالحياني » وعلق عليها المحقق بقوله : « في الأصل : وحدثني عبدالله الجباي العبد الصالح ــ صححت بعد مراجعة المصدر السابق وابن خلكان، وفيات الأعيان : ٣٣٦/١ » فهذا تعليق واه اذ ان كتاباً مثل« المنتظم » المطبوع طبعة رديئة لا يمكن أن يتخذ أساساً في التصحيح ولا طبعة الشيخ محيى الدين عبدالحميد لكتاب « وفيات الأعيان» الرديئة السقيمة المليئة بالتصحيف والتحريف والسقط . والحق أن النص كان صحيحاً فأبدله المحقق خطأ فالرجل المذكور هو : « عبدالله الجُبّائي » قيده الذهبي في المشتبه فقال[3] : « وعبدالله ابن أبي الحسن الجُبّائي ، من الجُبّة من عمل طرابلس نزل أصبهان وحدث . . » وذكره ياقوت الحموي في (جبة) من معجم البلدان [4] وابن نقطة في (الجبائي) من إكمال الإكمال، وفي كتاب التقييد له أيضاً [5] ، والزكي المنذري في التكملة[6] وابن رجب[7] ، والتادفي [8] ، وابن العماد [9] ، والقنوجي [10] . فلو رجع المحقق إلى بعض هذه الكتب الجيدة لما وقع في هذا الخطأ ، لا سيما مشتبه الذهبي ، وتوضيح ابن ناصر الدين ، وتبصير ابن حجر ، ومعجم ياقوت وغيرها .

---

(١) معجم السفر : ١١٣/١ .
(٢) ص : ٢٠٦ .
(٣) ص : ١١٧ .
(٤) ٣٢/٢ .
(٥) الورقة : ١٣١ من نسخة الأزهر .
(٦) الترجمة : ١٠٥٩ .
(٧) الذيل : ٤٤/٢ ــ ٤٧ .
(٨) قلائد الجواهر : ١٢٩ ــ ١٣٠ .
(٩) شذرات ١٥/٥ ــ ١٦ .
(١٠) التاج المكلل : ٢١٩ .

والحق أن السلف الصالح من علمائنا قد تنبه إلى أهمية مراجعة النسخ الصحيحة أو الكتب المعنية عند ضبط أسماء الناس وكناهم وألقابهم وأنسابهم وأسماء المواضع ونحوها ، فكانوا يعنون بانتقاء أصح النسخ عند اعتمادها في النقل ، وينبهون الى أن ما نقلوه هو من خط المؤلف أو خط عالم ثقة متقن صحيح النقل جيد الضبط ، ولا شك أن غايتهم من كل ذلك إنما كانت ترمي الى تصحيح النص وتدقيقه وتطمين القارئ إلى صحة ما كتبوه ، من ذلك قول الذهبي في تاريخ الاسلام « قرأت بخط الكندي في تذكرته [١] » و « نقلت هذا وما قبله من خط أمين الدين محمد بن أحمد بن شهيد ، قال : وجدت بخط عبدالغني بن سعيد الحافظ فذكر ذلك [٢] » ، و « ووفاته بخط أبي حكيم أحمد بن اسماعيل بن فضلان العسكري اللغوي»[٣] و « قرأت بخط الضياء »[٤] و « قرأت بخط ابن نقطة»[٥] ونحو ذلك . ولما أراد التأكد من مساحة بغداد راجع نسختين من كتاب طيفور إحداهما برواية الصولي والاخرى برواية غيره[٦] ، ولما نقل نسب آل بويه عن ابن خلكان ، قال : « كذا ساق نسبه القاضي شمس الدين وعد ما بينه وبين بهرام ثلاثة عشر أباً ، وقابلته على نسختين »[٧] .

ثالثاً : توحيد الانتساخ :

اختلف الكتاب والنساخ في عصر المخطوطات وحتى هذا اليوم في رسم بعض الألفاظ والحروف ، واستخدموا صيغاً متنوعة لعدة أسباب من أبرزها :

أ ــ دفع الاشتباه وخوف وقوع القارئ في قراءة خاطئة .

---

(١) الورقة : ١٥٠ (أياصوفيا ٣٠١١) .
(٢) الورقة : ٨١ (أياصوفيا) ٣٠٠٨) .
(٣) الورقة : ١٦٤ (أياصوفيا ٣٠٠٨) .
(٤) الورقة : ٢٠ ، ٦٥ ، ٧٢ (أياصوفيا : ٣٠١١) ، والورقة : ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٦ (أيا صوفيا) : ٣٠١٢) .
(٥) الورقة : ٤٦ ، ٤٨ (أيا صوفيا : ٣٠١١) .
(٦) ٢١/٦ من القسم المطبوع .
(٧) الورقة : ٢٢ (أحمد الثالث : ٢٩١٧ / ١٠) .

ب – تسهيل عمل النساخ .

ج – عدم وجود وحدة كتابية تنظم مثل هذه الأمور كالطباعة الحديثة عندنا .

ولذلك حذفوا بعض الحروف التي كان حقها أن تكتب ، وزادوا حروفاً لم تكن من أصل اللفظ ، وأبدلوا حروفاً مكان حروف أخرى .

١ – فمن ذلك حذف الألف الوسطية في كثير من الأعلام مثل « الحارث » و « خالد » و « إبراهيم » و « اسماعيل » و « اسحاق » و « هارون » و « مروان » و « سليمان » و « عثمان » و« معاوية » فكتبوها : « الحرث » و« خلد » و«ابرهيم » و « اسمعيل » و « اسحق » و « هرون » و « مرون » و « سليمن » و « عثمن » و « معوية » عـــلى التوالي . وكتبوا : « السموات » و « ثلثة » و « ثلثين » و « ثمنية» و « ثمنين » و « الملئكة » و « سبحنه » ونحو ذلك من غير ألف ، فينبغي في رأينا إرجاع ما حذف لزوال العلة .

٢ – ومعظم القدماء ، وكثير من أهل عصرنا ، يكتبون « مئة » بزيادة ألف « مائة » وإنما فعلوا ذلك خوفاً من اشتباهها بلفظة « منه »[١] ، ولكن كثيراً من المتعلمين صاروا يقرأونها بلفظ الألف ، وهو خطأ مبين ما نحن بحاجة إليه بعد زوال العلة بظهور الطباعة الحديثة .

٣ – ومنه أيضاً عدم وضع النقطتين تحت الياء المتطرفة في معظم المخطوطات وقد أخذ به كثير من الناشرين والمحققين في عصرنا ولا سيما المصريون ، فصارت تلتبس بالألف المقصورة ، فالتبست عشرات أسماء منقوصة باسماء مقصورة ، أو صفات بمصادر ، أو مصادر بمصادر ، أو نحو ذلك ، وما يزال الناس حتى يومنا هذا يعانون إلتباس « المتوفّي » الذي هو الله سبحانه وتعالى « بالمتوفّى » الذي هو الانسان بسبب عدم إعجام الياء . وقد حاول بعض النساخ القدماء التفرقة بين الياء المتطرفة والألف المقصورة بأن رسم كل ألف وردت في آخر الكلم ألفاً قائمة. ومن طريف ما وجدت في المخطوطات أن العلامة أبا الحجاج يوسف المِزّي قد

(١) انظر صبح الأعشى للقلقشندي : ١٧٩/٣ والوافي للصفدي ٣٨/١ وغيرهما .

أعجم الألف المقصورة التي على صورة الياء وأهمل الياء المتطرفة في الاجزاء التي بقيت من كتابه العظيم « تهذيب الكمال في أسماء الرجال »[1] ، والظاهر أنه إنما أعجمَ الألف لقلة دورها في كتابه إذا قيس بكثرة دور الياء المتطرفة ، وهو في كل حالٍ إنما قصد التمييز حسب ، لذا نرى ضرورة إعجام الياء المتطرفة دفعاً لمثل هذا اللبس وتيسيراً للقارئ وتقويماً لقراءته .

٤ ــ ولم يكن القدماء في الأغلب الأعم يكتبون الهمزة ونادراً ما يفعلون ذلك ، فأدى هذا الأمر إلى اختلاط المقصور بالممدود ، والكتب المطبوعة مليئة بمثل هذا الاختلاط حسبك أن تمعن النظر فيها لتجد منها عشرات أمثلة ، فينبغي للمحقق ملاحظة هــذا الأمر والتروي فيه ومراجعة المعجمات اللغوية والرجاليــة قبل القطع به .

ويلاحظ أن كثيراً من النساخ يضع مدة على الألف الذي يسبق الهمزة نحو كتابتهم « علياَ » و « شيمآ » ونحوهما فيتعين الانتباه إلى ذلك .

٥ ــ ومنه أيضاً إثبات همزة « ابن » أو حذفها ، حيث تجد هذه الهمزة محذوفة وتجدها تارة أخرى مثبتة في الموضع الذي حذفت فيه ، وأهل العربية مختلفون في ذلك إختلافاً كبيراً[2] . فيتعين وضع قاعدة عامة لذلك يسير عليها المحققون . أما نحن فنرى حذفها في جميع المواضع إلا عند مجيئها مفردة أو في بداية السطر أو قبل الصفات المادحة مثل « الإمام » و « الحافظ » و « الشيخ » ، والانساب مثل « البغداديّ » و « الدمشقيّ » و « البصريّ » ونحوها والألقاب مثل « جمال الدين » و « محيي الدين » و « الأثير » و « الفاروق » ونحوها .

٦ ــ واستعمل المؤلفون والنساخ جملة مختصرات اعتاد المحدثون خاصة استعمالها في الأسانيد من قديم الزمان وهلم جراً إلى أزمنة متأخرة . واقتصروا على الرمز في بعض ألفاظ التحمل فكتبوا مثلاً من « حدثنا » الثاء والنون من غير نقط « « ىا »

---

(١) انظر مقدمتنا للمجلد الأول من « تهذيب الكمال » بيروت : ١٩٨٠ .

(٢) انظر درة الغواص في أوهام الخواص لأبي محمد القاسم الحريري ومقدمة شيخنا العلامة المرحوم الدكتور مصطفى جواد للمختصر المحتاج إليه ، ومقدمتنا لكتاب التكامة .

وقد تحذف الثاء ويقتصر على « نا » ، وكتبوا من «أخبرنا» الهمزة والنون والألف من غير نقط « أنا » أو الهمزة والباء والنون والألف من غير نقط « أبنا » ، والأحسن في رأينا إثباتها كاملة كما تلفظ لأن كثيراً من طلبة العلم صاروا يقرأونها بصورتها المختصرة منجهة ، ولأن كثيراً منهم أيضاً صاريظن أن (ابنا) إنما هي اختصار للفظة « أنبأنا » مع أن المحدثين لم يجوزوا فيها إختصاراً البتة [١] .

وقد تبدو هذه الأمور أوّل وهلة أنها ليست بمجموعها من الإهمام بحيث يقال فيها أخطأ فلان وأصاب فلان ، لكنها صارت من غير شك تؤدي إلى أخطار لا يمكن تجاهلها منها على سبيل الاختصار :

أ - التباس المقصور بالممدود .

ب - التباس المقصور بالياء .

ج - ظهور تسميات غير موجودة أصلاً مثل « الحرث » و « خلد » و « صلح » ونحوها مع أنها « الحارث » و « خالد » و « صالح » وهلم جرا .

د - صعوبة قراءة الخط العربي بسبب الحذف أو الزيادة .

هـ - ظهور أخطاء القراءة عند جمهرة المتعلمين في قراءة « مئة » بسبب رسمها بزيادة الألف « مائة » .

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت مسألة رسم الكتابة من الأمور المهمة في عصرنا لأنها أولى وسائل المعرفة يشكو منها العالم كما يشكو منها المتعلم على ما قرره علاّمة العراق أستاذنا الشيخ محمد بهجة الأثري - حفظه الله -[٢].

رابعاً : تقييد النص بالحركات :

وينبغي للمحقق أن يقيد النص ويضبطه بالحركات ولا سيما فيما يشتبه من الألفاظ وأسماء الناس وكناهم وأنسابهم وألقابهم وأسماء المواضع والبلدان،

---

(١) انظر كتب مصطلح الحديث ومنها مثلا تدريب الراوي للسيوطي : ٣٠٢ فما بعد .

(٢) راجع تقريره الماتع المرفوع الى المجمع اللغوي بالقاهرة والمنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي : م ٤ العدد : ١ ص : ٣٢٠ فما بعد ، بغداد : ١٩٥٦ .

فضلاً عن تقييد ما يراه حرياً بالتقييد من اللغة والنحو بغية توضيح المعنى ودفع الاشتباه عنه .

وقد صرت اعتقد في السُّنَيات الأخيرة أن ضبط النص بالحركات من أكثر الأمور أهمية في تحقيق النصوص لما يُتَوخى من فوائده الجمة التي منها :

أ – تمييز التحقيق الجيد من الرديء والتعرف على جهود المحقق ومراجعته وتحرّيه وتدقيقه .

ب – إظهار المعنى الحقيقي للنص ودفع أي إيهام قد يقع فيه القاريء بسبب عدم وضوح موقع الكلمة الإعرابي له .

ج – ان هذه الطريقة تقوّم لسان القارىء وتعوّده القراءة السليمة والنطق الصحيح ثم الحفظ القويم ، سواءً أكان ذلك في اللغة أم أسماء الأعلام ، أم غيرهما ، فتغنيه القراءة الكثيرة عن كثير من القواعد وحفظها إذ يصبح النطق السليم عنده عادة لا يحتاج إلى تفكير كثير .

د – رفع الاشتباه عن الأسماء والكنى والألقاب والأنساب والألفاظ المؤتلفة الرسم والنقط ، المختلفة الحركات مثل « حَمِيد » و« حُمَيْد » ، و« سَلِيم » و « سُلَيْم » ، و « مُسْلِم » و « مُسَلَّم » ، و « البَرْقي » و « البَرَقي » ، و « البَطِّي » و « البُطِّي » و « البَطِيء » و « الجَلاَّبي » و « الجُلاَّبي » و « السَّلَفي » و« السِّلَفي » و« السُّلفي » و « السلقي » ونحو ذلك مما هومعروف عند أهل هذا الفن .

يضاف إلى ذلك أن على المحقق تقييد كل ما يشتبه من الألفاظ والأعلام سواء أكان الاشتباه بالرسم أم باختلاف النقط أم بالحركات . وينبغي للمحقق الرجوع إلى الكتب المتخصصة في كل فن من هذه الفنون ، فيرجع في تقييد اللغة وضبطها إلى المعجمات اللغوية المعتمدة « كصحاح » الجوهري « ولسان » ابن منظور و « قاموس » الفيروز آبادي و « تاج » السيد الزَّبيدي ونحوها ، وفي الأنساب إلى كتب الأنساب مثل « أنساب » السمعاني « ولباب » ابن الأثير وغيرهما ، وفي الألقاب إلى المؤلفات المختصة بها كتلك التي لابن الفوطي وابن حجر والسخاوي ،

وفي المواضع إلى المعجمات الجغرافية « كمعجم » ياقوت و« مراصد » ابن عبدالحق البغدادي ونحوها .

ولعل من أعظم الكتب في هذا الفن خطراً واكثرها نفعاً وأبقاها على الأيام أثراً هي كتب المشتبه . وقد بذل العلماء المسلمون من السلف الصالح جهوداً جبارة في تقييـــد من فيه أدنى اشتباه من اســـماء الناس وكناهم وألقابهم وأنسابهم واسماء المواضع باعتبار أن الاسماء شيء لا يدخله القياس ليس هناك شيء قبلها يدل عليها ولا شيء بعدها يدل عليها فليس لها إلا التقييد والضبط ، سواء أكان التقييد والضبط بالقلم (يعني وضع الحركات فوق الحروف) أو التقييد والضبط بالحروف كما هو مشهور . وهذه الكتب هي المرجع الأمين والركن الركين التي يجب على كل محقق أن يعرفها ويطلع عليها ويقتنيها .

وتضم المكتبة العربية اليوم عدداً لا يستهان به من الكتب المؤلفة في هذا الفن الجليل الخطير ،حيث شمر العلماء عن سواعدهم منذ فترة مبكرة وألفوا فيه منهم مثلاً :

١ ــ حمزة الأصفهاني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف والتحريف » عرض فيه للخط العربي وصفته وتطوره ، وما وقع فيه كبار العلماء وغيرهم من التصحيف الشنيع [١] .

٢ ــ أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ في كتابه « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » [٢] .

٣ ــ أبو الحسن علي بن عمر الدارَقُطني البغدادي المتوفى سنة ٣٨٥ في كتابه « المؤتلف والمختلف »[٣] وهو من الكتب الرئيسة التي أفاد منها الخطيب البغدادي في مؤلفاته كما أفاد منه كتاب المشتبه الآخرون .

٤ ــ أبو محمد عبدالغني بن سعيد الأزدي المصري المتوفى سنة ٤٠٩ في كتابه « مشتبه النسبة » [٤] .

---

(١) طبع بدمشق سنة ١٩٦٨ بتحقيق المرحوم الدكتور أسعد طلس .
(٢) طبع بالقاهرة سنة ١٩٦٣ بتحقيق عبدالعزيز أحمد .
(٣) منه نسخة خطية في المكتبة التيدورية الملحقة بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٦ .
(٤) طبع بالهند سنة ١٣٢٧ هـ بتحقيق محمد محيي الدين الجعفري .

٥ — الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ في كتابه « تلخيص المتشابه الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم » وهو كتاب حافل [١].

٦ — وممن كتب في المؤتلف والمختلف من أسماء القبائل الأديب المشهور محمد بن حبيب البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥ في كتابه «مختلف القبائل ومؤتلفها»[٢]

٧ — وألف أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة ٣٧٠ « المؤتلف والمختلف » في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم [٣]

٨— أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني الأندلسي المتوفى سنة ٤٩٨ في كتابه النافع « تقييد المُهْمَل وتمييز المُشْكل » ضبط فيه كل ما يقع فيه اللبس من رجال صحيحي البخاري ومسلم ، وعندي منه نسخة مصورة .

٩ — وفي القرن الخامس الهجري وضع أضخم كتاب في هذا الفن حتى ذلك العصر هو كتاب « الإكمال »[٤] للأمير ابن ماكولا المقتول سنة ٤٧٥ حيث جمع فيه معظم الكتب المتقدمة واستوعبها استيعاباً ذكياً فصار كتابه معوضاً عن معظم تلك الكتب وهو كتاب لا يستغني عنه المحققون المعنيون بتحقيق الكتب التي تناولت عصره والعصور السابقة له .

١٠ — وفي بداية القرن السابع الهجري ألف الحافظ أبو بكر محمد بن عبدالغني المعروف بابن نقطة البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٦٢٩ كتابه الذي كمّل فيه كتاب ابن ماكولا وذيّل عليه وسماه « إكمال الإكمال » [٥] .

١١ — وذيّل على ابن نقطة محدث الاسكندرية وجيه الدين أبو المظفر منصور

---

(١) منه نسخة بدار الكتب المصرية .

(٢) طبعه وستنفلد الألماني سنة ١٨٥٠ .

(٣) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٤ .

(٤) حقق الشيخ عبدالرحمان المعلمي اليماني المكي ستة أجزاء منه كان آخرها سنة ١٩٦٧ وتوفي — رحمه الله — قبل إتمامه .

(٥) منه نسخ بدار الكتب الظاهرية برقم ٤٢٩ حديث ، وفي دار الكتب المصرية برقم ١٠ مصطلح الحديث ، وفي دار التحف البريطانية برقم ٤٥٨٦ شرقي .

ابن سَلَيْم بن فتوح الهَمْداني المتوفى سنة ٦٧٣[١]، وكان من طلبة المستنصرية .

١٢ – كما ذيّل على ابن نقطة أيضاً أبوحامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني المتوفى سنة ٦٨٠ بكتابه النافع « تكملة إكمال الإكمال »[٢] .

١٣ – وفي القرن الثامن الهجري ألف مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي كتابه العظيم المختصر « المشتبه في الرجال : أسمائهم وأنسابهم[٣] » سنة ٧٢٣ . وقد رتب الذهبي كتابه على حروف المعجم وجعل لكل حرف باباً ، واعتمد فيه أمهات الكتب المؤلفة في هذا الفن مثل كتب : عبدالغني بن سعيد الأزدي ، وابن ماكولا ، وابن نقطة ، وابن الصابوني ، ومنصور ابن سليم الاسكندراني وغيرهم ، فضلاً عما أخذه من شيوخه ووقع له وتنبه إليه اثناء دراساته الواسعة وممارساته لعلم الرجال وعلم التراجم . ولما كان موضوع الكتاب على غاية من الاتساع فإن مؤلفه بالغ في اختصاره واعتمد القلم في ضبط المشتبه إلا فيما يصعب ويشكل فكان يقيده بالحروف ، وهو نادر . وكان الذهبي يعلم جيداً صعوبة الاعتماد على ضبط القلم فنبه على ذلك في المقدمة بقوله : « فاتقن يا أخي نسختك واعتمد على الشكل والنقط ولا بد ، وإلا لم تصنع شيئاً » .

وقد إحتل كتاب الذهبي هذا مكاناً رفيعاً بين الكتب المؤلفة في هذا الفن العسير وهو في حقيقته يغني عن كثير من الكتب الأخرى لكنه يحتاج إلى تمرس ودُربة للافادة منه .

١٤ – وفي القرن التاسع الهجري طالع علّامة الشام الحافظ ابن ناصر الدين

---

(١) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٨١ مصطلح الحديث وجاء العنوان فيه « ذيل على كتاب مشتبه الأسماء للحافظ أبي بكر محمد بن عبدالغني » والمعروف ان كتاب ابن نقطة يسمى « إكمال الإكمال»

(٢) حققه شيخنا العلامة المرحوم الدكتور مصطفى جواد ونشره المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٧ .

(٣) حققه أولا المستشرق الهولندي دي يونغ ونشره في ليدن سنة ١٨٦٣ في ٦١٢ صفحة ، ثم أعادت طبعه مكتبة عيسى الحلبي سنة ١٩٦٢ بعناية علي البجاوي في جزأين معتمداً نسخة أحمد الثالث (رقم ٣٠٢٨) مع وجود نسخ أحسن منها .

الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ كتاب « المشتبه » للذهبي ، وضبط لنفسه نسخة نفيسة منه، ثم ألف كتابه العظيم « توضيح المشتبه[١] » قيد فيه الأسماء والأنساب والكنى والألقاب بالحروف لايمانه بأن القلم لا يمكن اعتماده في مثل هذه الأمور ، فأوضح بعض ما أهمله الذهبي ، وشرح بعض ما رأى أنه شديد الاختصار ، واستدرك على مؤرخ الإسلام استدراكات نفيسة تدل على علم جم ومعرفة واتقان وبراعة تامة في هذا الفن ، ولذلك يعد كتابه هذا — فيما أرى — من أنفس الكتب الموضوعة في هذا الفن على الإطلاق .

١٥— كما شرح كتاب الذهبي أيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب سماه « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه[٢] » وهو كتاب قيّم ولكن أنّى له أن يبلغ مرتبة توضيح ابن ناصر الدين ؟ ! .

١٦ — وحاول تلميذ الذهبي تقيّ الدين محمد بن رافع السّلامي المتوفى سنة ٧٧٤ أن يستدرك على كتاب شيخه في المشتبه[٣] فعمل جزءاً جعله كالذيل عليه .

هذه هي أشهر الكتب المؤلفة في هذا الفن — وليس جميعها — وهي سلاح المحقق الأول في ضبط الاسماء والأنساب والكنى والألقاب المشتبهة، لكنها تحتاج في الوقت نفسه إلى دراية ودربة عند استعمالها فلا ينبغي للمحقق عند الرجوع إليها أن يجزم بصحة تقييد الاسم المشتبه إلا عند نصها عليه وتصريحها به ، وإلا انعدمت الفائدة وما صارت ترتجى منها العائدة ، فمن أمثلة ذلك ما جاء في وفيات

---

(١) منه نسخة ناقصة في مكتبة سوهاج بالبلاد المصرية وعنها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية . وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق نسخة كاملة منه .

(٢) نشرته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر بالقاهرة بعناية البجاوي أيضاً (١٩٦٧) .

(٣) نشره الفاضل الدكتور صلاح الدين المنجد ببيروت سنة ١٩٧٤ على نسختين من استنبول ، وذكر أنه قابل « تبصير » ابن حجر بذيل ابن رافع فتبين له أن ابن حجر لم يطلع عليه مدللا بذلك ، على نفاسة الكتاب . ومثل هذه الأحكام المتسرعة كثيرة عند هذا العالم الفاضل ، فقد أخطأ في هذا الحكم خطأ كبيراً ، لأن ابن حجر قد اطلع عليه ونص على ذلك ، تصريحاً في آخر كتابه فقال : « وقد ذيل عليه الحافظ تقي الدين ابن رافع تلميذه في هذا المختصر جزءاً قدر عشر أوراق غالبه لا يرد عليه ، لأنه إما أن يكون قد ذكره أو يكون لا يشتبه الا على بعد (التبصير ١٥١٢/٤ — ١٥١٣) فتأمل ! .

سنة ٥١٣ من « العبر » للذهبي : « وفيها توفي أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد ابن عقيل البغدادي الظَّفْري » فعلق محققه الفاضل على « الظَّفْري » في الهامش بقوله : « نسبة إلى ظفر بفتح الظاء المعجمة والفاء ، بطن من الأنصار »[1] وأحال على كتاب « اللباب في تهذيب الأنساب » لابن الأثير . نعم ذكر ابن الأثير لفظ « الظفري » في اللباب ولكنه لم يصرح بنسبة ابن عقيل إليه . ومثل هـذه الاحالة على اللباب تشعر آثر ذي أثير بأنـه منصوص عـلى نسبته ، وليس الأمر كذلك ، فلم يكن ابن عقيل العلامة من بطن « ظفر » الأنصاريين بل كان منسوباً إلى الظفرية المحلة المشهورة من محال بغداد الشرقية ، وهذه المحلة والنسبة إليها مذكورة أيضاً في « اللباب » لكن تسرع المحقق وعدم التزامه بضرورة نص مؤلف الكتاب على النسبة أوقعه في هذا الغلط المستعظم على فاضل من مثله ، ومثل هذا الذي ذكرت كثير في هذا الكتاب .

خامساً : التعريف بالمُبْهم المَغْمور وتَرْك المشهور :

توسّع بعض المحققين فصاروا يعرِّفون بكل عَلَم يرد في النص من مواضع وبلدان وأسماء وكتب ونحوها ، ويغرقون في ذكر المصادر والمراجع الدالة عليه ، فتضخمت حواشي الكتب المحققة بما لا طائل تحته ، فإن عمل المحقق أن يخرج نصاً صحيحاً ويعلق عليه بما يفيد تصحيحه وتوضيحه لا أن يكون شارحاً لكل صغيرة وكبيرة مما يعرفه الخاص والعام . ولما كان قراء مثل هذه الكتب هم في الأغلب الأعم من المتخصصين أو من ذوي الثقافة الجيدة أو في الأقل ممن نالوا منها قسطاً جيداً فإن التعريف بالمشهور لا ضرورة له البتة ، وينبغي الاقتصار على التعريف بالمغمور بطريقة مختصرة تدفـع الوهم أو توضح الأمر حسب . ومن أسفٍ إننا لاحظنا كثيراً من المتعانين لهذا الفن قد عكس الآية فَعرّف بالمشهور وترك المغمور لأنه يحتاج إلى جهد وتعب ومراجعة وطول أناة .

والحق : إننا بعد أن ذكرنا أن من واجب المحقق تقييد النص وضبطه وتدقيقه ومراجعة الكتب المختصة التي تعينه على ذلك ، فإن المحقق يبقى بعد كل ذلك هو

(١) العبر : ٢٩/٤ .

المسؤول الأول عما يقع في النص الذي يحققه من تصحيف أو تحريف أو سقط أو عدم وضوح أو ضبط غير صحيح . إننا حينما طالبنا المحقق بالرجوع إلى الكتب المختصة لم نطلب منه أن ينقل لنا شروح تلك الكتب أو يذكر لنا مواضع مراجعاته في المهم وغير المهم ، وانما كانت مثل هذه المراجعات لفائدته هو وإعانته ومساعدته في التوصل إلى الضبط الجيد ، وبهذا نتخلص من تضخم الحواشي في الكتب المحققة على حساب النص ، ولا اشك في أن استفادة القارئ إنما تكون من النص المتقن التحقيق المجود الضبط والتدقيق .

سادساً : التخريج :

وأغرق بعض المحققين في تخريج الأعلام فذكر كل مصدر ذكَرها عـلى الاستقصاء ومثلها البلدان ، وبالغ كثير من المحققين في تخريج القصائد والمقطعات والأبيات الشعرية فأثقلوا حواشي الكتب بذكر المكان والاختلاف في الروايات . وعني آخرون بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة فصار يذكر كل المصادر التي ورد فيها الحديث دون النظر إلى قيمتها وأهميتها . وكل هذا من حيث العموم عمل مبالغ فيه ليس هناك مبرر أو مسوغ له ، يصرف فيه من الوقت والجهد ما كان أحق أن يصرف لغيره مما هو أكثر نفعاً .

فأما التراجم فلا بأس بذكر بعض المصادر المختارة شرط أن تكون الغاية المتوخاة منها توثيق النص بالمقارنة والمقابلة بين النصوص ومحاولة التوصل إلى الصحيح منها لا أن تذكر من باب الجمع والاستكثار ، علماً بأن الاستقصاء فيها يكاد يكون مستحيلاً لوقوف المحقق بعد ذلك على مصادر خطية أو مطبوعة لم يطلع عليها سابقاً .

وأما الشعر فقد روي – وسيظل يُروى – باختلاف كبير بين كتاب وآخر ، وهو فيما نرى من الأمور البديهية حتى في الشعر الذي يرد في الدواوين ، لاختلاف الرواة وتعددهم ، فاذا ورد الشعر في نص من النصوص وثبت للمحقق أن هذه هي الرواية التي أرادها مؤلف النص أو الشاعر أو جامع الشعر وراويه ، ثبتهـا

المحقق ولم يلتفت إلى غيرها باعتبارها تكوِّن رواية مستقلة ، اللهم إلا أن يكون في البيت عيب من العيوب الشعرية فيتوجب على المحقق أن ينبه عليه ويثبت في الهامش – أو الاصل حسب أصالة النسخة واقتناعه – ما يراه صواباً في بعض المصادر الأخرى ، ويستحسن الرجوع إلى الدواوين إذا كان قائل الشعر من اصحاب الدواوين المعروفة عنده .

وأما الحديث فإنه بالتعليق خليق ، لأنه يكون المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد الكتاب العزيز ، إلا أن العبرة ليس في ذكر مصادر الحديث وتركها على رسلها فليست هذه هي الغاية التي نرمي إليها ، وإنما يجب أن تتجه الغاية إلى تبيان درجة الحديث من الصحة والسقم حسب الأصول والقواعد المتبعة في علم مصطلح الحديث ، ولا سيما في الكتب التاريخية والأدبية والعقائدية التي تكثر فيها الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة والتي لم يعتنِ مؤلفوها ببيان درجة صحتها او سقمها . وقد أدى انتشار مثل هذه الكتب بين الناس إلى أن أصبح كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة تدور على ألسنة الكثرة الكاثرة من الخطباء والمدرسين والمؤلفين ، ويتلقاها عنهم أغلب الناس ، فيعملون بها وبما يستفاد منها ، وهي بذلك أصبحت تكوّن خطراً عظيماً على أفكار الناس وعقائدهم وسلوكهم الاجتماعي والفكري والديني ، وهي فضلاً عن كل ذلك تشوّه حقائق الإسلام بتقديمها صورة غير حقيقية له [1] ، لـذا يتعين على المحقق المدقق أن يصرف جُل عنايته ليس إلى ذكر مصادر الأحاديث واستقصائها من غير معرفة ولا دراية ، بل إلى بيان درجتها من الصحة والسقم فيميز صحيحها من حسنها من ضعيفها من موضوعها .

سابعاً : نقد النص :

لقد قررنا سابقاً أن عمل المحقق يتعين بأن ينصرف إلى ضبط النص وتوضيحه للقارئ التراثي . لكن هذا لا يمنع في الوقت نفسه من أن ينبه المحقق المدقق إلى

---

(١) انظر المقدمة الجيدة التي كتبها العالمـان الشاميان الفاضلان : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط لكتاب « زاد المعاد » لابن القيم الذي بتحقيقهما (ص : ١٠ – ١٢ من طبعة دار الرسالة) .

بعض الأوهام التي وقع فيها مؤلف النص ويبين الصحيح الذي ينقض هذا الوهم ويدمغه بالدليل ، فالمؤلف من آحاد الناس يخطئ ويصيب وينبغي للمحقق – إن كان قادراً – أن يكشف عن هذا الخطأ .

وهذه العملية ، وإن تبد أول وهلة خارجة عن عمل المحقق لكنها في واقع الأمر تدخل في صلب عمله ، فليس هناك من أحد صرف وقتاً في هذا النص كالذي صرفه هو ولا عرف خباياه كمعرفته هو ، فهو إذن أخبر الناس به ومن ثم أحقهم بتبيان أوهامه ، وهو في كل ذلك يقدم خدمة جُلى للباحثين عند تنبيههم إلى خطأ أو إلى رأي ضعيف ورد في الكتاب مع الإشارة إلى الصحيح أو الرأي الأقوى فيتنبهون عند الإفادة من الكتاب والنقل عنه مما ييسر عليهم عملية البحث العلمي ويوفر عليهم وقتاً وجهداً كبيرين .

ولاشك في أننا يجب ألا نلزم المحققين بمثل هذا العمل الشاق المتعب المضني الذي يتطلب سعة في المعرفة وبسطة في العلم واطلاعاً عظيماً بموضوع النص والكتب المؤلفة فيه ، لكننا نطمح إلى أن يذكروا بعض الذي يعرفونه ويقفون عليه نتيجة قيامهم بالمقارنات الكثيرة ، لا سيما أولئك النفر من المحققين البارعين الذين حصّلوا على مرتبة عالية من الخبرة ودرجة كبيرة من التمكن والإتقان .

فمن ذلك – على سبيل المثال لا الحصر – ما قاله العلامة شمس الدين ابن خلكان عند الكلام على تاريخ مولد المحدث الكبير أبي طاهر السِّلفي : « مع أننا ما علمنا أن أحداً منذ ثلاث مئة سنة إلى الآن بلغ المئة فضلاً عن أنه زاد عليها سوى القاضي أبي الطيب طاهر بن عبدالله الطبري فإنه عاش مئة سنة وسنتين »[1] فنقل بعض الناس هذا القول من غير مناقشة [2] مع أنه قول ساقط لا قيمة له فقد جربنا الوقوف على عدد كبير ممن بلغ المئة أو جاوزها خلال الثلاث مئةسنين التي سبقت العلامة ابن خلكان [3] .

---

(١) وفيات : ١٠٧/١ .

(٢) انظر مقدمة « معجم السفر » للسلفي : ١٥ .

(٣) انظر كتاب « أهل المئة فصاعداً » للذهبي بتحقيقنا ص ١٣٠ فما بعد، والتحبير للسمعاني :=

ومن ذلك — مثلا — تكرر بعض التراجم عند ثقات المؤرخين من غير أن يشعروا منهم: الزكي المنذري[1]، والذهبي[2]، وابن الملقن[3]، وغيرهم، وهو مما ينبغي التنبيه عليه.

وينبغي للمحقق أن يفيد من ملاحظات المؤلفين الذين جاؤوا بعد مؤلف الكتاب وألفوا في موضوعه فاستدركوا عليه أو صححوا له أو نبهوا إلى بعض ما في الكتاب من عوز، فإثبات مثل هذه الملاحظات — بعد تدقيقها ودراستها والتأكد من قيمتها — من الأعمال الجليلة التي يقوم بها المحققون البارعون.

فمن ذلك مثلاً — لا حصراً — ما استفاده المحقق الكبير المرحوم الشيخ المعلمي اليماني من كتاب « اللباب » « لابن الأثير عند تحقيق « الأنساب » للسمعاني، وما استفاده من « إكمال الاكمال » للحافظ محمد بن عبدالغني ابن نقطة البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ عند تحقيق كتاب « الإكمال » للأمير ابن ماكولا.

وحينما قمت بتحقيق كتاب « تهذيب الكمال » للعلامة أبي الحجاج المزِّي المتوفى سنة ٧٤٢ انتفعت انتفاعاً شديداً بالكتب التي ألفت على « التهذيب » سواء أكانت من الكتب المستدركة مثل « اكمال تهذيب الكمال » للعلامة علاء الدين مُغُلْطاي الحنفي المتوفى سنة ٧٦٢، أم كتباً مختصرة مُسْتَدْرِكة مثل « تذهيب التهذيب » للذهبي، و « الكاشف » له أيضاً، و « تهذيب التهذيب » لابن حجر، أم كتباً مختصرة فقط مثل « بغية الأريب في اختصار التهذيب » لابن بردس البعلبكي المتوفى سنة ٧٨٦ و « المجرد » للذهبي وغيرها مما بينته في مقدمة الكتاب. وقد أعانتني هذه الكتب — ولا سيما كتب الذهبي ومغلطاي وابن

= ٢٦٦/١، ٦١١، وعبر الذهبي: ١٣٣/٤، ١٣٧، وارشاد ياقوت: ٤٢٢/٦، وتكملة ابن الصابوني: ٢٧٧، وتاريخ ابن الدبيثي، الورقة: ٦٠ (شهيد علي)، وعقد الجمان للعيني: ١٦/ الورقة ٦١٧ وغيرها.

(١) التكملة، التراجم: ١٢٧٥، ١٩٠٧.

(٢) تاريخ الاسلام، الورقة: ٧٢، ١٩٨ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٣) العقد الثمين، الورقة: ١٧٢.

حجر – على استدراك بعض الأوهام التي وقع فيها مؤلف الكتاب أو ترجيحه لرأي أو ضبط غير مرجح .

وبعـــد .

فإن التعليق على النص مسؤولية تأريخية وأدبية وعلمية في آن واحد ، لذا يتوجب على المحقق أن يكون في غاية الالتزام عند التعليق يحسب لكل كلمة وجملة حسابها وقيمتها العلمية فلا يجعل من الحواشي مكاناً لإظهار معرفته في غير موضوع النص وتصحيحه وفائدته ، ويجتهد دائماً أن تكون تعليقاته في جميع ما يصحح أو يوضح أو يستدرك أو ينقد جامعة نافعة مختصرة غاية الاختصار شرط أن تكون مجزية دالة في الوقت نفسه .

إن التعليقات تكشف عن شخصية المحقق ومدى التزامه بالمنهج العلمي والتأدب مع زملائه العلماء والدارسين ، وهي بعد كل الذي ذكرنا تقدم انطباعاً عن مكانته العلميـــة .



حول مدلولات رموز المرأة
في مقدمة القصيدة العربية قبل الاسلام

الدكتور
محمود عبدالله الجادر
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

في الحصيلة الأولية لعملية استقراء ما تقع عليه اليد من التراث الشعري الجاهلي تبدو الحقائق مؤهلة تماما لتشخيص حجم متميز لعملية توظيف رمز المرأة في عملية بناء الحدث الفني ، أو التهيئة لأرضيته النفسية والموضوعية ، وتلك ظاهرة فطن القدامى إلى رسوخها في العمل الشعري الموروث ، فراحوا يتابعون تأريخ انتمائها الى القصيدة الجاهلية خلال متابعتهم لأولية عصر اكتمال النموذج الشعري ، فذهب فريق إلى القول بأن مهلهل بن ربيعة « هو أول من قصَّد القصائد ، وقال الغزل ، فقيل : قد هلهل الشعر ، أي أرقّه »[1] ، وذهب فريق آخر إلى منح امرئ القيس فضل السبق إلى إطالة القصائد وترقيق النسيب ، وتشبيه النساء بالظباء والبيض[2] .

وبالرغم من أن الأخذ بأي من الرأيين يبقى منطقاً مشروعاً يقرره المنطلق المتأرجح في تحديد التأريخ الدقيق لأولية القصيدة الجاهلية ، فإن لنا أن نضع اليد على اتفاق خفي يومئ إلى إيمان القدامى بارتباط المرأة ببواكير القصيدة الجاهلية المتكاملة ، وتلك مسألة تقرر بشكل حاسم طبيعة توجههم في فهم موضوع المرأة في الشعر الجاهلي بوجه عام .

ولعلنا قادرون على استجلاء الأمر بوجه آخر من خلال استقرائنا لأقدم محاولة تحليلية لمراحل نمو الحدث الفني في القصيدة العربية قدمها ابن قتيبة في نصه

المشهور الذي قال فيه : « إن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى ، وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر . . . ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي به إصغاء الأسماع ، لأن التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب . . . الخ » [٣]

ونحن إذ نتوقف عن متابعة ما بقي من نص ابن قتيبة نحاول أن نجنب البحث جهد مناقشة مدى استيعاب أحكامه لنماذج القصيدة الموروثة كلها ، ذلك أنه حين انتهى إلى تطويع مدلولات الرحلة (رحيل الشاعر وشكواه من النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وانضاء الراحلة والبعير) لامتداد رغبة الشاعر في تحريك ممدوحه وهز أريحيته ، كشف عن أنه كان ينظر إلى قصيدة المديح المتأخرة أكثر من نظره إلى القصيدة الموروثة أو إلى أنماطها التي لم تقتصر على المديح بأية حال .

وبالرغم من ذلك فإن ما يمكن أن يُعترض به على رأي ابن قتيبة لا يقدح في المبدأ الأساس الذي اعتمدنا عليه في تقرير افتراض انشداد حديث القدامى عن القصيدة الجاهلية إلى حديث المرأة بشكل تلقائي ، وتلك ظاهرة لا ينبغي لها أن توقعنا في حرج البحث عن علة خفية ، ذلك أن انفتاح مقدمة القصيدة الجاهلية لحديث المرأة انفتاحاً كاد يقترب من منطق القانون الفني هو الذي فرض على دارسيها تناول الحقيقة كما هي ، وذلك هو السر في امتداد تأثير التفسير المبكر الذي قدمه ابن قتيبة إلى قناعات علماء أكثر تأخراً تناولوا المسألة فما كادوا يأتون فيها بجديد [٤] .

وفي إطار الدراسات التحليلية المعاصرة خضعت الظاهرة لوجهات نظر مختلفة، ولكننا قد نستطيع أن نميز منهجين رئيسين في النظر ، يتمثل أولهما في محاولة رصد الظاهرة ومنحها مدلولاتها الواقعية والموضوعية الخالصة [٥] ، ويتمثل الثاني في الجنوح إلى تشخيص مدلولات رمزية أو ميثولوجية في تعامل الشاعر الجاهلي مع صورة المرأة في مراحل تنامي الحدث الفني المختلفة [٦] ، ويمتد هذان المنهجان

إلى الدراسات التي تناولت الأدب الجاهلي بوجه عام فيحددان الأطر المختلفة للنظر في مقاطع افتتاح القصيدة أو تجربتها الموضوعية .

ولسنا نريد هنا أن نعرض لهذه الدراسات ، أو نقدم خلاصات لها ، فهي مبذولة في المكتبات ، ولكننا نحاول أن نطرح تصوراً لا ندعي أنه لا ينظر إلى خلاصة الجهد المبذول في الميدان ، وإن كنا نزعم أنه يحاول تقديم إطار مستوعب لكل الأنماط من خلال استقراء متوسع للنصوص الموروثة ، فضلاً عن اعتماده على محاولة فهم منافذ دخول المرأة إلى القصيدة الجاهلية من خلال تصور جديد لمعطيات بنائها الابداعي .

ولكي تتضح الرؤية التي نحاول أن نطرح تفاصيلها يبدو أن علينا أن نحدد موقفنا من طبيعة بناء القصيدة الجاهلية ، ولن تكون المهمة عسيرة التحقيق ، ذلك أن الموروث الشعري الجاهلي بقي مهيأ لتقديم صيغة رئيسة لا تكاد النماذج الشعرية تخرج عنها إلا في ظرف متميز يقتضي الانجرار إلى إطار متميز يستوعب مضامينه ويحقق له خصوصية الطرح والمعالجة ، وتلك مسألة تنبه القدامى والمحدثون إليها ، وكان لهم في استقرائها وعرضها مذاهب مختلفة ، فقديما وضع ابن قتيبة يده على (أقسام) القصيدة ، وعرضها في نصه المشهور الذي سقنا صدره قبل قليل ، على حين ذهب المحدثون مذاهب مختلفة في تفسير هذه الأقسام ومنحها مدلولاتها النفسية والفنية (٧) .

والذي نراه أن النمط الرئيس للقصيدة الجاهلية كان يقوم على ممارسة معالجة ثلاث مراحل يتنامى الحدث خلالها ليؤدي أبعاد التجربة الشعرية ، وهذه المراحل هي : الافتتاح ــ الرحلة ــ الغرض ، وإذ يقوم الافتتاح على صور الطلل أو الظعن أو النسيب أو الغزل أو الشكوى من الشيب أو حديث الطيف ، تبدو التفاصيل متضافرة على منح حديث الشاعر مناخ الأسى اليائس عند أعتاب ذكرى تمتلك عليه أقطار نفسه ، وتفتح آفاق التأمل بين يدي عمله الإبداعي ، ولعلنا سنفتقر بعد ذلك إلى ما يدعم منطق (واقعية) المعالجة في هذه المرحلة من القصيدة لسبب بسيط يتمثل في استحالة تكرر التجربة نفسها في حياة كل الشعراء على امتداد

العصر ، ولكننا قد نوفق إلى الاهتداء إلى خيط رفيع يربط كل هذه الصور المتداولة في افتتاح القصيدة الجاهلية فيكون هو المدار الأصيل في قرارة نفس كل شاعر في لحظات مواجهته فيض الإلهام الشعري ، وهذا الخيط يتمثل في أن الصور كلها مرتبطة بشكل ما إلى صرح الماضي المنهدم في حياة الشاعر والماثل في ذاكرة معاناته الإنسانية ، وليس المهم بعد ذلك أن يكون الشاعر ماثلاً إزاء طلل حقيقي أو تجربة حب يائس أو رحيل شباب ضائع . . . الخ ولكن الأمر يبقى معلقاً على انشداد الشعر إلى أطر غدت كالإرث الفني الذي اكتسب شرعية استمراره من خلال قدرته الخارقة على استيعاب آثار التأمل الإنساني عند أعتاب ممارسة المخاض الشعري من جهة ، وانشداده إلى تجارب البيئة ومعطياتها اليومية المتأصلة من جهة أخرى ، ونحن لا نريد بهذا التوجه أن نلغي كل ما يقال عن العلاقة بين صيغ الافتتاح الموروثة وبين مرحلة انشداد الشعر إلى عالم السحر أو الكهنوت في أوليته المندثرة التي لم يبق بين أيدينا من آثارها شيء يذكر [٨] ، ولكننا نحاول أن نجنب البحث مزلق الاعتماد على نظريات لا تمتلك فاعلية التطبيق لافتقارها إلى الشاهد التأريخي والنصي معاً ، أما ميدان القصيدة الجاهلية التي وصلت إلينا فإنه يقدم أرضية غنية بالشواهد القادرة على منح التوجه الاستقرائي العلمي قدرة تحديد أبعاد الرؤية الناضجة على صعيد التحليل والحكم .

ولعلنا حين نقرر أن صور افتتاح النموذج الشعري الجاهلي كلها تلتقي عند انشداد ذاكرة الشعر إلى تجربة طواها الزمن نضع أيدينا على المفتاح الخفي للحدث الشعري المنتشر عبر أبعاد الزمن الثلاثة ، حيث سيغدو بوسعنا أن نمضي إلى لوحة الرحلة التي تنبثق عادة عن صور الافتتاح من خلال تركيب تقليدي قد يتمثل في قول الشاعر : « فدعها وسل الهم عنك بجسرة » أو قوله « فعدِّ طلابها وتعز عنها » أو ما يشبه ذلك من التراكيب التي تستوعب مضمون النقلة العنيفة بين صورة (الماضي) الذي غدا (هماً) يتشبث الشاعر بمحاولة (تسليته) أو (تعدية طلابه) بمواجهة الواقع الراهن حيث تشخص الناقة وسيلة خوض صراع رحلة أسطورية يتخفف

الشاعر خلال مواجهتها من ركام الهم الذي يبدو مبعثه أبداً عجز الشعر عن بعث الحياة في جدث الماضي الذي غدا (طللاً) ميتاً ، أو ذكرى حب قتيل .

ولكي ينفتح البعد الزمني الثالث في أفق القصيدة تنتهي مشاهد الرحلة عند التجربة الموضوعية التي تتحدد في مضامينها تفاصيل طموح الشاعر إلى النموذج الإنساني أو الاجتماعي المفترض بديلاً للواقع ، ويستوي بعد ذلك أن تتجه المعالجة الآنية إلى مجرى المديح أو الفخر أو الرثاء أو الهجاء أو الحماسة أو وصف الأيام ، فالتفاصيل أبداً خاضعة لمعالجتي عرض الواقع واستشراف المستقبل البديل [٩].

إن هذا الفهم لطبيعة تنامي صيغة النموذج الجاهلي الموروث كفيل بأن يمنحنا قدرة استجلاء المضامين الخفية لمراحل تنامي الحدث الفني ، ويفتح أمام وعينا آفاق ارتياد أبعاد الحركة النفسية الكامنة خلف عملية الإبداع كلها ، ولكننا سنحاول هنا أن نضع اليد على منافذ دخول أحد أهم عناصر التجربة الشعرية إلى عالم القصيدة الجاهلية ، وهو رمز المرأة الذي يجد امتداداً متميزاً في مرحلة الافتتاح ، ثم ينتشر أحياناً إلى عمق التجربة ، فيستقطب بعض فعاليتها الابداعية ، أو يمتد جسراً فنياً أمام معالجة بعض تفاصيلها الموضوعية .

ففي افتتاحية الطلل تتخذ تجربتا (الأرض) و (المرأة) امتداداً أكثر شيوعاً في القصيدة الجاهلية ، حيث يشخص الطلل تعبيراً عميقاً عن ضياع الاستقرار إلى الأرض ، أو يتحول إلى مجرد رمز لضياع كل العلاقات الإنسانية التي انبثقت يوماً من خلال اجتماع الأرهاط والقبائل على غدير ماء ما لبث أن نضب ماؤه ، فكان نضوبه إيذاناً بتشتت الشمل ، وما دام الطلل تجربة مفروضة على واقع الحياة الصحراوية التي لم تشهد تغيراً عنيفاً طوال العصر ، فقد كان طبيعياً أن يؤول الوقوف عنده إطاراً مفروضاً يتحرك الشاعر ضمن حدوده ، ولكنه يبقى ممتلكاً لحرية التعامل مع تفاصيله تعاملاً يتيح له بناء ارضية مفتوحة لمعالجة تجربته الآنية ، وذلك هو سر تفاوت منافذ دخول المرأة إلى اللوحة الطللية ، حيث تقدم النماذج الرائدة فرصة تأمل حدود اللقاء العميق بين قدرة الطلل وقدرة رمز المرأة على إثارة الشجن إزاء تأمل أطياف الماضي المفقود ، فحيث يقف امرؤ القيس ويستوقف على الطلل في مطولته

يستوفي التفاصيل المؤهلة لبعث الحياة في موات الأرض ، ولكنه حين يحس بالعجز عن إعادة عجلة الزمن إلى الوراء ينتهي إلى قوله :

وإن شِفائي عبرةٌ إن سفحتها ... وهل عندَ رسمٍ دارس من مُعوَّل
كدِينك من أم الحُويرثِ قبلها ... وجارتِها أمِّ الربابِ بمأسَلِ
ففاضتْ دموعُ العينِ مني صبابةً ... على النحرِ حتى بَلَّ دمعيَ محمَلي (١٠)

فكما أن العبرة المسفوحة كانت التعبير الحاسم عن اليأس من بعث الحياة في جدث الطلل ، كانت هي نفسها التعبير عن الحرمان القاتل من أم الحويرث وام الرباب اللتين استقطبتا معاني العلاقات الانسانية كلها في وعي الشاعر ، وتلك هي نقطة اللقاء بين رمز الطلل ورمزية المرأة ، وعلى ذلك جرى الشعراء بعد امرئ القيس في توظيفهم لهذين الرمزين في لوحة الافتتاح ، ولكن الأمر لم يجر على غير وعي للمدلولات الملازمة لطبيعة كل منهما ، فثمة إحساس خفي ظل يلازم الشاعر في تعامله مع كل من هذين الرمزين ، ويقرر في وعيه قدرة رمز المرأة على إضفاء مناخ الحركة الفاعلة في إطار الحدث من خلال انفتاح الحديث عنها لحيوية التحرك ومنح الأرضية التمهيدية مناخ التفاعل الانساني الذي لا يتيحه مشهد الطلل بالرغم من محاولة الشاعر منحه حيوية الحركة من خلال بعث (العين والآرام والجآذر) الراتعة في عرصاته ، ولهذا فإن الشاعر لا يتوانى عن التخلي عن رمز المرأة في التجارب التي تغدو الأرض نفسها فيها بؤرة المعاناة ، وإذ ذاك تبرز الصورة الحقيقية للأسى المتدفق على العلاقة القبلية المفقودة التي لا تحتاج إلى التطويع لمدلول رمزي ، وذلك ما نلمسه واضحاً في مثل قول عبيد بن الأبرص الذي واجه معاناة تشتت قومه من بني أسد لما واجهوا نقمة كندة وحمير :

أمن منزلٍ عافٍ ومن رسمِ أطلالِ ... بكيتُ وهل يبكي من الشوقِ أمثالي
ديارُهمُ إذ همْ جميعٌ فأصبحتْ ... بسابسَ إلا الوحشَ في البلدِ الخالي
قليلاً بها الأصواتُ إلا عوازفا ... وإلا غَراراً من غياهب آجالِ
فإن تكُ غبراءُ الحبيبةِ أصبحتْ ... خلَتْ منهمُ واستبدلتْ غيرَ أبدالِ
فَقِدماً أرى الحيَّ الجميعَ بِغبطةٍ ... بها والليالي لا تدومُ على حالِ

أبعدَ بني عمّي ورهطي وإخوتي أرجّي لَيانَ العيش ضُلاً بتَضلال
فلستُ وإن أضحَوْا مَضَوْا لسبيلهم بناسيهمُ طولَ الحياةِ ولا سالي [١١]

إن امتداد هذا النمط من المعالجة الفنية لمشهد الطلل الذي لا ينفتح على رمز المرأة في نماذج عديدة متناثرة في دواوين الفحول يقرر لدينا القناعة بعمق وعي الشاعر الجاهلي لمدلول اقتران رمز المرأة باللوحة الطللية ، وقدرته على تحوير التفاصيل بمواجهة التجارب التي لا تستدعي زج فاعلية أي منهما في الحركة الأساسية للحدث الفني [١٢] .

وفي حدود هذا الوعي لطبيعة التشخيص الانفعالي لرمز المرأة في إطار اللوحة الطللية جرت المنطلقات الأساسية للنموذج الجاهلي ، على أن إدراكنا لهذه الحقيقة مما لا ينبغي أن يشغلنا عن حقيقة أن يد الضياع قد تكون ذات أثر عميق في النماذج التي تخرج عن هذا الإطار ، فضلاً عن أن منطق الالتزام بالصيغة الفنية لم يكن ليرقى إلى منطق القانون الصارم في عملية الابداع التي لا تسمح طبيعتها بالالتزام بحرفية القوانين على أية حال ، وتلك حقيقة تخضع لمنطقها كل الصيغ التي سنعرض لدراسة منافذ دخول رمز المرأة إليها من القصيدة الجاهلية .

ومن خلال تصورنا لمدلول الأداء الانفعالي لرمز المرأة في لوحة الطلل يبدو أن علينا أن نواجه نمط الافتتاح بالنسيب ، وهو نمط شائع يطالعنا استخدامه في عشرات الدواوين الجاهلية ، والذي يبدو أن انفتاح افق النسيب لا ستيعاب أنماط مختلفة من الطرح والمعالجة لا يكاد مشهد الطلل يتحمل استيعاب ما يماثلها هو الذي أدى إلى استخدامها في التجارب الشعرية ذات الأجواء الانفعالية المتميزة ، وذلك ما يمكن أن نتأمل بعده التطبيقي في مثل قصيدة لطفيل الغنوي يقول فيها :

هل حبلُ شمّاءَ قبل البينِ موصولُ أم ليس للصرمِ عن شماءَ معدولُ؟
أم ما تسائلُ عن شماءَ ما فعلتْ ؟ وما تحاذرُ من شماءَ مفعولُ
إذ هيَ أحوى من الرِّبعيِّ حاجبُهُ والعينُ بالإثمدِ الحاريِّ مكحولُ
ترعى منابتَ وسميٍّ أطاعَ لهُ بالجزعِ حيثُ عصى أصحابَهُ الفيلُ
بانتْ وكانتْ إذا بانت يكونُ لها رهنٌ بما أحكمتْ شماءُ مبتول

إن تُمْسِ قدسمِعتْ قيلَ الوشاة بِنا ... وكلُّ ما نطقَ الواشونَ تضليلُ
فمـا تجودُ بموعـودٍ فتنجِزُه ... أم لا فيأسٌ وإعراضٌ وتجميلُ [١٣]

فالمجرى الفني للمعالجة هنا يكاد يشي بمحاولة تهيئة مناخ مشبع بآثار أزمة نفسية متأرجحة بين نموذج الجمال البارع لشماء وبين اهتزاز القيم الرائعة المفترضة في العلاقة الانسانية التي تربط الشاعر بها ، وتلك أرضية بدت صالحة تماماً للمعالجة الموضوعية التيانبثقت عنها حيث اتجه جهد الشاعر إلى الفخر بالنموذج الإنساني الكامل الذي حاول أن يحدد أبعاده لشخصيته الاجتماعية في قوله :

فإن قصرَكِ قومي إن سألتِهُـم ... والمرءُ مستنبأ عنـهُ ومسـؤولُ
إني وإن قلَّ مالي لا يفارقـني ... مثلُ النعامةِ في أوصالِهـا طولُ

* * *

ولا أقولُ لجارِ البيتِ يتبعُنـي ... نفِّسْ محلّكَ إن الجـوَّ محلولُ
ولا أخالِفُ جاري في حليلتِـهِ ... ولا ابنَ عميَّ ، غالتْني إذن غولُ
ولا أقولُ وجمُّ الماءِ ذو نَفَسٍ ... من الحرارة إن الماءَ مشـغولُ
ولا احدِّدُ أظفاري أقـاتلُـهُ ... إن اللِّطامَ وقـولَ السوءِ محمولُ
ولا أكونُ وِكاءَ الـزادِ أحبسُـهُ ... إني لأعلمُ أن الـزادَ مأكولُ [١٤]

إن هذا النموذج الإنساني الكامل لشخصية الشاعر الاجتماعية يكاد ينظر إلى نموذج الجمال الأنثوي الكامل لشماء ، أما إصغاؤها لقيل الوشاة ، وإخلافها المواعيد ، فمردود إلى المناخ النفسي الذي تطلبته مواجهة الشاعر لما جرى على ألسنة من تقوَّلوا عليه ، واتهموه بارتكاب ما يسيءُ إلى قومه في سلمهم وحربهم ، فما كان منه إلا أن تجرد للرد عليهم بقوله :

إني أعدُّ لأقـوامٍ أفاخرُهـمْ ... إذا تُنُوزِعَ عنـد المشهدِ القيلُ
ولا أجلِّلُ قومي خزيـةً أبـداً ... فيهـا القرودُ رُدافـاً والتنابيـلُ
وغارةٍ كجرادِ الريحِ زعزَعَهـا ... مخراقُ حربٍ لنصلِ السيفِ بُهلولُ
يعلو بها البيدَ ميمونٌ نقيبتُـهُ ... أروعُ قد قلَّصتْ عنهُ السرابيلُ

شهدتُ ثمتَ لم أحو الركابَ إذا سُوقطنَ ذو قتَبٍ فيها ومَرْحولُ
بساهمِ الوجهِ لم تُقطعْ أباجلُــهُ يُصانُ وهو ليومِ الروعِ مبذولُ (١٥)

ومن خلال هذه الوحدة النفسية بين مناخ لوحة النسيب في الافتتاح ومناخ المعالجة الموضوعية للتجربة الآنية (الغرض) نستطيع أن نحدد أبعاد منفذ دخول رمز المرأة وطبيعة توظيفه في النماذج الرائدة ، وهكذا يغدو بوسعنا أن نتأمل تجربة قريبــة تطرحها بردة كعببن زهير الذي رسم صورة (سعاد) نموذجاً بارعاً للجمال الأنثوي ثم عمد إلى هدم كل الفضائل الانسانية فيها لينفذ من خلال ذلك إلى تهيئة المناخ الملائم لموقف انتزاع نفسه من أرض الشرك إلى أرض الايمان فقال :

بانت سعادُ فقلبــي اليومَ متبــولُ متيّمٌ إثْرها لم يُجزَ مكبــولُ
وما سعادُ غداةَ البيــنِ إذ رحلــوا إلا أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ
تجلوعوارضَ ذيظَلْمٍ إذاابتسمتْ كأنّهُ مُنهَلٌ بالراحِ معلولُ
شُجّتْ بذي شَبَمٍ من ماءِ محنيةٍ صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمولُ
تجلو الرياحُ القذى عنهُ وأفرطَهُ من صوب ساريةٍ بيضٌ يعــاليلُ
يا ويحَها خُلّةً لو أنّها صدَقتْ ما وعَدَتْ أو لو ان النصحَ مقبولُ
لكنها خُلّةٌ قــد سِيطَ من دمِها فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبــديــلُ
فما تدومُ على حالٍ تكونُ بهــا كما تلوّنُ في أثــوابهــا الغولُ
كانتْ مواعيدُ عرقوبٍ لها مثــلاً وما مواعيدها إلا الأبــاطيــلُ
أرجو وآمُلُ أن يعجلنَ في أبــد وما لهنَّ طَوالَ الــدهــرِ تعجيلُ
فلا يغرنّنْكَ ما منّتْ وما وَعــدتْ إن الأمانيَّ والأحلامَ تضليلُ (١٦)

وقد يتقرر هنا القول بأن كعباً أقام من (سعاد) رمزاً لجاهليته أو (لعصبتــه) من الذين وقفوا موقف الخصومة من النبي (ص) ودعوته ، ثم انتهى بهم الأمــــر إلى خذلان الشاعر بدخولهم في الإسلام (١٧) ، بيد أن الأمر لا يقف عند هــذا وحده كما نرى ، ذلك أن ديوان كعب يقرر وجهاً آخر للحقيقة خلاصته أن الشاعر يعمد أبداً إلى بناء نموذج الجمال الكامل للمرأة ، ثم يعمد إلى هدمه من الداخل ، فلعل العامل الخفي في ذلك هو ظرفه الشخصي حيث كان الرجل يعيش حيــاة

عائلية قلقة انعكست آثارها على صورة المرأة في عامة قصائده [١٨]، وإلا فاننا مطالبون بتعليل مقنع لانتشار هذا النمط من المعالجة في عامة مقاطع النسيب في ديوانه انتشاراً يبدو مقطع نسيب البردة من خلاله صورة مألوفة لا يميزها شيءٌ من مثل قولـه :

أمِنْ أمِّ شدَّادٍ رسومُ المنازلِ	توهّمْتُها من بعدِ سافٍ ووابلِ
وبعد ليالٍ قد خلونَ وأشهرٍ	على إثرِ حولٍ قد تجرَّمَ كاملِ
أرى أمَّ شدّادٍ بها شِبْهَ ظبيةٍ	تُطيفُ بمكحولِ المدامعِ خاذلِ
أغنَّ غضيضِ الطرفِ رَخْصٍ ظلوفُهُ	ترودُ بمعتمٍ من النبتِ هائلِ
وترنو بعيني نعجةٍ أم فرقدٍ	تظلُّ بوادي روضةٍ وخمائلِ
وتخطو على بَرديّتين غذاهما	أهاضيبُ رجّافِ العشياتِ هاطلِ
وتفترُّ عن غُرِّ الثنايا كأنها	أقاحٍ تروّى من عروقٍ غلاغلِ
لياليَ نحتلُّ المَراضَ وعيشُنا	غريرٌ ولا نرعى إلى عذلِ عاذلِ
فأصبحتُ قد أنكرتُ منها شمائلاً	فما شئتَ من بخلٍ ومن منعِ نائلِ
وما ذاك عن شيءٍ أكونُ اجترمتُهُ	سوى أنَّ شيباً في المفارق شاملي
فإن تصرميني ويبَ غيركِ تُصرمي	وأوذنتِ إيذانَ الخليط المزايلِ
إذا ما خليلٌ لم يصِلْكَ فلا تُقِمْ	بتلعتِهِ واعمَدْ لآخرَ واصلِ [١٩]

أما النماذج الأخرى فإنها لا تخرج عن هذا المجرى وإن خالفته في نمط المعالجة أو في بعض التفاصيل [٢٠] .

ولعل ما يقدمه ديوان الشماخ بن ضرار من نمط معالجة قريبة من نمط كعب في النسيب يمثل إشارة حاسمة إلى قوة أثر ظرف الشاعر الشخصي في طبيعة تناوله لموضوع المرأة في مقدمات قصائده ، ذلك أن الشماخ كان يواجه ظرفاً عائلياً قريب التفاصيل من ظرف كعب العائلي [٢١] .

ويبقى انشداد تفاصيل لوحة النسيب إلى طبيعة المعالجة الموضوعية في القصيدة الجاهلية ظاهرة لا تكاد تغيب عن دواوين الفحول ، هذا أوس بن حجر يتصدى

لهجاء بني لبينى من بني أسد بن واثلة الذين كان لهم مع قومه من تميم وقائع وأيام ، فيفتتح قصيدته بقوله :

حلّتْ تُماضرُ بعدنا رَبَبَا ... فالغمرَ فالمُرَّين فالشُّعَبَا
حلتْ شآميةً وحلَّ قسا ... أهلي فكانَ طلابُها نصبا
لحقتْ بأرضِ المنكَرينَ ولمْ ... تُمكِنْ لحاجةِ عاشقٍ طلبا [٢٢]

وهذا مجرى يتيح للشاعر تقديم أرضية مهيأة لاستقبال مناخ مفعم بتفاصيل القطيعة التي يشخصها بعد المسافة المستلقية بين (الشآم) و (قسا) ، فضلاً عن محاولة سحب الأرض كلها من تحت قدمي (تماضر) لينتهي بها الأمر إلى الارتماء بأرض (المنكرين) ، وذلك هو المدخل الذي مهد به الشاعر لممارسة تشويه وجه بني لبينى فيما بعد ، حيث انتهى إلى قوله :

أبني لُبينى لم أجدْ أحداً ... في الناس ألأمَ منكمُ حَسَبَا
وأحقَّ أن يُرمى بداهيةٍ ... إن الدواهي تَطلعُ الحدَبا
وإذا تُسوئلَ عن محاتِدِكمْ ... لم تُوجَدُوا رأساً ولا ذنبا [٢٣]

بيد أن الشاعر نفسه حين يمارس تجربة من نوع آخر يهيئُ لمعالجتها بنموذج نسيب تتدفق تفاصيله بهذا المجرى الذي يحدده قوله :

تنكّرتِ منّا بعدَ معرفةٍ لمي ... وبعدَ التصابي والشبابِ المكرَّمِ
وبعد ليالينا بجوِّ سُوَيْقَةٍ ... فباعجةِ القِردان فالمتثلَّمِ
وما خفتُ أن تبلى النصيحةُ بيننا ... بهضبِ القَليبِ فالرَّقيِّ فعَيْهمِ
فميطي بميّاطٍ وإن شئتِ فانعمي ... صباحاً وردّي بيننا الوصلَ واسلمي
وإن لم يكنْ إلّا كما قلتِ فأذني ... بصرمٍ وما حاولتِ إلا لتصرمي [٢٤]

وذلك مجرى كان من الطبيعي أن يتصدر المعالجة الموضوعية المتميزة التي تضمنتها القصيدة نفسها حيث انتهى الشاعر إلى قوله :

لعمرُكَ إنا والأحاليفُ هؤلا ... لفي حِقبةٍ أظفارُها لم تُقَلَّمِ
فإن كنتَ لا تدعو إلى غير نافعٍ ... فدعني وأكرمْ ما بدا لك واذْأَمِ
فعندي قروضُ الخيرِ والشرِّ كلّه ... فبُؤسى لدى بؤسى ونُعمى لأنعمِ [٢٥]

ووجه اللقاء بين قمة معالجة الموقف من (لمي) ، وقمة معالجة الموقف من لسان حال الأحاليف أوضح من أن يفلت من بين يدي المتأمل للمناخ الانفعالي المتسلل إليهما بشكل عنيف ، فمنطق التخيير بين القطيعة والوصل يلتقي بمنطق التخيير اللامبالي بين قروض الخير وقروض الشر ، وتلك بؤرة المعاناة التي بدا أن الشاعر يهيْ لها منذ مخاض البيت الأول من قصيدته .

وإذ نمضي إلى ديوان أي فحل جاهلي آخر لا نكاد نفتقد مظاهر هذا التعامل الواعي مع تفاصيل مقطع النسيب ، ففي ديوان النابغة الذبياني مثلاً مطلع في النسيب اتجه الشاعر فيه إلى بناء مدخل فني يضمنه قوله :

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها انجذَمَا	واحتلتِ الشرعَ فالأجزاعَ من إضَما
إحدى بليٍّ وما هامَ الفؤادُ بهـــا	إلا السَّفاهَ وإلا ذكـرةً حلُما
ليستْ من السودِ أعقاباً إذا انصرفتْ	ولا تبيعُ بجنبيْ نخلـةَ البُرَمَـا
غراءُ أكملُ من يمشي على قـدمٍ	حسناً وأملحُ من حاورتَه الكلِما [٢٦]

وظاهر أن التوجه إلى تأكيد أصالة نسب (سعاد) والاهتمام بالحديث عن كونها سيدة ذات شأن في قومها يبدو أرضيــة عني الشاعر بتجميع تفاصيلها لإشاعة المناخ النفسي الملائم لما سيكون مــن فخره الشخصي بنسبه وخلقه وسيادتــه في قومه حيث يقول في القصيدة نفسها :

هلاّ سألتَ بني ذبيانَ ما حسَبِـي	إذا الدُّخانُ تغشّى الأشمَطَ البرما
وهبّتِ الريحُ من تلقاءِ ذي أُرُلٍ	تُزجي مع الليلِ من صُرّادِ ها صِرَما
صُهْبُ الظلال أتين التينَ عن عُرُضٍ	يزجينَ غيماً قليلاً ماؤهُ شبِمـا
ينبئْكَ ذو عِرْضِهمْ عني وعالمُهم	وليسَ جاهلُ شيءٍ مثلَ من علِما
إني أتممُ أيســاري وأمنحُهُمْ	مثنى الأيادي وأكسُو الجفنةَ الأدَما [٢٧]

ولكن النابغة نفسه حين يواجه تجربة أخرى تتمثل في خوفه من العودة الى النعمان ، بعد أن اتهم لديه بأنه هجاه عند الغساسنه ، يعمد إليه محاولاً أن يتشفع بما كان من وفائه له وحفظه لعهده ، ثم يحاول أن يدرأ عن نفسه ما اتهم به لديه بالتشبث

بتكذيب الواشين وتزيدهم فيما نقلوه ، وحين تواجهه التجربة الشعرية لا يجد بداً من أن يطوع تفاصيل لوحة النسيب منها لتهيئة أرضية المعالجة الموضوعية فيقول :

نأتْ بسعادَ عنكَ نوىً شطونُ   فبانتْ والفؤادُ بها رهينُ
بنَبْلٍ غيرِ مُطّلَبٍ إليها   ولكنَّ الحوائنَ قد تحينُ
عدَتنا عن زيارتِها العوادي   وحالتْ بيننا حربٌ زبونُ
وحلّتْ في بني القينِ بن جَسْرٍ   فقد نَبَغتْ لنا منهم شؤونُ
فكيفَ مزارُها إلا بعَقدٍ   مُمَرٍّ ليس ينقُضُه الخؤونُ
فإن تكُ قد نأتْ ونأيتُ عنها   وأصبحَ واهياً حبلٌ متينُ
فكلُّ قرينةٍ ومقرُّ إلفٍ   مفارقُه إلى الشحط القرينُ
وكلُّ فتىً وإن أمْشَى واثرى   ستخلِجُه عن الدُّنيا مَنونُ
سأرعى كل ما استُودِعتُ جَهدي   وقد يرعى أمانتَهُ الأمينُ (٢٨)

ويكون من الطبيعي بعد ذلك أن تنفتح القصيدة بشكل تلقائي لقوله :

كأن السهمَّ ليس يُريدُ غيري   ولو أمسى بها شتى هُدونُ
وقالَ الشامتونَ هوى زيادٌ   لكلٍّ منيةٍ سببٌ مُبينُ
حلَفتُ بما تساقُ له الهدايا   على التأويب يعصِمُها الدَّرينُ
وربِّ الراقصاتِ بكلِّ سهبٍ   بشُعْثِ القومِ موعدُها الحُجونُ
لو اختانَتْكَ منّي ذاتُ خمسٍ   يميني لم تُصاحِبْني اليمينُ
أتاني أنَّ داهيةً نآدى   على شحَطٍ أتاكَ بها مَيُونُ
فبتُّ كأنني حَرِجٌ لعينُ   نَفَاهُ الناسُ أو دَنِفٌ طعينُ
أقلِّبُ أظهراً أمري بطوناً   وهل تُغني من الخوفِ الفُنونُ
أغيرَكَ معقلاً أبغي وحِصناً   فأعيتْني المعاقلُ والحصونُ
فجئتُكَ عارياً خلَقاً ثيابي   على خوفٍ تُظَنُّ بي الظنونُ
يخبُّ بيَ الكُميتُ قليلَ وفرٍ   أذكّرُ بالأمورِ واستعينُ
فألفيتُ الأمانةَ لم تخُنْها   كذلكَ كان نوحٌ لا يخونُ (٢٩)

قد لا نغلو إن زعمنا بعد ذلك أن الأمر ظل يقوم عند النابغة على محاولة واعية لإقامة مقابلة متماسكة بين تفاصيل لوحة النسيب وتفاصيل معالجة موقف الاعتذار ، وما يدرينا لعل هذا الوعي الدقيق لعملية البناء الشعري ظل أحد منافذ النابغة ، وغير النابغة من الفحول ، إلى المواضع المتقدمة من التقسيم الطبقي عند رواد الحركة النقدية العربية المبكرة (٣٠) .

وقد تبدو لوحة الظعن قريبة من لوحة النسيب في قيامها على رمز المرأة في الأساس الموضوعي ، بيد أن لوحة الظعن تحتل موضعاً يبدو في الغالب امتداداً للوحة النسيب نفسها ، ولعل ذلك هو السر في انحسار قدرة تفاصيلها عن استيعاب فعالية التهيئة النفسية لمناخ موضوعي متميز ، ولهذا فإن اللوحة لم تشهد تطوراً جذرياً في التفاصيل الرئيسة طوال العصر ، ففي عامة النماذج تنفتح اللوحة بصورة ظعائن في هوادج مكللة بالرقم والأنماط والكلل الحمر التي يشبه لونها لون الدم ، أما الشاعر فإنه يواجه تجربة رحيلهن بنفس موزعة بين ترقب لوعة الفراق والأسى عند أعتاب الغد المجهول ، ثم يتكشف جهده الفني عن تقديم تفاصيل تستوعب تحديد ظرفي الزمان والمكان ، فيكون (الفجر) أو (الضحى) موعد انطلاق الركب لتجد الألوان طريقاً لاحباً إلى التفاصيل المتدفقة ، ثم تتوالى الأماكن التي تمر بها الظعائن مبتعدة عن نظر الشاعر الذي يتابعهن بعينه أو بعين خياله حتى تغيب في السراب كما يغيب صف من السفن او سطر من النخل الصغار في الأفق البعيد .

وظاهر تماماً أن المرأة في لوحة الظعن لا تشكل إلا أحد مستلزمات الصورة حتى إنها لا تكاد تحتل موضعاً متميزاً من المعاناة خلال المشهد كله ، وذلك ما لا يكاد يغيب حتى عن النماذج المبثوثة في دواوين الفحول ، لا نستثني من ذلك مطولة زهير التي قدمت لوحة ظعن رائعة يقول فيها :

تبصَّر خليلي هل ترَى من ظعائنٍ	تحمّلْنَ بالعلياءِ من فوق جُرثُمِ
علونَ بأنماطٍ عتاقٍ وكِلّةٍ	وِرادٍ حواشيها مُشاكهةِ الدمِ
وفيهنّ ملهىً للّطيفِ ومنظرٌ	أنيقٌ لعينِ الناظرِ المتوسِّمِ

بكَرْنَ بكوراً واستحرْنَ بسُحرة ... فهنَّ ووادي الرَّس كاليدِ في الفمِ
جعلنَ القَنانَ عن يمينٍ وحزنَهُ ... وكم بالقنانِ من مُحِلٍّ ومحرمِ
ظهرنَ من السُّوبانِ ثم جزعنَهُ ... على كل قينيٍّ قشيبٍ ومُفـأمِ
وورَّكنَ في السوبانِ يعلونَ متنَهُ ... عليهنَّ دَلُّ الناعمِ المتنعِّـمِ
كأنَّ فُتاتَ العِهْنِ في كلِّ منزل ... نزلنَ به حَبُّ الفنا لم يُحطَّمِ
فلما وردنَ المـاءَ زُرقاً جِمامُهُ ... وضعنَ عِصيَّ الحاضرِ المتخيِّمِ[٣١]

لقد استطاع زهير أن يخضع التفاصيل التقليدية لشفافية الأداء الفني الذي يبدو أنه تعمده تعمداً لمنح الصورة إشراقاً نفسياً يتهيأ معه مناخ قبول ما سيليه من مديح هرم بن سنان والحارث بن عوف لما كان لهما من جهد رائع في فتح آفاق السلم التي ارتادتها عبس وذبيان بعد حرب دامت أربعين عاماً .

بيد أن زهيراً نفسه حين تصدى لتهديد بني الصيداء الذين انتهبوا إبلاً وعبداً له رسم صورة أخرى للظعن تبدو مفعمة بالحركة واضطراب الظاعنين فهيأ بذلك الأرضية الصالحة لتصوير خلاف بني الصيداء على إعادة نهبهم إلى صاحبه ، وهكذا اتخذت اللوحة مجرى مبايناً للوحة ظعن المطولة تضمنه قوله :

بان الخليطُ ولم يـأْوُوا لمن تَركُوا ... وزوَّدُوكَ اشتياقاً أيـة سلكـوا
ردَّ القيانُ جمـالَ الحيِّ فاحتَملوا ... إلى الظهيرةِ أمـرٌ بينهـم لَبِكُ
ما إن يكادُ يخلِّيهمْ لِوجهتهـم ... تخالُجُ الأمـرِ إنَّ الأمرَ مشترَكُ
وعرَّسُوا ساعةً في كثبِ أسنُمـة ... ومنهمُ بالقَسُوميّاتِ معـترَكُ
يغشى الحُداةُ بهمِ حُرَّ الكثيبِ كما ... يغشى السفائنَ موجُ اللجةِ العَرِكُ
ثم استمرُّوا وقالوا إن مـوعدَكمْ ... ماءٌ بشرقيِّ سلمى فَيْدُ أو رَكَكُ[٣٢]

وبالرغم من ذلك كله فإن إطار المشهد التقليدي يبقى أعجز من أن يقدم أرضية ذات قدرة عريضة على تقديم تفاصيل تجربة انفعالية تجاه المرأة التي تظل عنصراً خفياً تقتضيه مستلزمات المشهد التقليدية الخالصة .

إن انشداد لوحة الظعن إلى تفاصيلها التقليدية المحكمة في عامة دواوين الفحول يبقى هو المسؤول عن تراجع قدرة اللوحة على تشخيص مواقف متميزة من المرأة بشكل

دقيق [٣٣] ، ولعل العامل الخفي في ذلك أن لوحة الظعن ترد في الغالب امتداداً للوحة الطلل أو النسيب اللتين تستنفذان جهد الشاعر في تحديد موقف نفسي متميز من المرأة حتى إذا فرغ للوحة الظعن لم يجد اكثر من طاقة التشخيص الحسي البحت.

وكما بدت صورة المرأة باهتة في لوحة الظعن فإنها حين تجد طريقها إلى لوحة الشيب لا تكاد تحقق حضوراً أصيلاً يحتمل تشخيص انفعال نفسي متميز ، ذلك أنها تتخذ موضعها مجرد عنصر يقتضيه الحوار الذي يبدو مجرى تقليدياً لحديث الشيب في عامة النماذج الموروثة حيث تنبري (العاذلة) أو (العاذلات) للتنقص من الشاعر الذي يتخذ من العذل على الشيب منفذاً للفخر بما كان من مغامرات شبابه ، أو للحسرة على ما فات من أيام عمره ، والتفاصيل مرهونة بعد ذلك بتوجه الشاعر النفسي ، وتجربته الآنية التي تقتضي مناخاً ممهداً لتفاصيلها ، هذا الأعشى يواجه قومه من بني عامر طلبَ كسرى إليهم لتقديم رهائن بعد أن أغار الحارث بن وعلة على بعض قرى السواد ، فيلخص موقفهم الرافض بقصيدة يكون من لوحة افتتاحها قوله :

أثوى وقصَّرَ ليلةً ليُزَوَّدا ... فمضتْ وأخلَفَ من قُتَيلةَ موعدا
ومضى لحاجته وأصبحَ حبلُها ... خَلَقاً وكان يظنُّ أن لن يُنكَدا
وأرى الغواني حينَ شبتُ هَجرْنني ... أن لا أكونَ لهنَّ مثلي أمرَدا
إن الغواني لا يواصِلْنَ امرأً ... فَقَدَ الشبابَ وقد يصلنَ الأمرَدا
بل ليتَ شعري هل أعودنْ ناشئاً ... مثلي زُمَيْنَ أحُلُّ بُرقةَ أنقُدا
إذ لمَّتي سوداءُ أتبعُ ظلَّها ... دَدَناً قُعودَ غَوايةٍ أجري دَدَا
يلوينني دَيني النهارَ وأجتزي ... دَيني إذا وقَذَ النعاسُ الرُّقدا [٣٤]

وظاهر أن هذا المجرى يرسم ملامح مواجهة مأساة الشيب من خلال ضرب من التمرد الرافض للاستلام للواقع المفروض، والمتشبث بما كان من عنفوان الشباب وقوته ، وذلك ما نلمح نقيضه في الصورة المستسلمة التي تضمنها افتتاح دالية الأعشى التي قصد بها رسول الله (ص) ليمدحه ، وليدخل في دعوته الكريمة ، حيث قال :

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلــة أرمَدَا ... وعادَكَ ما عادَ السليمَ المسـهّدا

وما ذاكَ عن عشقِ النساء وإنمـا ... تناسيتَ قبلَ اليومِ خُلّةَ مهدَدا

ولكن أرى الدهرَ الذي هـو خاترٌ ... إذا أصلحتْ كفايَ عادَ فأفسدَا

شبابٌ وشيبٌ وافتقارٌ وثـروةٌ ... فلله هذا الدهرُ كيف تردّدا

وما زلتُ أبغي المالَ مذ أنـا يافعٌ ... وليداً وكهلاً حينَ شبتُ وأمردَا

وأبتذلُ العيسَ المراقيـلَ تغتلـي ... مسافةَ ما بينَ النّجيرِ فصرْخدا

فإن تسألي عني فيارُبَّ سـائلٍ ... حفيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا(٣٥)

وبالرغم من أننا نكاد نلمح أثر تقدم السن بالشاعر في هذا الاستسلام الهادئ الذي يشيع في معاني الدالية فإننا نذهب إلى أن العامل الأساسي يكمن في طبيعة التوجه الآني الذي فرض على الشاعر أن يهيئ أرضية صالحة للتفاصيل التي تقتضيها المعالجة التي اختارها لخوض حديث التجربة الموضوعية من قصيدته .

ولا يواجه رمز المرأة بعد ذلك مهمة فنية تختلف عن مهمته في لوحات المحاورة التي يمهد بها الشعراء لمعالجة تجارب نفسية متميزة يغلب أن تمتد إلى الفخر بمناقب الفروسية من كرم وشجاعة ، حيث تبدو المرأة النقيض الملائم ، وذلك لما يسم طبيعتها من سمات الحرص على ضمان مستقبل الأسرة الذي يتهدده البذل والمخاطرة بالنفس ، وحيث يستقر الأمر على هذا يكون من الطبيعي توقع انتشار هذا النمط من المحاورة في دواوين الأجواد والفرسان بوجه خاص ، على أن التفاصيل قد تقوم على نمط المحاورة المتنامية التي يحرص الشاعر على أن يطرح تفاصيل تجربته من خلال إطارها حتى يبدو المجرى القصصي هو الغالب على المعالجة الفنية بأسرها ، كالذي يطالعنا في ديوان حاتم الطائي من قولـه :

وعاذلةٍ هبّتْ بليلٍ تلومُنـي ... وقـد غابَ عيُّوقُ الثريّا فعَرّدا

تلومُ على إعطائيَ المالَ ضَلّـةً ... إذا ضنَّ بالمالِ البخيلُ وصرّدا

تقولُ ألا أمسِكْ عليكَ فإنّني ... أرى المالَ عند الممسِكينَ معبّدا

ذَريني ومالي إن مالَكِ وافـرٌ ... وكلُّ امرئٍ جارٍ على ما تعـوّدا

أعاذلُ لا آلوكِ إلا خليقَـتـي ... فلا تجعَلي فوقي لسـانَكِ مبرَدا

ذريني يكنْ مالي لعرضيَ جُنّةً يقي المالُ عرضي قبلَ أن يتبدّدا
أريني جواداً مات هَزْلاً لعلّني أرى ما ترينَ أو بخيلاً مُخلّدا (٣٦)

وقد تتراجع تفاصيل المحاورة حتى تغدو مجرد مدخل إلى التجربة الشعرية فيغلب عليها الاختصار والتعجل ، لاسيما في المقاطع التي تنبثق عن رغبةالشاعر في إخضاع تجربته لمنطق الاستخلاص الفكري البحت ، كالذي يطالعنا من قول عنترة :

بكرَتْ تخوّفُني الحتوفَ كأنّما أصبحتُ عن غرضِ الحُتوفِ بمعزلِ
فأجبتُها إنَّ المنيةَ منهلٌ لا بدَّ أن أُسقى بكأسِ المنهلِ
فاقنَيْ حياءَكِ لا أباً لكِ واعلَمي أني امرؤٌ سأموتُ إنْ لم أُقتلِ
إن المنيةَ لو تمثّلُ مثّلتْ مثلي إذا نزَلُوا بضَنكِ المنزلِ
والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنما تُسقى فوارسُها نقيعَ الحنظلِ
وإذا حملتُ على الكريهةِ لم أقُلْ بعدَ الكريهةِ ليتني لم أفعلِ (٣٧)

ويندر أن يستخدم نمط المحاورة المفضية إلى حديث مناقب الفروسية في غير تجارب الفخر ، بيد أن زهير بن أبي سلمى استطاع توظيف إطارها الفني في احتواء تفاصيل المديح من قصيدته في حصن بن حذيفة حيث قال :

وأبيضَ فيّاضٍ يداه غمامةٌ على معتفيهِ ما تغبُّ نوافلُهْ
بكرتُ عليهِ غدوةً فرأيتُهُ قعوداً لديه بالصَّريمِ عواذلُهْ
يفدّينَهُ طوراً وطوراً يلمنَهُ وأعيَا فما يدرينَ أينَ مخاتلُهْ
فأعرضنَ عنهُ عن كريمٍ مرزَّأ جموعٍ على الأمرِ الذي فاعلُهْ (٣٨)

ويبدو بعد ذلك أن أسلوب المحاورة قد يمتد الى تجارب موضوعية أخرى فيؤدي مهمته من خلال طبيعة التوجه النفسي الذي يقرره امتداد المعاناة الآنية ، ففي مرثيــة لأبي ذؤيب الهذلي تكفلت المحاورة بين الشاعر ولائمته بتقديم الأرضية التي تسلل إليها التصوير المأساوي لتجربتــه الإنسانية العنيفة إزاء فقده لأولاده ، فكانت مدخلاً متميزاً لعينيته الرائعة التي يقول فيها :

أمِنَ المنونِ وريبها تتوجّــعُ والدهرُ ليس بمُعْتب من يجزَعُ
قالتْ أميمةُ : مالجِسْمِكَ شاحباً منذُ ابتذلتَ ومثلُ مالِكَ ينفعُ
أم ما لجنبكَ لا يلائمُ مضجَعــاً إلا أقضَّ عليك ذاك المضجــعُ
فأجبتُها أن ما لجسميَ إنّــه أودى بنيَّ من البلادِ فودَّعوا
أودى بنيَّ فأعقبوني غصَّـــةً عندَ الرقادِ وعبرةً لا تُقلعُ
سبقوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهُــمُ فتُخُرِّموا ولكلِّ جنبٍ مصرعُ
فغبَرتُ بعدهمُ بعيشٍ ناصبٍ وإخالُ أني لاحقٌ مستتبــعُ
ولقد حَرَصتُ بأن أدافعَ عنهمُ فإذا المنيةُ أقبلتْ لا تُدفــعُ (٣٩)

وقد يطول أمر متابعة الصور التي ينفتح عليها مجرى المحاورة بين الشاعر وعاذلته ، ولكن المسألة تبقى رهناً بالنمط الموروث الذي تكفل بحصر التفاصيل في هذا المجرى المشدود إلى غرض الفخر بوجــه عام (٤٠) ، على أن أواخر العصر شهدت بداية مجرى جديد استطاع الحطيئة أن يرسم ملامحه الأولى في قصائد المديح التي صدرها بمحاورة مختصرة بينه وبين (أمامة) زوجته ليقنعها فيها بصواب قصده الممدوح ، كالذي يطالعنا من قوله :

قالتْ أمامةُ عِرسي وهي خاليةٌ إن المطامعَ قد صارتْ إلى قُلُلِ
آمرتُ نفسي فقالتْ وهي خاليةٌ إن الجوادَ ابنُ دفّاعٍ على العِلَلِ (٤١)

ولا تكاد المرأة تجد طريقها إلى لوحات افتتاح أخرى غير مقدمة الطيف التي ظلت تتسم ببساطة فنية شخصها الشريف المرتضى ، وعزاها إلى حداثتها النسبية إذ قرر أن عمرو بن قميئة هو أول من مارس تقــديم تجربة شعرية بحــديث الطيف (٤٢) ، والذي نكاد نقرره أن الأمر لا يتعلق بالحداثة والقدم حسب ، وإنما يعود إلى عامل خفي قد يتمثل في طبيعة لوحة الطيف التي تقوم عادة على عنصر التخيل البحت الذي لا يكاد يمت إلى الممارسة الحياتية العامة بسبب وثيق كما هو الشأن في لوحات الطلل والنسيب والمحاورة التي تستمد معطياتها من واقع الحياة اليومية أو ما يمكن أن يضمه إطار نشاطها الإنساني في حدود ظرف الزمان والمكان ، إن هذا الفهم لموقع تفاصيل لوحة الطيف من الفعالية الابداعية يمكن

أن يقدم تفسيرا مستساغاً لبساطة المعالجة الفنية التي ظلت السمة الغالبة للتفاصيل المتمثلة في عجب الشاعر من زيارة طيف الحبيبة بالرغم من بعد الزمان والمكان ، وتسلله إليه بعد أن رقد رفاقه وتركوه لعالم خياله الشخصي ، فذلك ما يطالعنا في نصوص لشعراء متقدمين كالحارث بن حلزة الذي يضم ديوانه قوله :

طرقَ الخيالُ ولا كليلةِ مدلجِ ... سَدَكاً بأرحلِنا ولم يتعرَّجِ
أنّى اهتديتِ وكنتِ غيرَ رَجيلةٍ ... والقومُ قد قطعوا مِتانَ السجْسَجِ
والقومُ قد آنَوا وكَلَّ مطيُّهم ... إلا مواشكةَ النجا بالهودجِ (٤٣)

والتفاصيل نفسها مما يكاد يتكرر في دواوين المتأخرين دون تغيير جذري كما هو الأمر في افتتاح بائية قيس بن الخطيم التي يقول فيها :

أنّى سريتِ وكنتِ غيرَ سروبِ ... وتقرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريبِ
ما تمنعي يقَظى فقد تُؤتينَهُ ... في النومِ غيرَ مصرَّدٍ محسوبِ (٤٤)

إن هذه البساطة التي ظلت سمة المعالجة الفنية في اللوحة هي التي سلبتها قدرة استيعاب متغيرات المدلول النفسي أو الموضوعي ، ولهذا بدا من النادر تماماً أن تطالعنا لوحة طيف لا تنفتح على لوحة نسيب أو غزل تتكفل بأداء معطيات ظرف الإلهام الإبداعي في عامة النماذج الموروثة .

وحين نخلص إلى هذا كله يواجهنا السؤال الرئيس حول ماهية دور المرأة أو رمزها الفني في لوحات الافتتاح ؛ ومدى العلاقة بين صورتها المطروحة فيها وبين دورها في معاناة الشاعر الحياتية ، ولعلنا نستطيع أن نقرر من خلال دراستنا لطبيعة العمل الفني في اللوحات التي أقمنا عليها استقراءنا لصور المرأة في مقدمة القصيدة الموروثة أن رمز المرأة يخضع فيها لتأثير ثلاثة متغيرات متداخلة متفاوته الثقل في كل نص شعري هي :

١ ــ الإطار التّراثي الذي ظل يقدم معطيات شبه مقرره تقتضي حشد رموز الموت ومواجهتها برموز الحياة في مقطع الطلل ، وتقتضي تقديم تجربة فراق يائس يواجهه الشاعر في مقاطع النسيب والظعن والطيف ، وتقتضي مواجهة الطرف النقيض في مقاطع المحاورة المفضية إلى تقرير موقف انساني واجتماعي متميز ،

فتلك هي المادة (الخام) التي ظلت متاحة للنمط المقبول في عرف المبدع والمتلقي الجاهليين ، وهي مادة لم تواجه منعطفات تغيز عنيف طوال العصر لما كان من ندرة صور التغير والتمايز العنيفين في الحياة الاجتماعية والفكرية ، وذلك ما قد يتيح لنا فرصة الاطمئنان إلى أرضية تمتلك قدرة منح الاستقراء العلمي آثار المتغيرات الأخرى بشكل جلي ودقيق .

٢ — طبيعة التجربة الموضوعية التي انبثق المخاض الابداعي من خلالها ، وذلك ما لمسنا عمق معطياته في النماذج التي عرضنا لدراستها حيث بدا أن تجربةالشاعر الواحد مع المرأة تكتسب أهم تفاصيلهامن خلال استعداده الآني المحكوم بتجربة فخر أو مديح أو اعتذار ... الخ ، فضلاً عما قد يتيحه الاستقراء من القول بأن التفاصيل الدقيقة في تجربة المرأة قد تمثل إضاءة مبكرة لما سيكون من التفاصيل الدقيقة في معالجة التجربة الموضوعية ، وذلك هو المنطق الذي نراه مقبولاً في تفسير تفاوت تفاصيل موقف الشاعر الواحد من المرأة في نماذجه المختلفة .

٣ — طبيعة التكوين النفسي والاجتماعي للشاعر ، حيث تبدو التجارب الذاتية ذات أثر في توجيه تفاصيل التعامل مع المرأة في مقاطع الافتتاح ، وتلك قاعدة يمكن أن نؤول إليها فيتعليل ظواهر متميزة تجد امتدادهافي دواوين بأعيانها ، كديوان امرئ القيس الذي أتاحت لهحياته المبكرة خوضعلاقات نسائيةمتنوعة ، وديواني كعب بن زهير والشماخ بن ضرار اللذين واجها حياة عائلية قلقة،وديوان ابن مقبل الذي خلف أباه على زوجته ففرق بينهما الإسلام ، فقد كان للظروف المتميزة التي وسمت حياة كل من هؤلاءالشعراء وعلاقته بالمرأة أثر فيتبلور(موقف) ظل يجد امتداده بشكل أو بآخر إلى عامة المقاطع التي تنفتح على عالم المرأة في مقدمات قصائدهم ، حيث تبدو التفاصيل التقليدية مطوعة لخلاصة (الموقف) الذي تبلور في معاناة كل منهم فكان سبيله لتقديم معالجة متميزة ضمن الإطار الموروث .

ونحن لا نريد أن ننكر بعد ذلك كله ما قد يوحي به توظيف صورة المرأة في مقدمة القصيدة الجاهلية من أثر الارث الاجتماعي والحضاري أو أثر الواقع

اليومي الذي كانت المرأة تحتل موقعها البارز فيه من خلال حضورها المتميز في وجوه النشاط الإنساني فضلاً عن قدرتها على تشخيص قيم الاستقرار ودفء المشاعر الانسانية في بيئة تقفر من مظاهرلين العيش أو تكاد ، نحن لا نريد أن ننكر ذلك كله ولكننا نحاول أن نقرر أن حضورها الدائم في المستلزمات التقليديـة للنموذج الشعري قد لا يتجاوز المنفذ الرمزي الذي حدده النمط المتداول ، على أن هذا الفهم لا يمنع من القول بأن بعض الحالات قد تنبثق عن معاناة حقيقية ، بيد أن موئلنا في ذلك مما لا ينبغي له أن يقوم على الخبر التأريخي وحده ، إذ أننا لا نستبعد أن يقوم الخبر نفسه على انجرار وراء ظاهر النص الشعري كالذي نظنه في قصة عشق المرقش الأكبر لأسماء التي دخلت إطار القصص الشعبي المتداول من خلال تردد رمزها في مقدمات قصائده .

إن (النمط) الشعري هو المدار الرئيس في زج صورة المرأة في مقدمـة القصيدة الجاهلية ، ولهذا فإن القدامى حين استقرأوا الموروث من الشعر ووجدوا أن تقاليد الافتتاح تسقط في بعض التجارب الشعرية كالرثاء ومواقف الحماسة والمنافرة طال عجبهم لا فتتاح دريد بن الصمة مرثية لأخيه عبدالله بالنسيب حتى قال ابن الكلبي : « لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة

أرث جديد الحبل من أم معبـد

بعافية أم أخلفت كل موعد»[٤٥]

وثمة دليل حاسم آخر على انشداد صورة المرأة إلى المنفذ الرمزي في مقدمة القصيدة الجاهلية يتمثل في تعدد رموز المرأة في ديوان الشاعر ، وفي القصيدة الواحدة ، وفي البيت الواحد أحياناً ، وذلك ما قد يصح تعليله بالقول بأن الحياة الجاهلية كانت تسمح للرجل أن يبني علاقات متعددة مع المرأة حتى جاء الإسلام فقيد العلاقة وضغط صورها في الإطار الشرعي المحدود ، أو تعليله بالقول بأن الشاعر كان يعمد إلى تنويع الأسماء ليخفي اسما حقيقياً لا يريد البوح به ، على أننا نميل لتقرير الوجه الآخر للحقيقة من خلال استقراء أربعين ديواناً جاهلياً أحصينا رموز المرأة فيها وأودعناها المسرد التالي الذي يقوم على ذكر اسم الشاعر

ثم ذكر الرموز التي ترد في كل قصيدة من قصائد ديوانه بإزاء رقم يمثل تسلسل ورود القصيدة في الديوان مع حصر الرموز التي ترد في البيت الواحد بين قوسين :

١ – امرؤ القيس [٤٦] .

١ – (ام الحويرث ، ام الرباب) ، عنيزة ، فاطم . ٢– سلمى ، بسباسة ، سلمى . ٣– أم جندب ٤– سليمى ، أسماء ، ابنة عفزر ، (أم هاشم ، البسباسة) أم عمرو . ٨– (هند ، الرباب ، فرتنى) ١٢– ماوي ١٤– (هر ، فرتنى) ١٥– (هر ، الرباب ، فرتنى ، لميس) . ١٦– ماوية . ١٨– هند . ٢٩– هر . ٣١– سلمى . ٣٣– ليلـى . ٣٩– رقاش . ٤٠– ليـلى . ٤٤– سعاد . ٤٩– دعد . ٥٢– فاطمة . ٥٤– هند . ٥٥– سلمى ،سليمى ٥٦– مي . ٥٩– جمل . ٦٠– لميس . ٦٣– أم عمرو . ٧١– لميس . ٧٣– ليلى ، نعم . ٧٤– ماوية . ٧٥– ابنة البكري . ٧٦– أم عمرو . ٩٩– فطيمة . ١٠٠– جمل .

٢– النابغة الذبياني

١– مية . ٣– اميمة . ٦– سعاد . ١٣– مية . ٢٢– سعدى . ٢٤– قطام ٢٥– سعدى . ٢٦– أسماء . ٢٧– ظلامة . ٢٩– أمامة . ٤٤– المالكية . ٤٥– هند . ٦٣ – أمامة . ٦٥– نعم . ٧٣– سعدى . ٧٥– سعاد .

٣ – زهير بن أبي سلمى

١– أم أوفى. ٢– أسماء ، ابنة البكري . ٣– فاطمة . ٤– سلمى. ٥– أسماء ٦– أسماء . ٧– سلمى . ٨– أسماء . ١١– ليلى . ١٢– ليلى ، سلمى ١٤– أم معبد . ١٩– ليلى . ٢١– سلمى . ٢٢– سلمى . ٢٤– سلمى . ٣٢– ابنة مدلج ، ليلى ، سلمى . ٣٩– أم كعب . ٤١– أسماء . ٤٣– أم أوفى .

٤ – الأعشى

١– جبيرة . ٦– هريرة . ٨– تيا (وهو اسم إشارة) . ٩– هريرة . ١٠– تيا ١١– تيا . ١٢– ليلى . ١٣– تيا ، جبيرة . ١٧– مهدد . ١٨– قتلة .

٢٠– عفارة . ٢٣– ميثاء . ٢٨– ليلى . ٢٩– تيا ، قتيلة . ٣٠– زينب .
٣٢– قتيلة . ٣٤– قتيلة . ٣٩– سلمى . ٥٢– قتلة ، قتيلة . ٥٤– لميس .
٥٥– قتيلة . ٦٢– هريرة . ٦٤٣– ميثاء. ٦٥– قتل . ٦٨– قتيلة. ٧٠– سمية
٧٢– ريـــا . ٧٧– قتيلة . ٧٨– هند ، سلمى . ٧٩– سعاد ، سعدى .
٨٢– ميـــا .

٥ – أوس بن حجر .

١– تماضر . ٢– زينب . ٥– لميس ١٦– تماضر . ٢١– دومة . ٢٥– ام الحصين . ٣٠– أميمة . ٣٥– ام عمرو . ٣٧– ليلى . ٤٨– لمي . ٥٠– ام الردين . ٥٣– أميمة .

٦ – بشر بن أبي خازم

١– سلمى . ٢– أميمة . ٣– سليمى . ٤– سليمى . سلمى . ٥– عميرة .
٦– فاطمة . ٧– مية. ١٠– سليمى. ١١– ليلى . ١٦– ليلى ١٨– أمية .
٢٠– سلمى . ٢٤– سلمى . ٢٥– أمية . ٢٧– رميلة . ٢٩– حنتم .
٢٩– أسماء ، سعدى . ٣١– كبشة . ٣٢– سلمى . ٣٤– سلمى . ٣٩– ليلى.
٤١– إذام . ٤٦– هنيدة ، هند .

٧ – كعب بن زهير

٢– سعاد . ٤– عرسي (زوجته) . ٧– أم شداد . ١٠– خولة . ١١– ليلى
١٢– عرسي . ١٤– عرسي . ١٧– أسماء . ١٩٨– سلمى . ٢٦– أميمة .

٨ – الحطيئـــة

١– ليلى . ٧– هند . ٢٥– أمامة عرسي . ٢٧– أمام . ٣٥– أمامة. ٣٦– أمامة
٣٨– هند . ٣٩– ام معبد . ٤٠– ليلى . ٤١– سليمى ٤٣– سليمى . ٤٤– هند
٤٧– أمامة . ٥٠– هند ٨٥– سليمى . ٩٠– ليلى ٩٢– أمامة . ٩٩– هند الهنود ، ليلى . ١٠٣– هنيدة ، هند . ١٠٦– أم مالك .

٩– النابغة الجعدي (٤٧) .

٢– سليمى . ١٢– اميمة – ملحق الديوان – ١– ليلى – ١٠– أمامة .

١٤- أميمة

١٠- أبو ذؤيب الهذلي

١- أميمة . ٢- أم عمرو. ٤- أسماء . ٥- أم عمرو. ٦- أم عمرو ٧- ختماء
٩- أم عمرو . ١٠- أسماء . ١٥- أم وهب . ١٩- أم سفيان . ٢٠- ليلى .
٢٢- ام الرهين . ٢٣- أم الحويرث .

١١- الشماخ بن ضرار

٢- ليلى ، أم حشرج ، ليلى . ٣- أسماء . ٥- ليلى . ٦- ليلى . ٧- الميلاء
٨- سليمى . ٩- الميلاء . ١٠- عائش . ١٢- ابنة الراضي . ١٣- أسماء .
١٧- ليلى . ١٨- أروى .

١٢- لبيد بن ربيعة العامري

٤- أسيماء . ٩- سلمى . ٣٥- كبيشة . ٤٢- أسماء . ٤٨- نوار

١٣- طرفة بن العبد

١٦- ماوي . ٢٥- ابنة مالك . ٢٦- خولة . ٢٧- سلمى . ٢٨- هند .

١٤- عبيد بن الأبرص

٦- أم أسلم . ١٣- مهدد . ١٥- أم عمرو . ١٩- سعدة ، سعدى . ٢٨-
فاطمة . ٣١- هند . ٣٢- سلمى . ٣٧- سلمى ، سليمى . ٣٨- امية .
٣٩- سليمى . ٤٩- هند .

١٥- علقمة بن عبدة [٤٨] .

١- سلمى . ٢- سلمى

١٦- عدي بن زيد[٤٩] .

٤- سلمى . ٩- ليلى . ١٣- ابنة عبدالله . ١٧- مي .

١٧- الأسود بن يعفر [٥٠] .

٤٩- سلمى . ٦٠- أسماء . ٦٨- سلمى .

١٨- تميم بن أبي بن مقبل [٥١] .

١- زينب ، كبيشة . ٤- كبيشة . ٥- الدهماء . ٦- دهماء . ٧- أم عاصم.

٨– أم حاجز ، أم سهم . ١٦– كبشة . ١٧– ليلى . ١٨– دهماء ٢٤– دهماء
٢٥– سليمى . ٣١– عتيبة . ٣٣– كبشة . ٣٥– دهماء . ٣٦– أم خشرم .
٣٧– ليلى . ٤١– ليلى . ٤٢– دهماء .

١٩– الحارث بن حلزة

١ – أســـماء

٢٠– سويد بن أبي كاهل [٥٢]

٨– رابعة . ١٦– سلمى . ٤٥– سليمى .

٢١– عنترة بن شداد

١– عبلة ، ام الهيثم ، عبلة . ٥– رقاش ، قطام . ٧– عبيلة ، عبل . ٩– عبلة
١٠– سمية . ١٢– سمي . ٢٥– عبلة .

٢٢– سلامة بن جندل [٥٣]

٣– أسماء ، ٤– ليلى . ذيل الديوان ٥– أسماء

٢٣– عمرو بن قميئة

٢– سليمى . ٦– تكتم ، سليمى . ١١– خولة .

٢٤– النمر بن تولب [٥٤]

٦– جمرة . ١٤– دعد ، تكتم . ١٧– جمرة . ١٩– جمرة . ٣٨ – أم حصن
٤٢– جمرة .

٢٥– سحيم عبد بني الحسحاس [٥٥]

٢– عميرة . ٤– تكتم . ٦– هند ٨– أسماء . ٩– مية ١٠– سليمى ٢٧– عالي

٢٦– الحادرة [٥٦]

٣– سمية . ٤– هند . ٥– سمية

٢٧– قيس بن الخطيم

١– ليلى . ٣– عمرة . ٤– عمرة . ٧– عمرة . ١٠– كثود . ١٤– هند
١٥– ليلى ، أم عمرو . ٢٣– ابنة الخزرجي .

٢٨– المثقب العبدي

٣– هند . ٥– فاطم . ٦– طلحة
٢٩– السموأل بن عادياء [٥٧]
٥– فاطمة
٣٠– حاتم الطائي
٢٢– ماوية . ٣١– (سلمى ، أم عامر) . ٣٢– نوار . ٣٦ – ماوي ٣٩– عاصي . ٤٢– نوار . ٤٤– سوداء . ٥٢– ماوي . ٦٩– أم مالك ٧٦– أم مزنة ١٠٢– ماوي . ١٠٣– (عالي ، عالية) .
٣١– تأبط شرأ
١٤– أم مالك . ٢٢– ابنة الحر . ٢٧– سليمى . ٣٤– أم عمرو .
٣٢– خفاف بن ندبة [٥٨]
١– اسماء . ٢– أسيماء . ٣– هند . ١٤– عرسي . ١٦– قيلة .
٣٣– زيد الخيل [٥٩] .
٤– فاطمة .
٣٤– طفيل الغنوي
١– جميلة . ٥– شماء . ٦– سعاد .
٣٥– عامر بن الطفيل [٦٠] .
١٧– أسماء . ٢٥– أسماء . ٣٤– دومة . ٤٥– أسماء. ٤٦– سلمى .٦١– أميم
٣٦– عبدة بن الطبيب [٦١]
٥– ابنة الزيدي . ٦– هند . ٧– خولة ، خويلة . ١٠– أم عمرو . ١٤– سليمى
٣٧– العباس بن مرداس [٦٢]
١– أسماء . ٢– أسماء ، سلمى ٢٤– جمل ٢٨– أم مؤمل .
٣٨– عروة بن الورد [٦٣]
٥– أم وهب . ٩– سلمى . ١٦– ابنة منذر ، أم حسان ١٧– أم حسان .
٢٢– أم مالك . ٢٤– سليمى . ٣١– أم حسان ، سليمى .
٣٩– المرفش الأكبر .

١

بها قيس بن الخطيم انتقاماً لما كان من تشبيب حسان بليلى بنت الخطيم أخت قيس [٦٧] ، ولكننا نكاد نقرر بالرغم من ذلك كله أن من غير المستبعد أبداً أن هذه الأخبار قامت على اعتماد النص الشعري وثيقة مصدقة في إطار واقعية المعالجة الموضوعية ، ولهذا فإن مثل هذه الأخبار مما لا يصح أن يعتمد عليه في تقرير مثل هذه الحقائق ، أما ما سبق من إشارتنا إلى حقيقة وجود (أم كعب) في حياة زهير ، وحقيقة وجود (الدهماء) في حياة تميم ، فانه لم يقم عندنا إلا على كون زهير أبا للشاعر المشهور كعب ، وعلى ما تواتر من أخبار بشأن تفريق أحكام الشريعة الإسلامية بين تميم وزوجة أبيه (الدهماء) التي خلفه عليها ، وتلك حقائق لا سبيل إلى الشك في صحتها التأريخية بأي وجه .

٤ — حيث يستقر لنا القول بأن تجربة المرأة مما يمكن أن يخضع مجراه العام للتفسير القائم على اعتماد المنفذ الرمزي ، يكون من المناسب أن نبحث عن العوامل التي تكمن وراء اختيار الرموز عند كل شاعر وفي كل نص ، وذلك ما يحتاج إلى إعادة نظر في المسرد الذي قدمناه حيث تتضح لنا ملامح بواعث ومتغيرات هي :

أ — إطار ذوقي عام يتحكم في اختيار أكثر الشعراء من خلال الترابط المفترض بين التوجيه الفردي والتوجيه الجماعي ، وتلك مسألة تنبه ابن رشيق إلى مضمونها قديماً ، وحددها بقوله : « وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم ، وتحلو في أفواههم ، فهم كثيراً ما يأتون بها زوراً نحو : ليلى ، وهند ، وسلمى ، ودعد ، ولبنى ، وعفراء ، وأروى ، وريا ، وفاطمة ، ومية ، وعلوة ، وعائشة ، والرباب ، وجمل ، وزينب ، وأشباههن » [٦٨] ولعل ما كان من مزج ابن رشيق في الحكم بين القصيدة الجاهلية والعباسية هو السبب في انضمام بعض الرموز التي لم نجد لها أثراً في الدواوين التي استقرأناها إلى مسرده ، بيد أن ملاحظته تبقى ذات قيمة نقدية أصيلة في ميدان تفسير ظاهرة تردد رموز بأعيانها في أكثر من ديوان جاهلي .

ولعلنا حين نتابع مسرد الرموز الذي قدمناه قادرون على تشخيص حقيقة

خفية وهي أن ثمة ميلاً عاماً إلى الرمز الرباعي حيث تجد رموز (سلمى ، ليلى ، سعدى ، تيا ، ريـا ، أروى ، عرسي) طريقها بشكل رئيس لما تتسم به من قدرة على إشاعة أداء نغمي متميز يتيحه حرف المد الذي تنتهي به ، على أن الرموز الرباعية الأخرى مثل (لميس ، سعاد ، مية ، زينب ، دومة ، كبشة ، حنتم ، نوار ، تكتم ، خولة ... الخ) تحتل مواضعها من صدارة الاستخدام فضلاً عن الرموز الثلاثية التي يلحقها التنوين فتودي إيقاع الرباعي العروضي مثل (زهر ، دعد ، جمل ، نعم ، هند) .

وظاهر أن مدار الاختيار في هذا كله جانب نغمي صرف يتوخاه الشاعر حتى يبدو لنا أن الخروج عنـه قد يمثل وقوعاً تحت ضغط المتغيرات الأخرى.

وما دام الأداء النغمي يمثل باعثاً رئيساً يقرره الاستقراء فإن لنا أن نتنبه إلى شيوع الرموز التي تعتمد على جرس حرف السين شيوعاً ملحوظاً حتى إن خمسة وثلاثين ديواناً من الدواوين الأربعين التي استقرأناها تشترك كلها في استخدام (سلمى ، سليمى ، أسـماء ، سعاد ، سعدى ، سمية ، لميس ، عرسي ، أسيماء) ، وتلك ظاهرة لا يمكن أن نعزوها إلى عنصر المصادفة المفرغة مـن المحتوى الفني بأية حال .

وقد يقدم ديوان الحطيئة ظاهرة متميزة لا نعرف لها ضريباً فيما اطلعنا عليه من دواوين ،فقد كان يعنى أن تكون (ليلى) صاحبة لوحة الظعن في قصائده، وأن تكون (هند) صاحبة لوحة الطيف ، وأن تكون (أمامة) صاحبة لوحة المحاورة [٦٩] وبالرغم من عدم اطراد ذلك في كل ما روي للشاعر فإن الأمر يبقى نمطاً مبكراً قائماً على عناية فنية شديدة لعلها كانت أحد العوامل التي دعت الباحثين إلى درج اسم الحطيئة ضمن قائمة المنقحين وعبيد الشعر فيما بعد .

ب ــ قد يكون للوزن أثر في اختيار الرمز أو في تضييق ميدان اختياره في الأقل، وقديما روى الأصمعي لمالك بن زغبة قوله

وما كان طبي حبها غير أنـه
يقام بسلمى للقوافي صدورها [٧٠]

ولقد رأينا أن الشاعر قد يسوق رمزاً ثم يعمد إلى تصغير الرمز نفسه في القصيدة نفسها كما في القصيدة المرقمة (٥٥) من ديوان امرئ القيس ، والقصيدة المرقمة (٥٢) للأعشى ، والقصيدة المرقمة (١٩) لعبيد بن الأبرص ، والقصيدة المرقمة (٧) لعبدة من الطبيب ... الخ وذلك ما لا نجد له تسويغاً مقبولاً إلا رغبة الشاعر في إقامة وزن قصيدته ، بيد أننا لا نميل إلى اتخاذ إقامة الوزن معياراً أساسياً لأننا رأينا قبل قليل أن حرص الشاعر على استخدام الرباعي الذي يؤدي إيقاع التفعيلة (فَعْلُن) لم يمنع من تعدد رموزه وتنوعها في الدواوين ، فضلاً عن أننا وجدنا من الشعراء من يستخدم رمزين مختلفين من وزن واحد في القصيدة الواحدة كما هو الأمر في القصيدة المرقمة (٧٣) لامرئ القيس ، والقصيدة المرقمة (١٢) لزهير بن أبي سلمى ، والقصيدة المرقمة (٧٨) للأعشى .

ج — قد يكون للقافية أثر في اختيار الرموز التي تقع في ضرب البيت أو عروضه ، وذلك ما يطالعنا في قصيدتي أوس المرقمتين (١٦) و (٤٨) ؛ وقصيدة الحطيئة المرقمة (٣٩) ، وقصيدة الشماخ المرقمة (٢) ، وقصيدتي عنترة المرقمتين (١) و (٥) ، وقصيدتي حاتم المرقمتين (٣١) و (١٠٣) ، فإذا وضعنا في الحسبان أن عنترة استخدم رمز (رقاش) في القصيدة المرقمة (٥) من ديوانه فلما اضطرته القافية الميمية استخدام رمز (قطام) في القصيدة نفسها ، وأن الأمر نفسه تكرر في قصيدتي حاتم المرقمتين (٣١) و (١٠٣) كان من حقنا أن نقرر أثر القافية في الاختيار ، بيد أننا رأينا أن استخدام أكثر من رمز واحد في القصيدة الواحدة دون اضطرار لسد القافية ظاهرة مطردة في الدواوين ، ولهذا فإننا لا نريد أن نتخذ النماذج التي سقناها ذريعة لتقرير حقيقة نهائية .

د — لذوق الشاعر الشخصي أثر كبير في اختيار الرمز أو الرموز التي تتردد في ديوانه ، فبالرغم من قيد الذوق العام الذي رأينا أثره في تحديد ملامح عامة للرموز المتداولة فإننا حين نتأمل مسرد رموز الدواوين الاربعين التي استقرأناها نضع اليد على توجهات خاصة في بعض الأحيان ، لا سيما في دواوين امرئ القيس والأعشى والنابغة الذبياني وحاتم الطائي ، وقد سبقت الإشارة إلى الظاهرة

الذوقيـــة التي ضمها ديوان الحطيئـــة ، وذلك كله مما يمهد للقناعـــة بأثر الذوق الخاص عند الشعراء الفحول على الأقل في الخروج عن دائرة رتابة الرموز الموروثة.

وتبقى البواعث والمتغيرات التي أشرنا إليها متداخلة التأثير حتى يبـــدو من المستحيل تقديم تعليل جاهز لكل حالة اختيار ، بيد أننا نخلص من الاستقراء ونتائجه إلى حقيقـــة راسخة تدعم ما ذهبنا إليه ابتداء من أن رمز المرأة يتخذ طريقه إلى مقدمة القصيدة الجاهلية من خلال الرغبة في بناء أرضية نفسية تفتح الطريق إلى التجربة الموضوعية وتمهد لإطارها وتفاصيلها وترسم ملامح آفاقها منذ المرحلة الأولى في بناء الحدث الفني .

ويبقى بعد ذلك كله أن يقال إن المرأة تتخذ في صلب القصيدة الجاهلية وضعاً يختلف عن هذا الذي اتخذته في مقدمتها الفنية ، ذلك أنها تحتل في إطارها الموضوعي موضعاً يكشف عن وجوه فعاليتها الاجتماعية، وينبئ عن مضامين وجودها الإنساني والأسري والقبلي ، وذلك ما سنفرد له بحثاً مستقلاً إن شاء الله .

الهوامش والمصادر

(١) الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ) – طبعة دار الكتب ، ج ٥ ص ٥٧ .

(٢) طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحي (٢٣١ هـ) – شرح محمود محمد شاكر ، مصر ١٩٥٢ م ، ص ٤٦ .

(٣) الشعر والشعراء – ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) – تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر ١٩٦٧م، ج١ ص ٧٤ .

(٤) أنظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه – القاضي الجرجاني (٣٩٢ هـ) – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٦٦ م ، ص ٤٨ ، الصناعتين – أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) – تحقيق علي محمد البجاوي، مصر ١٩٧١، ص ٤٥١، العمدة – ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد مصر ١٩٧٢ م ، ج ١ ص ٢٢٥ .

(٥) أنظر مقالات الدكتور يوسف خليف الثلاث المنشورة في الاعداد ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٤ من مجلة (المجلة) المصرية سنة ١٩٦٥ م ، وكتاب الدكتور علي الهاشمي الموسوم بـ (المرأة في الشعر الجاهلي) بغداد ١٩٦٠ ، وكتاب الدكتور أحمد محمد الحوفي الموسوم بـ (الغزل في العصر الجاهلي) ، مصر (د . ت) .

(٦) من هذه الدراسات : قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور مصطفى ناصف ، بيروت (د . ت) ، والمرثاة الغزلية في الشعر العربي للدكتور عناد غزوان بغـداد ١٩٧٤م ، ورمز المرأة في أدب أيام العرب للدكتور عادل البياتي وهو بحث منشور في مجلة آفاق عربية ع ١٢ بغـداد ١٩٧٧م.

(٧) جمع الدكتور حسين عطوان خلاصة بحوث عديدة في هذا الميدان في كتابه: مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي ، مصر ١٩٧٠ م ، ولكنه بدا واقعاً تحت تأثير تفسير الدكتور يوسف خليف بوجه خاص ، على أن ثمة بحوثاً لم يطلع عليها ، أو صدرت بعد دراسته ، منها : المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبدالله الطيب المجذوب ، بيروت ١٩٧٠ م ، وقراءة ثانية لشعرنا القديم ، ووحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية للدكتور نوري القيسي، الموصل ١٩٧٤ م .

(٨) انظر محاولات الربط بين تقاليد القصيدة الجاهلية وبين مراسيم الاتصال بعالم الغيب في المعابد والهياكل المقدسة في كتاب : دراسات في الأدب العربي لغرونباوم، ترجمة د. إحسان عباس، بيروت ١٩٥٩ م ص ١٣٦ ، وتأريخ الأدب العربي لبروكلمان، ترجمة د. عبدالحليم النجار ، مصر ١٩٦١ م ، ج ١ ص ٤٦ ، والمرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ج ٢ ص ٧٧٩ .

(٩) أنظر مقدمتي لكتاب التراث ، منشورات الطليعة الأدبية ، بغـداد ١٩٧٩ م .

(١٠) ديوانه ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٦٩ م، ص ٩ ، رسم : طلل ، معول : مكان العويل ، كدينك : كدأبك كمادتك.

(١١) ديوانه تحقيق الدكتور حسين نصار ، مصر ١٩٥٧ ، ص ١١٢ ، ١١٣ ؛ عاف ، دارس ، بسابس : جمع بسبس وهو القفر الخالي ، عوازفاً : رياحاً أو حيوانات تعزف بأصواتها عراراً : صياح ذكور النعام ، غياهب: جمع غيهب وهو الشديد السواد ، آجال : جمع إجل وهو القطيع من البقر أو الظباء ، غبراء الحبيبة: موضع في ديار بني أسد ، استبدلت غير أبدال: أي سكنتها مخلوقات من غير البشر ، ليان العيش : رخاؤه ونعيمه .

(١٢) تخلى امرؤ القيس عن رمز المرأة في طلل تائيته المثبتة في ديوانه ص ٧٨، وانظر مثل ذلك في ديوان عبيد بن الأبرص ص ٩٧ ، وديوان لبيد بن ربيعة العامري، بيروت ١٩٦٦ م ص١٦٣ ، ١٩٤ .

(١٣) ديوانه ، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد ، بيروت ١٩٦٨م ، ص ٥٥ ، حبل : كناية عن الوصل ، أحوى : ظبي في لونه سفعة والسفعة بين السواد والبياض، الربعي : ما تنتج في الربيع ، الحاري : نسبته إلى الحيرة ، منابت وسمي: ما أنبته أول المطر من زرع ، حيث عصى أصحابه الفيل : يعني مكة حيث عصى الفيل أبرهة الحبشي عندما أراد له أن يهدم الكعبة المشرفة ، رهن : يعني قلبه ، أحكمت : ارتهنت ، مبتول : مقطوع .

(١٤) ديوانه ٥٦ — ٥٨ ، قصرك : حسبك، مثل النعامة : فرس مثل النعامة ، نفس محلك : نحه قليلا ، الجو : الوادي ، محاول : فيه ناس ، حليلته : زوجته، غالتني غول : أصابتني داهية ، جم الماء : ما يجتمع منه ، ذو نفس : ذو زيادة ، وكاء : ما يشد به الزاد .

(١٥) ديوانه ٥٩ — ٦٠ ، القرود : الأنذال ، ردافاً : بعضهم على بعض ، التنابيل : جمع تنبال وهو الدميم القبيح ، جراد الريح : الجراد الذي يفرقه الريح ،بهلول : ضحاك ،قلصت : شمرت لم أحو الركاب : لم يكن همي جمع الغنائم، ذو قتب : ذو رحل، أباجلة : جمع أبجل وهو عرق في قائمة الفرس يقطعه البيطار إذا أصابه داء .

(١٦) ديوانه ، طبعة دار الكتب ١٩٥٠ م ، متبول : محب ، متيم : مذلل ، مكبول : محبوس ، أغن : في صوته غنة ، عوارض : أسنان ، ظلم : ماء الاسنان ، الراح : الخمر ، معلول :

سقي مرتين ، شجت : عوليت بالماء ، شبم : بارد ، محنيه : ما انحنى من الوادي ، سارية : غيمة ، يعاليل : سيول ، خلة : خليلة ، سيط : خلط .

(١٧) ذلك هو المبدأ الذي قرره الدكتور عناد غزوان في تحليله للبردة المنشور في العدد الخامس من مجلة الطايعة الأدبية ، بغداد ١٩٧٩ م .

(١٨) انظر ما جمعته من نصوص بشأن هذه الحقيقة وما قيل عن علاقة كعب بزوجته في كتابي شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، بغداد ١٩٧٩ م .

(١٩) ديوانه ص ٨٩ – ٩٢ ، ساف : تراب يسفى عليها ، وابل : مطر غزير ، تجرم: انقضى خاذل : متخلف عن أمه ، أغن : في صوته غنة ، رخص ظلوفه: ظالوفه لينة لم تشتد بعد ، تروده: تذهب وتجيىءُ ، معتم : نبت كثيف ، هائل : رمل لايتماسك ، نعجة : بقرة ، فرقــد: صغير بقرة الوحش ، البردية : العبقر الأبيض ، أهاضيب: دفعات من المطر ، رجاف : غيم له رعد ، أقاح : جمع أقحوان ، غلاغل : ممتدة إلى مكان لا يهتدي له ، المراض : موضع بعينه ، ويب : مثل ويح ، الخليط : الشريك .

(٢٠) انظر الصفحات ٧١ ، ١١٣ ، ١٢٧ ، ١٥٣ ، ٢٠٠ ، ٢١٣ من ديوانه .

(٢١) انظر بعض أخبار حياته العائلية القلقة في الأغاني ج ٩ ص ١٦١ ، وانظر مقدمات القصائد التي ترد في الصفحات ١٠٤ ، ١٦٤، ٢٥٣، ٢٨٧ من ديوانه تحقيق صلاح الدين عبدالهادي، مصر ١٩٦٨ م .

(٢٢) ديوانه ، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٧م ، ص٥، ربب: واد بنجد ، الغمر : موضع بالشام، المران : ماء ان لغطفان، قسا : موضع ببلاد تميم ، المنكرين : الدهاة.

(٢٣) ديوانه ص ٤ ، بنو لبينى : من بني أسد ، داهية : قصيدة هجاء ، الحدبا : المرتفعات .

(٢٤) ديوانه ص ١١٧ ، جو سويقة : موضع باليمامة ، باعجة القردان : موضع ، المتثلم: موضع بالعالية ، هضب القليب : موضع بديار بني أسد ، الرقي : موضع بديار بني عقيل ، عيهم : جبل بالغور ، ميطي ، اذهبي بقلبي ، مياط : رجل ذهاب بقلوب النساء ، صرم : قطيعة .

(٢٥) ديوانه ١٢٠ – ١٢١ ، في حقبة أظفارها لم تقلم : كناية عن الحرب .

(٢٦) ديوانه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،مصر ١٩٧٧م،ص٦١، انجذما: انقطع، الشرع: موضع ، الأجزاع : جمع جزع وهو منعطف الوادي ، إضم : اسم واد ، بلي : حي منقضاعة، السفاه : أي سفاهاً ، البرم : جمع برمة وهي قدر النحاس وهي بفتح الباء ثمر الأراك قبل أن يسود ، غراء : بيضاء .

(٢٧) ديوانه ص ٦٢ – ٦٣ ، إذا الدخان تغشى: أي إذا اشتد الزمان ، الأشمط أي كبير السن، البرم: البخيل اللئيم ، أرل : جبل بأرض غطفان تهب الشمال عليهم من قبله وهي أشد الرياح برداً وأقلها خيراً ، صراد : سحاب ، صرم: قطع،صهب الظلال : سحب صهب ، التين : جبل مستطيل ، شبم : بارد ، أتمم أيساري : الأيسار الذين يدفعون أنصبة في الجزور ، ومتمم الأيسار الذي يدفع ما يتبقى من الأنصبة كلها ولا يتقيد بحصته ، مثنى الأيادي : يداً بعد يد ، الأدم : الخبز المأدوم باللحم .

(٢٨) ديوانه ٢١٨ ، نأت : بعدت ، شطون : مفرقة ، زبون : شديدة ، بنو القين : حي من قضاعة ، نبغت : بدت ، عقد مر : عهد وثيق، الشحط : الفراق ، أمشى : كثرت ماشيته ، ستخلجه : ستجذبه .

(٢٩) ديوانه ٢٢١ – ٢٢٢ ، زياد : اسم النابغة ، ما تساق له الهدايا : البيت ، يمسكها : يمسكها ويقويها ، الدرين : يبس البهمى وهو الشوك ، السهب : الواسع من الأرض ، نآدى : شديدة ، ميون : كذوب .

(٣٠) معروف أن النابغة كان أحد ثلاثة شعراء مثلوا الطبقة الأولى من فحول الجاهليين عند أبي عبيدة ، وأحد أربعة شعراء مثلوا الطبقة الأولى من فحول الجاهليين عند ابن سلام .

(٣١) ديوانه ، طبعة دار الكتب ١٩٤٤ م ، ص ٩ – ١٣ ، العلياء : بلد ، جرثم . ماء لبني أسد ، كلة : ستر ، مشاكهة : مشابهة ، للطيف : الصديق ، المتوسم : المتفرس ، استحرن بسحرة : أي ببقية الليل ، كاليد في الفم : أي كما لا تخطىء اليد طريقها الى الفم ، القنان : جبل لبني أسد ، محل ومحرم : كناية عن العدو والصديق ، السوبان : واد ، جزعنه : قطعنه ، قيني : قتب يكون تحت الهودج نسبه إلى بني القين ، قشيب : جديد ، مفأم : موسع ، العهن : الصوف ، الفنا : نبت له ثمر أحمر إذا كسر ظهر له لون غير الأحمر : جمامه : ما اجتمع منه .

(٣٢) ديوانه ١٦٤ – ١٦٧ ، يأووا : يرحموا ، القيان : الإماء ، لبك : مختلط ، تخالج الأمر : اختلافهم في الرأي ، أسنمة والقسوميات : موضعان ، حر الكثيب : الذي لا تراب فيه ، العرك : الملاحون ، استمروا : استقاموا .

(٣٣) انظر تفاصيل لوحات الظعن التي ترد في دواوين : امرىء القيس ٤٢ ، ٥٦ ، ١١٥ ، ١٥٤ ، ١٦٩ ، المثقب العبدي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مصر ١٩٧١ م ، ص ١٤٣ ، طفيل الغنوي ص ٨٢ ، بشر بن أبي خازم ، تحقيق د. عزة حسن دمشق ١٩٦٠ م ، ص ١٩٣ ، عمرو بن قميئة ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مصر ١٩٦٥ م ، ص ٦٠ ، ٨٨ ، النابغة الذبياني ص ٢١٣ ، ٢١٩ ، الأعشى ، تحقيق د. محمد محمد حسين ، مصر ١٩٥٠ م ، ص ٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٣ ، لبيد بن ربيعة ص ١٢٠ ، ٢٤١ ، ٣٠٠ .

(٣٤) ديوانه ص ٢٢٧ ، أثوى : أقام ، ينكدا : للبئر قل ماؤه ، برقة أنقد : موضع ، أتبع ظلها : أختال بها ، ددناً : لهواً والدد مثله ، يلوينني : يمطلنني ، أجتزي : أقتضي ، وقذ النعاس الرقدا : ناموا .

(٣٥) ديوانه ص ١٣٥ ، أرمد : مصاب بالرمد ، السليم : الملدوغ ، خلة : صداقة ، خاتر : غادر ، العيس : الابل ، المراقيل : من الأرقال وهو ضرب من سير الإبل ، النجير : موضع بحضرموت ، صرخد : موضع بالجزيرة .

(٣٦) ديوانه ، تحقيق د. عادل سليمان جمال ، مصر ١٩٧٥ م ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ ، عيوق : كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا ، عرد : غار وهي كناية عن أواخر الليل ، صرد : أعطى القليل ، الممسكين : الباخلين ، معبد : مذلل ، لا آلوك إلا خليقتي : لا أدخر عنك شيئاً إلا خلقي ، جنة : وقاية ، تلحين : تلومين .

(٣٧) ديوانه ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، بيروت ١٩٧٠ م ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ ، بكرت : عجلت ، اقني حياءك : التزمي به ، ضنك : ضيق ، ساهمة : متغيرة ، نقيع الحنظل : كناية عن مرارة الحرب .

(٣٨) ديوانه ص ١٣٩ – ١٤١ ، فياض : سخي ، معتفيه : طالبي نواله ، نوافله : عطاؤه ، الصريم : جمع صرمة وهي منقطع الرمل ، مخاتله : المواضع التي يخدع منها ، مرزأ : يصاب منه الخير فيرزأ ماله .

(٣٩) ديوان الهذليين – طبعة دار الكتب ٤٥ – ٤٨ – ١٩٥٠م، ص١ – ٢ ، ابتذلت : امتهنت ، أقفص : أي صار مثل القفص وهو الحصى ، هوي : هواي ، غبرت : بقيت .

(٤٠) انظر الدراسة المسهبة التي عقدها الدكتور نوري القيسي لهذا النمط من الافتتاح في كتابه دراسات في الشعر الجاهلي ، دمشق ١٩٧٢ م ، ص ٦٨ وما بعدها .

(٤١) ديوانه ، تحقيق نعمان أمين طه ، مصر ١٩٥٨ م ، ص ٧٥ ، قلل : جمع قايل، على العلل: وإن اعتل عليه ماله .

(٤٢) طيف الخيال ، الشريف المرتضى (٤٣٦ هـ) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مصر ١٩٦٣ ، وفي رأيه نظر ذلك أنني وجدت نماذج من اللوحة مبثوثة في دواوين لشعراء لا تتوفر حقائق على أن عمرو بن قميئة أقدم من بعضهم ، فهي مما يرد في دواوين : عبيد بن الأبرص ص ٤٧ ، الحارث بن حلزة ، تحقيق هاشم الطعان بغداد ١٩٦٩ م ، ص ٢٢ ، المرقش الاكبر ، تحقيق د. نوري القيسي ، مجلة العرب ، ج ١٠ السعودية ١٩٧٠ م، ص ٨٧٤ ، بشر بن أبي خازم ١٣١ ، ١٩٤ .

(٤٣) ديوانه ص ٢٢ ، كليلة مدلج : كليلة أدلجها إلينا لهولها ، متان: اكتاف، كل مطيهم :تعبت.

(٤٤) ديوانه ، تحقيق د. ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٦٢ م، ص ٢٥ ، غير سروب غير مبعدة، مصرد : مقطع .

(٤٥) العمدة ، ج ٢ ص ١٥١ .

(٤٦) أدرجنا أسماء الشعراء الذين استقرأنا دواوينهم بحسب تسلسل مواضعهم من طبقات فحول الشعراء لابن سلام، أما من لم يرد ذكرلهم في الطبقات فقد أخرناهم ثم رتبنا اسماءهم بحسب الترتيب الأبجـدي .

(٤٧) ديوانه ، تحقيق عبدالعزيز رباح ، دمشق ١٩٦٤ م.

(٤٨) ديوانه ، جمع كرم البستاني ، بيروت ١٩٦١ م .

(٤٩) ديوانه ، تحقيق محمد جبار معيبد ، بغداد ١٩٦٥.

(٥٠) ديوانه ، تحقيق د. نوري القيسي ، بغداد ١٩٦٨ م.

(٥١) ديوانه ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ م .

(٥٢) ديوانه ، تحقيق شاكر العاشور ، البصرة ١٩٧٢ م .

(٥٣) ديوانه ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، حلب ١٩٦٨ م .

(٥٤) ديوانه ، تحقيق د. نوري القيسي ، بغداد ١٩٦٩ م .

(٥٥) ديوانه ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، مصر ١٩٦٥ م .

(٥٦) ديوانه ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، مصر ١٩٦٩ م .

(٥٧) ديوانه ، جمع عيسى سابا ، بيروت ١٩٦٤ م.

(٥٨) ديوانه ، تحقيق د. نوري القيسي ، بغداد ١٩٦٨ م .

(٥٩) ديوانه ، تحقيق د. نوري القيسي ، النجف ١٩٦٨ م.

(٦٠) ديوانه ، جمع كرم البستاني ، بيروت ١٩٥٩ م .

(٦١) ديوانه ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، بيروت ١٩٧١ م.
(٦٢) ديوانه ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٦٨ م .
(٦٣) ديوانه ، جمع كرم البستاني ، بيروت ١٩٦٤ م.
(٦٤) ديوانه ، تحقيق ابراهيم العطية ، بغداد ١٩٦٣ م .
(٦٥) أنظر الأغاني ج ٨ ص ٧٧ .
(٦٦) أنظر مقدمة محقق ديوانه ص ١١ .
(٦٦) انظر شرح البيت الأول من القصيدة المرقمة (٣) من ديوانه ص ٢٨ هامش المحقق .
(٦٨) العمدة ج ٢ ص ١٢١ – ١٢٢ .
(٦٩) رصدت هذه الظاهرة وسجلتها في كتابي شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ص ٢١٤.
(٧٠) العمدة ج ٢ ص ١٢١ .



روايات ديوان أبي نواس

دراسة ونقد

الدكتور
بهجة عبد الغفور
كلية الآداب ــ جامعة بغداد

أبو نواس شاعر كبير ما في ذلك شك ، تبوأ مكانة عالية في تأريخ الأدب العربي ، ذاع صيته ، ودوّت شهرته في الآفاق ، وتناقلت أخباره العامة والخاصة قديماً وحديثاً .

ولد في البصرة في حدود سنة (١٤١) هـ ، وعاش فيها ، وثقّف كل الثقافات التي عاصرها ، وكان متفنناً بالعلم ، وضرب في كل نوع منه بنصيب [١] .

وتحدثنا الروايات عنه أنه كان فقيهاً ، عارفاً بالاحكام والفتايا ، بصيراً بالاختلاف ، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث ، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وقد تأدب بالبصرة ، وهي يومئذ اكثر بلاد الله علماً وفقهاً وأدباً ، وكان مع كثرة أدبه وعلمه خلعاً ماجناً ، وفتىً شاطراً وهو في جميع ذلك حلو ظريف يسحر الناس بظرفه وحلاوته وملحه[٢] .

وكانت له ملكات فنية عالية ، صقلها بالدرس الطويل للشعر واللغة حتى قال الجاحظ عنه : « ما رأيت رجلاً اعلم باللغة من أبي نواس ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة الاستكراه ، وقال الشعر وكان يستشهد بكلامه [٣] .

---

(١) الشعر والشعراء ٧٩٨/٢ و ٨٠٢ .
(٢) طبقات الشعراء /٢٠١ .
(٣) نزهة الالباء /٦٥ .

وفي البصرة – موطنه الاول – التقى بالشاعر الماجن والبة بن الحباب ، واعجب به ورحل معه الى الكوفة ، واستأذنه بعد ذلك بالخروج الى البادية ، ليأخذ اللغة من منابعها وعن أصحابها ، فقضى هناك سنة ثم عاد ، ولم يلبث بها طويلاً حتى رحل الى بغداد ، واتصل بالرشيد ، ومدحه ولكنه لم يلق عنده ما كان يطمح اليه ، والظاهر أن صلته بالرشيد كانت قلقة ، يقربه مرة ، ويقصيه اخرى ، يسجنه لشربه الخمر أو لمجونه ، ثم يصفح عنه بعد أن يعتذر الشاعر اليه . وكذلك كانت صلته بالبرامكة ، يمدحهم مرة ويهجوهم مرّات .

وتضيق به بغداد ، فيشد الرحال الى مصر حيث الخصيب بن عبدالحمد ، وهو يقـول :

أجـارة بيتينا أبوك غيـور	وميسور ما يرجى لديك عسير
تقول التي من بيتها خفّ مركبي	عزيز علينا أن نراك تسـير
أمـا دون مصر للفتى منطلب	بلى إن أسباب الغنى لكثيـر

ثم يعود الى بغداد ، ويلقي عصا الترحال عند اعتاب الأمين ، فيزجي لـه أجمل قصائده وأصفى مدائحه ، فيقربه الخليفة ويجعله من خاصته والمقربين اليه ، ولكنهم يروون أن علاقته ساءت بالأمين في أُخريات حياته حتى استنجد بالمأمون وهو القائل :

أما الأمين فلسـت أرجو دفعـه	عني فمـن لي اليوم بالمأمـون

فلم يدركه المأمون ، ، ومات قبل دخوله بغداد ، فانطفأت تلك الشمعة ، وخفت ذلك الصوت ، الذي غنى لبغداد وللحياة ردحاً من الزمن ليس بالقصير –

ثم كثرت في حياته وسيرته وشعره الأقاويل ، وحيكت فيها القصص واختلفت الروايات ، وبات من الصعب تمييز الرغوة من اللبن الصريح ، اذ لم يدوّن ابو نواس شعره ، ولم يُجمع في كتاب « ديوان » في حياته ، وانما دوّنه رواة الشعر من الذين عاصروه أو جاءوا بعده .

وعلى هذا الأساس ، فقد كثرت مشاكله ، وصار مسرحاً لطلاب العبث وطلاّب القصص والتسلية ، حيث وجدوا المجال رحباً لأن يضعوا عليه وينسبوا اليه ما ليس له . فشعره غير مدّون وشخصيته غريبة نادرة في تأريخ الأدب العربي ، عرف بما لم يعرف به غيره من الشعراء ، عرف بمجونه المفرط ، وغزله الفاحش ، وخمرياته ونوادره وكثرة طرائفه ، مما حدا بالرواة واصحاب القصص والأخبار لأن ينسبوا اليه كل ما شابه شعره في هذه الميادين ، بقصد أو بغير قصد .

وكان من جراء هذا أن اختلط شعره بشعر غيره ، لا سيما اشعار أبي بحر عبدالرحمن بن أبي الهداهد ، والحسين بن الضحاك الخليع ، وكان عبدالرحمن شاعراً مجيداً ، وكان لا يكاد يقول شيئاً الاّ نسب الى أبي نواس وكذلك الحسين بن الضحاك ، وقد غلب أبو نواس على كثير من شعرهما [٤] واختلط شعره بشعر استاذه والبة ، من ذلك قصيدته المشهورة

يا شقيق النفس من حكم ... نمت عن ليلي ولم أنم

قالوا : قد سرق ابو نواس هذا المعنى من قصيدة والبة التي يقول فيها [٥] :

ياشقيق النفس من اسد ... نمت عن ليلي ولم أنم

ولهذا فنحن نعتقد أن السرقات الشعرية زادت من مشكلة اختلاط النسبة ، فقد وجدنا الشعراء يسرق بعضهم من بعض ، وربما أغار شاعر على شعر شاعر آخر فأخذ معانيه وسرق الفاظه ، فاشتهرت أبياته ونسب الناس له كل ما شابه ذلك . وقد حدث مثل هذا لأبي نواس ، حيث يروون عن الحسين بن الضحاك أنه قال : لقيني أبو نواس ذات يوم عند باب أم جعفر في الجانب الغربي ، فأنشدته :

أخويّ حيّ على الصبوح صباحا ... هبّا ولا تعدا الصباح رواحا

قال ، فلما كان بعد أيام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني ، يقول :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا ... وأمله ديك الصباح صياحا

---

(٤) اخبار أبي نواس لابن منظور /٧٥ .
(٥) الموشح /٢٧٣ .

فقلت له : حسن يا بن الزانية : أفعلتها ؟ قال : دع هذا عنك فوالله لا قلت في الخمر شيئاً أبداً وأنا حي الا ّ نسب لي [٦] .

ويقول أبو الفرج الأصفهاني : وللوليد بن يزيد في ذكر الخمر وصفتها اشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم ، سلخوا معانيها ، وأبو نواس خاصة فانه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره ، فكررها في عدة مواضع [٧] .

وكان يأخذ معاني الحسين بن الضحاك في الخمر فيغير عليها واذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبه الناس الى أبي نواس [٨] .

قال الحسين . لما قلت قصيدتي :

بد ّلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در ّ الابل والشــاء

أنشدتها ابا نواس ، فقال : ستعلم لمن يرويها الناس ألي أم لك ؟ فكان الأمر كما قال رأيتها في دفاتر الناس في أول أشعاره [٩] .

أقول : كانت هذه مشكلة من مشكلات شعر أبي نواس ، فهي وان كانت عامة لكنني رأيتها في شعر أبي نواس اكثر منها في غيره .

ومشكلة أخرى في شعر أبي نواس ، وهي الانتحال ، ولست أزعم أن شعر أبي نواس وحده هو الذي دخله الوضع والانتحال ، فهذه مشكلة عامة في الشعر العربي بل في غيره من أشعار الأمم ولكنها اكثر وضوحاً في شعر أبي نواس من غيره من الشعراء المولدين ، لأنه اشتهر — كما قلت — من بين معاصريه بما لم يشتهر به غيره ، حتى قيل : لم يكن شاعــر في عصر أبي نواس الا ّ وهو يحسده ، لميل الناس اليــه وشهوتهم لمعاشرته وبعد صيتــه وظرف لسانه [١٠] ولأنه سلك طريقــاً جديداً في الشعر عــلى غير طريقهم ، وجل أشعاره في اللهو والغزل

(٦) الاغاني ١٦٢/٧ .
(٧) نفسه ٢٠/٧ .
(٨) نفسه ١٤٦/٧ .
(٩) نفسه ١٤٧/٧ — ١٤٨ .
(١٠) اخبار أبي نواس /٥٨ .

والمجون والعبث والطرد ووصف الخمر ولغة النساء والغلمان وأقل أشعاره مدائحه ، وليس هذا طريق الشعراء الذين كانوا في زمانه وكانوا بعده (١١) .

فلما عرف طريق أبي نواس وشهربه . الحق الناس بشعره كل ما وجدوه من جنسه ، وقد أدخل أهل العراق من شعر أهل الجبل في عامة شعره الكثير خلاف ما الحقوه من أشعار شعرائهم (١٢)

على أن ابن المعتز يظل هو السابق في الاشارة الى كثرة ما وضع على أبي نواس ، ذكر هذا وهو يعقّب على قصيدة لوالبة . بقوله : وهذا الشعر مما ينحله العـامة أبا نواس ، وذلك غلط لأن العامة الحمقى قد لهجت بأن تنسب كل شعر في المجون الى أبي نواس (١٣) .

ويضيف ابن يموت سبباً آخر من أسباب كثرة ما وضعه الناس على أبي نواس، ذلك انهم أجمعوا عليه وعلى تفضيله على شعراء الناس والعصبية له فلا يسمعون شعراً حسناً في معناه ولا معنى نادراً في فحواه الاّ نسبوه اليه وخلعوه فضيلته عليه ، حتى انهم لا يسمعون بوصف خمر ولا ذكر آنية في شعر الاّ أقسموا جهد ايمانهم أن ذلك لأبي نواس (١٤) .

ولا ننسى واة الأخبار الكاذبة ممن رووا أخباره وأشعاره حيث أضاف هؤلاء الكثير من الأشعار الى أبي نواس ، لتعجيل نفع أو لتقرب من ملوك يحبون الأدب ولا علم لهم به ، أو لضرورة دفعتهم لأن يتزيدوا ويضعوا الأخبار الكاذبة والأشعار المنحولة (١٥) وقد قيل : وما آفة الأخبار الاّ رواتها .

ومن هنا فقد كثرت روايات ديوانه قديماً ، فكانت هي الأخرى مشكلة مـن مشاكل شعر أبي نواس ، وذلك لاختلاف جامعيه ورواته ، اذ تصدى لعمل ديوانه ممن لا يعرف الشعر وليس من وكده صنع الدواوين، فضلاعن أن منهم من

---

(١١) مقدمة رواية حمزة (طبعة اصاف) ٦ .
(١٢) نفسه .
(١٣) طبقات الشعراء /٨٧ – ٨٨ .
(١٤) سرقات ابي نواس /٣٢ .
(١٥) مقدمة ديوان أبي نواس برواية الصولي /٥٠ .

كان متهماً بالوضع والتزيد ومع هذا فقد وجدنا من الرواة الثقات من عمل ديوان أبي نواس ، وابن النديم يذكر لنا طائفة كبيرة من هؤلاء واولئك ممن عنوا بشعر أبي نواس وروايته ، منهم [١٦]:

١ ـ **يحيى بن الفضل** : وهو راوية أبي نواس ، جمع ديوانه وصنّف فيه القصائد على عشرة أبواب ، واتهمه الأصفهاني باضافة عدد من الأشعار والأخبار[١٧]

٢ ـ **يوسف بن الداية** : أبو الحسن يوسف بن ابراهيم النخاس المعروف بابن الداية ، أحد رواة أبي نواس المعروفين بصحبته ، الف كتاباً في أخبا أبي نواس والمختار من شعره ، واتهمه حمزة الأصفهاني ايضاً بالانتحال [١٨] .

٣ ـ **ابن السكيت : أبو يوسف، يعقوب بن اسحاق السكيت** ، صاحب كتاب اصلاح المنطق ، كان من أهل العلم والفضل والدين ، موثوقاً بروايته ، وكان عالماً بنحو الكوفيين وعلم القرآن والشعر ، عمل ديوان أبي نواس وفسّره في نحو ثمانمائة ورقة ، وجعله ايضاً عشرة أصناف ، توفي (٢٤٤) هـ وقيل (٢٤٦) هـ [١٩] .

٤ ـ **ابو هِفّان** : عبدالله بن احمد بن حرب المِهزَمي ، كان راوية أبي نواس وأحد غلمانه ، الف كتاباً في أخبار أبي نواس والمختار من شعره ، توفي سنة (٢٥٥) هـ [٢٠] .

٥ ـ **أبو سعيد السكري** : الحسن بن الحسين المعروف بالسكري النحوي اللغوي الراوية ، الثقة المكثر ، عمل شعر أبي نواس وتكلم على معانيه وغريبه في نحو الف ورقة ولم يتمه ، وانما عمل مقدار ثلثيه ، توفي(٢٥٥) هـ منصور[٢١]

---

(١٦) الفهرست /٢٣٤ ، وفيات الاعيان ٩٦/٢ ، الخزانة ١٦٨/١ ، زهديات ابي نواس للدكتور علي الزبيدي /٦ .

(١٧) لم اهتد الى تأريخ وفاته وقدمته هنا لانه معاصر لابي نواس واحد رواته . انظر الفهرست /٢٣٤ وزهديات ابي نواس /٦ .

(١٨) كذلك لم اهتد الى تأريخ وفاته على انه معاصر لابي نواس واحد رواته انظر مقدمة رواية حمزة /٧ ومعجم الادباء ١٥٧/٢ .

(١٩) نزهة الالباء /١٣٨ ، وانباه الرواة ٥٠/٤ .

(٢٠) طبقات الشعراء /٤٠٨ ـ ٤٩٠ ، وتأريخ بغداد ٣٧٠/١٩ ، ومعجم الادباء ٢٨٨/٤ .

(٢١) نزهة الالباء /١٦٠ ومعجم الادباء ٦٤/٣ .

٦ ــ **آل المنجم** ، ومنهم ، أبوعبدالله هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور له من الكتب : كتاب البارع ،وهو اختيار شعر المحدثين ، ولم يستقص ذكرهم ، وكتاب اختيار الشعراء الكبير ، ولم يتمه والذي خرج منه « اختيار شعر بشار وشعر أبي العتاهية ، وشعر أبي نواس ، توفي (٢٢٨) هـ [٢٢] .

٧ ــ **ابن عماد الثقفي : ايو عباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن عماد الثقفي الكاتب** : له كتب كثيرة ، منها أخبار أبي نواس وأخبار ابن الرومي والاختيارات من شعره وغيرهما ، توفي (٣١٩) هـ [٢٣] .

٨ ــ **الوشّاء ، أبو الطيب، محمد بن احمد بن اسحاق الأعرابي** ،أحد الادباء الظرفاء ، وكان نحوياً ، والغالب عليه تصنيف كتب الأخبار والشعر ، الف كتاباً في أخبار أبي نواس والمختار من شعره ، توفي (٣٢٥) هـ [٢٤] .

٩ ــ **ابو بكر محمد بن يحيى الصولي** . من أهل الأدب وممن عرفوا بصنعة الدواوين ، عمل ديوان أبي نواس على الحروف واسقط المنحول ، توفي (٣٣٥)هـ[٢٥].

١٠ ــ **حمزة بن الحسن الأصفهاني** : المؤدب الفاضل الكامل المصنف ، المطلع الكثير الروايات ، وكان عالماً في كل فن وصنّف في ذلك ، وتصانيفه في الأدب جميلة وفوائده جمة ، عمل ديوان أبي نواس على الحروف أيضاً ، وهو كبير جداً توفي نحو (٣٦٥) هـ [٢٦] .

١١ ــ **الشمشاطي ، علي بن محمد العدوي ، ابو الحسن** ، نسبة الى مدينة شمشاط ، وهي من بلاد آرمينية من الثغور ، وهو شاعر مجيد كثير الحفظ ، واسع الرواية ، وفيه تزيد ، وله كتب كثيرة ، منها كتاب تفضيل أبي نواس

(٢٢) الفهرست /٢١١ و ٢١٢ .
(٢٣) نفسه /٢١٨ ، ٢٣٤ .
(٢٤) نفسه /١٣٢ .
(٢٥) الفهرست /٢٣٤ ، وذكر البغدادي في الخزانة ١٦٨/١ أن حجم الديوان الذي عمله الصولي صغير والذي عمله حمزة كبير جداً .
(٢٦) وفيات الاعيان ٩٦/٢و١٠٤ .

على أبي تمام الى جانب أخبار أبي نواس والمختار من شعره والانتصار له والكلام على محاسنه ، توفي بعد (٣٧٧) هـ [٢٧] .

هؤلاء هم أشهر من اعتنى بشعر أبي نواس وأخباره ، ولم تصل الينا من آثارهم الا اخبار أبي نواس لأبي هفان التي حققها الاستاذ عبدالستار أحمد فراج ، ورواية الأصفهاني التي اتخذت اساساً في أغلب طبعات ديوان أبي نواس ، ورواية الصولي التي قمت بتحقيقها .

ولهذا فان الحديث عن روايات ديوان أبي نواس يعني الحديث عن روايتي الصولي والأصفهاني في حدود ما كشفت لنا عنه الأيام من التراث .

رواية الصولي :

تقدم القول بأن شعر أبي نواس قد داخله الوضع والانتحال ، وبات من الضروري أن يتصدى لتصفيته وغربلته مما علق به ، راوية عالم بالشعر ونقده ، فكان الصولي رائداً ، حيث قدّم لنا نسخة من ديوانه مصححة ، معربة ، مشروحة المعاني ، خالية من المنحول . يقول الصولي في مقدمة روايته : وأمرتني اعلى الله امرك ورفع قدرك أن أجمع لك شعر أبي نواس في فنونه العشرة مصححاً ذلك كله معرباً مشروح المعاني وأن أنظر المنحول فما كان في دواوين الشعراء موجوداً تركت ذكره ، وما كان من المنحول مجهولاً ذكرت اوائل قصائده وقوافيه ، وما أشبه ذلك منه ، وما كان صالحاً من المنحول ذكرته أجمع واعلمت انه منحول . . .

أقول : إن عمل الصولي هذا كان ضرورة علمية فرضتها طبيعة شعر أبي نواس واختلاف الناس فيه ، وهي عملية لا بد منها في تحقيق النصوص وتوثيقها ، فهي اولى عمليات النقد واولى اسسه ، وهي خطوة تسبق الدراسات العلمية السليمة .

ولا يخفى أن الذي يراد من تحقيق النص الشعري أمران ، اولهما : تحقيق عبارة النص بأن تكون كما نطق بها الشاعر ، وثانيهما : أن تكون صحيحة النسبة

---

(٢٧) الفهرست /٢٣٤ ، وفيات الاعيان ٩٦/٢ ، الخزانة ١٦٨/١ ، وفي اسمه بعض الاختلاف .

الى الشاعر نفسه ، وقد أدرك الصولي هذه الحقيقة جيداً ، وحاول جاهداً أن يرد كل بيت أو قصيدة ترد الى قائلها الحقيقي ، ثم أن تكون العبارة المروية عبارة أبي نواس نفسه ، والأمثلة على هذا كثيرة ، منها :

قال ابو نواس :

عرفت بيات الطارقين كلابـــة فيبتن عن سنن الطريق بمعزل

قال الصولي : ويروي عرفت ثياب وكذا يرويه الناس كلهم وهو عند الحذاق تصحيف قبيح [٢٨] .

ونسمعه يعلق على بيت آخر من المنحول :

يا ليلـــة بت في دياجيـــها اسقى من الراح صفو صافيـــها

قال : وهي صالحة من المنحول ، وليست من كلامه ولا طرزه البتة . ومن ذلك أيضـــاً .

شغلي عن الدار أبكيها وأرثيها اذا خلت من حبيب لي مغانيـــها

قال : الصولي : أبو نواس لا يقول أرثي الدار وما قاله قط [٢٩] .

ويحدثنا الصولي نفسه عن ثقته العالية بنسخته هذه ، فيقول : وليس — يجب اعزك الله — أن تنظر الى اختلاف الناس في أبي تمام واضطرب روايتهم لشعره ، فانهم بعد اتمام هذه النسخة يجتمعون عليها ويسقطون غيرها ، كما كانوا مختلفين في شعر أبي نواس وأخباره ثم قد اجتمعوا عليه بعد فراغي منه حتى أن النسخة من شعره من غير ما عملته لتباع بدراهم، قد كانت قبل ذلك تباع بعددها دنانير ، ولعلها بعد قليل تفقد فلا ترى وتسقط فلا تراد [٣٠] .

ولا ريب فالصولي عالم ناقد، عرف بمنهجية عالية في صنعة الدواوين وروايتها ، واشتهر بترتيبها على الحروف ، ولم يكن هناك من سبقه الى هذا وكانت تصنف

(٢٨) ديوان أبي نواس برواية الصولي /١٨٩ .

(٢٩) نفسه /٢٣٠ — ٢٣١ .

(٣٠) اخبار أبي تمام /٥٥ .

بحسب الأغراض ، ومنهجه هذا من أهم الخطوات التي خطاها جامعو شعره في القرن الرابع ، ويرجح الدكتور الزبيدي انه كان اول من اتبعها وجعلها المنهج المفضل[٣١]

ثم يذكر لنا السبب الذي دفعه الى اتباع هذا المنهج ، وذلك ليكون أقرب على من يطلبه وأسهل على من يحفظه ، وأدنى لمن يريده [٣٢] .

ويقول أيضاً : وأنا أبدأ بشعره في وصف الخمر لأنه فيها اكثر احساناً فيه من سائر شعره ، وأن أبدأ في كل فن من شعره على قافية الهمزة وأثني بشعره على قافية الباء وكذلك الى آخر الحروف المعجمية [٣٣] .

ومما يذكر أنه كان يتوج أكثر الدواوين التي يعملها بمقدمات نقدية تكشف عن كثير من المسائل المتعلقة بشعر ذلك الشاعر بصورة خاصة وبالشعر ونقده بصورة عامة ، وهذه خطوة مهمة لم يسبق اليها كذلك .

والأفضل من هذا وذاك أن اتخذ مقاييس نقدية خاصة اتبعها وسار عليها في عمله لديوان ابي نواس ، دلّت على منهجية عالية ، وذوق رفيع ، ويمكن أن نوجزها بما يلي :

١ ـ يعتمد الصولي في مقياسه الأول على نسخ أخرى من الديوان ، يقابل بينهما ويأخذ بأصحها وأوثقها . ومقياسه هذا من أهم المقاييس النقدية وأقواها حجة في نفي الارتياب واسكات الطاعن بغير حق ، وهو يعني انه اطلع على روايات من سبقه وأتى عليها والم بها ، واثبت في روايته ما صح منها ، حيث يقول عن احدى القصائد : ووجدناها في الأخبار وقد زاد فيها قوم فجئنا بما صح منها ولم نجد في ديوان شعره الصحيح ، وهي تنفي هذه .

عاج الشقي على رسم يسائله   وعجت أسأل عن خمارة البلد[٣٤]

---

(٣١) مجلة كلية الآداب العدد (١٢) لسنة ١٩٦٩ ١/ ص ٥٣ .

(٣٢) ديوان ابي نواس برواية الصولي /٤٩ .

(٣٣) نفسه .

(٣٤) نفسه /١٣٤ وما بعدها .

وقال أيضاً : ومنه – أي من المنحول – وما ظننت أن أحداً قط عرف الشعر أو سمع به ينحل ابا نواس مثلها ، ورأيتها في عدة نسخ [٣٥] .

ويقول : ومن المنحول اليه على هذه القافية مما رأينا في الدواوين التي دونها من لا يعرف ، فأما ما ينحله باقي العامة فلا يضبط كثرة [٣٦] .

والظاهر أن الصولي كان يمتلك نسخاً صحيحة موثوقة من ديوان أبي نواس الى جانب الروايات الضعيفة ، وهذا يزيد من ثقتنا بان الروايات التي تقدمت الصولي زمناً امثال رواية ابن السكيت والسكري وغيرهما من الروايات المهمة لم تفت الصولي ، ولربما رآها واعتمدها عند روايته لديوان أبي نواس .

واكثر من هذا انه كان يرجع الى دواوين الشعراء الآخرين ، ولا سيما الذين اختلط شعرهم بشعر أبي نواس ، فأن رأى البيت أو القصيدة مثبتة في ديوان ذلك الشاعر ، وهي منسوبة الى أبي نواس خطأ أشار الى تلك القصيدة ورجح انها ليست لابي نواس ، مثال ذلك القصيدة التي تنسب خطأ الى أبي نواس ، وهي:

وشاطري اللسان مختلق التكريـــ ـــه شاب المجون بالنُّسُكِ

قال الصولي : هذه للحسين بن الضحاك وفي ديوان شعره [٣٧] .

٢ – وكان مقياسه الثاني في تقويم وتصحيح شعر أبي نواس معتمداً على ما رواه الرواة الثقات ، فهو ينقل عنهم الأخبار ويثبت الاشعار التي يروونها ، ويهجم هجوماً عنيفاً على رواة الأخبار الكاذبة منهم ويطرح ما زيّد هؤلاء ، فيقول : فقد عرض لي بعد الفراغ من بغيتك أن أعمل أخباره الصحاح التي رواها الثقات وجاء بها اهل النقل [٣٨] .

---

(٣٥) نفسه /٨٣٧ .

(٣٦) نسه /٧٣١

(٣٧) نفسه /١٧٧ وطبقات الشعراء /٢٦٩ .

(٣٨) نفسه /٥١ .

ثم هولاء لا يكتفي برواية واحدة ، وانما يقابل بين الروايات ويرجح ما صح منها ، ويأخذ بما رواه الثقات منها بعد التحقيق ، فعلى سبيل المثال ما يذكره عن قول أبي نواس :

ان الذي ردّ الشباب كهولا   لا آملا يبقى ولا مأمولا (٣٩)

قال : هذه القصيدة مصنوعة تروى بروايات مختلفة ، ويزداد فيها وينقص منها ، وقد جئت بها من أصح الروايات واشبهها بكلامه ، ويقول ايضاً : وزعم قوم أن القصيدة التي رثى بها ابا البيداء ليست له وقد رويناها من جهات صحيحة له (٤٠).

وهذا مقياس مقبول وجيد ، ويمكن الأخذ به والاعتماد عليه ، وقد مر بنا أن قسما من رواة ابي نواس ممن لا يوثق بروايته ، وأن قسماً آخر ثقة لا سبيل الى الطعن بما يرويه ، فعملية الفرز التي قام بها الصولي تجعلنا اكثر ثقة واطمئنانا بروايته .

٣ — أما مقياسه الثالث فيعتمد على احساسه الخاص ومقدرته الفنية على تمييز شعر أبي نواس من غيره ، وهو يحدثنا عن مقدرته تلك في مقدمة ديوان أبي نواس ، ويضرب الأمثلة على مقدرة الحذّاق والعلماء بالشعر على تمييز شعر الشاعر من غيره (٤١) ثم يتحدث عن مقدرته في معرفة شعر أبي نواس صحيحة من من زائفه ويؤكد لنا أن ما صححه هو الصحيح وما نفاه هو المدخول بناءً على ذلك ،

فيقول : وان كنت تحب أن تمتحن قولي وتعلم أن ما اصححه هو الصحيح وأن الذي أنفيه مدخول . . . فها هنا أقرب دليل وأوضح حجة يمتحن بها ، ذلك تعمد — اعزك الله — الى أي فن من فنون الشعر شئت فتنشدني من جميعه خمس قصائد لخمسة شعراء وتعرفني كل واحد منهم وتسميه لي ثم تنشدني ما شئت من اشعارهم وتنسب كل شعر الى غير صاحبه وتعميه وتخلطه ، وتدخل شعر بعضهم في بعض فاني اميّز ذلك وأرد كل شعر الى قائله على الحقيقة (٤٢) .

(٣٩) نفسه /٥٩٤
(٤٠) نفسه .
(٤١) نفسه /٦١ .
(٤٢) نفسه /٥١ .

وينبغي بعد هذا أنلا ننساق وراء العاطفة فنتعصب لذوق الصولي ونمنحه الثقة كاملة ، فالاعتماد على الذوق والحس النقدي مما لا يمكن أن نعول عليه أو نعتمده اعتماداً مطلقاً ، فالمرء لا يسلم من الخطأ مهما اوتي من مقدرة ومن قوة احساس في مثل هذه الأمور ، وهو بالتالي لا يقوم على دليل قاطع ، وربما احس الصولي بهذا فلم يكتف به وانما اعتمد المسلك الذي اشرنا الى ملامحه في النقطتين السابقتين ، ثم اتخذ من ذوقه وحسه النقدي معينا في حل بعض مشاكل شعر أبي نواس .

وبعد ، فان كان لا بد من كلمة في رواية الصولي ، فنقول : إن ابا بكر معذور — عندنا — إن فاته شيء أو وقع في سهو ، فمشكلة شعر أبي نواس كبيرة ، ولا يمكن حلها حلاً جذرياً لأن الشاعر لم يترك ديواناً مدّونا بخطه ، ثم عبث الرواة بشعره حتى اصبح الامر في غاية التعقيد والغموض ، ورحم الله الصولي اذ خفف من تلك المشكلات التي رافقت شعر أبي نواس ، وكشف عن كثير من المسائل المتعلقة بشعره فوضع ايدينا على كمية هائلة من المنحول أو المشكوك فيه .

رواية حمزة الاصفهاني :

أول من حقق هذه الرواية هو اسكندر آصاف ونشرها سنة ثمان وتسعين وثمانمائة والف بمصر . وتوالت طبعات الديوان معتمدة هذه الرواية ونشرت اكثر من مرة ، نشرها أحمد عبدالمجيد الغزالي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة والف وتصدى لنشرة ثالثة المستشرق ايفالد فاغنر صدر الجزء الأول منها سنة ثمان وخمسين وتسعمائة والف وصدر الجزء الثاني سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة والف ولما تكتمل النشرة بعد، فضلا عن طبعات أخرى — اغلبها — سوقية لم يشر محققوها الى الرواية التي اعتمدوها في التحقيق ، ولكنها — على ما يبدو — اقتفت اثر الطبعات السابقة لها ولم تأت بشيء جديد .

ويبدو أن صدق ما قيل بأن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة هو الذي ادى الى اختفاء رواية الصولي وعدم تصدي احد قبلنا لتحقيقها ونشرها على أن لها نسخاً مخطوطة تزيد على الثماني ، حاولت جمعها كلها عند تحقيقي لهذه الرواية .

ولا شك أن رواية حمزة اكثر سعة من رواية الصولي ، ولكنها دون شك اقل تحقيقاً [٤٣] . وهي لا ترقى – بأية حال – الى مستوى رواية الصولي ، ولم يجهد حمزة جهد الصولي في مسألة الشعر المنحول خاصة ، وكذلك تفتقر الى المنهجية العالية الموجودة في رواية الصولي ، فحمزة وان اتبع ترتيب القصائد بحسب الحروف الا انه لم يسر عليه في كل الابواب ، وانما اتبعه في بابين فقط ، هما باب المجون وباب الخمريات ، كما يظهر ذلك في طبعة اسكندر آصاف» [٤٤] .

وكان حمزة اقل تحفظاً وأقل دقة في قبول المنحول ، فقد وجدنا الكثير من القصائد التي اشار اليها الصولي على انها منحولة ، موجودة في رواية حمزة على أنها لأبي نواس ، وقد اشرت الى هذا في طبعتنا .

والحق أن حمزة كان يعي مشكلة ديوان أبي نواس ويعلم علم اليقين أن قد وضع الكثير على أبي نواس ، وقد أشار الى هذا بقوله : ان هذا الباب (الغزل والمجون) والأبواب التي بعده قد كثر اضافة المنحول اليها والخلق الرديء والغث وقد نفينا عنها المرذول وما عرفنا من المنحول ، وأخرجنا اشعارها متجاورة القوافي ليسهل تناولها وليكون زائداً في نشاط منشده وبدأنا بقافية الهمزة وثنينا بقافية الباء على حسب حروف المعجم ، وعلمنا أن شعر هذا الرجل مع الاستقصاء والنقد لا يخلو من منحولات متخللة لا يعرف قائلوها [٤٥] .

والظاهر انه كان متساهلاً بطرح المنحول حيث أشار في مقدمة الديوان الى أن يوسف بن الداية وضع أبياتاً على أبي نواس وذكر الأبيات التي وضعها في مقدمة روايته ولكنه نسي ذلك فلما جاء الى باب الهجاء اثبت تلك الابيات دون اشارة الى انها منحولة [٤٦] .

---

(٤٣) دائرة المعارف الاسلامية ١/٤١٤ .
(٤٤) مقدمة رواية حمزة /٦ – ٧ .
(٤٥) طبعة اسكندر آصاف /١٩٩ .
(٤٦) نفسه /٧ و ١٦٣ .

وفي باب الطرد ، قـــال : اخبر الرواة أن ابا نواس لم يقل في الطرد الا تسعاً وعشرين ارجوزة واربع قصائد ، فما كان زائداً على هذا العدد فهو منحول اليه (٤٧) .

ومع هذا نراه يورد أربعين ارجوزة من غير أن يذكر أو يشير الى المنحول منها ، الا في واحدة فقط ، في حين لم يذكر الصولي الا العدد الذي اشار اليه حمزة ثم ذكر القصائد الاخرى المنحولة ونبّه عليها .

وهذا يعني أن حمزة قد أضاف شعراً منحولاً الى أبي نواس ، وقد فطن الى هذا بروكلمان حيث قال : ديوان ابي نواس برواية حمزة وهي اغزر مادة ، وان اشتملت على كثير من الشعر المنحول لأبي نواس والمشكوك فيه على الاقل (٤٨) .

وقال فاغنر : وقد عني ابو بكر الصولي بتخليص اشعار أبي نواس من كل ما زيف عليها ، ورتب هذه الأشعار – ضمن ابوابها – ترتيباً دقيقاً على حروف الهجاء ، على حين كان حمزة الأصفهاني أقل اتجاها الى النقد (٤٩)

على أن ابن يموت هو السابق في اتهام حمزة باضافة كثير من المنحول الى أبي نواس (٥٠) .

واكد الغزالي في طبعته أن الكثير من المقطوعات التي اوردها حمزة لأبي نواس في باب الزهد قد وردت في ديوان أبي العتاهية وصالح ابن عبد القدوس . ونحن لم نجد اكثر تلك القصائد المنحولة في رواية الصولي ، اما ما أورده منها فقد اشار الى انه منحول ، وعلى هذا الاساس فقـــد تضخمت رواية حمزة حتى بلغت ثلاثة اضعاف رواية الصولي تقريباً .

والمؤسف أن طبعات ديوان أبي نواس كلها – كما قلت – معتمدة على رواية حمزة ، وهي رواية سيئة ولا يصح الاعتماد عليها ، ولا أقول هذا من باب التعصب ، ولكني أقوله عن ثقة لاني قمت بدراسة الروايتين دراسة مقارنة توصلت من خلالها الى

---

(٤٧) نفسه /١٧٩ .

(٤٨) تاريخ الادب العربي ٢/٣٠ .

(٤٩) طبعة فاغنر ١/ ص ز

(٥٠) سرقات ابي نواس /٣١ – ٣٣ .

الحقيقة التي أشار اليها الدكتور شوقي ضيف قبلي بقوله : وربما كانت أسوأ رواية لديوانه رواية حمزة الأصفهاني فانها تمتلئ بالشعر الموضوع عليه ، ولذلك لا يصح أن تتخذ أساساً لدرسه وبحثه (٥١) .

ولا نريد أن نبخس الرجل حقه ، فقد قدم لديوان أبي نواس بمقدمة طويلة ومفيدة ، ولكنها ليست بذات قيمة كبيرة كما صورها الدكتور علي الزبيدي حيث يقول : ومقدمة حمزة الأصفهاني تدل دلالة واضحة على أن صاحبها قد اجهد نفسه في غربلة شعر أبي نواس في طرح المنحول وتلافي الاخطاء التي وقع بها الرواة او الجامعون السابقون كما تدل على انه يدرك تمام الادراك تلك المشكلة او المشاكل التأريخية المعقدة التي أحاطت بشعر أبي نواس وسيرته (٥٢) .

وقال أيضاً : والحق أن الاصفهاني لم يكن جامعاً ساذجاً بل كان عالماً نقاده (٥٣) .

على أن استاذنا الزبيدي نفسه يعود ليشكك في بعض القصائد التي رواها حمزة ، لا سيما القصيدة التي يقول فيها ابو نواس :

الهنا ما اعدلك　　　　مليك كل من ملك

وهو يرجح انها من جملة ما نحل ونسب الى أبي نواس ، ويبدو انه لم يعلم أن هذه القصيدة غير موجودة في رواية الصولي ولم يشر الى هذا .

والذي أراه أن الدكتور الزبيدي لم يطلع تمام الاطلاع على رواية الصولي ولو كان مطلعاً عليها ، لتغيرت نظرته الى رواية حمزة ولكان أقل تحمساً في تقويمه لها وفي اعتباره حمزة عالماً نقادة .

ولكي تكون الصورة اكثر وضوحاً فاني لا أرى بأساً في تثبيت مقدمة رواية حمزة هنا ليكون القارئ على بينة من الأمر ، ثم ليقارن بين عمل الصولي وعمل حمزة وليحكم بعد ذلك بما يشاء .

---

(٥١) العصر العباسي الاول /٢٣٦ .
(٥٢) زهديات ابي نواس /٢٠ .
(٥٣) نفسه /١٣ .

قال حمزة في مقدمته : سألتني ابقاك الله واعلى قدرك وبلغك اقصى املك وزادك من أفضل ما خولك واحسن ما منحك ولا اعدمك جميل ما عوّدك أن اصرف لك عنايتي الى عمل مجموع من شعر ابي نواس يشتمل على كل اشعاره وجل أخباره ، وقد اسعفتك – ايدك الله – بطلبتك واجبتك الى ملتمسك فجمعت لك ديوان شعره في هذا الكتاب مشتملاً من قصائده واراجيزه ومقطعاته على الف وخمسمائة واكثر ، ويضم من الأبيات ثلاثة عشر الفا بيت واكثر مفرقة في خمسة حدود تجمع اثنتي عشر باباً مفصلة ثمانين فصلا فالحد الاول اربعة ابواب وخمسة فصول ومئتا قصيدة ومقطعة والف وسبعمائة بيت والحد الثاني ثلاثة ابواب واثنا عشر فصلاً وثلثمائة قصيدة ومقطعة وارجوزة وثلاثة الاف وثمانون بيتاً والحد الثالث باب واحد وتسعة عشر فصلا وثلثمائة قصيدة والف وسبعمائة وتسعون بيتا والحد الرابع بابان وثلاثون فصلا واربعمائة وخمسون قصيدة ومئتان وتسعون قصيدة ومقطعة وألفان وستمائة بيت .

فالباب الاول في نقائضه مع الشعراء وأخباره معهم ومع القيان . والباب الثاني في المديح ، والباب الثالث في المراثي والباب الرابع في العتاب والباب الخامس في الهجاء والباب السادس في الزهد والباب السابع في الطرد والباب الثامن في الخمر والباب التاسع فيما جاء بين الخمر والمجون والباب العاشر في غزل المؤنث والباب الحادي عشر في غزل المذكر والباب الثاني عشر في المجون ، وانما اتبعت المدائح المراثي لانها مدح الميت ثم العتاب لانه نقيض المدح ونصف الهجاء ثم اتبعت الهجاء بالزهد لانه ذم الدنيا كما أن الهجاء ذم الاعراض ، ثم افردت الابواب الباقية وواليت بينها لانها من جنس اللهو والغزل فجاورت بعضها ببعض وأنا استقصي هذه الابواب على ما قدمت الشرط فيها ان شاءالله ، ولنذكر قبل الشروع في في المقصود طرفاً من أوصاف شعره واحواله في تعاطي القر يض (٥٤) .

---

(٥٤) مقدمة طبعة اسكندر آصاف /٢ .

وبعد ، فلولا خشية الاطالة لذكرت لك مقدمة الصولي كاملة ، وهي تزيد على ثلاثين صفحة [٥٥] ولكنني اقول ـ بكل ثقة ـ لا يمكن أن ترقى رواية حمزة بكل ما فيها الى رواية الصولي ومن جميع الوجوه ، فأين مقدمة حمزة من مقدمة الصولي ؟ وأين الجهد المبذول في رواية حمزة في طرح المنحول خاصة ؟ واين النقد ؟ واين الشروح ؟ وأين التعليقات وذكر المناسبات التي قيلت فيها القصائد ؟

هذه اسئلة تطرح ويراد لها جواب ، واكبر الظن انك لا تجد لها جواباً شافياً كافياً في رواية حمزة ، وانما رواية الصولي ـ اعزك الله ـ هي التي تجيبك عـــلى طلبك ، وتسعفك على مرامك ، وتفي بحاجتك ان شاء الله .

* * *

(٥٥) انظر مقدمة الصولي في طبعتنا /٣٩ وما بعدها .

المعنى الأخلاقي للصداقة

في الفلسفة الإسلامية

الدكتور ناجي التكريتي

كلية الآداب – جامعة بغداد

ذكر ابن منظور في لسان العرب[1] ، ان الصداقة والمصادقة : المخالّة . والخليل : الصديق . وصدقه النصيحة والاخاء : امحضه له . وصادقته مصادقة وصِداقاً : خاللته ، والاسم الصداقة . وتصادقا في الحديث وفي المودة ، والصداقة مصدر الصديق ، واشتقاقه انه صَدَقَه المودة والنصيحة . والصديق : المصادق لك ، والجمع صُدَقاء وصُدْقان واصدقاء وأصادق ؛ قال عمارة بن طارق :

فاعجل بعزب مثل عزب طارقِ   يُبذل للجيران والاصادقِ

وقال جرير :

وانكرتَ الاصادقَ والبلادا

وقد يكون الصديق جمعاً . وفي التنزيل: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم » ، والانثى صديق ايضاً ، قال جميل :

كأن لم نقاتل يا بثينُ لو انّها   تكشّف عمّاها ، وانتِ صديق

ويقال : فلان صُدَيِّقي ، أي أخصّ اصدقائي ، وانما يصغر على جهة المدح وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديق .

قال جرير :

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا   بأعين اعداءٍ وهنّ صديق[2]

ان البحث مخصص لمعالجة الصداقة ومعناها الاخلاقي عند فلاسفة ومفكري

الاسلام ، ولن نطيل النظر في كل ما قاله الأدباء وذكرته كتب الأدب عن الصداقة ، وما كتبوا أو نظموا في الصديق ، اذ اننا سننظر الى الموضوع من الجانب الفلسفي العقلاني فقط ونتطرق الى آراء أديبين كبيرين في الصداقة هما ابن المقفع وابي حيان التوحيدي، وسنناقش آراءهما من الناحية الفلسفية في موضوع الصداقة ، ولا يخفى عن بالنا ان كلاً من الأديبين المذكورين له تأثيره الفكري الكبير في زمانه وما تلا ذلك من عصور. فابن المقفع مفكر قبل ان يكون اديباً[٣] وابو حيان التوحيدي اديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء[٤] .

لاشك في ان ابن المقفع المتوفى سنة ١٤٢ هـ ، ينصح باتباع ما يشير به العقل ، لان غاية الناس صلاح المعاش والمعاد ، والسبيل الى دركها العقل الصحيح ، وان العقل ينمو ويزكو بالأدب [٥] . فهو اذن يؤمن بالرياضة ومران العقل والأخذ عن معلم او كتاب .

ينصح ابن المقفع كل من يريد ان يبلغ الذروة من الفضل ان يؤثر الآخرين بمحبته ، لان الناس لا يستغنون عن حب الآخرين لهم [٦] . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان نقول ان المحبة هنا تعني الصداقة الخالصة من الشوائب ، ولا يقصد ابن المقفع بالحب هنا الهوى ، كما ان هذا المعنى لا يستقيم مع بحثنا . اما كلمة المحبة فقد اعتاد مفكرو الاسلام ان يذكروها — كما سنرى — مرادفة لكلمة الصداقة الخالصة .

يرى ابن المقفع ان العاقل من الناس من يتفقد محاسن الناس ويحفظها ويحصيها ويتعهد كل ذلك في اصلاح مساوئ نفسه [٧] ، فالناس اذن مرآة يرى فيهم الصورة الحسنة فيقتدى بها ويروض نفسه على محاسن الأخلاق ، ولذا فان ابن المقفع ينصح بمصادقة أهل الفضل في العلم والدين والأخلاق والأخذ عنهم ، وذلك لان الخصال الصالحة من البر لا تنمي الا بالموافقين والمهذبين والمؤيدين[٨].

وأرى من المناسب هنا ان أقول ، كان المفروض أن يشير ابن المقفع الى الجانب السلبي في الموضوع ، فيقول ان الخصال الصالحة كذلك تقوى بمصادقة الأشرار

من الناس ، ولكن ابن المقفع يلح فقط ويشجع ويدعو أن يأنس الانسان الى ذوي الألباب ويخالطهم حتى يصبيروا حرساً على سمعه وبصره ، وبذلك لا يغفلون عنه حتى اذا هو غفل عن نفسه [٩]. ولا سيما ان الاخوان الثقات هم الذين يصدقونه القول حتى في عيوب نفسه ويخلصون له النصيحة في اموره . كما ان ابن المقفع ينصح بمراقبة الناس جيداً ، ولا تكون الثقة إلا باصحاب المودة الحقيقية الذين يكونون امينين على السر وحافظين للوفاء [١٠] . ولا ينسى ابن المقفع أن يذكر الذي يريد ان ينصح الآخرين ويهديهم سواء السبيل أن يبدأ اولاً بتعليم وتقويم نفسه ، لان معلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم [١١] . وهذه بلا شك لفتة ذكية بارعة من قبل الكاتب لان الأساس الانسان ، كما يريد أن يخلص له النصح الآخرون ، عليه أن يخلص لهم أيضاً ، وقد يكون ذلك بالقول فقط ، ولكن الأهم أن يوافق القول الفعل ، حتى يكون الناصح عملياً قدوة للآخرين قبل ان يكون مرشداً بالتوجيه والنقد فقط لعيوب الآخرين .

ويعطي ابن المقفع اهمية للسلطان في إختيار الوزراء والأعوان ، لأن السلطان لا يستطاع الا بالوزراء والأعوان [١٢] ، ولـذا فعلى السلطان ان يختار من الوزراء من كانوا أهل مودة ونصيحة ورأي وعفاف ، ولا بد أن يكون صاحب السلطان عالماً بأمور من يريد الاستعانة به حتى يعرف ما عنده من رأي ونجدة وأمانة ،وكذلك يعرف ما فيه من عيوب لان الملك حفظاً على صلاح الأمر ان يكافئ احسان المحسن ويعاقب المسيء [١٣] كذلك العاقل من اذا اختاره السلطان لمشورته أن يخلص له النصيحة ويبذل له الطاعة ويكتم سره ويزيّن سيرته ويذب عنه بلسانه ويده ويتوخى ابداً مرضاته ويؤثر رأي السلطان على هواه ، والا يبطر اذا أكرمه السلطان ولا يتثاقل عن شيء من طاعته ولا يجترىء عليه اذا قربه ولا يطغى اذا سلطه ولا يلحف بالسؤال ولا يغتر اذا رضي عنه ولا يتغير عليه اذا سخط عليه وان يحمده دائماً على ما أصاب من خير منه [١٤]

ان من ميزات الرجل الصالح عند ابن المقفع من خلال علاقاته بالآخرين أن يكون مستوراً لا يشيع ذنوب الآخرين ، كذلك يكون سمحاً صادق النصيحة اذا استشير مجتهداً للرأي ويكون دائماً بجانب الحق(١٥). وان من أهم ما يستطيع ان يحصل عليه الانسان في هذه الحياة هم الأخوان الصالحون ، وان ذوي العلم والصلاح من افضالهم انهم يرغبون الآخرين ما وهبهم الله من فضل وخير (١٦).

وحتى العلماء من الناس فان ابن المقفع لا يرضى ان يعتدّوا بعلمهم وينكمشوا على انفسهم . وانما ينصحهم ان يذاكروا ذوي الألباب فتكون المنفعة متبادلة ، وفي الوقت نفسه يكتشف ذو العلم مقدار علمه بالنسبة لمعرفة وعلم الآخرين لأن العلم بالاشياء لا يُستكمل بالعقل الفرد(١٧) . ولهذا فان اعدل السير ان يقيس الانسان الناس بنفسه فيعطيهم مثل ما يحب ان يعطوه ويقابلهم بمثل ما يريد ان يقابلوه به . ولذا فهو يحذر من الكذب ويعتبره رأس الذنوب لانه يؤسسها ويتفقدها ويثبتها ، ويتلون ثلاثة الوان : بالأمنية والجحود والجدل ، لأن الكاذب يبدأ بالأمنية الكاذبة لأنه يظن ان كذبه سيخفى فاذا ظهر قابله بالجحود والمكابرة فان اعياه ذلك ختم بالجدل فخاصم عن الباطل ووضع له الحجج وكابر على الحق(١٨) ولذا فابن المقفع يرى ان يجرب الرجل بالاختبار اذ ربما كان رجل برّ ولكنه قد خالط الفجار ، وربما فاجر قد خالط الأبرار وربما ينقلب البر الى فاجر والفاجر الى بر من جراء التأثر بالمخالطة ولذا فالتجربة لها اثرها في انتقاء الأصدقاء ولذا فابن المقفع في الوقت نفسه يحذر من خصومة الصديق كما انه ينصح الشخص دائماً ان ينظر الى مساوئه فيصلحها ويتخلص (١٩) منها وينظر الى محاسن الآخرين فيقلدها ويقتدى بها . كما ان على المرء أن يؤثر اخوانه دائماً وألاّ ينقطع من اخوانه وصديقه اذا نابت النوائب (٢٠) . وهذه لعمري غاية الفضيلة يضعها الكاتب امام الانسان لان الرجل اجدر به أن ينفع اخوانه بفضله اذا كان صاحب فضيلة ، كما ينبغي عليه ان يتفقد الاصدقاء اذا ما اصابتهم مصيبة أو مرض او اذا شعر انهم يعانون من عوز او حاجة . ولذا فان ابن المقفع يحذر من مؤاخاة الخبّ ، كما انه يحذر من الاستخفاف بالاخوان ، لان من استخف

بالاخوان افسد مروءته [٢١] كما انه يحذر من الملل من الأصدقاء لان الملول يفقد . الأخوان [٢٢] . كما انه يحذر من مقاربة وجوار وألفة الجاهل وذلك لان الجاهل كله شر ، لان الجاهل اذا جاورك انصبك وان ناسبك جنى عليك وان ألفك حمل عليك ما لا تطيق وان عاشرك آذاك وأخافك ، مع انه عند الجوع سبع ضار وعند الشبع ملك فظ وعند الموافقة في الدين قائد الى جهنم ، فما احري اذن بالابتعاد والهرب منه [٢٣] كما ان ابن المقفع يحذر الرجل من عدوه لان الرجل الحازم لا يأمن عدوه فاذا كان هذا العدو بعيداً لم يأمن من معاودته وان كان قريباً لم يأمن مواثبته وان رآه متكشفاً لم يأمن مكيدته وان رآه وحيداً لم يأمن مكره ، ولكن مع هذا فابن المقفع يقول : قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك عدوك [٢٤] .

ومع ان ابن المقفع ينصح بالاكثار من الاخوان ولكن بشرط ان يكون هؤلاء الاصدقاء من الاخوان وليسوا من الاشرار ، لان المودة بين الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها ، بينما المودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها [٢٥] .

وفي الوقت الذي نلاحظ فيه ان ابن المقفع يفرق بين صديق الخير وصديق السوء وهذه بلا أدنى شك وجهة نظر سليمة ، الا اننا نلاحظ ان ابن المقفع يعطي للغنى والفقر اهمية فاصلة في علاقات الناس ببعضهم فهويقول ان الفقر داعية الى صاحبه مقت الناس وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والأدب ومعدن للتهمة ومجمعة للبلايا [٢٦] ، وهذا اذا يصدق على حالات معينة فلا يصدق على حالات كثيرة فهل يمقت الناس انساناً فاضلاً اذا كان فقيراً وهل صحيح ان الفقر مذهبة للعلم والادب ونحن نعلم ان اغلب فلاسفتنا وعلمائنا وادبائنا قد عاشوا فقراء حتى ان المثل الذي يقول : « ادركته حرفــة الأدب » ، يعني انه أصبح فقيراً لانه بـــدأ يقضي جل وقته بمعالجة الأدب . وربما يكون الفقر مجمعة للبلايا – كما يقول ابن المقفع – اذ الفقر ربما يسبب الحاجــة والمرض والشح وفقدان السرور ، ولكن هل صحيح ان الفقر معدن للتهمة ؟ هل يكون الرجل الفقير موضع تهمة اذا كان هذا الرجل متديناً صادقاً زاهداً فاضلاً بعيداً عن مواطن الفسق والفجور ؟

ويزيد ابن المقفع فيقول : اذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمناً وأساء به الظن من كان يظن به حسناً ، فان اذنب غيره أظنّوه وكان للتهمة وسوء الظن موضعاً [٢٧] كما يضيف الكاتب مقرراً : وليس خلــة هي للغني مدح الا هي للفقير عيب فان كان شجاعاً سمّي اهوج وان كان جواداً سمى مفسداً وان كان حليماً سمّي ضعيفاً وان كان وقوراً سمي بليداً وان كان لسناً سمّى مهذاراً وان كان صموتاً سمّي عيياً . [٢٨] .

الحقيقة لا يمكننا ان نوافق ما ذهب اليه ابن المقفع فيما كتب من عبارات بليغة جميلة ، اذ ينقص هذه العبارات وقفة قليلة فنسأل انفسنا . هل كل صديق لغني من الناس يتنكر اذا افتقر هذا الغني ؟ وهل كل انسان يسيء الظن بشخص غني بعد ان افتقر ؟ وهل صحيح ان الفقير دائماً يوضع موضع التهمة اذا ما اذنـب غيره ؟ لا اعتقد ان هذا يصدق إلاّ على حالات معينة ربما تكون نسبتها بسيطة كما ان الرجل الغني يمدح بلا شك في أغلب الأحيان على صفات حميدة لا يمتلكها وينزه عن رذائل يمارسها وربما عكس هذا ينظر الى الرجل الفقير ، ولكن ليس من السهولة ولا من الصواب ان نطلق أقلامنا ونجعلها حكمة خالدة او حقيقة منطقية نؤمن بها كما يدرجها ابن المقفع ، فهل حقاً كل فقير اذا ابدى شجاعة في موقف نتهمه بالهوج ؟ وهل ننظر الى كل غني بأنه شجاع ؟ وهل نتهم الفقير إذا ما لاحظنا منه كرماً وجوداً ، بالافساد ؟ وهل نمدح الرجل الغني ونصفه بالسخاء اذا كان بخيلاً ؟ وهل ان الفقير اذا كان حليماً نسميه ضعيفاً ؟ واذا صح القول على شخص واحد فهل تصح المسألة على كل فقير ؟ وهل نصف الرجل الغني الضعيف الجبان بأنه حليم ؟ واذا صح القول على شخص واحد فهل يصح القول على كل غني ضعيف ؟ وهل حقاً نحن لا نعجب بالرجل اللسن البليغ اذا ما علمنا انه فقير ؟ وهل حقاً اذا سمعنا الرجل الغني يتكلم هذراً نقول ان هذا عين البلاغة ؟ ان ما ذهب اليه ابن المقفع ينطبق على حالات معينة بنسبة صغيرة ولا يمكن ان تكون حكمة نقرها قاعدة اخلاقية تنطبق في كل مكان وزمان .

وابن المقفع ينصح دائماً الناس بمشاركة الاخوان والاصدقاء الصالحين بفضلهم وكرم عيشهم ، ويجب على الرجل الكريم ان يسر مثل هؤلاء الاخوان ويكون دائماً من وراء حاجاتهم ، لان الكريم اذا عثر لم يُستقل الا بالكرام ولذا فعليه ان يشاركهم في ماله لان في تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الاخوان وبث كل منهم الى صاحبه همومه وان حرمان النفس من السرور اذا فرق بين الاليف وأليفه وبين الاخ وأخيه [٢٩] .

ويحذّر ابن المقفع من الأدباء فإن تحدث الشخص نفسه بالهزيمة اذا كان الصحاب مقبلين على عدوهم لانه من المروءة ان يكون الانسان في مقدمة اصحابه وان يكون آخر منصرف اذا انصرفوا . [٣٠] اما في الجود والكرم فنصح ابن المقفع ان يعطى كل ذي الحق حقه ويزداد – ان امكن – ذو الحق على حقه اما من لا حق له فلا بأس ان يمنن عليه بالفضل . كما انه يحذر من حب المدح لا سيما من اصحاب السلطان لان قابل المدح كمادح نفسه وان قبول المدح معيب [٣١] . كما انه دائماً يرشد الى التماس رضى الأخيار من الرجال وذوي العقل ، والصبر على من يخالف في الرأي من الناصحين والرجوع دائماً لأهل العقل والمروءة[٣٢]. ويوصي ابن المقفع ببذل الدم والمال في سبيل الصديق كما انه لا ينسى ان يوصي بالعدل والانصاف بالنسبة للعدو [٣٣] . كما انه يحذر من الغضب في حالة ان ترى صديقك مع عدوك ، فان هذا الصديق اذا كان من اخوان الثقة فهو اذن سوف يكفيك عن شر او يستر منك عورة او يطلعك على شيء غاب عنك وفي معرفته فائدة لك اما اذا كان من غير خاصة اخوانك فليس لك الحق ان تمنعه عمن يصاحب ويجالس [٣٤] . والمفروض في المرء الا يتطاول في مجالسه على الأصحاب ، أو يكثر من إدعاء العلم أمامهم ، اذ ربما يذهب به هذا الغرور فيخبر الأصحاب انه عالم وهم جهلاء ، لان الرجل حتى اذا كان ذا فضل فاذا اظهر فضله وابداه على الناس بنفسه ، فان ذلك يقرر في قلوب الناس من العيب اكثر مما يقرر من الفضل [٣٥] .

وان كان ابن المقفع يرشد الانسان بالا يتفتح لمن اقبل عليه بوده وألا ينعم الاقبال عليه لان الانسان طبع على ضرائب اللؤم فهو يرحل عمن لصق به ويلصق بمن رحل عنه (٣٦) ولكن مع هذا فهو يرى ان نكسب رضى الصديق ونحسن مؤاخاته ومواصلته وفي الوقت نفسه يحذر من قطيعة هذا الصديق ولكن مع هذا فهو يحذر من صداقة الكذاب لان ليس من ورائه الا الشر (٣٧). اما اذا أصابت الصديق نائبة فالصديق يشارك صديقه في البلية على أن يؤثر مروءته على ما سواها ، اما اذا اصاب الصديق فضل فلا بأس من الدنو منه والتواضع له (٣٨) والاعتذار يكون مقبولا عند الصديق الذي يحب ان يجد لك عذراً كما ان من الأفضل ان يقبل الانسان العذر بوجه مشرق الا ان يكون ممن قطيعته غنيمة .

ويعطي ابن المقفع اهمية كبيرة لاخوان الصدق ، حتى انه يقول انهم خير مكاسب الدنيا لانهم زينة في الرخاء وعدة في الشدة ومعونة المعاش ، ولهذا فهو يلح في العمل على اكتسابهم وابتغاء الوصول اليهم (٣٩) . أما العدو فيجب الصبر عليه ، ويحذر ابن المقفع هنا من اخبار العدو انك له عدو فتنذره ، بل الأولى ان تريه انك لا تتخذه عدواً فتكون لك القدرة عليه (٤٠) كما ان من الحيلة مع العدو ان تصادق اصدقاءه فتدخل بينه وبينهم سبيل الشقاق والتجافي ، وفي الوقت نفسه عليك بالحذر من عدوك بان تحصي على نفسك العيوب والعورات كما تحصيها على عدوك ، ثم تبدأ باصلاح عيوبك وتحصين عوراتك (٤١) . وان الاحزم في أمر عدوك الا تذكره الا حيث يضرّه والا تعد يسير الضرّ له ضرّاً (٤٢).

يحذر ابن المقفع من تقريع الصديق اذا ظهرت حجة او غلبة ، لأن ذلك لؤم في الاخلاق ، كما يحذر من الاكرام من قبل الآخرين اذا كنت صاحب مال او سلطان لان السلطان زائل ، والمال بعد السلطان سريع الزوال (٤٣) .

ولا بد من الاشارة الى حالة تدل على سمو النفس والتخلق بالخلق الحسن ، يرشدنا اليها ابن المقفع ، وهي ان تكون صديق صديقك او بعبارة اخرى ان واجهك صديقك باخوانه واصحابه ان تكون باخوانه رؤوفاً ومحباً لان لطفك بصاحب

صاحبك احسن عنده موقعاً من لطفك به في نفسه [٤٤] .

ولا ينسى ابن المقفع ان ينصح من شغل بصحبة السلطان فيقول له : « اذا رأيت السلطان يجعلك أخاً فاجعله اباً ثم ان زادك فزده » [٤٥] . ولكن مع هذا نرى رأياً حدّياً لابن المقفع حين يقول : « إن ابتليت بصحبة والٍ لا يريد صلاح رعيته فاعلم انك قد خيرت بين خلتّين ليس منهما خيار : اما ميلك مع الوالي على الرعية وهذا هلاك الدين ، وأما الميل مع الرعية على الوالي وهذا هلاك الدنيا ، ولا حيلة لك الا بالموت او الهرب »[٤٦] . ولكن أليس الأولى بابن المقفع ، وهو المعروف كأديب أخلاقي بارع ان ينصح مثل هذا الرجل ان يكون دليلاً ومناراً لمثل هذا الوالي ويرشده دائماً الى طريق الصلاح لعله يهتدي فيميل الى طريق الرشاد ويعمل على صلاح رعيته فيكون لصديق الوالي هذا حسنتان معاً ، حسنة قوام هذا الوالي ، وفي الوقت نفسه نفع الرعية عن طريق صلاح مثل هذا الوالي ؟ .

ولابي يوسف يعقوب الكندي (ت ٢٥٢هـ) فلسفته في الصديق، الانسان ان يكون خيراً مع الاصدقاء والاعداء ، ويجب الا يحزن انسان اذا فقد شيئاً بينما ملك ذلك الشيءُ غيره لان مثل هذا الشخص يكون حسوداً وينبغي الا نعرف بصفة الحسد لان الحسد معدود من جملة الشرور فالذي يحب ان ينال اعداءه الشر فهو قبل كل شيءٌ محب للشر ولا ينسى الكندي ان يضيف أن أشر من هذا الذي يحب ان ينال اصدقاءه الشر ، وان انسان الخير الذي يحب ان يملك صديقه ما يملك هو نفسه بينما الخساسة تتجسم بالذي يحب للاصدقاء الشر [٤٧] .

ان الكندي يرجح ان الحزن يأتي من عدم امتلاك الانسان ما يصبو اليه او على شيء فاته، او كما يعبر هو نفسه « الحزن الم نفساني يعرض لفقد المحبوبات او فوت المطلوبات »[٤٨] . ولذا فهو ينصحنا ان نكون سعداء وان نبتعد عن طريق الشقاء ، وذلك بان تكون محبوباتنا ما قد حصلنا عليه او الأشياء التي نلناها وفي الوقت نفسه لا نأسف على ما فات [٤٩] ، ولا سيما نحن ندرك ان المكروه أو المحبوب من الحسيات غير ثابت وهو خاضع للتغير والتبدل والفساد ، ففي هذه الحال ينبغي السرور بما شاهدنا والسلوة عما فاتنا .

ولا بد أن تذكر بهذه المناسبة ان من الفلاسفة الأخلاقيين المسلمين الذين تأثروا بمقولة الكندي السابقة الطبيب الشهير ابو بكر محمد بن زكريا الرازي (تـ ٣١١هـ). الذي يرجع سبب الحزن او (الغم) كما يعبر هو نفسه الى فقد المحبوبات وعدم نيل المطلوبات (٥٠) . أما مسكويه (تـ ٤٢٠ هـ) فيشير بصراحة : « وقال الكندي في كتاب دفع الأحزان : ان من فقد ملكاً او طلب أمراً فلم يجده ولحقه حزن ، ثم نظر في حزنه ذلك نظراً حكمياً وعرف ان اسباب حزنه هي اسباب غير ضرورية وان كثيراً من الناس ليس لهم ذلك الملك وهم غير محزونين بل فرحون مغبطون ، علم علماً لا ريب فيه ان الحزن ليس بضروري ولا طبيعي . . . الخ (٥١)

ويذكر الكندي في حد الفلسفة : ان الفلسفة معرفة الانسان نفسه ، ومعرفة الانسان نفسه معرفة جوهره الذي هو النفس ، ولذا فاذا عرف الانسان نفسه ابتعد عن اللذات الحسية واستعمل العقل ليقترب من الفضيلة (٥٢) . ويبتعد عن طريق الرذيلة وذلك بالابتعاد عن القوة الشهوانية والقوة الغضبية ، فيدبر الانسان التدبير الأمثل ويسير في طريق الحكمة والعدل والخير والجميل والحق فيكون عند ذلك حكيماً عدلاً جواداً خيراً يؤثر الحق والجميل (٥٣) .

ان الانسان عندما يكون بهذا الكمال يدرك ان القنية عارية وهي اليوم مع هذا الانسان وغداً مع غيره ولو لم تكن مع غيره لما وصلت اليه ، ولذا فليس العار اذا ذهبت ولكن العار ان نحزن على فقدانه ، وهذا في كل الاحوال ليس عدلاً وينبغي على الانسان الذي ينشد العقل والكمال ان يكون عدلاً (٥٤) .

ولا ضير في ان نختم كلامنا على رأي الكندي في الخير والشر بالنسبة للصديق والعدو بهذه الكلمات التي تدل على مدى علو كعب الكندي في الأدب ونصيحة الاخوان : « اعتزل الشر فان الشر للشرير خلق . ومن لم ينبسط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك . إعصِ الهوى وأطع من شئت . لا تغتر بمال وان كثر . لا تطلب الحاجة الى كذوب فانه يبعدها وهي قريبة ، ولا الى جاهل فانه يجعل حاجتك وقاية لحاجته . لا تنجو مما تكره حتى تمتنع عن كثير مما تحب وتريد . العاقل يظن ان فوق علمه علماً ، فهو ابداً يتواضع لتلك الزيادة ، والجاهل

يظن انه قد تناهى ، فتمقته النفوس لذلك » (٥٥) . كذلك من طريق ما ينسب له في وصية لابنه أبي العباس : « يا بنيّ الأبُ ربّ ، والأخ فخّ ، والعم غمّ ، والخال وبال ، والاقارب عقارب » (٥٦) .

ان ابا بكر الرازي يعتز بالعقل ، الذي به ميزنا عن سائر الحيوان والذي به نسير السيرة الصالحة ، ويكون قصدنا الاستقامة ، وان تمام هذه الفضيلة لا يكاد يصلها الا الرجل الفيلسوف الفاضل (٥٧) . وان الرازي الذي يرى ان العقل الذي خصصنا به وفضلنا على سائر الحيوان غير الناطق ، به ادى بنا الى حسن المعاش وان اكثر حسن عيشنا من التعاون والارتفاق لبعضنا من بعض ، ولذا فمن الصعوبة ان نتصور انساناً يعيش بمفرده ، ولوكان لعاش عيشة البهائم السمجة ، فان التعاون اذن هو الذي يؤدى الى حسن العيش . الرازي اذن يؤمن بحياة المجتمع والتعاون فيه بحيث يعمل جميع الناس ، او كما يعبر هو (٥٨) : « انه كل واحد يكون خادماً ومخدوماً » . فهو اذن يريد ان يعمل الجميع داخل نطاق المجتمع حتى تسير الحياة نحو التمام والكمال . ومن الجدير بالذكر هنا ان الرازي طالما ذكر سقراط وافلاطون بالاعجاب حتى انه يقول : سقراط المتألّه (٥٩) وأفلاطون شيخ الفلاسفة (٦٠) . ونحن نعلم ان افلاطون قد بسط في كتاب الجمهورية (٦١) ، ان الانسان ينال كماله في المجتمع .

ونعود فنقول ان الرازي يشير اشارة ذكية ، ان لم نقل يضرب ضربة عبقرية اذ هو يريد العمل للجميع ولا يريد ان يعيش قسم من المجتمع عالة على الآخرين ، او بعبارة أخرى لا يريد الرازي ان يستغل احد أحداً ، فهو يقول : « فان مع احدهما – وهو التقصير – الذلة والخساسة والدناءة والمهانة ، إذ كان يؤدي الى ان يصير عيالاً وكلاً على غيره ، ومع الآخر الكد الذي لا راحة معه والعبودية التي لا انقضاء لها . وذلك ان الرجل متى رام من صاحبه ان ينيله شيئاً مما في يديه من غير بدَل ولا تعويض فقد اهان نفسه واحلها محل من اقعدته الزمانة والنقص عن الاكتساب » (٦٢) .

ولذا نرى الرازي ينصح بملازمة ومصادقة الرجل العاقل ، لان مثل هذا الانسان

يمكن ان يرشده الى الطريق الصحيح ويهديه الى عيوبه ، فيما اذا كان عنده من المعايب يجهلها هو نفسه ، فان سأل مثل هذا الرجل وانس اليه ، سيظهر له مالا يستحب من سيرته ، وعند ذاك يجب الا يغضب او يظهر اغتماماً ، بل يفرح ويستبشر حتى يتخلص من الاخلاق الرديئة التي علقت به ، لأن الاخلاق الرديئة تحدث بعد ان لم تكن ، وكذلك يمكن ان تزول ، وهكذا يقلع الرجل عن المساوئ ويسير في طريق الفضيلة »[٦٣]

الغريب ان الرازي ، الذي يؤمن بصداقة الفضلاء ، فانه يحذر من العشق ويعتبره نوعاً من اتباع الهوى لا يليق بالعقلاء من الناس لما يتبعه من تذلل وخضوع واستكانة ، فهو اذن يحذر من العشق الحسي ، ولذا يزول استغرابنا اذا ما علمنا انه يرى ان طلب اللذة هي التي تقود الى ذلك ، وان اللذة تفقد الاستلذاذ متى شبع نهمه واروى ظمأه [٦٤] . ويذكر الرازي ان الإلف هو ما يحدث في النفس عن طول الصحبة من كراهة مفارقة المصحوب . فهو يقول : « وبهذا المعنى حد الفلاسفة الطبيعيون اللذة ، فان حد اللذة عندهم هو انها رجوع الى الطبيعة »[٦٥]

لم يذكر ابو بكر الرازي اسم هؤلاء الفلاسفة ، ولا الكتب التي ذكروا فيها حد اللذة . ونحن بدورنا نشير الى ان الذي خد اللذة بانها رجوع الى الطبيعة هو سقراط ، وذكرها افلاطون في كتابيه و(طيماوس) [٦٦] و (فيدون) [٦٧] كما ان هرقليطس قبلهما قال : « تجد النفوس لذتها في ان تصير رطبة [٦٨] والرطوبة مناقضة للجفاف ، وهذا يؤيد مفهوم فلسفة هرقيلطس في التناقض والتغير . اما ديمقريطس فتقوم السعادة عنده طبيعياً من اللذة ، اما الالم فهو حد الشر [٦٩].

ولا ينسى الرازي ان يشير ان بسبب محبة الانسان لنفسه ، فهو يستحسن الحسن منها فوق حقه ويستقبح القبيح دون حقه ، ولذا يحتاج الرجل الى صديق الخير حتى يريه ما حسن منها وما قبح من نفسه . فيوازن ويختار الطريق الصواب [٧٠] . كما ان الرازي ينصح الانسان بالابتعاد عن النظر الى الآخرين بعين الحسد ، لان الانسان يجهد نفسه ويسهرها دون جدوى ، بالاضافة الى ان المحسود عند نفسه خلافها عند الحاسد ، فالمحسود ربما يستحق الشفقة لا الحسد ، ولكن الحاسد

يجهل الحالة الحقيقية التي هو فيها ، فهو يستعظم ما يراه ويتمنى الوصول الى الحالة التي هو فيها ، ولو وصل الحاسد الى حالة المحسود لوجد انه كان واهماً[٧١]

ان السيرة الفاضلة عند الرازي هي معاملة الناس بالعدل والنصح للكل والاجتهاد في نفع الكل ، الا من بدأ بالجور والظلم[٧٢] . وينتهي الرازي الى ان سيرته سيرة فاضلة ، سواء في ناحيتها العلمية او العملية ، ففي الناحية العلمية يذكر انه فيلسوف لما قدمه للانسانية من مصنفات في شتى فروع الطب والفلسفة ، والجزء العملي فهو يقول : « انني كنت معتدلاً في حياتي ، فلم يظهر مني شره في جمع وسرف فيه ، ولا منازعات الناس ومخاصماتهم وظلمهم . بل المعلوم مني ضد ذلك كله والتجافي عن كثير من حقوقي »[٧٣] .

وللحقيقة فان اغلب مؤرخي الفلسفة يشهدون للرازي كانسان وكطبيب : « انه كان كريماً متفضلاً باراً بالناس حسن الرأفة بالفقراء والأعلاء حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرّضهم »[٧٤] وهذا لعمري غاية ما يصله الرجل الفاضل في سيرته الانسانية .

وتميز ابو حيان التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) ، عن غيره بانه خص الصداقة والصديق برسالة كبيرة سماها (الصداقة والصديق) فهو يقول : « وقبل كل شيء ينبغي ان نثق بانه لا صديق ولا من يتشبه بالصديق »[٧٥] . وعندما يذكر حد أرسطو للصديق الذي يذهب الى ان الصديق هو انت الا انه بالشخص غيرك . يذكر رأي صديقه النوشجاني الذي علق على ذلك فقال : الحد صحيح ولكن المحدود غير موجود[٧٦] .

وبالرغم من ان ابا حيان الأديب المتفلسف كتب رسالته في الصداقة والصديق وأفرد مكاناً للموضوع ذاته في المقابسة ١٠٦ من كتابه المعروف بالمقابسات[٧٧] وموضوعها في الصديق وحقيقة الصداقة ، الا اننا لم نستطع ان نكون فكرة معينة او نحدد نظرية عامة او رأي عام لابي حيان في الصداقة وذلك لانه كأديب ومتفلسف يأخذ عن غيره ، فهو يطرح آراء غيره من الفلاسفة والأدباء والملوك والشعراء ، ولكن مع هذا فان ابا حيان الذي تصوف في اول شبابه ، جعل الصداقة

بمعنى التكامل بين شخصين ، وهدفها الفضيلة ، ولا سيما نحن نقرأ اعجابه بصداقة استاذه ابي سليمان السجستاني مع ابن سيار القاضي وذلك لان مبعث وهدف صداقتهما الفضيلة [٧٨] كما اننا نستشف علو همة التوحيدي ومدى نجابته وشدة اخلاصه لصداقة من علمه او عمل معه ، فنرى في صفحات كثيرة من كتابه المقابسات كيف يكن الاحترام والاعتراف بالجميل لاستاذيه وصديقيه ابي سليمان السجستاني (ت بعد سنة ٣٩١ ﻫ) ويحيى بن عدي التكريتي (ت٣٦٤ﻫ) كما انه يذكر بالخير دائماً صديقه الذي الف معه كتاب (الهوامل والشوامل) ، واعني ابن مسكويه : أبو حيان اذن يهمه من الصداقة ان يكون هدفها الفضيلة والتي يؤدي سلوك الصديقين المتآلفين عن طريق الرذيلة . وان كتابة (الصداقة والصديق) مملوء بالعبر والأمثال التي تشير الى ذلك .

ولا يقف الفلاسفة المسلمون عن تناول موضوع الصداقة عند مرحلة دون اخرى ، فهذا هو ابن حزم الأندلسي ت ٤٥٦ ﻫ يطرح جملة واسعة من الآراء في الصداقة والصديق على شكل نصائح وارشادات فهو فقيه ظاهري تناول في كتبه مختلف فروع المعرفة . اما في كتابه (الأخلاق) فهو يخصص فصلاً « في الاخوان والصداقة والنصيحة »[٧٩] .

ابن حزم يرى ان العتاب يقوي العلاقة بين الصديقين ويشبه العتاب مع الصديق كالسبك للسبيكة فهو يقول : « استبقاك من عاتبك »[٨٠]، وهو ينصح بعدم افشاء سر الصديق ولذا فهو يقول : « من أفشى سرك فقد خانك »[٨١] . وابن حزم يحذر من شر من احسنت اليه . فبالرغم من ان ابن حزم يقول : ابذل فضل مالك وجاهك لمن سألك او لم يسألك [٨٢] ، لكنه لم يلبث ان يضيف في الفقرة التالية : « اول من احسنت اليه اول مضر بك وساع عليك » [٨٣] ويحلل ابن حزم ذلك فيقول : « ان ذوي التراكيب الخبيثة يبغضون لشدة الحسد كل من احسن اليهم اذا رأوه في أعلى من أحوالهم »[٨٤]. ولكن مع هذا فابن حزم ينصح الانسان ان يعامل الآخرين في كل الاحوال احسن معاملة . ويحد ابن حزم الصداقة بان الرجل يسوؤه ما ساء صديقه ويسره ما سره وان الذي يقصر عن هذا

الحد فهو ليس صديقاً ، وعند ابن حزم ان كل ناصح صديق بينما ليس كل صديق ناصحاً[٨٥] . اما أقصى درجات الصداقة عنده فان يسوء الشخص ما ضر صديقه سواء ساء ذلك الصديق أم سرّه [٨٦] .

ابن حزم لا ينصح بالاستكثار من الأصدقاء ، لان الحصول عليهم لا يتم الا بالحلم والجود والصبر والوفاء والمشاركة العفة وحسن الدفاع وتعلم العلم ، وان تعرض احدهم لنكبة او موت فان السرور بهم لا يفي الحزن الممض من أجلهم . ولا يفوت على ابن حزم ان يقول اننا نعني بالاصدقاء اخوان الصفاء الذين يتحابون في الله عز وجل ، ولذا فان المتنادمين على الخمر او المجتمعين على المعاصي فليسوا اصدقاء لانهم منحرفون الى طريق الرذيلة [٨٧] .

يرى ابن حزم الا يكلف الصديق صديقه الا مثل ما يبذل له من نفسه ، والا اذا طلب اكثر فهو ظالم خبيث السيرة ، . وأن يسارع الى الأثرة على نفسه في سبيل الآخر [٨٨] .

ومن طريف ما ينصح به ابن حزم قوله : « لا تصاهر الىصديق ولا تبايعه ، فما رأينا هذين العملين الا سبباً للقطيعة ، وان ظن اهل الجهل ان فيهما تأكيداً للصلة فليس كذلك ، لأن هذين العقدين داعيان كل واحد الى طلب حظ نفسه ، والمؤثرون على انفسهم قليل جداً فاذا اجتمع طلب كل امرئ بحظ نفسه وقعت المنازعة ومع وقوعها فساد المروءة » [٨٩] .

ربما يشارك ابن حزم في هذا الرأي الكثير ممن خبروا طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الاخوان والأصدقاء ، فهو في الحقيقة رأي يصدق في غالب الأحوال وان كانت هناك بعض الحالات التي تخالف رأي ابن حزم . ولكن مع هذا فان ابن حزم يقول ان اسلم المصاهرة مغبة هي تلك المصاهرات التي تتم داخل العوائل نفسها ، لان الاقربين يتحملون مضطرين الى مالا انفكاك لهم منه برباط النسب والقرابة [٩٠] .

لم يخصص يحيى بن عدي فصلاً خاصاً بالصداقة في كتابه (تهذيب الأخلاق)

وانما هناك اشارات يثبتها في صفحات الكتاب نستطيع من خلالها ان نميز ملامح آرائه الأخلاقية في الصداقة والاصدقاء . .

ان ابن عدي يعطي أهمية كبيرة لتأثير الاصدقاء باصدقائهم اذ ان الانسان برأيه يتأثر بمن يحيط به ومن يخالطه ايجاباً او سلباً ، وتأتي فكرة ابن عدي هذه من نظريته في ان الاخلاق تكتسب جميلها وقبيحها (٩١) .

ينصح ابن عدي بفضيلة سلامة النية مع الآخرين واعتقاد الخير بجميع الناس (٩٢) ، وفي الوقت نفسه يحـذر من اضمار (٩٣) الشر للغير واستعمال الغيلة والمكر والخديعة في المعاملات .

يرى ابن عدي ان الانسان بفضيلته وليس بماله ، ولذا فهو ينصح الانسان ان يسوس نفسه السياسة المستحسنة ويسلك بها الطريقة المحمودة فانه بذلك يكون محبباً الى الناس مقبولاً عندهم معظماً في نفوسهم مفضلاً على غيره (٩٤) . ولذا فهو يرشد الى مصاحبة ومجالسة الزهاد والواعظين واهل العلم ورؤساء الدين ويبتعد عن صحبة المتهتكين واهل الفجور (٩٥) . كما ان ابن عدي يرى ان على الانسان اذا كان من الرعية ان يشرك في ماله اخوانه واوداءه ، اما اذا كان ملكاً فعليه ان يعم بماله اصحابه واعوانه ، كذلك من جميل ما يذكره في آداب الملك او الرئيس ، انه اذا جمع اخوانه واصدقاءه الى طعامه وشرابه ، الا يشعرهم بانه جمعهم ليكرمهم بطعامه وشرابه ، وانما يشير الى ان جمعه لهم للانس بهم والسرور بمعاشرتهم (٩٦) .

ومن فضائل الصديق التي يراها ابن عدي ، انه اذا رأى الانسان صديقه يحتاج الى مالا يقدر عليه لاصلاح شأنه او لدفع محنة نزلت به وكان ذلك الانسان قادراً على اسعاف صديقه ، فعليه ان يبادر بفضيلة مساعدة صديقه قبل أن يسأله الصديق العون والمساعدة (٩٧) .

الأصدقاء عند احمد بن محمد بن ابي الربيع (٩٨) ، نوعان : النوع الاول : الاصدقاء المخلصون . فينبغي على المرء ان لا يؤاخذهم بالتقصير ولا يعاتبهم عتاباً مفرطاً بل عليه ان يديم ملاطفتهم ويستكثر منهم ، لان الصديق زين المرء وعضده

وناصره ، ولذا فعليه في مثل هذا النوع من الأصدقاء بالتعهد ، بل اكثر من هذا عليه ان يتفقد اقاربهم وعيالهم اذا ماتوا ، وعليه ان يبدأهم بالبر . اما النوع الثاني : اصدقاء الظاهر ، فينبغي على الانسان ان يجاملهم ويحسن اليهم ولكن مع هذا لا يطلعهم على اسراره . بل يعاملهم بحسب الظاهر . ولا بأس ان يتعهد حال من غاب منهم ويسأل عنه بحضور الناس ليستميلهم بذلك .

وفي كل الاحوال عليه ان يختار من الأصدقاء اربعة انواع : النوع الأول : أهل العلم والدين والحكمة وهؤلاء يفيدونه علماً وعقلاً . والنوع الثاني : اهل الشرف حتى يستعين بهم على حوادث الزمان . والنوع الثالث : ارباب المحادثة الطيبة فيفزع اليهم وقت الضجر ، والرابع : اهل الثروة يستعين بهم في الهم والغم وعوارض الزمان .

بالرغم من اننا نلاحظ ان هدف ابن ابي الربيع من الصداقة بصورة عامة اخلاقي يهدف الى فضيلة النفس ، ولكننا مع هذا نلاحظ سيطرة الروح النفعية في نصائحه .

ويرى ابو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ان الألفة ثمرة حسن الخلق وان حسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر [٩٩] وان اعظم المحبة بين إثنين هي المحبة في الله ، ويستشهد الغزالي بقول رسول الله (ص) : « المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله » . وان الاخوين في الله اذا كان احدهما اعلى مقاماً من الآخر رفع الآخر معه الى مقامه[١٠٠] . فالغزالي اذن يريد من الصديق ان يفيد صديقه من علمه وحسن اخلاقه ويرفعه معه الى الدرجة التي هو عليها من العلم والاخلاق . والصحبة عند الغزالي تكون بسبب الجوار او بسبب الاجتماع في المكتب او في المدرسة او في السوق او في الاسفار . والانسان يحب الصديق لذاته اذا التذ برؤيته واستحسن اخلاقه . ويؤمن الغزالي ان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع ، ويستشهد بالحديث النبوي الشريف : « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » [١٠١] ويحب الانسان صديقه لينال من ذاته غير ذاته

فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان الغير هو المحبوب بالحقيقة ، وكذلك ان يحب صديقه لا لذاته بل لغيره كمن يحب استاذه وشيخه ، وعند الغزالي ارقى انواع المحبة ان يحب الانسان لله وفي الله لا لينال منه علماً او عملاً او يتوسل به الى امر وراء ذاته (١٠٢).

يرى الغزالي انه لا يصلح كل انسان للصحبة ، اذ لا بد ان يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته ، وان الغزالي يرى ان هناك فوائد دينية ودنيوية تطلب من الصحبة ، فالدنيوية كالانتفاع بالمال او اتجاه او مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة ، والدينية الاستفادة من العلم والعمل ، ويحث الغزالي على مجالسة الزهاد والعلماء ثم يستشهد بلقمان الذي ينصح انه قائلاً : يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الارض الميتة بوابل المطر (١٠٣) وفي حقوق الأخوة والصحبة يرى الغزالي أن للصديق حقاً على أخيه في المال وذلك بأن يساعده وقت الحاجة ، وفي النفس ان يكون بشوشاً مع صديقه ولا يرده في حاجة ، وفي اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى فيسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته ولا يفشي له سراً ويذكر محاسنه ، ويعفو عن زلاته وهفواته ، وان يكون مخلصاً ووفياً له ، والا يكلف صديقه ما يشق عليه من مهمات بل يرفهه بالتفقد لاحواله والتواضع له والقيام بحقوقه (١٠٤) ومع هذا فالغزالي لا ينصح بالاكثار من الاصدقاء (١٠٥). وطريق الغزالي في الصحبة والصداقة والاخوة والمحبة حسن الخلق ، (١٠٦) ولذا فهو يرى ان على رجل الخير ان يتواضع لاخوانه ويحسن الى كل منهم ولا يؤذى احداً منهم ثم يذهب الغزالي ابعد من ذلك فيتطلب استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لا حد عليك حق (١٠٧) . والغزالي مع هذا يعلم جيداً ان الناس جبلوا ان يذم بعضهم بعضاً ويغتاب بعضهم بعضاً وذلك من الحسد في المال والجاه والعلم (١٠٨) ولذا فالغزالي ينصح المرء بان يطلب من صديق مخلص ان يعرفه عيوب نفسه حتى يتخلص منها بالرياضة والمجاهدة ، وفي الوقت نفسه ينصح بعدم مجالسة الفساق (١٠٩) فهو يمدح المخلصين ويذم المرائين (١١٠) . وفي كل الاحوال يرى الغزالي ان أخلص الأحبة يصحبون من يحبون الى القبر ، ولكن في القبر

يتركون صاحبهم وحده (١١١) ، فهو يريد ان ينتهي الى ان محبة الله هي المحبة الخالدة الدائمة .

الغزالي يحذر من كثير من الآفات الاجتماعية لا سيما التي تسبب القطيعة بين اثنين ، مثل المزاح ، ففي رايه ان الافراط في المزاح يكثر الضحك ويميت القلب ويورث الضغينة ويسقط المهابة والوقار (١١٢) . وكذلك الحسد لأنه يورث البغضاء والقطيعة (١١٣) ، وكذلك النحل ، ويذكر الغزالي ايضاً الكبر وهو ان يرى الانسان نفسه فوق غيره في صفات الكمال فيحصل فيه نفخة وهزة من هذه الرذيلة (١١٤) . وكذلك العجب واستعظام النفس (١١٥) : ولا ينسى الغزالي ان يشير الى ان طريق اصلاح اخلاق النفس يكون بالمجاهدة والرياضة (١١٦) .

يخصص احمد بن محمد بن يعقوب الملقب بمسكويه فصلاً كاملاً عن الصداقة في كتابه (تهذيب الاخلاق) (١١٧) انه يعطي أهمية كبيرة للصداقة فيبدأ نظريته في الصداقة مقرراً انها ضرورة في الحياة . وكما ان الانسان لا يستطيع العيش منفرداً بعيداً عن المجتمع كذلك لا يقدر انسان ان يستغني عن الاصدقاء . ان مسكويه يرى ان كل انسان يجد تمامه وكماله عند صاحبه ، لان الانسان مطبوع على النقصان ، ولهذا فالحاجة تدعو الى التعاون مع الاشخاص الآخرين حتى يتحقق الفعل النافع الكامل (١١٨) كما ان من الجدير بالذكر ان الصداقة والمحبة تعنيان كلمة واحدة عند مسكويه ، ولا يريد بالمحبة : العشق . .

من الملاحظ ان مسكويه يذكر ارسطو في كثير من صفحات كتابه تهذيب الأخلاق ، كما انه يشير الى كتاب (الأخلاق النيقوماخية) لارسطو . وبما اننا نرى ان هناك كثيراً من التشابهات بين وجهتي نظر الفيلسوفين ، وفي الوقت نفسه نستطيع ان نقرران مسكويه قد تأثر بأفكار الأخلاق النيقوماخية لارسطو ، ولا بأس اذن ان نذكر التشابه بينهما وهما يعالجان موضوع الصداقة .

ولا سيما ان ارسطو قد خصص مقالتين (كتابين كاملين عالج فيهما مشكلة الصداقة في كتابه الاخلاق النيقوماخية (١١٩) ولا بأس ان نذكر ايضاً الأفكار التي تأثر بها مسكويه بارسطو ، اذ لابد ان اطلع مسكويه على كتاب الاخلاق

النيقوماخية لارسطو ، الذي كان متداولاً في دوائر الفلاسفة ، اذ ان الكتاب قد ترجم من قبل حنين بن اسحق (١٢٠) .

يقول ارسطو ان الانسان لا يستطيع ان يعيش بعيداً عن المجتمع ، وقد شاعت مقولة ارسطو : ان الانسان مدني بالطبع ، ولذا فيرى أغلب المفكرين والمتعلمين ان ارسطو اول من اشار الى تلك الحقيقة ، مع العلم ان استاذه افلاطون قد سبقه الى ذلك ، فقد ذكر باسهاب ان سعادة الانسان تكون في المجتمع (١٢١).

والصداقـة عند ارسطو (١٢٢) نوع من الفضيلة ، فهي ضرورة للحياة ولا احد يستطيع ان يعيش بلا أصدقاء ، الاغنياء من الناس والفقراء ، بل ان ارسطو يؤكد ان الانسان كلما زاد غنى وجاهاً وسلطاناً شعر بالحاجة الى الاصدقاء ، لانه بواسطة الاصدقاء يحفظ غناه ويقوي جاهه ويعز سلطانه ، وكذلك الرجل البائس او الذي تعتوره شدة ما أو الذي يخاف من علة يقع فيها ، فليس له في هذه الحالات الا الأصدقاء يستشيرهم لتجنب الزلات وملاقاة الشدائد والتخفيف من البؤس والضيق وذلك بالاستماع الى نصائح الاصدقاء واخذ مشورتهم وقوة البأس بالاعتماد عليهم . ولا بد ان نشير هنا ايضاً الى ان كلمة المحبة عند ارسطو تعني الصداقة التي تقوم على الألفة والتعاطف بين الناس ،

يتفق مسكويه (١٢٣) صراحـة مـع ارسطو (١٢٤) ، بان الانسان محتـاج الى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال ، وذلك انه عند سوء الحال يحتاج الى معونة الاصدقاء ، وعند حسن الحال يحتاج الى المؤانسة والى من يحسن اليه .

يرى مسكويه (١٢٥) ان الانسان لما كان صديقاً بالطبـع فان سعادته لاتتم الا عند اصدقاء ، ومن المحال ان يصل الانسان الى السعادة التامة بالوحدة والتفرد فالسعيد اذن من اكتسب الاصدقاء واجتهد في بذل الخيرات لهم ليسعدوا به ويسعد بهم .

كذلك يتفق مسكويه وارسطو في ان الصداقات تعقد متى كان التشابه حاصلا بين الاصدقاء . ويختلفان في نقطة ثانية في الموضوع نفسه . وهي ان ارسطو

يؤيد من يقول ان الاختلاف في الطبائع يكوّن الاتحاد ايضاً ، ولكن مسكويه [١٢٦] يبقى متمسكاً في التوافق بين الطبائع .

وبالرغم من ان ارسطو [١٢٧] لا يقرر رأيه هو صراحـــة في امر التآلف بين المتشابهين وانما يقول : ومنهم من قال ان التشابه بين الكائنات يكوّن الصداقة . وكذلك يأتي براي معاكس وينسبه لمفكرين آخرين فيقول : ويذكرون راياً مضاداً ان اصحاب المهنة الواحدة مثلا دائماً يتنافرون . ثم يضرب مثلا بهرقليطس الذي يقول ان النغم الجميل لايخلقه الا التضافر اما مسكويه فيقول ان الجواهر البسيطة اذا تشابكت واشتاق بعضها الى بعض تآلفت واذا تآلفت صارت شيئا واحداً .

الشيء الذي يلفت النظر في الفقرات السابقة ان مسكويه يقرر فكرته ويدلي بها صراحة بينما ارسطو ينسب الاقوال الى فلاسفة سابقين . ولابأس من ان نشير الى ان الفيلسوف الذي اشار الى تلك الحقائق هو افلاطون في محاورة (ليزيس) [١٢٨] وتثارهنا مسألة ، هي لماذا يصادق الانسان ؟ فيتفق ارسطو [١٢٩] ومسكويه [١٣٠] ، ان الانسان يحب ما يلائمه ، وهـــذا الملائم او النافـــع اما فيه لذة او منفعة او خير . اسباب الصداقة اذن عـــندهم ثلاثة : فبعض الناس يحب من اجـــل اللذة ، وان الشخص بهذه الحالة يصادق ويحب لاجل ما يجنيه من لذة شخصية . ويحلل مسكويه هذا النوع من المحبة ، فيقول انها تنعقد سريعاً وتنحل سريعاً لان اللذة غير ثابتة ، وانما تتغير حسب حالة الشخص المزاجية ، وما اذا قد افرط فيها اوانه بحاجة اليها . اما المحبة من اجل المنفعة فهي تشبه محبة اللذة الى حد بعيد ، اذ ان الشخص يحب من يرجو منه الكسب والمنفعة ، وهي كذلك صداقة تنحل سريعاً لان النفع غير ثابت بل متغير ، ولهذا اذا زالت اسباب المنفعة انعدمت الصداقة . وتكون صداقة اللذة غالباً بين الاحداث . فهي تكون سريعاً وتنحل سريعاً ، اما صداقة المنفعة فتنعقد غالباً بين الشيوخ والمسنين ، لان سببها الرئيسي تبادل المنفعة . اما محبة الخير فهي المحبة الكاملة والصداقة التي تدوم ولا تنحل سريعاً ، لانها غالباً ما تكون بين الاخيار من الناس ، وهدفها الرئيسي الخير ، لان الخيّر لنفسه يكون بالطبع خيراً لصديقه ، وان الصديق من هذا النوع ، اي

الصديق الذي هدفه الخير يكون في الوقت نفسه نافعاً لصديقه ، وان الصداقة من هذا النوع باقية لانها لاتنعقد من أجل لذة زائلة او مصلحة ذاتية . ان هدف هذا النوع من الصداقة ، برأي مسكويه، هو الخير، ولما كان الخير ثابتاً ، فاذن محبة من هذا النوع تكون باقية غير متغيرة . اما ارسطو فيرى ان صداقة من هذا النوع نادرة جداً ، لان الناس الذين هم على هذا المستوى من الخلق قليلون ، ولكن مع هذا فأرسطو يقول بوقوع مثل هذه الصداقات ، ولكنه يرى انها تحتاج الى الوقت حتى تزداد التجارب بين الصديقين ويعرف كل منهما ان صديقه جدير بالمحبة من قبل صديقه فتزداد الثقة بمرور الايام .

ومع ان ارسطو ومسكويه يقرران ثلاثة انواع من المحبة كما ذكر اعلاه — الا ان مسكويه يضيف نوعاً رابعاً ، وهو المتركب من الأنواع الثلاثة السابقة ، اي انها تجمع بين اللذة والمنفعة والخير ، ويضيف مسكويه [١٣١] قائلاً ان هذا النوع من المحبة ينعقد بطيئاً وينحل بطيئاً .

الصداقة الحقــة عند ارسطو [١٣٢] هي صداقة الأخيار ، لان صداقة اللذة والمنفعة زائلتان بزوال اللذة والمنفعة بين المتصادقين من أجل اللذة او المنفعة ، اما صداقة الأخيار فهي الصداقة الكاملة الدائمة ، لان الاخيار وحدهم الذين يهدفون الى خير اصدقائهم ، بعكس اصدقاء اللذة والمنفعة الذين يهدفون الى لذتهم ومنفعتهم وحدهم فحسب . ولهذا فان ارسطو يرى ان صداقات اللذة وصداقات المنفعة ليست صداقات بالمعنى الأكمل ، وانما تقال صداقات تشبهاً بالصداقات الصحيحة التي تربط بين الأخيار من الناس والذين يحب بعضهم بعضاً ويصادق احدهم الآخر من حيث انهم اخيار وافاضل ، ويكون بالتالي الهدف من صداقاتهم ومحبتهم هو الخير والفضيلة . ان الرجل الفاضل عندما يحب صديقه يريد خيره وفي الوقت نفسه يريد خير نفسه ، وهكذا يكون الخير متبادلاً بالمساواة بين الصديقين لان كلاً منهما يهدف الى خير صديقه ، وهكذا يتحقق التوازن بين الاصدقاء ، وهكذا تدوم صداقة الأخيار .

يرى مسكويه [١٣٣] ان كل انواع المحبات تنحل ويزول اثرها الا المحبة الآلهية ،

وذلك عندما يصفو الجوهر الآلهي في الانسان ويتخلص من اصناف الشهوات فيشتاق الى شبهه ويتخلص من اصناف الشهوات فيشتاق الى شبهه ويرى بعين عقله الخير الاول المحض الذي لا تشوبه مادة فاسرع اليه ، وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الاول عليه فيلتذ به لذة لا تشبهها لذة ، ويصير الى الاتحاد التام .

ان محبة اللذة – برأي مسكويه (١٣٤) – تنتهي بزوال السبب الذي هو اللذة فمثلاً اللذة المشتركة بين الرجل والمرأة هي سبب المحبة بينهما ، بالرغم من وجود خيرات مشتركة ومنفعة مختلفة بين الرجل وزوجه ، فهما يتعاونان على الخيرات التي بها يعمران المنزل ، لان الرجل يكسب الخيرات وينتظر من زوجته ضبط تلك الخيرات لانها هي التي تحفظ وتدبر ، اما اذا قصر احدهما اختلفت المحبة وحدثت الشكايات وربما تنقطع الصلة بينهما او تبقى مع اللوم والشكوى .(١٣٥)

يضرب مسكويه مثلاً على المحبات المختلفة والتي اسبابها مختلفة ، اذ يقول انها ايضاً سريعة التحلل مثل محبة احد المتحابين لاجل المحبة ، ومحبة الآخر لاجل اللذة كالمحبة بين المغني والمستمع ، لان المغني يحب المستمع للمنفعة والمستمع يحب المغني لاجل اللذة (١٣٦) وكذلك المحبة بين العاشق والمعشوق (١٣٧) احدهما يلتذ بالنظر والآخر ينتظر المنفعة . ويذكر مسكويه (المحبة اللوامة) اذ يحدث اللوم من كل جانب على الجانب الآخر ، وكل يشعر ان الثاني هو المقصر بحقه فيحدث التظلم والشكايات . يعرج مسكويه بعد ذلك على محبة الأخيار التي يراها لا تكون للذة ولا لمنفعة ، بل هدفها تحقيق الخير والفضيلة بين الصديقين ، ولهذا فان هدف المحبة يكون النصيحة والعدالة والتساوي ولا يبقى مجال للمخالفة والنزاع . ولهذا يكاد ارسطو ان يقرر استحالة امكان قيام صداقة كاملة ، أو أنه يشك بتحقيق قيام صداقة كاملة ، فهو يقول انه ليس بامكان الشخص ان يكون محبوباً ومصادقاً صداقة كاملة من اناس كثيرين ، كما ان الانسان بطبعه لا يمكنه ان يتجه الا الى شخص واحد ، ومع هذا اذا فرض ان اعجب شخص بآخر واتجه كل الى صديقه اتجاهاً كلياً فتأتي بعدها خطوات تالية كأن يجرب كل منهما الآخر وان يكونا دائماً على تماثل ووفاق في الخلق ، ولكن هذا على غاية في

الصعوبة . اما الأمر في صداقة اللذة والمنفعة فيمكن لشخص ان يرضي مجموعة من الناس لا سيما الفتيان . كما ان المرء اذا كان صاحب جاه او مال او سلطان، فما اكثر اصدقائه وتنوع اهدافهم وغاياتهم . ومع ان ارسطو يرى ان صداقة اللذة والمنفعة غير كاملتين وغير ثابتتين ، الا إنه يشير بانهما تبنيان على المساواة في الأخذ والعطاء بين المتحابين .

ان مسكويه [١٣٨] ينصحنا بالتصبر والتأني باختيار الاصدقاء لا سيما وان الانسان يظهر للآخرين على غير حقيقته فيبذل ما له وهو بخيل ليقال عنه انه جواد ، ويقدم في بعض المواطن على بعض المخاوف ليقال عنه انه شجاع ، ومع هذا لا ينصحنا مسكويه بالاكثارمن الاصدقاء لصعوبة الوفاء بحقوقهم جميعاً، وربما تنتهي به الحال فيقصر بحقهم ، ولذا فهو ينصح بعد التبصر في اخلاق الآخرين واختيار سجاياهم والابتعاد عن اولئك الذين يميلون الى اللذات والغلبة والتعالي ، او اولئك الذين يميلون الى اللهو والمجون ، فاذا وجد الانسان شخصاً واحداً بريئاً من هذه الخلال فليتخذه صديقاً وليحتفظ به وليرغب فيه ، وينتهي مسكويه الى القول : وليكتف بواحد ان وجد فان الكمال عزيز .

يرى مسكويه [١٣٩] في مجال صداقة الوالد للولد وصداقة الولد للوالد ، ان محبة الولد للوالد تبقى ناقصة حتى يدرك الولد ويعقل فضل والده فيزيد تعظيمه ومحبته له ، ولهذا وصّى الله تعالى الولد بوالده ولم يوص الوالد بولده . ولهذا فعند مسكويه ان يعرف كل حقه فيكرم الأب كرامة ابوية ، ويكرم السلطان كرامة سلطانية ويكرم الناس بعضهم بعضاً كرامة اخوية.ويجب ان يحفظ هذا بالعدالة، لان اذا زاد او نقص تعرض للفساد وتتحول المحبة الى التباغض وتبطل الصداقات ، ثم ينهي مسكويه ذلك بنهجه الاسلامي ، فيقول إن ذلك ضد النظام الذي رتبه الله لخلقه ورسمه بالشريعة وأوجبه بالحكمة الخالدة .

ان المحبة الحقيقية عند مسكويه [١٤٠] ، والتي لا تشوبها شائبة ، هي محبة العبد لخالقه ، وهذه المحبة تتصل بها الطاعة والتعظيم ويتلوها محبة الوالدين ، اما محبة الحكماء فهي بنظر مسكويه [١٤١] اشرف واكرم من محبة الوالدين ،

لان شرفهم يكون لنفوسنا وعن طريقهم نصل الى السعادة التامة ، ولهذا فمحبـة طالب الحكمة لمعلمه من جنس محبة الانسان لربه ، وذلك لاجل الخير العظيم الذي يشرف عليه ويصل اليه ، وللرجاء الكريم الذي لا يتحقق الا بعنايته ولا يتم الا بمطالعته ، فالمعلم عند مسكويه اذن والد روحاني ورب بشري واحسانـه احسان إلَهي لانه يربيه بالفضيلة ويغذيه بالحكمة ، فله الفضل على النفس والعقل ، ولما كان كل من العقل والنفس افضل من الجسد ، فمحبة الحكيم تقدم على محبة الوالد . ومع هذا فان على الانسان ان يعطي كلاً حقه من المحبة والعشرة الطيبة ، وان يعطي كلاً ما يستحقه من الكرامة وان يجري امره مع الاصحاب في توفية حقوقهم واعطائهم ما هو خاص بهم . اما ارسطو (١٤٢) فعندما يشير الى الصداقة التي تتعلق بشخصين يختلفان في السن او المنزلة كالوالد وولده والزوج وزوجه والرئيس ومرؤوسه ، فبالرغم من انه يرى ان هناك فروقات بين هذه الانواع من المحبات ، فالمحبة بين الآباء والأبناء تختلف عنها بين الزوج وزوجه ، وكذلك تختلف عن المحبة بين الملك ورعيته . وهو يرى ان الصداقة متينة بين الآباء والأبناء ، لان الآباء اعطوا الحياة للاولاد ، كما ان ارسطو (١٤٣) يرى ان على الرئيس ان يكون محبوباً من مواطنيه اكثر مما يكون هو محباً لهم . ولكن عندما يعالج العلاقة بين الصداقة والمساواة ، فيرى انه كلما زادت المسافة كلما وهنت الصداقة ، فمثلاً الملوك لا يفكر احد ان يكون صديقهم ، وكذلك ينطبق المثل على أهل الثروة والجاه والمنزلة العالية . ثم يعرج الفيلسوف بعد ذلك مذكراً بعدم قيام صداقة كاملة وذلك ان الشخص يريد الخير لنفسه قبل ان يريده لصديقه لان بالرغم من ان الاصدقاء يتمنون خير اصدقائهم الذين يحبونهم ، ولكن لا يريدون ان يكونوا خيراً منهم ، لان المسافة ستتسع وتنقطع الصداقة . وان مسكويه (١٤٤) يرى ان المساواة مفقودة في صداقة ذوي السلطان لان هؤلاء يظهرون الصداقة وكأنهم متفضلون ومحسنون الى من يصادقونهم . ويلفت ارسطو (١٤٥) النظر الى ان أغلب الناس يؤثرون ان يكونوا محبوبين من ان يكونوا محبين ، ولهذا السبب فاكثر الناس يحبون الذي يتملقهم لان المتملق يحاول ان يكون محباً اكثر مما يكون

محبوباً . وان مما لا شك فيه ان المحبوب يكون محترماً ، وان الاحترام هو ما يسعى اليه الانسان . ولكن مع هذا فان مزية الصديق المخلص الذي يحب صديقه جدير بالاحترام لان الحب هو الفضيلة الكبرى للاصدقاء ، ولهذا فكلما كانت المحبة متبادلة بين الأصدقاء كلما قويت صداقتهم ودامت ، فالمساواة والمشابهة اذن ضروريتان لثبات الصداقة لاسيما اذا كان الهدف مبيناً على الفضيلة ، اذ أن الصديق الفاضل يجنب صديقه دائماً الوقوع في الخطايا ، اما الأشرار فلا تدوم صداقتهم لان اللذة الموقتة والمنفعة المتبادلة هي هدفهم وليست الفضيلة .

يتفق ارسطو [١٤٦] ومسكويه [١٤٧] ، ان الصداقـــة لا تتم الا بالاجتماع ، اما المحبة او الصداقة التي تتأتى عن طريق القرابة فانها مشتقة من المحبة الأبوية ، لأن الآباء يحبون الابناء باعتبار انهم جزء منهم ، والاولاد يحبون آباءهم باعتبار انهم منحوهم كل ما هم عليه ، بالرغم من ان الآباء يحبون ابناءهم اكثر مما يحب الأبناء آباءهم . والأخوة يحبون بعضهم لانهم من ارومة واحدة ، وربما كان الوفاق وتقارب السن ان يكوّن الصداقة بين الإخوة ، وكذلك ابناء العمومة يتحابون على درجة اصول القربى المشتركة بينهم ، والزوج وزوجه يتكامل حبهما اذا كان كل منهما صالحاً ، فتضاف فضيلة كل منهما الى الحب والمودة المتبادلـــة بينهما .

بالرغم من ان ارسطو [١٤٨] يشترط المساواة التامة بين الصديقين ، ولكن مع هذا يقول ان الأطيب يجوز ان يكون صديقاً للذي يقل عنه طيبة ، فان المساواة في المحبة لها أهمية كبيرة في دوام الصداقة ، أما اذا لم تكن المساواة حاصلة في المحبـــة فلا تبقى الصداقة ولا تدوم الا بقدر من المحبة يتميز بها احد الصديقين . والعتاب لا يحصل بين الأصدقاء الأخيار ولكن الشكوى تكثر عند اولئك الذين يرجون من صداقتهم لذة او منفعة ، لا سيما محبة المنفعة فهي معرضة للعتاب واللوم لان كلاً من الصديقين يريد ان يحوز المنفعة لنفسه على حساب الآخر . ويلتفت ارسطو الى طبيعة العلاقة فيما اذا كان أحد الصديقين ارفع من الآخر وما ينتج عن ذلك من اختلافات ، وربما ان كلاً من الاثنين يتصور انه يستحق اكثر مما ينال

من صديقه ، فيحدث بينهما الشقاق ، وربما تنقطع الصداقة لان الشخص الانفع لا ينال حظاً من المساواة فتتحول الصداقة الى استرقاق ، مع ان الرجل الفاضل والذي له حظ وفير لا فائدة ترجى منه اذا لا ينتفع بذلك الفضل صديقه . ويقر ارسطو انه يستحيل ان يؤدي كل امرئ للآخر على وجه التمام ، ويضرب مثلاً لذلك فان فضل الوالدين علينا كبير ، ولكن من ذا الذي يستطيع ان يوفيهما حقهما بالتمام والكمال .

ولذا فان في الصداقات التي لا يكون فيها الصديقان متشابهين تماماً ، فالذي يحفظ لهما توازنهما هو وضع معيار للاخذ والعطاء ، او بكلمة اخرى يكون هناك تناسب في اسداء المعروف كل منهما للآخر وفي كل الاحوال فان الواجب على الصديق ان يحاسب نفسه فيما اذا لقي الخير من صديقه ان يقابله بالخير ، حتى ان ارسطو نفسه لا يستطيع ان يقرر كيف يفي المرء من احسن اليه ، ويقول ان هذه المشكلة شائكة ، ويكتفي بالقول ان على الشخص ان يبرئ ذمته ويفي دينه ، هذا بالرغم من أنه لا توجد مقاييس حقيقية في القيام بوفاء حق المعروف لذلك الغير للذي اسداه ، ولكن مع هذا توجد اعتبارات اخلاقية عامة ، فمثلاً يجب أن نبدي الاحترام للذين هم اكبر سناً منا ، وكذلك ينبغي الصراحة والاخلاص مع الاخوة ، وان يؤدي كل منا مع الانداد ما امكنه من الرعاية الواجبة عليه .

ان مسكويه [١٤٩] يقيس اخلاقية الصديق بالاستفسار عن حالته مع والديه واخوته وعشيرته ، فاذا كان صالحاً معهم فيرجى منه الصلاح والا فالبعد منه اولى . ثم ينهي مسكويه المثل ، وهو ينحو منحي اسلامياً كعادته في معالجة الامور فيقول ينبغي ان نتبع أمر هذا الشخص ، فاذا كان قد شكر من يجب عليه شكره او كفره بالنعمة ؟ هل كافأ على ما لاقاه من احسان ؟ أو اثنى على صاحبه واعتد به ؟ ثم يقول مسكويه باسلوب المتوعد للكافرين بالنعمة : « وليس شئ اشد احباطاً للنعمة من الكفر وحسبك ما اعده الله للكافر نعمته من النقم مع تعاليه عن الاستضرار بالكفر . ولا شئ اجلب للنعمة ولا أشد تثبتاً لها من الشكر ، وحسبك ما وعد الله به الشاكرين مع استغنائه عن الشكر فتعرف هذا الخلق ممن تريد

مؤاخاتاه ، واحذر ان تبتلي بالكفور للنعم المستحقر لأيادي الاخوان » .

تواجه ارسطو ومسكويه مشكلة اخرى تخص علاقة الصديقين ، وكيف الامر بهما اذا لم يستطيعا ان يواصلا صداقتهما ، وهل يجب قطع الصلة بينهما تماماً ؟ ام يبقيان على نوع معين من الترابط ؟ اذ ربما انخدع احد الصديقين بالآخر ، فمثلاً يكون احد الاثنين لا يحب الا من أجل اللذة والمنفعة والآخر يحبه حباً قلبياً ، او ان احدهما يقدم للآخر حبه واخلاصه كاملين بينما الآخر لم يفعل شيئاً تجاه صديقه .

يرجع ارسطو[١٥٠] الى الأخذ بالمساواة والمشابهة بين الأصدقاء ولكن الصعوبة تكون عندما تبعد المسافة بين الصديقين كأن تزيد فضيلة احد الصديقين ويبقى الآخر على ما كان ، او يتقدم احدهما بالعلوم العقلية ويبقى الآخر قاصراً ، فهنا تختلف الاحساسات فيما بينهما ايضاً ، وبدون تبادل الاحساسات لا تكون صداقة مطلقاً. ولكن مع هذا فارسطو لا ينصح بقطع العلاقة الفورية مطلقاً ، فيرى مساعدة الصديق واصلاحه والعناية به ، اما اذا لم يعد هناك امل في الاصلاح وعدت المسافة كبيرة واختلفت المشابهة فلا بأس اذن في ان يقطع المرء علاقته بصديقه هذا ويبتعد عنه . ولكن مع هذا فان ارسطو يرى انها معاملة قاسية ان تكون مع هذا الصديق وكأنك لم تعرفه من قبل ، فينبغي اذن الاحتفاظ بذكرى العلاقة القديمة بل المفروض في هذه الحالة ان يكون الانسان اشد عطفاً على صديقه اذا فاقه في الفضيلة ، لا سيما وهو يرتبط معه في ماض واحد ، اما القطيعة التامة فيجيزها ارسطو اذا اخطأ الصديق بحق صديقه خطأ لا يغتفر .

اما مسكويه [١٥١] في هـذا المجال فلا ينصح الانسان الذي اعجبته عند صديقـه كثيراً من الفضائل ، بأن يتتبـع صغار عيوبه ، لان كل انسـان بنظر مسكويه لا يخلو من المعايب ، فكما انك ترى فيه صغار المعايب ، فربما هو يرى فيك الشيء نفسه ، ولهذا فعلى الاثنين ان يغضّنا عن الهفوات لان الشخص الذي يتتبع في كل صديق صغار معايبه لا يبقى له صديق وسيبقى يعيش وحده .

كما ان مسكويه ينهي نصائحه بهذا الشأن فيقول : واحذر عداوة من صادقته او خالطته مخالطة الصديق ، ثم يستشهد بقول الشاعر :

عدوك من صديقك مستفاد   فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه   يكون من الطعام أو الشراب

يحذر مسكويه (١٥٢) الصديق الذي تميز بعلم ان يبخل على صديقه بذلك الفن ، لان العلم يختلف عن غيره من متاع الدنيا فهو لا ينقص اذا أخذ احد عن الآخر ، بل انه يزكو ويزيد ، ولذا فيقبح باهل العلم ان يبخلوا بعلمهم على الطالبين . ويشير (١٥٣) ارسطو ومسكويه (١٥٤) الى أن الصديق هو انت الا انه بالشخص غيرك ، ولهذا فان شعور المرء الحقيقي نحو صديقه يتأتى من شعور المرء نحو ذاته ، فهو يحب صديقه حباً نزيهاً كما تحب الأمهات اولادهن فهو اذن يتحد مع صديقه في الذوق حتى ليسر عند سروره ويحزن حزنه ، وهذه في الحقيقة مزية الرجال الأخيار ، لان متى كملت فضيلة الرجل يحب المرء صديقه كتلك المحبة التي يشعر بها تجاه نفسه ، اي ان حب الصديق ينبع من حب المرء لذاته . ثم ارسطو يتساءل ، هل الافضل ان يؤثر الانسان حب نفسه على الآخرين ام الأحسن ان يحب الآخرين ؟ مع ان الذين يفرطون في حب انفسهم ندعوهم انانيين ، وان الأشرار من الناس هم الذين تهمهم ذواتهم فقط ، وان الرجل الفاضل الذي يعمل الخير في مصلحة صديقه وينسى منفعته الخاصة . ولكن ارسطو يرد قائلاً ان هذه الفرضيات تناقض الواقع تماماً مع اننا نعجب بالذي يحب صديقه ، وان أحسن صديق بنظرنا هو ذلك الذي يريد باخلاص مصلحة صديقه ، ولاجل ذلك الصديق نفسه . ولكن مع هذا فارسطو يرى ان احساس الصداقة يبدأ من الفرد ذاته ثم ينتقل الى الآخرين ، ولذا فان المرء هو صديق نفسه ، وهو أشد صداقة لها من أي كائن كان . وحتى لو تزاحم الناس على الفضيلة فان رجل الخير يربح ربحاً عظيماً لانه يطبع عقله ، وحتى لو ان الرجل الفاضل ضحى بثروته لصديقه فستكون الثروة للصديق ، اما هو فسينال الخير الذي هو احسن

مائة مرة من الثروة ، وهكذا هو فرجل الفضيلة يحظى دائماً بالنصيب الاكبر من الخير .

علاقة المحسِن والمحسَن اليه قضية ينتبه اليها ارسطو [١٥٥] بدهشة ، ويشير اليها مسكويه [١٥٦] ايضـــاً . ان المحسنين يحبون ويرعون المحسنين اليهم اكثر بكثير مما يحب هؤلاء اولئك وان هذه المفارقة لا يصدقها العقل اول الأمر لان الاولين دائنون وان الأخيرين مدينون . وعند تحليل الامر يتضح ان المدينين يتمنون زوال الدائنين بينما الدائنون يرون انهم اسدوا معروفاً لهم بالجميل ، بينما المدينون قلما يفكرون بالنعم التي اسديت لهم او يفكرون فيما يجب عليهم لهم من المقابل .

ان الانسان يريد ان يتقبل المعروف لا يصنعه ، واذا كان الذين يصنعون المعروف يحبون المحسن اليهم ، بالرغم من ان الأخيرين غير قادرين على رد المعروف ، فالمسألة تشبه صنيع الفنانين مع اعمالهم والشعراء مع اشعارهم وشعور النساء تجاه اولادهن ، فالشخص المنعم عليه هو صنيعة المنعم ، والصانع يحب صنيعته اكثر مما يحب الصنيعة صانعه ، وذلك للجهد الذي قام به الصانع تجاه عمله . والملاحظ ان الانسان يكون اكثر تعلقـــاً بالشيْ الذي كلفـــه تعباً وجهداً . ان القطعة الفنية لو نطقت لما شعرت بالحب نفسه الذي يكنه لها الفنان ، وهذا ما يذكرنا باسطورة بجماليون . كما اننا نلاحظ ان الاشخاص الذين حصلوا اموالهم بانفسهم اكثر حرصاً عليها من اولئك الذين جاءتهم عن طريق الارث ، ولهذا فان المحسن اليه لا يرى اية مشقة ، بينما المنعم يكلفه ذلك جهداً ومشقة .

تبرز امام مسكويه [١٥٧] وارسطو [١٥٨] مشكلة عدد الأصدقاء الذين يستطيع الانسان ان يتخذهم ويسايرهم في حياته . مسكويه يقرر ان الصديق الاول الذي يتحلى بكل الصفات الكاملة والذي يحب بافراط والذي يعتز به دائماً لا يمكن ان يكون اكثر من واحد . اما اصحاب المنافع والملذات فهم كثير بين الجمهور ولكن ينصح مسكويه بالاكتفاء منهم بالقليل ويشبه ذلك كالملح بالنسبة للطعام . أما ارسطو فيوصي بالاعتدال في عدد الأصدقاء ، اذ لا يستطيع المرء ان يعيش بلا اصدقاء ولا مع اصدقاء كثيرين. فبالنسبة لاصدقاء المنفعة والذين تقيمهم العلاقات الاجتماعية

فلا حاجة الى قدر من امثال هؤلاء ، لان من الصعوبة على المرء ان يدفع جميع صنوف المعروف وربما يصير امثال هؤلاء عائقاً للسعادة . اما بالنسبة لاصدقاء اللذة ، فيكفي منهم القليل ، اما الاصدقاء الأخيار فبالرغم من انهم رجال فضيلة ولكن لا يمكن لانسان ان يعيش مع مجموعة كبيرة فيقسهم وقته بينهم ويشاطرهم جميعاً الأفراح والاتراح ، كما ان الانسان نفسه لا يمكن ان يخلص الاخلاص كله لاشخاص عديدين ،ويضرب ارسطو مثلاً بالعشق الذي هو افراط في المحبة ، اذ لايوجه الا الى شخص واحد فقط كما انه يشير الى انه لا يشاد بصداقات مشهودة مخلصة الا تلك الصداقات المعقودة بين شخصين .

ولما كان كل من مسكويه [١٥٩] وارسطو [١٦٠] يشبهان الصداقة التي فيها افراط في المحبة يشبهانها بالعشق ، وبما ان الانسان يحصل على حاجاته الأساسية وينال سعادته في الاجتماع ، فلا بأس اذن من ان يجتمع الاصدقاء دائماً وان يكثروا من اللقاء أو يعيشوا عيشة مشتركة او يجتمعوا . معاً سواء للشرب والأكل او بلعب او لدرس الفلسفة ، لان صداقة الأخيار تنمو بالعشرة ، على عكس صداقة الأشرار التي تفسد باللقاء لانهم لا يتبادلون الا اشر الاحساسات ويفسد بعضهم بعضاً في اغلب الأحيان .

ولا بأس أن انهي البحث في نصائح مسكويه[١٦١]الذي ينصح الصديق ان يشارك صديقه وقت الرخاء ، وان يتلقاه بالوجه الطلق والبشاشة والارتياح دون ان ينتهي الى الاسراف والملق في ذلك ، كذلك فان مشاركته في الضراء اوجب اذا اصابته نكبة او الحقته مصيبة فتكون المواساة بالنفس والمال . والاعظم ان لا يسأل الصديق صديقه اذا احتاجه تصريحاً او تعريضاً ، بل على الصديق ان يطلع على دواخل صديقه ويسبقه الى ما في نفسه ويخفف عنه ما استطاع الى ذلك سبيلاً .

(١) لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، ج ١٠ ص ١٩٤ – ١٩٥ .
(٢) لسان العرب ، ج ١١ ص ٢١٧ .
(٣) ناجي التكريتي : الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام ، دار الاندلس – بيروت ١٩٧٩ ص ٢٥٩ .
(٤) ياقوت : معجم الادباء ، القاهرة ١٩٢٨ ج ٥ ص ٣٨٠ .
(٥) ابن المقفع : الادب الصغير ، بيروت ١٩٦٠ ص ٣ .
(٦) الادب الصغير ص ٦ – ٧ .
(٧) الادب الصغير ص ١٤ .
(٨) الاد ب الصغير ص ١٥ .
(٩) الادب الصغير ص ١٦ .
(١٠) الادب الصغير ص ١٧ .
(١١) الادب الصغير ص ١٨ – ١٩ .
(١٢) الادب الصغير ص ٢٠ .
(١٣) الادب الصغير ص ٢١
(١٤) الادب الصغير ص ٣٢ – ٣٣ .
(١٥) الادب الصغير ص ٢٣ .
(١٦) الادب الصغير ص ٢٨ – ٢٩ .
(١٧) الادب الصغير ص ٣٥ .
(١٨) الادب الصغير ص ٣٧
(١٩) الادب الصغير ص ٣٨ – ٣٩ .
(٢٠) الادب الصغير ص ٤٠ .
(٢١) الادب الصغير ص ٤٢ – ٤٣ .
(٢٢) الادب الصغير ص ٤٦ .
(٢٢) الادب الصغير ص ٤٦ .
(٢٣) الادب الصغير ص ٤٨ .
(٢٤) الادب الصغير ص ٤٩ .
(٢٥) الادب الصغير ص ٥١ ، ٥٢ .
(٢٦) الادب الصغير ص ٥٢ .
(٢٧) الادب الصغير ص ٥٣ .
(٢٨) الادب الصغير ص ٥٣ .
(٢٩) الادب الصغير ص ٥٥ – ٥٧ .
(٣٠) الادب الكبير ص ٦٥ .
(٣١) الادب الكبير ص ٦٩ .
(٣٢) الادب الكبير – بيروت ص ٧١ – ٧٢ .
(٣٣) الادب الكبير ص ١٠٤

(٣٤) الادب الكبير ص ١٠٧ .
(٣٥) الادب الكبير ص ١٠٨ – ١٠٩ .
(٣٦) الادب الكبير ص ١٠٨ .
(٣٧) الادب الكبير ص ١١١ – ١١٣ .
(٣٨) الادب الكبير ص ١١٥ – ١١٦ .
(٣٩) الادب الكبير ص ١١٦ .
(٤٠) الادب الكبير ص ١٢٢ .
(٤١) الادب الكبير ص ١٢٥ .
(٤٢) الادب الكبير ص ١٣٦ .
(٤٣) الادب الكبير ص ١٣٥ .
(٤٤) الادب الكبير ص ١٣٨ .
(٤٥) الادب الكبير ص ٨٣ .
(٤٦) الادب الكبير ص ٨٥ .
(٤٧) محمد كاظم الطريحي : الكندي بغداد ١٩٦٢ (رسالة دفع الاحزان) ص ١١٦ – ١١٧ .
(٤٨) رسالة دفع الأحزان ص ١١٠
(٤٩) رسالة دفع الاحزان ص ١١١
(٥٠) ابو بكر الرازي : رسائل فلسفية تحقيق بول كراوس ، القاهرة ١٩٣٧
(كتاب الطب الروحاني – فصل « في دفع الغم ص٦٣ – ٦٩ ») .
(٥١) مسكويه : تهذيب الاخلاق – تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت ١٩٦٦ وما بعدها ص ٢١٩ .
(٥٢) الكندي : رسائل الكندي الفلسفة = تحقيق ابي ريدة ، القاهرة سنة ١٩٥٠
ج ١ ص ١٧٢ – ١٧٣ .
(٥٣) رسائل الكندي ج ١ ص ٢٧٣ – ٢٧٥ .
(٥٤) الكندي : رسالة في دفع الاحزان ص ١١٧ .
(٥٥) رسائل الكندي ج ١ ص ١٦ .
(٥٦) رسائل الكندي ج ١ ص ١٦ .
(٥٧) ابو بكر الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ١٧ – ٢١ .
(٥٨) الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٨٠ .
(٥٩) الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٣١
(٦٠) الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٢٧ .
(٦١) انظر الكتاب الثاني من جمهورية افلاطون .
(٦٢) الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٨٢ .
(٦٣) الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٣٣ – ٣٥ .
(٦٤) الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٣٥ – ٤٦ .
(٦٥) الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٣٧ . انظر ايضاً : (من كتاب اللذة) ص
١٤٨ – ١٥٥ .

(٦٦) افلاطون : طيماوس (الترجمة الانجليزية) ترجمة جويت (محاورات افلاطون) الطبعة الرابعة ، اكسفورد ١٩٦٩ ، مجلد اول ، فقرة ٦٤ – ٦٥ .
(٦٧) افلاطون : فيدون (الترجمة الانجليزية) ترجمة جويت (محاورات افلاطون) الطبعة الرابعة ، اكسفورد ١٩٦٩ مجلد اول ، فقرة ٦٠ .
(٦٨) دكتور علي سامي النشار وجماعته : هرقليطس فيلسوف التغيير الاسكندرية ١٩٦٩ ص ٧٦ .
(٥٩) دكتور علي سامي النشار وجماعة : ديمقريطس فيلسوف الذرة = الاسكندرية ١٩٧٢ ص ١١٢
(٧٠) الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٤٦ – ٤٧ .
(٧١) الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٥٢
(٧٢) الرازي : رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٩١ .
(٧٣) الرازي : رسائل فلسفية (كتاب السيرة الفلسفية) ص ١٠٨ – ١١٠ .
(٧٤) القفطي : تأريخ الحكماء = مكتبة المثنى – بغداد مصورة ص ٢٧٣ .
انظر ايضاً : ابن ابي اصيبعة : طبقات الاطباء بيروت ١٩٦٥ ص ٤١٦ .
ابن النديم : الفهرست ، ط . ليبزك ١٨٧٠ ص ٢٩٩ ، ط . القاهرة – بدون تاريخ – ص ٤٣٠ .
(٧٥) ابو حيان التوحيدي : رسالة الصداقة والصديق = تحقيق ابراهيم كيلاني ، دمشق ١٩٦٤ ص٩
(٧٦) ابو حيان التوحيدي : المقابسات = تحقيق حسن السندوبي ، القاهرة ١٩٢٩ ص ٣٥٩ .
(٧٧) ابو حيان التوحيدي : المقابسات ص ٣٥٩ – ٣٧٨ .
(٧٨) ابو حيان التوحيدي : رسالة الصداقة والصديق ص ٢ – ٣ .
(٧٩) ابن حزم : الاخلاق ،الاسكندرية – بدون تاريخ – ص ١٧ – ٢٣ .
(٨٠) ابن حزم : الاخلاق ص ١٧ .
(٨١) ابن حزم : الاخلاق ص ١٧ .
(٨٢) ابن حزم : الاخلاق ص ١٨ .
(٨٣) ابن حزم : الاخلاق ص ١٨ .
(٨٤) ابن حزم : الاخلاق ص ١٨
(٨٥) ابن حزم : الاخلاق ص ١٨ .
(٨٦) ابن حزم : الاخلاق ص ١٨ .
(٨٧) ابن حزم : الاخلاق ص ١٩
(٨٨) ابن حزم : الاخلاق ص ٢٠ .
(٨٩) ابن حزم : الاخلاق ص ٢١ .
(٨٩) ابن حزم : الاخلاق ص ٢٣ .
(٩٠) ابن حزم : الاخلاق ص ٢٣ .
(٩١) يحيى بن عدي : تهذيب الاخلاق تحقيق ناجي التكريتي ، بيروت ١٩٧٨ ص ٨٠ .
(٩٢) يحيى بن عدي : تهذيب الاخلاق ص ٨٩ .
(٩٣) يحيى بن عدي : تهذيب الاخلاق ص ٩٨ .
(٩٤) يحيى بن عدي : تهذيب الاخلاق ص ١٠٥ – ١٠٨ .

(٩٥) يحيى بن عدي : تهذيب الاخلاق ص ١١٠ .
(٩٦) يحيى بن عدي : تهذيب الاخلاق ص ١٢٧ .
(٩٧) يحيى بن عدي : تهذيب الاخلاق ص ١٣١ – ١٣٢ .
(٩٨) ابن ابي الربيع : سلوك المالك = تحقيق ناجي التكريتي ، بيروت ١٩٧٨ ص ١٢٨ – ١٣٠ بالنظر لاختلاف وجهات النظر حول الزمن الذي عاش فيه ابن ابي الربيع ، هل هو القرن الثالث الهجري او القرن السابع الهجري ، ارجو ملاحظة ذلك في الصفحات ٧ – ٩ من مقدمة الكتاب .
(٩٩) الغزالي : احياء علوم الدين ،دار المعرفة ، بيروت – بدون تاريخ – ج ٢ ص ١٥٧ .
(١٠٠) الغزالي : احياء علوم الدين ج٢ ص ١٥٩ .
(١٠١) الغزالي : احياء علوم الدين ج٢ ص ١٦١ .
(١٠٢) الغزالي : احياء علوم الدين ج٢ ص ١٦٤ .
(١٠٣) الغزالي : احياء علوم الدين ج٢ ص ١٧٠ – ١٧٣ .
(١٠٤) الغزالي : احياء علوم الدين ج٢ ص ١٧٣ – ١٩١ .
(١٠٥) الغزالي : احياء علوم الدين ج٢ ص ٢٣٥ .
(١٠٦) الغزالي : ايها الولد بيروت ص ٣٥ .
(١٠٧) الغزالي : ايها الولد ص ٢٥ .
(١٠٨) الغزالي : ايها الولد ص ٢٩ .
(١٠٩) الغزالي : احياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٣٠ .
(١١٠) الغزالي : احياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٩٣ .
(١١١) الغزالي : ايها الولد ص ٢٧ .
(١١٢) الغزالي : الاربعين في اصول الدين ص ١١٥ .
(١١٣) الغزالي : الاربعين في اصول الدين ص ١٢
(١١٤) الغزالي : الاربعين في اصول الدين ص ١٤٨ .
(١١٥) الغزالي : الاربعين في اصول الدين = القاهرة – بدون تاريخ – ص ١٥٧ .
(١١٦) الغزالي : الاربعين في اصول الدين ص ١٧٩ .
(١١٧) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٣٥ – ١٧٣ .
كذلك انظر جواب مسكويه عندما يسأله ابو حيان التوحيدي عن طبيعة العلاقة والأخوة بين شخصين . الهوامل والشوامل القاهرة ١٩٥١ ص ١٣١ – ١٣٣ .
(١١٨) مسكويه : تهذيب الاخلاص ص ١٣٥ .
(١١٩) المقالتان : الثامنة والتاسعة .
(١٢٠) ناجي التكريتي : انتقال الفلسفة اليونانية الى العربية ، مجلة المورد ١٩٧٥ ، مجلد رابع ص ٧٢ – ٧٦ .
(١٢١) جمهورية افلاطون = (بالانجليزية) ترجمة جويث كسفورد ١٩٠٨ الكتاب الثاني فقرة ٣٧٢ .
(١٢٢) ارسطو : الاخلاق ٢٧٢ – ٢٧٣ (١١٥٥ أ) ، ص ٣٣٠ (١١٧١ أ) .

ترجمة اسحق بن حنين ، تحقيق عبدالرحمن بدوي، الكويت ١٩٧٩ ! .
(١٢٣) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٥٦ .
(١٢٤) ارسطو : الأخلاق ص ٣٢٤ – ٣٢٨ (١١٦٩ ب – ١١٧٠ ب) .
(١٢٥) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٥٥ .
(١٢٦) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٣٦ .
(١٢٧) ارسطو : الاخلاق ص ٢٧٤ – ٢٧٥ (١١٥٥٥ أب) .
(١٢٨) افلاطون : ليزيس (بالانجليزية) ترجمة جويث اكسفورد ١٩٦٩ مجلد أول (محاورات افلاطون) الطبعة الرابعة ، الفقرات ٢١٣ – ٢١٨ .
« ليزيس تبحث في معنى الصداقة ، ولابد من الاشارة الى ان ارسطو تأثر بهذه المحاورة وهويكتب آراءه في الصداقة » .
(١٣١) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٣٥ – ١٣٦ .
(١٣٢) ارسطو : الاخلاق ص ٢٧٧ – ٢٨٢ (١١٥٦ أ – ١١٥٧ ب) .
(١٣٣) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٣٩ .
(١٣٤) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٤٠
(١٣٥) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٤٢ – ١٤٣ .
(١٣٦) مسكويه .: تهذيب الاخلاق ص ١٤٣ .
(١٣٧) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٤٤ .
(١٣٨) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٥٧ – ١٦٠ .
(١٣٩) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٤٥ – ١٤٦ .
(١٤٠) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٤٧ .
(١٤١) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٤٨ .
(١٤٢) ارسطو : الاخلاق ص ٢٨٦ – ٢٩٠ (١١٥٨ ب – ١١٥٩ ب) .
على ذكر استحالة قيام صداقة كاملة ، او ان المرء صديق نفسه ، يقال ان ارسطو كان يحاضر تلامذته في موضوع الصداقة فطلبوا منه ان يلخص رأيه في الصداقة بجملة واحدة ، فاجاب ارسطو على الفور ساخراً : يا اصدقائي – ليس هناك صديق ! .
(١٤٣) ارسطو : الاخلاق ص ٢٩٨٣ – ٢٩٧ (١١٦٠ أ – ١١٦١ ب) .
(١٤٤) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٤٥ .
(١٤٥) ارسطو : الاخلاق ص ٢٨٩ – ٢٩٠ (١١٥٩ أ ب) .
(١٤٦) ارسطو : الاخلاق ص ٣٠٥ (١١٦٣ ب – ١١٦٤ أ) .
(١٤٧) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٣٥ ، ص ١٥٥ ، ص ١٦٧ – ١٦٨ .
(١٤٨) ارسطو : الاخلاق ص ٢٨٨ – ٢٩٠ (١١٥٨ ب – ١١٥٩ ب) .
(١٤٩) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٥٨ – ١٥٩ .
(١٥٠) ارسطو : الاخلاق ص ٣٠٠ – ٣٠٤ (١١٦٢ أ – ١١٦٣ ب) .

(١٥١) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٦٠ .
(١٥٢) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٦٤ .
(١٥٣) ارسطو : الاخلاق ص ٣١٤ (١١٦٦ أ) .
(١٥٤) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٤٤ ، ١٥٠ .
(١٥٥) ارسطو : الاخلاق ص ٣١٨ - ٣٢٤ (١١٦٧ ب - ١١٦٩ ب) .
(١٥٦) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٥٢ - ١٥٤ .
(١٥٧) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٥٥ .
(١٥٨) ارسطو : الاخلاق ص ٣٢٨ - ٣٣٤٠ (١١٧٠ ب - ١١٧١ أ) .
(١٥٩) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٣٧ .
(١٦٠) ارسطو : الاخلاق ص ٣٣٢ (١١٧١ ب - ١١٧٢ أ) .
(١٦١) مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ١٦٠ - ١٦٢ .

★ ★ ★

فائت نظائر الظاء والضاد

الدكتور
حاتم صالح الضامن
كلية الآداب ــ جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــة

في العدد السابق من مجلة المجمع العلمي العراقي الغراء نشرنا كتاب (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) لابن مالك ، وفيه ثلاث وثلاثون لفظة تكتب بالظاء فيكون لها معنى ، وتكتب بالضاد فيكون لها معنى آخر . وعند تتبعي لهذه النظائر وقفت على ألفاظ اخرى بلغت أربعاً وخمسين لفظة أخلّ بها كتاب ابن مالك فارتأيت نشرها لتكون تتمة لنظائر ابن مالك رحمه الله تعالى ، وسرت في ترتيبها على النهج الذي سار عليه ابن مالك الذي له فضل السبق ، ولا أدعي الكمال لبحثي هذا فالكمال لله وحده جلّ وعلا وفوق كل ذي علم عليم .

والله أسأل أن يوفقني الى اخلاص النية في العمل ، وأن يرزقني الصبر عليه والإتقان له ، إنه سميع مجيب .



(حرف الهمزة)

الأرض والأرظ :

قال ابن السيد البطليوسي : زعم بعض أهل اللغة أنّ الأرظ بالظاء قوائم الدابة خاصة وما عدا ذلك فهو أرض بالضاد ، وهذا غير معروف [1] .

الأَضْلال والأَظْلال :

الأضلال بالضاد وفتح الهمزة جمع ضَلَل ، وهو الماء الجاري تحت الحجارة أما الأظلال بالظاء فهو جمع الظل [2] .

الأَفْضاض والأَفْظاظ :

الأفضاض ، بالضاد وفتح الهمزة ، جمع الفضض ، وهو الماء العذب .
والأفظاظ ، بالظاء وفتح الهمزة ، جمع الفظ من الرجال [3] .

أَفْضَعَ وأَفْظَعَ :

يقال : أفضع الانسان بالضاد : إذا جَعَسَ وأحْدَثَ .
ويقال : أفظع الأمر بالظاء : إذا اشتدّ وشَنُعَ [4] .

أمضّ وأمظّ :

يقال : أمضني الجرحُ إمضاضاً أي آلمني وأوجعني .
ويقال : أمظّ العودَ الرطبَ يمظّه إمظاظاً : إذا تركه حتى تذهب رطوبته [5] .

---

(١) ابن السيد ١٧٥ .
(٢) ابن السيد ١٥٣ .
(٣) ابن السيد ١٥٥ .
(٤) الصاحب ٧ ، اللسان والتاج (فضع ، فظع) .
(٥) ابن السيد ١٧٤ ، اللسان والتاج (مضض ، مظظ) .

الإنْضار والإنْظار :

الإنضار بالضاد ، مصدر أنضر الله وجهه أي حسّنه ، ومصدر أنضر الشجر إذا حَسُنَ .

أمّا الإنظار بالظاء فهو التأخير (٦) .

(حرف التـاء)

التّعْضيب والتّعْظِيب :

التعضيب بالضاد : كثرة القطع أو الكسر .

والتعظيب بالظاء : خشونة اليد من العمل (٧) .

التّعْضيل والتّعْظِيل :

التعضيل بالضاد : مصدر عضَّلَتِ المرأة بولدها إذا نَشِبَ في بطنها عند الولادة ، وعضلت الأرض بأهلها إذا ضاقت .

والتعظيل بالظاء : مصدر عضّلَت الكلاب : إذا تسافَدَتْ ، وعَظّلَت الجراد : إذا ركب بعضُه بعضاً (٨) .

(حرف الجيم)

الجائض والجائظ :

الجائض بالضاد : العادل عن الشيء .

والجائظ بالظاء : الذي يتبختر في مشيته مع سمن وكثرة لحم (٩) .

---

(٦) ابن السيد ١٤٦ ، اللسان (نضر ، نظر) .

(٧) ابن السيد ١٣٧ .

(٨) ابن السيد ١٣٩ ، اللسان (عضل ، عظل) .

(٩) ابن السيد ١٤٤ .

الجَضّ والجَظّ :

الجَضُّ بالضاد : مصدر جضّ غلبه بالسيف ، إذا حمَل عليه .

والجَظُّ بالظاء : الضخم . ويقال : إنّ الجَظّ أيضاً : النكاح [١٠] .

(حرف الحاء)

حَضارِ وحَظارِ :

حَضارِ بالضاد : كوكب يشبه سهيلاً .

وحَظارِ بالظاء : اسم للفعل مبني على الكسر بمنزلة نزالِ . ومعناه احظُرْه عن الشيء أي امنعه منه [١١] .

الحِضار والحِظار :

الحِضار بالضاد : الجَرْيُ . والحِضار أيضاً : الثور الأبيض . والحِضار : البيض من الإبل . والحِضار : حقيبة تلقى على البعير على هيئة الرحْل .

والحِظارُ بالظاء : حائط الحظيرة ، وهي الزَّريبة [١٢] .

الحَضَر والحَظَر :

الحَضَرُ بالضاد : الحاضرة .

والحَظَرُ بالظاء : احظرارُ النبْتِ [١٣] .

الحَضِيرة والحَظِيرة :

الحَضِيرة بالضاد : الجماعة من القوم يغزون .

والحَظِيرة بالظاء : ما أحاط بالشيء ، وهي تكون من قصب وخشب [١٤] .

---

(١٠) الأنباري ٩٨ ، الحميري ١٨ .

(١١) ابن السيد ١٤٣ .

(١٢) الصاحب ٩ – ١٠ ، ابن السيد ١٤٢ .

(١٣) ابن السيد ١٤١ . وفي اللسان (حظر) بكسر الظاء .

(١٤) الصاحب ٩ ، ابن سهيل ٣٢١ .

الحَضيض والحظيظ :

الحضيض بالضاد : المُغْرَى بالشيء . والحضيض : أسفل الجبل .

والحظيظ بالظاء : السعيد من الرجال الذي له حظّ (١٥) .

الحِفاض والحِفاظ :

الحِفاض بالضاد : جمع حَفَض ، وهو متاع البيت ، والحَفَض أيضاً : الجُوالق يوضع فيه المتاع ، والحَفَض : الصغير من الإبل .

والحفاظ بالظاء : مصدر حافظت على الشيء محافظة وحِفاظاً : إذا راعيته ولم تُضيّعه (١٦) .

الحَفيضَة والحَفيظَة :

الحفيضة بالضاد : اسم أرض ، وقد جاءت في شعر الأعشى .

والحفيظة بالظاء : الغضب (١٧) .

الحَنْضَلَة والحَنْظَلَة :

الحنضلة بالضاد : قَلْتٌ في صخرة يجتمع فيه الماء .

والحنظلة بالظاء : شجر معروف . والحنظلة أيضاً : المرأة القصيرة ، فإنّها شُبِّهَتْ بالحنظلة (١٨) .

(حرف الخاء)

الخَضْرَفَة والخَظْرَفة :

الخضرفة بالضاد : العجوز . وقيل : هرم العجوز واسترخاء لحمها .

---

(١٥) ابن السيد ١٤١ .

(١٦) ابن السيد ١٦٥ .

(١٧) ابن السيد ١٦٤ . وينظر : ديوان الأعشى ١٩١ .

(١٨) ابن السيد ١٦٦ . ولم يرد المعنى الثاني لحنظلة في اللسان والقاموس المحيط .

والخظرفة بالظاء : سعة خطو البعير إذا مشى [19] .

(حرف الراء)

رَبَضَ ورَبَظَ :

ربض بالضاد : برك .

وربظ بالظاء : سار [20] .

(حرف الضاد)

ضافَ وظافَ :

ضاف بالضاد من قولهم : ضافَ الرجل يضيفه إذا نزل عليه ضيفاً ، وضاف السهم عن الغرض ضوفاً إذا عدل .

وظاف بالظاء من قولهم : ظُفْتُ البعير أظوفه ظوفاً إذا قيّدته وقاربت بين خفيه [21] .

الضاهِر والظاهِر :

الضاهر بالضاد : حجر يعرض في الجبل يخالف لونه ؛

والظاهر بالظاء : البارز المنكشف من كل شيء [22] .

الضائِر والظائِر :

الضائر بالضاد : اسم فاعل من قولهم : ضارَهُ يضيره ويضوره بمعنى ضَرَّه يَضُرُّه .

---

(١٩) ابن السيد ١٥٩ . وينظر : اللسان (خضرف) .

(٢٠) ابن مالك ٤٨ ، أبو حيان ١١٩ . ولم تذكر (ربظ) في المعجمات .

(٢١) ابن السيد ١٥٥ — ١٥٦ . وينظر : اللسان (ضوف ، ضيف) .

(٢٢) ابن السيد ١٦٧ .

والظائر بالظاء : اسم فاعل من قولهم : ظأرتُ الناقةَ إذا عَطَفتها على الحُوار ، وظأرتُه على الأمر إذا أكرهته عليه (٢٣) .

الضَبُّ والظَبُّ :

الضَبّ بالضاد : الحقد . والضَبّ : حيوان معروف . والضَبُّ : داء يأخذ في الشفة . والضَبُّ : القبض على الشيء بالكف . والضَبُّ : ورم يكون في صدر البعير ، وقيل في خُفِّه .

والظَبُّ بالظاء : الرجل المهذار (٢٤) .

الضَّرِب والظَّرِب :

الضَّرِب بالضاد : يقال : رجل ضَرِب أي شديد الضرب .

والظَّرِب بالظاء : المكان الذي فيه الحجارة المحدَّدة . والظَّرب : الجبل المنبسط على الأرض . وعامر بن الظرِب العدواني (٢٥) .

الضَرُّ والظَرُّ :

الضَرُّ بالضاد : ضد النفع .

والظرُّ بالظاء : قطع الظرَّان ، وهي الحجارة المحدَّدة (٢٦) .

الضَّرَى والظَّرَى :

الضرى بالضاد : العادة .

والظرى بالظاء : انجماد الماء لشدة البرد فإذا شربته الماشية أَضَرَّبها (٢٧) .

الضَّعْنُ والظَّعْنُ :

الضعن بالضاد : كسر شيء أجوف كالعنب والبيض ، وهو كالقدح .

---

(٢٣) ابن السيد ١٥٦ .

(٢٤) الصاحب ٢٠ ، الحميري ٦ ، اللسان (ضبب) ، أبو حيان ١٢٨ . وينظر : الجيم ١٩٩/٢

(٢٥) ابن السيد ١٤٨ .

(٢٦) ابن السيد ١٤٥ ، الحميري ٨ – ١٠ .

(٢٧) ابن السيد ١٥٩ ، أبو حيان ١٣٣ .

والظعن بالظاء : الارتحال . والظعن : القبة التـــي تحمل فيها الظعينة . والظعن : خرقة الحيض [٢٨] .

الضَّفَر والظَّفَر :

الضَّفر بالضاد: حقْفٌ طويل عريض من الرمل ، يقال بفتح الفاء وتسكينها .
والظَّفر بالظاء : الفَوز بما طلبته [٢٩] .

الضَّفُّ والظَّفُّ :

الضَّفُّ بالضاد : أنْ تحلب الناقة بكفَّك كلها .
والظَّفُّ بالظاء : أنْ تشدَّ قوائم البعير وغيره من الدواب [٣٠] .

الضَّلُّ والظَّلُّ :

الضَّلّ بالضاد : الداهية .
والظَّلّ بالظاء : أصله الستر ، ومنه ظِلّ الشمس وظِلّ الجنة وظِلّ الشجر ، والظِلّ : سواد الليل [٣١] .

الضَّنينُ والظَّنينُ :

الضنين بالضاد : البخيل .
والظنين بالظاء : المتهم [٣٢] .

(حرف العين)

العِضام والعِظام :

العِضام بالضاد : عسيب البعير .

(٢٨) الصاحب ٢٠ . ولم يرد (الضعن) بالضاد في المعجمات . وكذا لم يرد المعنى الأخير للظعن
(٢٩) ابن السيد ١٤٨ .
(٣٠) ابن السيد ١٥٤ — ١٥٥ .
(٣١) ابن السيد ١٥١ — ١٥٢ . وينظر : بصائر ذوي التمييز ٥٣٧/٣ .
(٣٢) الصاحب ١٩ ، الحميري ١٤ — ١٦ ، أبو حيان ١٣٠ .

والعِظام بالظاء : جمعُ عَظْمٍ [٣٣] .

(حرف الغين)

غاضَ وغاظَ :

غاض بالضاد : يُقال : غاض الماء : إذا قلَّ وغار .

وغاظ بالظاء : يُقال : غاظه أي أغضبه [٣٤] .

(حرف الفاء)

فاض وفاظ :

فاض بالضاد : يُقال : فاض الماء إذا زاد وخرج عن مستقره :

وفاظ بالظاء : يُقال : فاظ الرجل : إذا مات [٣٥] .

الفضا والفظا :

الفضا بالضاد : الشيء المختلط . والفضا : التمر والزبيب يُخلطان .

والفظا بالظاء : ماء الرحم [٣٦] .

الفَضيض والفَظيظ :

الفضيض بالضاد : الشيء المكسور . وهو أيضاً الماء السائل أو العَرَق .

والفضيض أيضاً : الطابع المفضوض عن الكتاب .

والفظيظ بالظاء: الكرش التي اخرج ما فيها من الماء ، وهو شيء يفعلونه في الأسفار إذا عدموا الماء [٣٧] .

---

(٣٣) الأنباري ٩٩ .

(٣٤) الصاحب ١١ ، الحميري ٦٥ .

(٣٥) الصاحب ١٥ – ١٦ ، الحميري ٦٦ ، ابن مالك ٩٣ . وينظر : تهذيب الألفاظ ٤٥٠ ، جمهرة اللغة ١٢٣/٣ ، الزاهر ٣٥٩/٢ ، الإبدال ٢٦٧/٢ ، الاقتضاب ٢١٨ – ٢١٩ .

(٣٦) ابن السيد ١٧٩ .

(٣٧) ابن السيد ١٦٩ .

(حرف القاف)

القَرْضُ والقَرْظُ :

القرض بالضاد : القطع بالمِقراض . والقرض أيضاً : مصدر قَرَض البعير جِرَّتَه إذا مضغها ، ومصدر قرضت المكان : إذا عدلت عنه يمنةً أو يسرةً .

والقرظ بالظاء : دبغ الجلد بالقَرَظ ، وهو ورق السَّلَم (٣٨) .

قَعَضَ وقَعَظَ :

قعض بالضاد : يُقال : قَعَضَ الشيءَ : إذا عَطَفَهُ .

وقعظ بالظاء : يُقال : قَعَظَ الرجلَ أمرٌ : إذا غَمَّهُ (٣٩) .

(حرف الكاف)

الكضكضة والكظكظة :

الكضكضة بالضاد : سُرعة المشي .

والكظكظة بالظاء : امتلاء السقاء (٤٠) .

(حرف اللام)

اللَّضُّ واللَّظُّ :

اللض بالضاد : يقال : رجلٌ لَضٌّ : أي مطرود من موضع الى موضع .

واللظ بالظاء : الشديد الإلحاح والملازمة (٤١) .

---

(٣٨) ابن السيد ١٦٨ وينظر النبات ١٠٥ .

(٣٩) ابن مالك ٤٥ ، أبو حيان ١٥٠ . وفي اللسان والقاموس المحيط (قعظ) : أقعظ .

(٤٠) الأنباري ٩٩ ، الحميري ٢٣ . والكضكضة لم ترد في اللسان وهي في القاموس المحيط .

(٤١) ابن السيد ١٥٧ .

(حرف الميـم)

المرض والمرظ :

المرض بالضاد : الداء .

والمرظ بالظاء : الجوع (٤١أ) .

المضاضة والمظاظة :

المضاضة بالضاد : الحُرْقَةَ والوجع .

والمظاظة بالظاء : الوقوع في الشر والخصومة (٤٢) .

المَضَرَّةُ والمَظَرَّةُ :

المضرة بالضاد : ضد المنفعة .

والمظرة بالظاء : الأرض ذات الحجارة المحددة (٤٣) .

المقيضة والمقيظة :

المقيضة بالضاد : البيضة التي خرج منها الفرخ . وبئر مقيضة : كثيرة الماء .

والمقيظة بالظاء : نبات يبقى أخضر الى القيظ يكون عُلْفَةً للابل إذا يَبِسَ ما سواه (٤٤) .

(حرف النون)

نَضَرَ ونَظَرَ :

نضر بالضاد : يقال : نَضَرَ وجهه أي حَسُنَ .

(٤١ أ) ابن مالك ٤٦ ، الحميري ١٤٤ .

(٤٢) ابن السيد ١٧٤ .

(٤٣) ابن السيد ١٤٦ .

(٤٤) ابن السيد ١٦٢ ، اللسان والتاج (قيض ، قيظ) .

ونظر بالظاء : يقال: نظر بعينه الى الشيء : إذا أراد أنْ يراه . ونَظَرَ بقلبه : إذا فكّر وتدبر الشيء . ونظره بمعنى انتظره [٤٥] .

النّضْرَةُ والنّظْرَةُ :

النضرة : النعمة والحسن .

والنظرة بالظاء : المرة الواحدة من النظر أو من الانتظار . ويقال : بفلانٍ نَظْرَةٌ أي سوء حال ، وبه نَظْرَةٌ من الجِنّةِ [٤٦] .

نَضّ ونَظّ :

نَضّ بالضاد : يُقال : نَضّ الماء : إذا سال .

ونَظّ بالظاء : يُقال : نَظّ فلان على الشيء : إذا ألحَّ عليه [٤٧] .

نَضّفَ ونَظّفَ :

نَضَّف بالضاد : يُقال : نَضَّفَ الانسانُ طعامه تنضيفاً فهو منضَّف : أي جعل فيه النّضَفَ ، وهو شجر يُتداوى به وهو الصعْتَر :

ونَظّفَ بالظاء : يُقال : نظّفَ الشيء تنظيفاً : إذا نقّاه [٤٨] .

النّضْمُ والنّظْمُ :

النضم بالضاد : الحنطة السمينة واحدتها نَضْمَةٌ .

والنظم بالظاء : التأليف . والنظم : ما نظمته من لؤلؤٍ وخرز وغيرهما .
والنظم : المنظومُ ، وصف بالمصدر [٤٩] .

نَعَضَ ونَعَظَ :

نَعَضَ بالضاد : يُقال : ما نَعَضَ فلان شيئاً أي ما أصاب .

ونَعَظَ بالظاء : يُقال : نَعَظَ الذكَرُ أي قام وانتشر [٥٠] .

---

(٤٥) ابن السيد ١٤٧ ، الحميري ٥٤ – ٥٦ .
(٤٦) ابن سهيل ٣٢١ ، ابن السيد ١٤٧ .
(٤٧) الصاحب ١٤ . ونظ بالظاء أخلت بها المعجمات .
(٤٨) الحميري ٥٩ .
(٤٩) اللسان (نضم ، نظم) ، أبو حيان ١٤٦ .
(٥٠) ابن مالك ٤٢ ، اللسان (نعض ، نعظ) ، أبو حيان ١٤٥ .

النَّكْضُ والنَّكْظُ :

النكض بالضاد : الدَّفْعُ .

والنكظ بالظاء : العَجَلَةُ [٥١] .

(حرف الواو)

الوَضِرُ والوَظِرُ :

الوَضِر بالضاد : من الوَضَر ، وهو الدَّرَنُ والزَّهَمُ .

والوَظِر بالظاء : الملآن الفَخِذين والبطن من اللحم [٥٢] .

وَضَفَ ووَظَفَ :

وضف بالضاد : يُقال : وَضَفَ البعير وأَوْضَفَ : إذا سار سيراً سريعاً .

ووظف بالظاء : يُقال : وَظَفَ الشيء : إذا تبعه ، ووَظَفَ الشيءَ على نفسه : ألزمها إياه [٥٣] .

تـمَّ فـائـت النظائـر

والحمد للـه أولاً وآخـراً

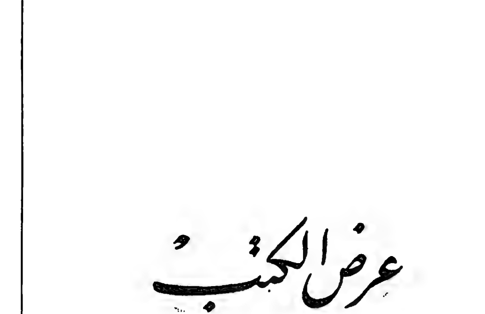
وهو حسبنا ونعـم الوكيـل

---

(٥١) الأنباري ٩٨ ، الحميري ٧٣ . والنكض بالضاد غير موجودة في المعجمات التي وقفت عليها . أما النكظ فقد جاء في مقاييس اللغة ٤٧٧/٥ : (النكظ : الدفع والعجلة) .

(٥٢) ابن السيد ١٥٨ ، الأنباري ١٠٠ ، الحميري ٥٩ . ولم ترد مادة (وظر) بالظاء في اللسان ، وهي في القاموس المحيط (وظر) .

(٥٣) ابن مالك ٨٤ ، أبو حيان ١٥٣ . وأخلت المعجمات بمادة (وضف) بالضاد .


عرض الكتب



معجم الشعراء
في لسان العرب

للدكتور ياسين الايوبي

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الاداب ــ جامعة بغداد

من المعاجيم الكبيرة التي قدمتها العقلية العربية المبدعة في آخر المائة السابعة والعقد الاول من المائة الثامنة معجم لسان العرب لابي الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم بن منظور الافريقي المصري المتوفى سنة ٧١١ للهجرة والذي امتــاز بمسألتين اساسيتين بين المعجمات الاخرى هي الاستقصاء والترتيب . وهو عمل كانت له دوافعه وأسبابه التي تتصل بارتباط اللغة بالقرآن والحديث وانتشار الجهل بين الناس بالعربية وافتخارهم بمعرفة اللغات الاجنبية ، وهي أسباب موجبة وعوامل اصيلة في حمل هذا العالم الفاضل على أن يخدم العربية بعمل رائد ، ويجمــع اجزاءها ومادتها من خمسة كتب لها مكانتها في الميدان اللغوي وهي تهذيب اللغة للازهري والمحكم لابن سيدة والصحاح للجوهري وحواشي ابن بري والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير . ومن الطبيعي ان يكون هذا السفر الخالد مرجعاً اساسياً لأن صاحبه من المعروفين بمعرفتهم بأسرار العربية وإحاطتهم بعلومها وقدرتهم على التمييز بين مصادرها ، وهذا ما جعل اللسان من اكثر المعجمات استقصاء للصيغ والمعاني ، وأشملها من حيث الاتساع للمواد المقدمة وايسرها من حيث ترتيب الابواب والفصول واكثرها من حيث الشواهد القرآنية والاحاديث النبوية والشواهد الشعرية والتفسيرات النحوية والصرفية والعناية بالنوادر والمرادف .

وقد حظي هذا المعجم باهتمام الدارسين وعناية الباحثين منذ أمد بعيد واعتُمد مصدراً من مصادر اللغة ، وموسوعة من موسوعات البحث لما اشتمل عليه من معارف ، واستشهد بها من نصوص ، ووقف عليها من نقول . ولا أريد الحديث عن هذا المعجم في هذا الغرض وانما وقفت عليه لعلاقتها بمعجم الشعراء الذين ورودوا في هذا المعجم والذي صنعه الدكتور ياسين الأيوبي رسالة دكتوراه بجامعة السوربون والذي قال عنه بانه (ثبت شامل لجميع الشعراء الذين استشهد بشعرهم ابن منظور [1] » .

إن الاهتمام الذي حظي به لسان العرب في النصف الثاني من المائة الرابعة عشرة الهجرية كان اهتماماً واسعاً ، وعناية بالغة لأنه اقترن بجمع الشعر الذي بدأت بوادره تستحوذ على كثير من الدارسين ، والذين وجدوا في هذا السفر العظيم مادة جديدة وشروحاً كثيرة وإشارات واضحة لشعراء كثيرين اهملتهم الأسفار ، وابتعدت عن العناية بهم كتب الأدب ، الى جانب الاهمية الكبيرة التي تعلق على هذا النفر من الشعراء لوقوعهم في دائرة الإستشهاد ، واعتمادهم في التصحيح اللغوي ، والأخذ عنهم في مجال التوثيق . وقد ظلت امنية فهرست هؤلاء الشعراء حلماً يراود هؤلاء الدارسين الذين تضطرهم عملية جمع الشعر الى تقليب اجزائه العشرين اكثر من مرة والرجوع اليه كلما وجدوا انفسهم بحاجة الى توثيق نص أو تصحيح رواية ، أو تأكيد لفظة أو اعتماد شرح . وكنا نسمع منذ فترة طويلة أن استاذاً فاضلاً من الديار الهندية قد صنع هذا الصنيع وطبعه على الآلة الكاتبة وان مكتبة الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة تحتفظ بنسخة من هذا المطبوع ، الا أننا على الرغم من مراجعاتنا الكثيرة والحاحنا على هـــذا الفهرست فقد عجزنا عن العثور عليه ، واخيراً علمنا أن استاذنا الكريم الدكتور خليل نامي يحتفظ بنسخة من هذا العمل فأطلعنا عليها استاذنا الكريم الدكتور حسين نصار وهي محفوظة في مكتبة الدكتور نامي . وعندما علمنا بعمـــل الدكتور ياسين الأيوبي استبشرنا خيراً ، وعقدنا الآمال الكبيرة لهذا المشروع الذي حدثت كثيراً

(١) الدكتور ياسين الايوبي / معجم الشعراء / ٦

من اخواني وطلابي عن ضرورة القيام به وتحليل الطريقة التي استخدمها ابن منظور ودراسة المعجم دراسة تحليلية ، والوقوف على المنهج الذي احتفظه لنفسه هذا العالم الجليل ، إلا إنني كنتُ أُجابه بالإعراض لصعوبة العمل ، وأشعر بالعزوف لما يتطلبه من تفرغ ويقتضيه من انصراف .

ان عمل الدكتور ياسين الايوبي عمل يستحق التقدير والاعتزاز لأنه من الاعمال التي سيذكر فيها اسمه كلما رجع باحث الى اللسان ، كما انه يشكل بداية جديدة لاعمال كثيرة تشبه هذا العمل من حيث التناول أو الاهتمام ، لأن كثيراً من امهات كتبنا بحاجة الى فهرسة امثال نهاية الأرب ونهج البلاغة وخزانة الأدب وتاج العروس وكتب التفاسير وبعض كتب الأدب وغيرها ، وهي كتب لها اهميتها في الدراسات المعاصرة . وبقدر ما حقق هذا العمل للدكتور الأيوبي من مآثر فانه جعله في موقع يتعرض من خلاله لتصحيحات العاملين في هذا المعجم ، والملازمين له ؛ لانهم سيقفون على مسائل — ربما تجاوزها الباحث سهواً — وهذا وحده سيترك الشك في النفوس عند الاعتماد ، ويدفع هذا البعض الى التريّث في قبول الأشارات التي وقف عليها أو اشار اليها أو حدّد موادها . وهما عمليتان اساسيتان في هذا المجال ولعل الملاحظة التي اوردها الباحث في هامش رقم (١) من الصفحة العاشرة والذي اشار فيه الى اخطاء الطباعة وفقدان بطاقات بعض الشعراء وغير ذلك .

واذا قُدّر لي ان اقف على بعض هذه الملاحظات فلا يعني ذلك انني سأبتعد عن الكتاب في حالة حاجتي اليه ، وانما سيظل هذا العمل واقعاً في الاعمال الكبيرة التي قُدّمت للمحققين والدارسين لاستقصاء البيت المفرد ، والخبر الضائع ، والحياة المغمورة .

ومن اجل ان تكون تعقيباتي واضحة حاولت أن أبدأ مع الباحث وإباشر بذكر الصفحات وما وقفت عليه من استدراكات ، والله اسأل ان يوفق الجميع ما دامت خدمة هذه الأمة العظيمة هي الهدف . وما دام الحرص على لغتها الشريفة هو الدافع .

• ص ٣٥ ذكر الباحث : أباق الدبيري وأشار الى بيت شعر في مـــادة (وضم) وفي اللسان (وضم) نسب البيت الى ابن أباق الدُبيري نقلاً عن ابن برّي وليس الى أباق الدبيري .

• ص ٣٥ ذكر الباحث : ابراهيم بن عمران الانصاري واشار الى مادة (قصب) وفيها خمسة ابيات . وفي اللسان (رقق) ذكر البيت الرابع ولم يشر اليه في هذه المادة .

• ص ٣٦ ذكر الباحث : للابيرد اليربوعي ٤ ابيات كفف ونزق وخرق . والصواب [نزف] .

• ص ٣٦ الاجدع بن مالك بن مسروق بن الاجدع .

١ — ورد له بيت في (شزن) وبيت في (شعا) اخل بهما معجم الشعراء .

٢ — أخلّ المعجم بالشاعر الأجلح بن قاسط حيث ورد له في اللسان بيت واحد في مادة [عرض] .

• أورد المعجم تحت اسم احمد بن جندل السعدي عبارة بيتان أو ثلاثة اشطر . والصواب ثلاثة اشطر .

• اورد صاحب اللسان للاحمر ثلاثة ابيات في مادة [حدد] و [غور] و [سود] وليس شطراً واحداً كما ذكر صاحب المعجم في [حدد].

• ذكر المعجم في شعر ابن احمر [سبت] مرة واحـــدة والصواب ورد شاهدان في هذه المادة .

• ص ٣٧ أخلّ المعجم بذكر شطر بيت في مادة [فضج] .

• ص ٣٧ أخلّ المعجم بذكر بيت في مادة [بدر] و[بصر] و[جبر] وبيتين في [جشر] وبيت في [حبر] و [حمر] و [حور] وفي [زبر] اشار صاحب المعجم الى ان عدد الشواهد الشعرية التي وردت في هذه المـــادة هي خمس والصحيح بيتان فقط .

• ص ٣٧ أخلّ المعجم ببيتين وردا في[نذر] واعتقد ان خطأً وقع في الطباعة فذكر في المعجم مادة [نزر] والصحيح [نذر] .

• ص ٣٧ أخلّ المعجم ببيت في مادة [وحر] و [خزز] واربعة ابيات في [عجز] وبيتين في[عزز] في حين اشار الى بيت واحد. وبيت في[أنس] وبيتين في [بنس] في حين اشار الى بيت واحد في [نبس] وهو من خطأ الطباعة كما اعتقد . .

ويقف الباحث الكريم عند مادة ملس . ويبدو ان سقطاً قد وقع فأختزلت شواهد ابن أحمر لأن الباحث الكريم قد ذكر في بداية الترجمة (٣١٨) بيتاً في حين ان الابيات التي اوردها وصلت الى مائة بيت وهذا دليل سقوط بقية الابيات في الطباعة وسأقف عند كل المواضع التي لم يشر اليها المعجم بعد مادة [ملس] [مَمَس] و [نحس] [و حنش] و [عرش] و [عوص] و [رضض] و [عرض] و [فضض] و [حلط] و [خمط] و [شرط] و [عطط] و [نطط] و [نوط] و [بقع] و [لزع] و [رضع] و [سرع] و[شجع] و [شكع] و[صقع] و [قلع] و [لمع] و [نجع] و [هرع] و [وقع] و [أنف] و [تنف] و [دعف] و [سكف] و[صنف] و [طرف] بيتان و[فوف] و [قفف] و [كفف] و [هجف] و [هفف] و [أرق] و [ألق] و [برق] بيتان و[خلق] و [رهق] و [صعق] و [طبق] بيتان و[طرق] بيتان و[طلق]و[عرق]و[علق]و[عنق] و[فتق] و [هبرق] و [وهق] و [ملك] و [ودك] ثلاثة ابيات و [بلل] و[بول] و [تلل] و [جحدل] و [جلّل] و[جول] و[حلل] و[حول] و[خيل] ثلاثة ابيات [وسلل] بيتان و [دكل] و [رطل] و [رعبل] و [رغل] و [زجل] و [زغل] و[سحل] و [سمل] و [قبل] و [قلل] و[نزل] و [هتمل] و[هركل] و [هلل] و [هول] و [تأم] و [تهم] و[حرم] و [حلم] و[دوم] و[ريم] و [صمم] بيتان و [غشم] و [قحم] و [لمم] و [هضم] و [أرن] بيتان و [جشم] و[جنن] بيتان و [حصن] و[حلن] و [دبن] و [ددن] و [ذنن] و [شزن] و [ضمن] و[عرن] و [فتن] و [قنن] و [كون] و [منن] و [منجنون] و [هجن] و[هوه]

و [أبي] بيتان و [بدا] و [بغا] و [بلا] بيتان وشطر في [بنى] وشطر في [جدا] و [جذا] و [حبا] و [حجا] بيت وشطر البيت و [حيا] وكرر بيت آخر في [حيا] و [خجا] و [دعا] بيتان و [ذرا] و [ربا] و [رنا] و [روى] و [زها] و [سقى] و [سنا] و [شرى] و[صدى] و [ضرا] و [عدا] و [عزا] و [غبا] و [غسا] بيتـــان و [قسا] و و [قضى] و [قفا] و [كرا] و [لطا] بيتان و [لقا] و [مرا] و[ندى] و [هدى] و [هوى] بيتان و [وعى] و [وقى] و [يدي] .

إن محاولة استقصاء شعر ابن احمر لا تعنى انني استطعت الوقوف على الجرد الكامل ولكنني اعتقد اذن الذي وقفت عنـــده يمثل المحاولة الأولى لاستكمال ما فات من أبيات .

* ابن احمر البجلي :

قال صاحب المعجم ٣ ابيات

ذكر [فرطح] وقد وقفت على بيت منها في [عزا] أخلّ به المعجم .

* الاحوص الانصاري :

قال صاحب المعجم [٣٠] بيتاً والمواضع التي اشار اليها هي سبعة وعشرون كما ذكرها في الصفحة ٣٩ . وسأحاول متابعة المواضع التي ذكرها .

أخلّ المعجم ببيت جاء في مادة [نشأ] .

وأخلّ ببيتين وردا في [مقد] وبيت في [قدم] و[سما] .

ووردت أسماء بعض الشعراء منهم الأحوص اليربوعي الذي أورد له صاحب اللسان بيتاً في [شأم] والأحول الكندي الذي اورد له صاحب اللسان بيتاً في [طها] وأخلّ بهما المعجم .

أحيحة بن الجلاح :

أخلّ المعجم ببيت شعر ورد في [شوع] وبيتين في [غرف] وبيت في [غضف] وبيت في [شول] و[ظلل] وبيتين في[عقل] ذكر منها صاحب

المعجم شاهداً واحداً . واربعة ابيات في [عيل] اشار الى واحد منها صاحب المعجم وثلاثة أشطار في [فحل] وبيت في [تخم] .

• ابو الأخزر الحُماني :

أخلّ المعجمببيت شعر ورد في [قمجر] وبيت ورد في [نصر] وشطر ورد في [يوم] .

• الأخطل :

هناك اربع ملاحظات تتعلق بشعر الإخطل يمكن الوقوف عليها في المعجم.

الأولى : تتعلق بإخلال المعجم بذكر بعض المواضع التي وردت فيها أبيات وأشطار للاخطل .

الثانية : الاقتصار على ذكر موضع واحد في مادة واحدة في حين أن صاحب اللسان ذكر اكثر من بيت .

الثالثة : اشارة صاحب المعجم الى ورود اكثر من بيت واحد في مادة واحدة في حين أن صاحب اللسان ذكر بيتاً واحداً في اللسان .

الرابعة : الأشارة الى ذكر ابيات وردت في مادة لم أجدْ لها وجوداًوسأحاول ذكرها حسب هذا التسلسل .

(١) أخلّ المعجم ببيت في كل من المواد الآتية : [زقب] و [ردد] و [ستر] و[عذر] و [سدس] و[حوش] و [وقع] و [نسغ] و[حبلق] و [حدق] و [وعق] و [أدم] و [أمم] وببيتين في [زرم] وبيت في [لجم] و [خظا] و [درى] و [رمى] و [زها] و [ضفا] وفي تصغير ذا وتا ص ٣٤٢ بيت واحد كرر في الصفحة ٣٤٣ من الجزء العشرين امـــا الاشطار التي أخلّ بها المعجم فهي [كذب] و[ثور] و[عطل] و[جنن] .

(٢) ذكر صاحب المعجم مادة [نبأ] باعتبارها اشارة واحدة في حين ان صاحب اللسان استشهد بثلاثة ابيات للاخطل في هذه المادة وفي مادة [ردب]

مرة واحدة في حين كان الاستشهاد ببيتين وفي [وجب] اشار الى استشهادين وهي اربعة وفي[جير] مرةوهي مرتان وفي[مور] مرة وهي مرتان وفي[هدر] مرة وهي مرتان و[عنقز] مرة وهي اربع وفي[همز] مرة وهي مرتان وفي[ربط] مرة وهي مرتان وفي [شرف] مرة وهي مرتان وفي [هرق] مرة وهي مرتان وفي[بذا] مرة وهي مرتان وفي [عفا] مرتان وهي اربع وفي [قذى] مرة وهي مرتان.

(٣) ذكر صاحب المعجم ان صاحب اللسان استشهد ببيتين للاخطل في [ضرر] والصحيح هو بيت واحد وكذلك في [سحق] و [شرق] .

(٤) اشار صاحب المعجم الى بعض المواد التي استشهد بها صاحب اللسان بالاخطل وعند مراجعتي اللسان لم أجدها وهي [نجد] و [كفف] و [خطل] و [تأم] الذي كان الشاهد فيه للاخطل بن ربيعة وليس لصاحبنا و [عدم] و[عمم] و[رزم]و[شمم] و[خطا] وأظن بعضها كان من اوهام الطباعة.

• **الأخنس بن شهاب التغلبي :**

أخلّ المعجم بذكر بيتين أوردهما صاحب اللسان في مادة [جفن] ونسبا للأخنس . ونسبهما صاحب المعجم الى الاخنس الُجهني وذكر انهما وردا في [جفن] منسوبين اليه وهو وهم .

ورد اسم شاعر هو الاخطل بن ربيعة وأورد له صاحب اللسان بيتين في [تأم] وقد أخلّ بهما المعجم .

• **أبو الاخوص الرياحي :**

ذكر صاحب المعجم (٥) ابيات في جلل وثنن وكون والصواب ان صاحب اللسان استشهد بخمسة اشطار رجز في [ثنن] وبيت في جلل وفي كون بيت نسب لابي الأحوص وليس لأبي الأخوص .

• **أدهم بن الزعراء :**

ذكر صاحب المعجم اربعة ابيات في قزع وحجل وبلم والذي تأيد من المراجعة ان صاحب اللسان لم يستشهد لهذا الشاعر في مادة [قزع] وفي [حجل]

استشهد ببيت واحد وبشطر في [لجم] .

• **أرطاة بن سُهيّة :**

ذكر صاحب المعجم اربعة ابيات في زهر ومرر وشخس ولم أجد في[زهر] استشهاداً وانما وجدت موضع الاستشهاد في [ظهر] .

الأزديّة :

شاعرة أخلّ بذكرها المعجم وقد أورد لها صاحب اللسان خمسة ابيات في الرثاء مع قصة طريفة في مادة [فوق] .

• **أسامة بن حبيب الهُذلي :**

أخلّ المعجم بثلاثة مواضع استشهدت بشعره هي [شجب] و [عطف] و [كده] وشطر في [محص] . ولم اجد استشهاداً في [كد] الذي ذكره صاحب المعجم ووجدت بيتين في [نزه] وثلاثة اشطار في [عدا] ولم يُشر صاحب المعجم الى ذلك كما اعتاد أن يصنع عندما يجد اكثر من استشهاد في المادة .

• أخلّ المعجم بذكر بعض الشعراء الذين يأتي تسلسل اسمائهم قبل أسقف نجران وهم أسد بن ناعصة الذي استشهد له صاحب اللسان في [حشب] والاسعر الجعفي الذي استشهد له صاحب اللسان في خمسة مواضع هي [سعر] و [رسل] و [عجرم] و [جنن] و [وأى] ووجدت الباحث يشير الى الاشعر ويذكر شواهده ويهمل شواهد الأشعر .

• **اسماء بن خارجة ومالك بن اسماء بن خارجة :**

ذكر صاحب المعجم أن الشواهد ولا سيما الثلاثة الأولى لأسماء بن خارجة والباقي لمالك بن اسماء بن خارجة ، فلِمَ الخلط بين الأثنين وكان بودي أن يفرد الباحث الكريم لكل واحد منهما فقرة خاصة ومع هذا فملاحظاتي كانت تشمل ما يأتي .

(١) أخلّ المعجم بثلاثة مواضع استشهدت لأسماء بن خارجة وهي[أوس] وفيه بيتان و [أبل] وفيه بيتان و [هبل] وفيه بيت واحد .

(٢) ذكر الباحث الكريم المواد التي استشهدت بالشاعر دون أن يشير الى عدد الابيات ففي [حشأ] ثلاثة وفي [لحن] ثلاثة وفي [شذا] بيتان .

بذكر المعجم بذكر الشاعر ابي اسماء بن الضريبة حيث أورد له صاحب اللسان بيتين في [جرم] كما اخل بذكر ابي الاسود الاسدي حيث ذكر له صاحب اللسان بيتاً في [بلل] .

* **ابو الاسود الدؤلي :**

١ — اخل المعجم بذكر المواد التي أورد فيها صاحب اللسان ابياتاً لابي الاسود الدؤلي وهي .

[هوج] و [حبر] و [ضرس] و [عظظ] و [غلق] و [لبن] و [عنن] و [حيا] و [غلا] .

٢ — أورد صاحب المعجم بعض المواد التي استشهدت بأبيات ابي الاسود وعند مراجعتي بعضها لم اجدْ فيها مواضع استشهاد وهي [هبر] و [درز] و [عدز] وهّي مادة لا وجود لها في المعجم واظنها من أوهام الطباعة . و [جلق] و [هيا] و [شنت] .

٣— ورد في مادة [شتت] بيتان وكذلك في [كون] .

٤ — يتبين من متابعة ابيات الاستشهاد ان صاحب اللسان قد استشهدلابي الاسود باكثر من عشرين بيتاً وليس ثمانية عشر بيتاً كما ذكر الباحث الكريم .

* ورد [بلل] بيت شعر نسب لباعث بن حريم ويقال لابي الاسود الاسدي ولم أجد لهذا الاسم ذكراً في المعجم .

* **ابو الاسود العجلي :**

أخلّ المعجم بثلاثة مواضع وردت فيها استشهادات بشعره هي [وحح] و [بهلص] و [علكم] . وأورد الباحث الكريم ثلاثة مواضع ولم أجد فيها استشهاداً وهي [شمس] و [سمل] و [بهلس] وفي مادة [حذر] التي أوردها الباحث وجدت اثني عشر شطراً منسوبة لأبي السوداء العجلي ، ولم أجدْ الاشارة الى هذا العدد من الأرجاز أو الاختلاف الوارد في الاسم في اشارات

الباحث الكريم .

* **الاسود بن يعفر :**

نشرتُ ديوانه ووقفت على المواضع التي أوردها صاحب اللسان ويمكن الوقوف عليها عند المقارنة بين الديوان وقاموس الشعراء وفيها اختلاف كبير .

* **ابو أسَيْدَة الدُّبيرِيُّ :**

اشار الباحث الى فقدان البطاقة .. ولأبي أُسيدة بيتان في [يسر] .

* **أسيد بن ناعصة :**

اشار الباحث الى فقدان البطاقة وقد اشرت اليه في أسد بن ناعصة .

* **أشجع السلمي :**

اشار الباحث الى بيت واحد والصحيح . بيتان .

* **الاشـجعي :**

شاعر أورد له صاحب اللسان بيتاً في موضعين [ترب] و [عرقب] وبيتين في [بيض] واخلّ به المعجم .

* **الأشعر الرقبان الأسدي :**

شاعر أورد له صاحب اللسان اربعة ابيات في [مسخ] واربعـة ابيات متداخلة مع الاربعة الاولى في [ضرر] وأخلّ بذكره المعجم .

* **الاشهب بن رُميلة :**

أورد له صاحب المعجم ثلاث اشارات وهي خمس فأخلّ بموضعين هما [خفي] و [لذا] .

* **الأصمعي :**

اخل المعجم بذكره واورد له صاحب اللسان شواهد في موضعين همـا [نقث] و [نجث] و [ضبس] .

* **الأضبط بن قَريع السعدي :**

أشار المعجم الى ثلاثة مواضـع وهي كذلك في اللسان إلا أنّ مادة [أطم] فيها ثلاثة ابيات لم يُشر اليها في المعجم .

* **أطيـط :**

اشار صاحب المعجم الى موضع واحد وهو [أجأ] . والصواب [أجـل] وقال عنه أطيط بن لقيط وفي المرة التي ذكرها صاحب اللسان [أطيط] فقط دون ذكر اسم الأب .

* **الأعزّ بن مأنوس :**

اشار صاحب المعجم الى ذكره في [طرم] ولم اجدْ ذلك في المادة التي اشار اليها .

* **أعشى باهلة :**

أخلّ المعجم بسبعة مواضع وردت فيها استشهادات لهذا الشاعر وهـي [هنأ] و [ريث] و [سخر] و [حزز] و [نفل] و [أرى] .

* **الاعشى الكبير :**

سأتابع المواضع التي أخلّ بها المعجم أو أخطأ في تحديد موادها وفق تسلسل اجزاء اللسان بسبب العدد الكبير الذي استشهد به صاحب اللسان للشاعر وابدأ:ــ

* **بالجزء الأول والثاني :**

١ ــ أخلّ المعجم بذكر الابيات التي وردت في المواد [خرأ] و [حصب] والاشطار التي وردت في [حبب] و [ذنب] و [صحب] و [طلب] و [كسب] و [كلب] .

٢ ــ لم اجد في بعض المواضع التي اشار اليها مواضع استشهاد للاعشى وهي [هرأ] و [حسب] و [اشب] .

٣ ــ يبدو أن وهماً وقع فيه الباحث الكريم حين ذكر [أشب] والصواب ان البيت للاعشى الحِرمازي كما مثبت في اللسان وليس اعشى قيس .

٤ ــ ورد اكثر من شاهد في موضع الاستشهاد واغفل ذكرها الباحث الكريم كما هو الحال في [زيب] و [سبب] .

* **الثالث والرابع :**

١ ــ أخلّ المعجم بذكر الابيات التي وردت في المواد :

[مذح] و [نصح] و [وعد] والاشطار التي وردت في [عسجد] .

٢ — لم اجد في بعض المواضع التي أشار اليها مواضع استشهاد للاعشى وهي [مزح] والبيت لأعشي همدان .

٣ — ورد اكثر من بيت في موضع الاستشهاد واغفل ذكرها الباحث وهي [ردج] و [رحح] و [زيح] و [سنح] و [صحح] و [طلح] .

* الخامس والسادس :

١ — اخلّ المعجم بذكر الابيات التي وردت في المواد :
[سمر] و [كثر] والاشطار التي وردتفي [ثور] و [شمر]و [غنر].

٢ — ورد اكثر من شاهد في موضع الاستشهاد واغفل ذكرها الباحث وهي [بشر] و [أزر] و [صبر] .

٣ — لم أجد في بعض المواضع التي أشار اليها الباحث مواضع استشهاد للاعشى وهي [غبر] و [سخر] الذي صاحب اللسان لاعشى باهلة ووهم به صاحب المعجم .

* السابع والثامن :

١ — اخل المعجم بذكر الابيات التي وردت في [عفص] و [حفض] والاشطار التي وردت في [حوض] و [خرص] .

٢ — لم اجد في بعض المواضع التي اشار اليها مواضع استشهاد للاعشي وهي [هزز] .

٣ — ورد اكثر من بيت في موضع الاستشهاد ، واغفل ذكرها الباحث وهي [مهر] و [عجز] و [جلس] و [رهص] .

* التاسع والعاشر :

* ١— أخلّ المعجمبذكر الابياتالتيوردتفي[حطط][شفع] و[جذف] و [خنف] والاشطار في [سفط] .

٢ — ورد اكثر من بيت في موضع الاستشهاد واغفل ذكرها الباحث وهي [خلط] و [سلط] و [قطع] .

٣ — لم اجد في [جنف] التي اشار اليه الباحث موضع استشهاد للاعشى

• الحادي عشر والثاني عشر :

١ — أخل المعجم بذكر الابيات التي وردت في [عيف] و [سنق] و [فتق] و [دول] وشطرين في [صدف] .

٢ — هناك اختلاف بين عدد الابيات التي اشار اليها الباحث وما هومذكور في مواضع الاستشهاد فقد ذكرالباحث قي [كتف] اشارتين وهي اربعة ابيات وفي [سلق] اشارتين وهي ثلاث وفي [علق] اربعاً وهي خمس .

• الثالث عشر والرابع عشر :

١ — أخلّ المعجم بذكر الابيات التي وردت في [صندل] و [عنس] و الأشطار التي وردت في و [خول] و [خيل] .

٢ — هناك إختــلاف بين عدد الأبيات التي أشار اليها الباحث وما هو مذكور في مواضع الإمتشهاد في [خذل] بيتان و في [وغل] بيتان .

٣ — لم اجد في [صدل] التي اشاراليها الباحث موضع استشهاد للاعشى

الخامس عشر والسادس عشر :

١ — اخلّ المعجم بذكر الأبيات التي وردتفي [ريم] و [غــرم] و [قدم] وفي الموضع الثالث ثلاث شواهد واخل بذكر والاشطار التي وردت في [حرم] و[عتم] و [عمم] و [نوم] .

٢— لم أجــد في [عزم] و [حتم] التي اشار اليها الباحث موضــع استشهاد للاعشى .

٣ — هناك اختلاف بينعدد الابيات التياشار اليها الباحث وما هومذكور في مواضع الاستشهاد فقد ذكر الباحث في [حرم] شاهدين وهي ثلاثة شواهد

وفي [خدم] ذكر اشارة واحدة وهي بيتان وشطر وفي [أبن] اشار الى شاهد وفي اللسان شطر وليس بيتاً وفي [بين] اشارة الى بيت وهي بيتان .

السابع عشر والثامن عشر :

١ ــ اخلّ المعجم بذكر الابيات التي وردت في [عون] و [لوه] و [ثوا] .

٢ ــ لم اجد في [فتّن] و [وهن] و [وله] و [توا] التي اشار اليهـا الباحث الكريم مواضع استشهاد للأعشى ويبدو أن بعضها كان من اوهامالطباعة.

التاسع عشر والعشرون :

١ ــ اخلّ المعجم بذكر البيت الذي ورد في [ردي] والاشطار فــي [روي] و [غلا] .

٢ ــ هناك اختلافبين عدد الابيات التيأشاراليها الباحث وما هو مذكور في مواضع الاستشهاد فقد ذكر الباحث في[زوا] شاهداً وهمابيتان وكذلك في [سوا] وفي[صلا] شاهدين وهي ثلاثة ابيات .

وفي [عجا] و [عدا] و [غزا] شاهداً وهما بيتان واشار في [كلا] الى شاهدين وهي شاهد واحد .

٣ ــ كرر الفعل [روي] مرتين وأظنه من اخطاء الطباعة لأن روي الأولى جاءت في غير موقعها .

* **الاعشى الحرمازي :**

اخل المعجم بذكر بيت ورد في [أشب] .

لاحظت ان المواضع التي اشار اليها صاحب المعجم تنسب للحرمازي الكذاب أو الحرمازي وأظنه من الوهم لان بعض المواضع التي اشارت الى اعشى بنيمازن لم تذكر هذه النسبة .

* **أعشى همدان :**

أخلّ المعجم بذكره وقد اورد له صاحب اللسان شاهداً في [بخخ] .

• **أعشى فهم :**

أخلّ المعجم بذكره وقد أورد له صاحب اللسان شاهداً في [روح] .

• **الاعلم الجاهلي** (ابو حرب بن عقيل)

• أخلّ المعجم بذكره وقد اورد له صاحب اللسان شاهداً في [فيح] .

• **الأعـــلم :**

أورد الباحث الكريم الاسم مجرداً ، ونسب اليه ثلاثة شواهد ثم ذكر بعده الأعلم الهذلي ، والشواهد التي أوردها هي للأعلم الهذلي كما مثبتة في شرح أشعار الهذليين للسكري .

• **الأعلم الهذلي :**

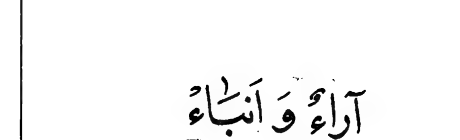
١ ــ أخلّ المعجم بذكر الابيات التي وردت في [حشب] [جعر] و [زمخر] و [عشزر] و [ختز] و [شرى] وبذكر شطر ورد في[جور].

٢ ــ لم أجد مواضع للاستشهاد في [حلب] و [هزج] .

ملاحظة عامـــة :

هناك اختلاف بين عدد الأبيات التي يشير اليها الباحث الكريم بعد ذكر الأسماء ، وعدد الأبيات الحقيقية المذكورة في اللسان ، ويمكن اعتبار هـــذا السهو عاماً في اغلب شعراء الاستشهاد .

(للبحث صلة)


آراءُ و اَنباء



نظرات في «نشوار المحاضرة»

للقاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي
المتوفى سنة ٣٨٤ هـ
بتحقيق الاستاذ عبود الشالجي المحامي
بيروت ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م

الدكتور ابراهيم السامرائي

كلية الآداب – جامعة بغداد

لقد استمتعت بقراءة هذا السفر النفيس ذي الاجزاء الثمانية ، الذي اشتمل على فنون من الأدب والتاريخ واللغة .

ان طريقة المحسن التنوخي في التصنيف ترمي الى ان يكون القارئ للمادة التاريخية مستمتعاً بضروب من الأدب والفن القصصي الذي يعلو على طبيعة سرد الأخبار مشفوعة بالأسانيد الطويلة . انه أراد ان يعطي القارئ الفائدة الأدبية .

لقد نشر « النشوار » منذ سنين طويلة ولم يتهيأ لناشرية على تعددهم ان يولوا هذا العقد النفيس ما يستحق من عناية ، حتى اذا اضطلع الاستاذ عبود الشالجي المحامي بالأمر وأعدّ له عدّته فجمع أصوله المخطوطة فتهيأت له الأدوات النافعة في الموضوع ، أعاد نشره في هذه الحلة الانيقة التي نتحدث عنها.

قلت قرأت « النشوار » منذ سنين ، ورجعت إليه غير مرة استجلى « أدب العوام » كما رجعت الى كثير من كتب أبي عثمان الجاحظ مثلاً للغرض نفسه . ولم يكن الكتاب في نشراته السابقة محققاً للاغراض العلمية .

أما هذه النشرة المحققة فهي من الجهود الطيبة التي حظي بها الدارسون .

وكان لي أن أعدت قراءة الكتاب قراءة مستفيد مستمتع ، فوقفت على مسائل رأيت من الخير ان يقف عليها معي الدارسون وهي على النحو الآتي :

١ – قرأت في الصفحة الاولى من النص : « وهو أني اجتمعت قديما مع مشايخ فضلاء .... قد عرفوا أحاديث الملل ، واخبار الممالك والدول ...

من أخبار الملوك والخلفاء ، والكتاب والوزراء ، .... والأجواد والبخلاء » .

٢ – ثم يستمر المؤلف ص ٢ في ذكر الناس الموصوفين بصفات شـــتى . وقد استوقفني ان المؤلف حين يذكرهم يعطف كل صنف من هؤلاء على آخر نظير للاول كأن يقول: الكتاب والوزراء ، والسادة والامراء ، والرؤساء والفضلاء ، والمحصلين والعقلاء ، ....

ونحن نرى ان كل صنفين من هؤلاء ينسجمان في الوصف ويتساوقان في المعنى . غير أني قرأت : « والأجواد والبخلاء » فرأيت المؤلف قد كسر هـــذا التقسيم المتساوق في المعنى فلجأ الى « المقابلة والطباق » فالاجواد ضد « البخلاء » .

ألا يرى الاستاذ المحقق الفاضل ان « الاجواد » مصحفة عن « الأجماد » والذي يؤيد ان تكون « الاجواد » « أجماداً » المعنى فيقال للبخيل « جماد » كما في « معجمات العربية » « اللسان » (جمد) . وفي هذه الحالة تتفق « البخلاء » مع « الأجماد » .

وفي الصفحة (٣) يستمر المؤلف في ذكر الازواج من الموصوفين بصفات خاصة . وحسناً فعل الاستاذ المحقق الفاضل في فصل كل اثنين من هذه الموصوفات بالفاصل (،) شعوراً بما أراد المؤلف من جعل كل اثنين متساوقين في المعنى كما أشرنا .

وشذ عن هذا النظام قوله « وذوى التنمس والاخلاص » . أشار المحقق في الحاشية ان « المنمس » المدلس وعلى هذا فلا ينسجم أو يتساوق هؤلاء (ذوو التنمس) مع ذوي « الاخلاص » .

والذي أراه ان « ذوى التنمس » من الموصوفين بالصفات الايجابية اي صفة خير لا شر . صحيح ان « التنميس » التلبيس ، والناموس المكر والخداع غير ان « الناموس » أيضاً وعاء العلم ، والناموس جبريل عليه السلام ، وأهل الكتاب يسمون جبريل « الناموس » والناموس السِرّ ، ونمست الرجل ونامسته اذا « ساررته» والناموس صاحب سر الخير .

ومن هنا فـ « التنمس » من الناموس أي الإسرار بالخير وهذا ينسجم مع الاخلاص (ينظر « اللسان ») (نمس) .

٣ ـ وجاء في الصفحة (٤) : [والأغنياء والمملقين] وجاء في الحاشية : هذه الفقرة زيدت من « ط » وأظن ان لامكان لـ « المملقين » أي الفقراء مع «الاغنياء » لان في ذلك « كسراً » للتساوق بين الازواج من الموصوفين فكل صفتين منها متساوقتان لامتعاكستان . لعل تصحيفاً قد وقع في « المطبوعة » أو أنها إضافة من الناسخ وما أكثر النساخ الجهال . وفي هذه الصفحة : « والشطار والمتقين » .

أقول : لامعنى أن يوضع « الشطار » مع « المتقين » اذ لا انسجام ولا تساوق وفي ذلك خروج عن النظام الذي اتبعه المؤلف .

قلتُ : لعل « المتقين » مصحفة عن « المنقّبين » أي الذي « نيقّبون » جدران البيوت أي « اللصوص » الذين يتبعون هذه الطريقة في السرقة والسطوعلى البيوت.

٤ ـ وجاء في الصفحة (٧) « وحرايرهن » والصواب و « حرائرهن » بالهمز فالهمز هنا متطلّب واجب في « صرف » لغة العرب .

وجاء في الصفحة (١٢) قوله « لان فيها اخباراً تصلح ان يذاكر بكل واحد منها في عدة معاني قلت والصواب « عدة معانٍ » بتنوين النون وهو أمر واجب في تنوين المنقوص فحذف الياء في حالة الجر متبعة واجبة ليس غير .

٥ ـ وجاء في الصفحة (١٧) قوله « حدثني ابو محمد ..... قال : بلغني ان ابن الزيات لما حصل في التنور »

قلت : لقد علق الاستاذ المحقق الفاضل على « حصل » في الحاشية (٢) بقوله « في ب : جعل » .

والذي أراه ان ما في « ب » أي « جُعِل » بالبناء للمجهول أحسن وأولى من « حَصّل » المبنية للمعلوم التي اثبتها الاستاذ المحقق الفاضل .

٦ ـ وجاء في الصفحة (٢١) قوله « وادراه الماء في ذنابة المسرقان » . وقد علق الاستاذ المحقق على « ذنابة المسرقان » في الحاشية (١) بقوله « وذنابة الوادي .... وهو مايسمى الآن عند المزارعين في العراق (بزايز) ومفردها (بز) .

أقول : حسن ان يربط الاستاذ الفاضل بين المسميات القديمة والمستعمل منها في يوم الناس هذا ، غير اني اقول زيادة على ذلك ان « الذنايب » معروفة أيضاً لدى مزارعي جنوبي العراق أيضاً .

٧ ـ وجاء في الصفحة (٢٢) قوله « فرأى فيها قشر باقلاة » كذا والصواب : « قشر باقلاءة » ولعل هذا قد عرض للاستاذ المحقق الفاضل من كون ان الهمزة لم ترسم في المخطوط . أقول : ومن المفيد ان اذكر ان « الهمزة » لاوجود لها في الغالب الأعم في المخطوطات ، غير ان من واجب المحقق اثباتها عند التحقيق

وجاء في أسفل هذه الصفحة نفسها قوله « ويلك يؤكل في داري الباقلا » .

وقد علق الاستاذ المحقق الفاضل في الحاشية (٥) بقوله « الباقلا بدون همز تعبير بغدادي » .

قلت : لعل من القول الدقيق الصحيح ان يعلق على ذلك بما يأتي » : ان الباقلّى بالقصر والباقلاء بالمد لغتان في المعروف من العربية الفصيحة كاللوبيا واللوبياء والدِفلى والدفلاء وغيرها .

٨ ـ وجاء في الصفحة (٢٥) العنوان « مصادرة التاجر ابن الجصاص في زمن المقتدر زادت على ستة ملايين دينار » .

قلت : حسن ان يضع المحقق الفاضل عنوانات على القصص المذكورة في نص الكتاب شريطة ان ينبه على ذلك في المقدمة .

غير ان استعمال « ملايين » وهي من معرّبات عصرنا لا ينسجم مع النص القديم وأرى ان يستعمل الاسلوب المذكور في النص وهو ستة آلاف ألف دينار وقد تكرر استعمال ملايين و « مليون غير مرة في الكتاب » .

٩ - وجاء في الصفحة (٢٨) قوله « قال : فسجد لله وحَمَدَه » كذا قلت والصواب « وحَمِدَهَ » بكسر الميم لافتحها .

١٠- وجاء في الصفحة(٣٠) قوله « ولكنه كان يطلق بحضرة الوزراء قريباً مما حكي عنه « بسلامة طبع كانت فيه » .

وقد علق الاستاذ المحقق على « بسلاسة طبع » في الحاشية (٤) فقال : في ط لسلامة طبع » . قلت « وأرى ان ما في ط أولى مما اثبته المحقق الفاضل » وذلك ان « السلامة » مقصودة وقد سبقت الاشارة اليها في النص قبل سطرين واستعمال اللام في « سلامة » أولى من « الباء » فقد عطف المؤلف على قوله هذا بقوله : «ولأنه كان يحب .... » . فهي اللام التي تفيد التعليل وبيان السبب ..

١١ - وجاء في الصفحة (٤٦) السطر الثالث قوله « ما كان يبلَغُنا » بفتح اللام . أقول : والصواب ضمُّها .

وجاء في الصفحة نفسها السطر الرابع قوله « باحتشام الخَلْق » بفتح الخاء وسكون اللام أقول : والصواب « باحتشام الخُلُق » بضم الخاء واللام فلا معنى « للخَلْق » هنا .

١٢ - وجاء في الصفحة (٤٨) السطر (٤) قوله « ما اخبرني به الثقة » .
قلت : وكان الأولى ان يُعيّن هذا « الثقة » في الحاشية .

١٣ - وجاء في الصفحة (٥٥) في وسط الصفحة قوله : « وسمعت امرأة منهم تقول : مُرَّ (كذا) ياعلي بن عيسى لانسي الله الله لك هذا الفعل ...

أقول : قرأت القصة كلها قراءة مستفيد ، فلم أجد وَجْهاً لمعنى قول المرأة المشار اليها « مرَّ » من المرور وكيف يمرَّ الوزير علي بن عيسي وأين يمرّ . ولعل الصواب « مُرْ » بسكون الراء وهو فعل أمر من أَمَرَ يأمُرُ .

١٤– وجاء في الصفحة (٦٦) في وسط الصفحة قوله : « وضرب الدهر ضربه ، وولي الوزارة الأوَّلة » . وقد علق الاستاذ المحقق في الحاشية (٢)بقوله الأوّلة بمعنى الاولى ، لغة بغدادية » .

أقول: من المفيد النافع من الناحية التاريخية التفات الاستاذ المحقق الى النص على الاستعمال العامي ووصفه بـ « البغدادي » .

لكنني أتساءل كيف يحق لنا الجزم ان « الأوَّلة » بغدادية القرن الرابع الهجري ولم ينص علماء اللغة الذين سجلوا العامي والفصيح على وجود ذلك ؟

وحكى ثعلب : هُنَّ الأوَّلات دخولاً والآخِرات خروجاً ، واحدتها الأوَّلة . والآخرة ، ثم قال : ليس هذا أصل الباب ، وانما أصل الباب الأول والأولى كالأطوَل والطُولى .

أقول : وهذا يعني ان « الأوَّلة » لغة فصيحة وليس من العامية في شيء .

وعلى هذا يحسن بنا ألا نفزع الى القول بالعامية قبل أن نجد في شوارد اللغة ما ذهب إليه العلماء المتقدمون .

١٥– وجاء في الصفحة (٧٣) الحاشية (١) قول المحقق الفاضل :«الروز وجمعها روزات ... الوصل الذي يكتبه الجهبذ باستلام المال » .

أقول : والصواب بتسلّم لا الاستلام ، ولا أدرى نص ما كتبه احمد تيمور.

١٦– وجاء في الصفحة (٧٦) في وسط الصفحة قوله « ولا ازال أماكسهم ويزيدوني » .

أقول : « والصواب ويزيدونني » لعل ذلك من خطأ الناسخ أو ان المؤلف جرى على اللسان الدارج فان كان الامر الأخير لزم ان يشار إليه في الحاشية .

١٧– وجاء في الصفحة (٨٥) قوله : « حدثني ابو السري عمر بن محمد القارئ » .

وقد علق الاستاذ المحقق في الحاشية (١) بقوله « راجع القصة ١٧٨/١ من النشوار ، حيث ذكر المؤلف في تلك القصة اسم أبى السري محمد بن عمر التازي البغدادي المعروف بابن السقطي .

أقول : ولم يبين الاستاذ المحقق في القصة التي أحال عليها من يكون « التازي » وهل هو مصحف عن القارئ المذكور في هذه الصفحة أم العكس .

١٨– وجاء في الصفحة (٩٨) قوله « فقال له الصيمري : أيها الأمير

رِدْ (كذا) ذلك فاني أيضاً أريد مثله » .

أقول : والصواب : « أَرِدْ ذلك » من أرادَ يُريدُ وهو أمرٌ لا « رِدْ » من « رادَ » .

١٩- وجاء في الصفحة (١١٩) قوله « وفي بيعي اياه رخيصاً ، وشرايَ (كذا) له غالياً .

أقول : والصواب « وشرائي » بالهمز وأظن ان هذا قد وقع مما كان في المخطوط بسبب من إهمال الناسخ للهمزة شأنه شأن كثير من النساخ . ولا أظن ان المؤلف أراد الاسلوب العامي .

٢٠- وجاء في الصفحة (١٢٠) في وسط الصفحة قوله « فما استتم أكله حتى أمر به للسؤّال ، فشيلَ » .

أقول : كان الاولى ان يعلق المحقق هنا على « فشيل » بأنها من العامي الدارج « شال » .

وقد علق الاستاذ المحقق على الفعل نفسه فشرحه في الصفحة (٢٩٠) كما شرحه في الصفحة ٣٣٤ وقد علق عليه بأنها لغة بغدادية ، وهي عراقية فاشية .

٢١- وجاء في الصفحة (١٢٤) قوله « حدثني ابن سليمان الثلاج » .

قلت : لقد علق الاستاذ المحقق على « الثلاج » في الحاشية (٢) بقوله : « الثلاج بائع الثلج » .

والذي أراه ان التعليق يجب ان يكون عزيزاً فيدخر الى الضروري النافع . وليس « الثلاج » مجهولاً لدى القارئ فهو نظير الخباز والخشاب والبقال .

وما دمنا بصدد التعليق وذكر الحواشي فمن المفيد أن أشير الى ان التراجم للأعيان ينبغي ان تقتصر على غير المعروفين ، اذ ليس من الحكمة ان يترجم للمنصور والرشيد والمأمون والامين أو لجرير والفرزدق أو كما بالغ بعض المحققين فترجم لعلي بن ابى طالب وعمر بن الخطاب .

٢٢- وجاء في الصفحة (١٣٣) قوله « ما عملت في أمر عمرو بن نهيوي »

أقول : كان الأولى ان يعرف بـ « عمرو » هذا فان لم يتيسر فلا بد من

ضبط « نهيوي » على حقيقته لانه من الأعلام النادرة .

٢٣ـ وجاء في الصفحة (١٣٥) قوله « .... فيما عاملت عمرواً به » .

أقول : والصواب « فيما عاملت عمراً به » بغير واو في « عمرو » .

وقصة واو عمرو معروفة فقد جيء بها لغرض تعليمي للتفريق بين عُمَرَ على وزن (زُحَل) وعَمْرو هذا على وزن (سهْل) ، وذلك بسبب عدم ضبط الكلمات بالحركات ، ولما كان التفريق ضرورياً وواجباً من حيث ان الاول ممنوع من الصرف والثاني غير ممنوع ومنون جيء بالواو للتفريق في حالتي الرفع والجر ، أما في حالة النصب فلا مجال للالتباس والتفريق حاصل في ان الاول منون والثاني غير منون ، ومن هنا انتفت الحاجة الى الواو .

٢٤ـ وجاء في الصفحة نفسها قوله : « لا أعطي عمرو » والصواب « لا أعطى عمراً » وأظنه من غلط الطبع .

٢٥ـ وجاء في الصفحة (١٣٧) « فلم أرُمْ من مكاني » بضبط « أرُم » بضم الراء ، والصواب « أرِمْ » بكسر الراء فهي من رام يريم أي يبارح ، أمـــا « أرُمْ » فهي من رام يروم .

٢٦ـ وجاء في الصفحة (١٤٠) قوله « كان فيه ساف لِبْنٍ » لهابكسر اللام وسكون الباء .

والصواب : « لَبِن » بفتح اللام وكسر الباء والواحدة « لَبِنَة » بفتح اللام وكسر الباء لا « لبِنة » بكسر اللام وسكون الباء كما وردت في النص .

ولا أدري لِمَ لم يشرح الاستاذ الفاضل معنى « اللبن » في هذا المكان وأرجأه الى الصفحة (٢٠٩) ؟ ثم هل من حاجة الى هذا الشرح وهو متعارف متعالم .

٢٧ـ وجاء في الصفحة (١٧٠) قوله « لعل فيها العشرة أمناء » .

أقول : لقد عودنا الاستاذ المحقق ان يشرح اللفظ ان كان له ما يناسبه في اللغة البغدادية . وعلى هذا كان من المناسب ان يشير الى أن « الأمناء » جمع « منا » ولعل « المنّ » من أسماء الموازين مما نجده مستعملاً في العراق شيء منه .

٢٨- وجاء في الصفحة (١٧٨) قوله « فحين سَكِرَ قال : هـَي ، » .

أقول : كان الاولى ان يعلق الاستاذ المحقق على « هـَي » فهي من الالفاظ الدارجة وما زالت مستعملة في لغة البغداديين في مقام الاستغراب والتعجب ، كأن يفاجأ الانسان بشيء فينطق بهذه الكلمة .

٢٩- وجاء في الصفحة (١٨١) قوله « فعلمتُ أن حاله قد صَلُحَت بضم اللام من « صلُح » .

والصواب : الفتح . قال تعالى « جنات عدن يدخلونها ومن صَلَحَ » . وقالوا في « صلُح » بضم اللام لغة فاسدة .

٣٠- وجاء في الصفحة (١٨٢) قوله « تذكر أيامنا الأوَّلة » .

أقول سبق الكلام على « أولة » .

٣١- وجاء في الصفحة (١٨٣) قوله « وأمرى يمشي على هذا » .

أقول : كان الأولى ان يشير الاستاذ الفاضل الى هذا الاستعمال وجريانه في لغة العامة ببغداد في عصرنا .

٣٢- وجاء في الصفحة (٩٥) قوله « وقد حكي : ان بعض النساء الظراف ، قرأت : « تعلم ما في روحي ولا اعلم ما في روحك » ولم تقل « نفسي » لان الظراف لا يقولون ذلك .

وقد علق الاستاذ المحقق بقوله في الحاشية (٤) « ربما كان ذلك لان حروف (نفس) تطابق حروف النفاس » . وأنا أضيف : لعل ذلك لان «روح» ألصق بالخير والعواطف من « النفس » التي وصفت بأنها « أمّارة للسوء » ، وان « الروح » نسبت الى الله فجاء في قصة مريم « ونفخنا فيها من روحنا » .

٣٣- وجاء في الصفحة (٢٠٩) قوله « وطلب لِبْناً » بكسر اللام وسكون الباء . وقد شرح الاستاذ المحقق في الحاشية (١) اللبن وقد تقدمت أكثر من مرة ولم يشرحها في أول مورد جاءت فيه . ثم ان الضبط الصحيح هو « اللَّبِنُ » بفتح اللام وكسر الباء :

٣٤- وجاء في اول الصفحة (٢١٤) قوله « ما صَلُح » بفتح الصاد وضم اللام .

والصواب « صَلَح » مثل خَرَج كما ورد في الآية وقد سبقت الاشارة الى ذلك.

٣٥- وفي الصفحة نفسها قوله « وانكسر جاهه » . ولم يعلق الاستاذ المحقق عليها فهي ليست من الاستعمالات الفصيحة في لغة ذلك العصر ، وأكبر الظن أنها من اللغة السائرة الدارجة ويؤيد هذا ما هو معروف في لغة البغداديين في عصرنا هذا من قولهم : « كسر شرفه » أو « انكسر شرفه » .

وجاء في الصفحة نفسها « خرجت رأساً برأس » ولم يعلق الاستاذ المحقق على ذلك . والذي أراد أنها من لغة الباعة وأرباب التجارة ، وهي ما زالت مستعملة في عصرنا في لغة هؤلاء .

٣٦- وجاء في الصفحة (٢١٨) قوله « وكتبت بها عليه قبالة » وقد علق الاستاذ المحقق على ذلك في الحاشية (٢) بقوله « قبل الدين قبالة » كفل به وضمنه.

أقول : من المفيد أن أشير ان « القبالة » ما زالت معروفة لدى عمال البناء في العراق أي أنه العامل يتكفل بانجاز العمل جملة نظير مبلغ يتفق عليه . وهي من غير شك بالكاف الثقيلة التي تنطق نطق أهل مصر للجيم .

٣٧- وجاء في الصفحة (٢٢١) الحاشية (ذ) تعريف بـ « جبّى » منقولاً من « معجم البلدان » وقد كان الاستاذ المحقق قد عرف بها في الصفحة (١٧٢) .

٣٨- وجاء في الصفحة (٢٢٤) قوله تعالى « ألم يأنَ للذين آمنوا .... » بفتح النون من « يأن » والصواب « يأنِ » بالكسر والأصل يأني بالياء وقد حذفت الياء للجزم بـ « لم » .

٣٩- وجاء في الصفحة (٢٣١) قوله « وحتى كان يركب وليس بين يديه الا ابن حَدُبنا صاحب الربع » وقد علق الاستاذ المحقق على « صاحب الربع » ولكنه لم يعلق على « ابن حَدُبنا » هذا وهي غير واضحة او لعل تصحيفاً عرض لها !

٤٠- وجاء في الصفحة (٢٨٥) قوله « فانفذ ابا الحسن بن الحرث (كذا)».

أقول ان رسم « الحارث » من دون الف هو الرسم القديم ، وهو مما ولّد خطأً ، فكأنّ هناك « الحارث » و « الحرث » ، والصحيح هو « الحارث » . ولا وجود للحرث .

٤١ـ وجاء في الصفحة (٣٣١) الحاشية (١) : القثاء من فصيلة الخيار ....
وأنا أضيف ان لفظ «القثّاء » ما زال معروفاً في العامية البغدادية بلفظ « الجِتّه » .

٤٢ـ وجاء في الصفحة (٣٣٨) قوله « كان في جواري ببغداد امرأة جميلة مستورة » .

أقول كان الأولى ان يعلق الاستاذ المحقق على « مستورة » وهي من العامية البغدادية التي ما زالت معروفة في لغة عصرنا هذا .

٤٣ـ وجاء في الصفحة (٣٤٠) قوله « فلزم ذلك الكلب الباب ولم ينطرد ».
أقول : كان من المفيد ان يشار الى ان الفعل « ينطرد » اسلوب عامي ما زال مستعملاً .

مستدرك

٤٤ـ جاء في الصفحة (٣٥) قوله « واذا كان غداً فصر الى المجلس [العامى] » .

وقد علق الاستاذ المحقق في الحاشية (١) بقوله : « الزيادة من ب ، والمجلس العامي هو المجالس العام .

أقول : لعل الزيادة من تزيد الناسخ لنسخة (ب) او لا وجود لها في النسخ الأخرى . والذي يدفعني الى هذا ان « العامي استعمال خاطئ لان الصواب هو « العام » ولا ضرورة للنسبة إذ ليس المراد بالعامي المنسوب الى طبقة العامة . كما لا نقول الرئيسي في قولنا السبب الرئيسي والصواب الرئيس الا ان يكون الرئيسي منسوباً الى الرئيس ، كما نقول الملكي منسوباً الى الملك .

٤٥ـ وجاء في الصفحة (٣٧) تعليق الاستاذ على لفظة « المزملة » في الحاشية (١) التي نقل فيها ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢ جـ ١١) وزاد عليها بقوله « وكلمة المزملة لم تزل شائعة في بغداد ، وقد

حرفت فاصبحت (مزمبلة) وتطلق على قصبة الحديد او الرصاص التي ينصب منها الماء .

أقول : أضيف على ما شرحه الاستاذ احمد تيمور فأقول : ان « المزملة » اسم مفعول وسميت بذلك لانها مغطاة بكساء للحفاظ على البرودة كما هي الحال الآن في بغداد لدى اولئك الذين يبيعون الماء البارد للسابلة وينادون عليه بـ (سبيل) . ان الفعل « زمّل » معناه « غطىّ » ومنه الآية الكريمة (يا ايهاالمزمّل).

٤٦- وجاء في الصفحة (١٢٨) قوله : « وذكرت أنا كتاباً رأيته لرجل يُعرف بيزدجرد بن مهبّندان الكسروى ؛ » . وقد علق الاستاذ المحقق في الحاشية (٢) بقوله « يزجرد بن مهمندار الفارسي صاحب كتاب « فضائل بغداد » ...... ولكنه لم يشر الى الخلاف بين صورتي الاسم في النص والتعليق والذي أراه ان ما في النص مصحّفٌ وخطأٌ.

الجزء الثاني :

٤٧- وجاء في الصفحة ٧ :

... وتثني مع ذلك بنتف من كرم الأجواد ، وقصص الأمجاد ، والأحاديث الأفراد ، ومعايب البخّال ، ونوادر الجُهّال وواعظ المنامات ، وطريف الاتفاقات ....

وقد علق الاستاذ المحقق على كلمة « البَخّال » وقال : البَخّال : الشديد البخل .

لقد حسب الكلمة مفردة نظير الفَعّال والجَبّار ونحوهما ، والصواب أنها جمع لـ « باخل » ، والباخل اسم فاعل كالصفة « بخيل » وجمعها « بُخّال » مثل « الجُهّال » الكلمة السابقة .

ثم ان المحقق لم يلتفت الى ان جميع كلمات النص متساوقة في صيغها الجمعية مع الحفاظ على السجع في الترتيب . وعلى هذا ليس للمفرد « بخّال » مكان في هذا البناء المتساوق .

٤٨ــ وجاء في الصفحة ٨ :

.... وعدم الراغب في الحفظ لليسير من اللفظ .... وتواطئْ الجمهور على على هذه الأمور » .

أقول : وصواب رسم « تواطئْ » ان تكون الهمزة على واو لضمة ما قبلها ، ثم ان الكلمة اسم لا فعل حتى يصحّ الرسم .

٤٩ــ وجاء في الصفحة ١٠ :

« فاجتهدنا في قبول غلمانه لَطَفاً » .

أقول : وهذا من جميل مادة (لطف) أن ترد هذه الكلمة بالتحريك فتعني الهدية أو ما ألطفت به اخاك ليعرِف به بِرَّك فهو من طُرَف التحف ، ومنه الملاحظة اي المُبارّة .

٥٠ــ وجاء في الصفحة ١١ :

.... ويشدّوا الثَقَل ... » .

أقول : أراد بـ « ثَقَل » بفتحتين متاع المسافر .

وفي العربية : « الثَقَل » متاع المسافر وحَشَمه ، وأنشد ابن بَرّي :

لا ضَفَفٌ يشغَلُــه ولا ثَقَلْ

وفي حديث ابن عباس : بعثني رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الثَقَل من جَمع بليل .

وفي حديث السائب بن زيد : حُجَّ به في ثَقَل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وهذه الكلمة من لطائف العربية في أبنيتها الرشيقة ذوات المعاني الدقيقة .

٥١ــ وجاء في الصفحة ١٣ :

« يا أبا جعفر ما هذه الجَبَرِيَة .... » .

أقول : و « الجَبَرية » بفتحتين الكبرياء والتجبُّر . وهذا مما حفلت به العربية من المصادر الصناعية القديمة .

٥٢- وجاء في الصفحة ١٤ :
« وجاؤوا على بكرة أبيهم » .
وقد علق الاستاذ المحقق فقال : ويقول البغداديون جَوْ عن بكرة أباهم !
أقول : لعل ما نسبه المحقق الى أن البغداديين من قول كان في أيام صباه أما الآن فلا نجد شيئاً من هذا ، وأغلب الظن ان هذا الأسلوب لم يكن عاماً معروفاً متداولاً منذ سنين طويلة ، فان كان شيء من ذلك ، فهو قليل من البغداديين ممن تأثروا بما يسمعون في المجالس .
٥٣- وجاء في الصفحة نفسها :
« وكتب بخطّه في مربّعة سجلاً بذلك المال » .
قال الاستاذ المحقق : يبدو ان المربّعة هي ورقة مربعة الشكل تسجّل فيها احكام القضاة .
أقول : وهذا شيء طريف يضاف الى دلالة « المرّبعة » ، فقد عرفنا ان « المربّعة » ملتقى اربعة طرق في رحبة واحدة وذلك في العصر العباسي ، وكانت من محالّ بغداد القديمة مربعة فلان أو فلان . وقد جاء ذكر ذلك في كتب خطط البلدان وكتب الأدب .
٥٤- وجاء في الصفحة ١٥ قول المصنف :
« وقال له لما أراد القيام ، طانزاً ، : يا أبا جعفر .... » .
الطانز هو المستهزئ ، والطنز السخرية والاستهزاء .
أقول : قد نحسب الكلمة من النوادر الغريبة ولكن مجيئها في كتاب النشوار ينفي عنها ما نحسبه اليوم من غرابة فيها .
٥٥- وجاء في الصفحة ١٦ » :
.... ان للقاضي رجلاً تانئاً .. » .
أقول : جاء في كتب اللغة :
تَنَأَ بالمكان يتنأ : أقامَ وقَطَنَ . قال ثعلب : وبه سُمِّيَ التانئُ من ذلك .
وفي حديث عمر : ابن السبيل أحقُّ بالماء من التانئ عليه .

وهذا من الكلم القديم الذي لا نعرفه في العربية منذ عصور عدة .

٥٦ وجاء في الصفحة نفسها :

وكَتَبَ له روزاً بألف دينار من خراجه .

أقول : الروز هو الوصل بلغة العراقيين المعاصرين او الايصال بلغة اللبنانيين والسوريين وهو ورقة يثبت بها تسلم المبلغ او الشيء ، وقد تقدم الكلام عليها في تعليقات الجزء الأول .

٥٧ـ وجاء في الصفحة ٢٦ :

« وله دَنيّة طويلة ... » .

ذكر الاستاذ المحقق ان الدَنيّة عمامة تشبه الدَنّ في شكلها يلبسها القضاة

٥٨ـ وجاء في الصفحة ٣٠ :

.... وأبذل له مَرفِقاً جليلاً ... » .

ذهب الاستاذ المحقق الى ان المراد بـ « المرفق » الرشوة .

أقول : جاء في كتب اللغة :

الرِفْق والمِرْفَق والمَرْفق ما استعين به . وفي التنزيل : « ويهيِّئْ لكم من أمركم مِرْفَقا » . هذا هو معنى الكلمة في الأصل ، ولكن التطور عرض لها فأفادت الرشوة ، وهذا يعني أنها من المولد العباسي .

٥٩ـ وجاء في الصفحة ٣٧ :

.... وكان رجلاً مُستَهْتَراً بالجوهر » .

أقول : وهذا استعمال للأصل في الاستهتار ، وهو الولوع بالشيء ، فقد يكون الوَلوع بالحَسَن المقبول كما يكون بالرديء المرذول .

٦٠ـ وجاء في الصفحة ٣٨ . :

« .... فأخرجت من الجوهر شيئاً قيمته .... وصرت به الى سوق الخرّازين» .

أقول : وقد أشار الاستاذ المحقق الى المراد بـ « سوق الخرّازين » وهو سوق الجوهريين والصاغة .

٦١ـ وجاء في الصفحة ٣٩ قول المصنف :

« الصديق أفضل العُقَد ... » .
أقول : العُقَد جمع عقدة وهي ما يملكه الرجل من ضيعة أو عقار .
والى هذا ذهب ابو عثمان الجاحظ فقال في وصف « الكتاب » : « نعم الذخر والعُقدة » ، على التشبيه .

٦٢– وجاء في الصفحة ٤٢ :
.... وجاء حتى قبَض على قفَا الأسد وشاله حتى خبط به الأرض » .
أقول : لقد أشار الاستاذ المحقق الى الفعل « شال » وانها عامية ، ولكنه خصصها بالبغدادية ، مع أنها عامة للعراقيين وغيرهم ، وقد شرحت غير مرة في الجزء الأول .

٦٣– وجاء في الصفحة نفسها :
.... غار الحمار .... » .
لقد ذهب الاستاذ المحقق الى ان الفعل «غار» من الدارجة البغدادية ، وأقول : انها أعم من ذلك .

٦٤– وجاء في الصفحة ٤٤ :
... حدثني ابراهيم بن الخضر ، وكان أحد أمناء القضاء ببغداد ، قال : حدثني صديق لي أثق به ، قال : خرجت الى الحائر ، فرأيت رجلاً فرافقته في الطريق .... » .
لقد علق الاستاذ المحقق على « الحائر » فقال : هو قبر الحسين (ع) .
أقول : وليس في النص ما يدل على تخصيص الحائر بقبر الحسين (ع) فهو أعم من ذلك .
ان « الحائر » هو المطمئن من الأرض يجتمع فيه الماء فيتحيّر ، والحائر كربلاء ، نص على ذلك أهل اللغة كما ذكره ياقوت وسائر البلدانيين .
على أني لا استبعد ان يراد بـ « الحائر » على سبيل المجاز المرسل « قبر الحسين » ، ولكني لم أهتد الى ذلك في النص .
وقد وجدت من هذا ما ورد في الصفحة ٣٢٢ من الكتاب نفسه قول المصنف :

« وخرج الى الحائر ، وعلى ساكنيه السلام ، ليزور ... » .

٦٥- وجاء في الصفحة ٥٩ :

سمعت منادياً ببغداد ينادي على الرطب الآزاد .... » .

لقد علق الاستاذ على الآزاد فأفاد انه صنف الزهدي المعروف .

أقول : قد يكون الآزاد الزهدي ولكنني محتاج الى شيء من دليل على هذا .

٦٦- وجاء في الصفحة ٦١ :

« وليس معي ما أُجزِّرُها به (أي المغنية) ... » .

قال الاستاذ المحقق : الجزر أجر المغنية .

أقول : وهذا من المولدات اللغوية في العصر العباسيّ .

٦٧- وجاء في الصفحة ٦٣ :

... اليوم يوم سبت والهوا طيب .. » .

وقد علق الاستاذ المحقق على« الهوا » أنه لغة بغدادية فيالهواء لم تزل مستعملة

أقول : وهل اطمأن الاستاذ المحقق كل الاطمئنان الى ان « الهواء » رسمت على هذا النحو وقد أرادها التنوخي على سبيل العامية ؟ ألم يخطر بباله ان النساخ يتخففون من الهمزة الأخيرة في الكلمات ، وعلى هذا أغلب المخطوطات ؟

ولو سلّمنا ان « الهواء » أرادها المصنف عاميّة دارجة ، فلِمَ جعلها المحقق خاصة بالبغداديين مع انها عامة في جميع بلاد العرب .

٦٨- وجاء في الصفحة ٦٧ :

فقطعت من رأس الدَّرْج قطعة وكتبت فيها الى أخي آمره ... » .

قال الاستاذ المحقق : اراد بالدرج ما يكتب فيه .

٦٩- وجاء في الصفحة ٧٠ :

... ان الصفراء تحركت عليَّ ... » .

أقول : أراد بـ « الصفراء » المِرّة الصفراء (المرارة) ، وفي قوله : « تحرّكَت عليّ » أسلوب عاميّ ما زلنا نجده مستعملاً دارجاً في العراق في عصرنا هذا .

٧٠- وجاء في الصفحة ٧٤ :

فقال لي ابن ابي دؤاد القاضي .

أقول : والصواب : ابن ابي دواد ، بالواو ، وليس بالهمزة ، ولا يوجد في العرب مادة (دأد) واشتقاقه من الدُواد وهو الضغط . وقال ابن دريد : انه من السـدود .

٧١- وجاء في الصفحة ٨١ :

... فأول من استقبلنا رجل شيخ حسن الشيبة والثياب ، له سَجّادة وسَمْت ... »

قال المحقق : السَجّادة أثر السجود .

٧٢- وجاء في الصفحة ٨٣ :

... ركبت مع القاضي أبي ... في طيّاره » .

أقول : الطيّار ضرب من الزوارق سريع ذكره حبيب زيات في « معجمه » .

٧٣- وجاء في الصفحة ٨٧ ان الحَضَر (بفتحتين) القرى والارياف كما جاء في « المنجد » .

أقول : وليس من الوجاهة ان نعرف معنى « الحضر » في « المنجد » .

٧٤- وجاء في الصفحة ٨٨ :

فرفق به ابو عمر وداراه ومسحه .

لقد علق الاستاذ المحقق على « المسح » وأفاد انه الملاينة واللطف في الكلام .

أقول : وهذا من المولّد العباسي ، ولعله مما يشبه الكلم العامي الدارج .

٧٥- وجاء في الصفحة ٩٣ :

... ان الشَبّ اذا جعل في الزيت ... » .

وقد علق الاستاذ المحقق بقوله : لعل الصواب : جُبل بالزيت ، تقول : جبل بالتراب اذا صبّ عليه الماء وعجنه ، والعامة ببغداد يلفظونها بالنون فيقولون جبن يجبن ....

أقول : ان الحاشية مفيدة ، والتعليق وجيه ، ولكن الفعل « جُعل » صحيح ايضاً واستعماله في مكانه .

٧٦– وجاء في الصفحة ٩٥ :

.... فبلغني يوماً خبر طوف ... » .

فعلق الاستاذ المحقق فقال : « طاف يطوف » لغة بغداد في « طفا يطفو » . والطوف مجموعة من الحطب او الخشب يضم بعضه الى بعض ويطلق في النهر مع تيار الماء . ...

أقول : صح قول الاستاذ ان « طاف يطوف » لغة بغدادية في « طفا يطفو » وأنا أضيف انها لغة عامة العراقيين ، غير ان « الطَّوف وهو القصب والعيدان بشدّ بعضها فوق بغض ثم تُقَمّط بالقمط حتى يُؤمَن انحلالها ثم يُعبرّ عليها » ، أقول : ان هذا من الكلم الفصيح ، وهذا يعني ان اللغة العامية في « طاف يطوف» بمعنى « طفا يطفو » من أصل فصيح . وليس من العلم ان نفزع الى العامية ونقول بها في كثير من الكلم ، وذلك لعلمنا ان الكثير من الكلم العامي هو فصيح أيضاً ، فكونه عامياً لا يحجب فصاحته .

٧٧– وجاء في الصفحة ٩٧ :

.... فقالت ان جئتني بكارة ثالثة ، أعطيتك مع الخبز الذي أزيدك إياه على وظيفتك باقة بصل » .

أقول : والكارة حزمة كبيرة من الحطب يحملها الباعة اما على رؤوسهم ، وأما على الحمير ، وهي من الكلم الفصيح الذي استعمله العامة ، وما زال العراقيون يعرفون « الكارة » ، وقد نبه الاستاذ المحقق على هذا .

أما « الوظيفة » فتعني مقدار ما يكفي الرجل من الخبز والطعام والشراب في كل وقت من اوقات الأكل ، وسيأتي ذكرها .

٧٨– وجاء في الصفحة ١٦ :

.... فسألني ابن أبي عوف أن أؤجره من ضياعي بالأنبار » .

أقول : والرَّقّة الارض الطيبة التي ينحسر عنها الماء في شواطئ الأنهار فتكون ذات تربة صالحة فيها الرمل والصلصال ، وهي ندية مشبعة بالماء يحسن فيها الزرع . ومن أجل هذا نسب العراقيون البطيخ الأحمر الى هذه الأرض فأسموه

« الرقيّ » وقد أشار المحقق الى هذا في الجزء الاول .

٧٩– جاء في الصفحة ١٢٧ :

.... ودعا شارباً فغسل يده غسلاً شديداً » .

أشار الاستاذ المحقق ان المراد بـ « الشارب » الساقي .

أقول : وهذا من اللغة الخاصة بذلك العصر .

٨٠– وجاء في الصفحة ١٣٧ :

.... ان جماعة كان عملها جعفر بن القاسم تحتوي على ارتفاع فارس » .

أفاد الاستاذ المحقق مما ذكره الخوارزمي في « مفاتيح العلوم » : ان «الجماعة» حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل . وأما « الارتفاع » فقد ذكره الاستاذ عبدالقادر المغربي وهو ايراد الكورة أو الناحية .

٨١– وجاء في الصفحة ١٤٣ تعليق واف على « القراءات السبع » ذكر فيه الاستاذ المحقق « ابا عمر زبان بن العلاء » .

أقول : والصواب : أبو عمرو وهو شهير .

٨٢– وجاء في الصفحة ١٤٤ شرح المحقق لكلمة « السفتجة » فقال : انها الحـَوالة ، فارسية . (المنجد) .

أقول : وكان أجدى أن يرجع الى غير « المنجد » في هذه المواد التاريخية القديمة .

٨٣– وجاء في الصفحة ١٥٥ :

.... وقد سمـّاه ... » .

وقد ذكر المحقق ما أورد الاستاذ احمد تيمور في (ج ٧ ، م ٣ من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (: ان الكتاب يُسَحّى بسَحاة غليظة ، وهي قطعة مستطيلة من الورق فيُلَفّ الكتاب ثم تُلَفّ الورقة ويلصق طرفها .

أقول : انها تقوم مقام « الظرف » في عصرنا .

وقد أفاد الاستاذ المحقق من تحقيقات احمد تيمور وأشار إليها في تعليقاته ، ولا أرى حاجة ان أعود إليها .

٨٤– وجاء في الصفحة ١٦١ :

.... ويجون هؤلاء الحمير ... » .

اقول : لقد علق المحقق الفاضل على الفعل « يجون » فقال : لغة بغدادية ، وأنا أضيف الى أنها عامية عراقية ، وأكثر من هذا فغير العراقيين يستعملونها .

٨٥– وجاء في الصفحة ١٦٥ :

... وجعلت فيها (أي الأنبوبة) حلقة وسيراً ... » .

وقد شرح الاستاذ المحقق كلمة « سير » فقال : « قدة من الجلد ، والكلمة لم تزل مستعملة – في بغداد » .

أقول : لعل الحاجة منتفية من شرح كلمة « سير » فالكلمة فصيحة ويعرفها العوام في الوقت نفسه .

٨٦– وجاء في الصفحة ١٦٦ :

... فأخذ أهل القافلة يتلهـّون بي .. » .

لقد أشار المحقق الى ان المراد بالفعل « يتلهـّون » يسخرون .

أقول : وهذا من المولّد الجديد أو قل العامي العباسي .

٨٧– وجاء في الصفحة نفسها :

أعطيه اياهما على الله تعالى ... » .

ذكر المحقق : انه تعبير بغدادي بقوله من يتصرف تصرفاً فيه مجازفة .

ولا أدري أمن العامية العباسية هذا التعبير أم من العامية الحديثة ؟

٨٨– وجاء في الصفحة ١٦٨ :

.... فدخلوا الحضرة ... » .

والحضرة هي المدينة الكبيرة ودار المملكة كما اشار المحقق الفاضل .

٨٩– وجاء في الصفحة ١٦٩ :

.... يضرب بالرباب .... » .

فشرح المحقق « الرباب » وعرض لمثل عامي عراقي : « سوّاها ربّابه » يقال : لمن لجّ في المطالبة . ولا أدري أكان في ذلك حاجة ؟! .

٩٠– وجاء في الصفحة ١٧١ :

.... واجتاز ابو عمر القاضي بطريق قد كُسِر فيه دَنّ خمر ، ومعه بعض الشهود ، فقال الشاهد : « شه شه أفيّه افيّه » ، فأمسك عنه ... » .

لقد علق الاستاذ المحقق فقال : تغيّر التعبير البغدادي عن أيام أبي عمر القاضي فان « شه شه » الآن تعبير عامي بغدادي عن الشعور بالبرد ، كما ان « أفيّش ، أفيّش » تعبير عامي عن الرائحة الطيبة ، اما التعبيرعن الرائحة الكريهة (اف ، اف) .

أقول : وليس من علاقة بين ما يقال الآن وما كان من عامية عباسية ، وان مقتضى الحال مختلف بين الاثنين .

٩١– وجاء في الصفحة ٢٠١ :

.... عليك بفلان العلق المؤاجَر ... » .

أقول : المؤاجرَ من الكلم المولّد في العصر العباسي ويراد به من يُؤْتَى ، أي كأنه يؤجر نفسه بثمن .

٩٢– وجاء في الصفحة ٢١٣ :

.... وقد قدّم الطيّار او القارب ... » .

لقد أشار الاستاذ المحقق ان الفعل « قدّم » اصطلاح بغدادي بمعنى أرساه على الشاطئ ما زال مستعملاً . ثم أفاد ان من أسماء القارب في العراق في عصرنا هذا « البَلَم » بفتحتين وهو «البَيرَم» لصنف من القوارب، وكان معروفاً في القرن الرابع .

٩٣– وجاء في الصفحة ٢١٦ :

وحدثني ..... قال : كان بغيضاً .... » .

لقد علق الاستاذ المحقق على كلمة « البغيض » فقال : انه تعبير عباسيّ يطلق على من كان شديد التزمّت او كان سيّء المواجهة عبوساً .

أقول : وليس هذا من التعابير الخاصة بحيث يجوز وصفها بـ « العباسية » فهذه الدلالات محتملة في كلمة « البغيض » في الفصيحة العامة .

٩٤– وجاء في الصفحة ٢٢٣ :

الدوباركة كلمة أعجمية وهي اسم للعب على قـــدر الصبيان يخلّونها أهل بغداد في سطوحهم في ليالي النيروز .....

أقول : ان قول المصنف : « يخلّونها أهل بغداد » من العامية القديمة التي مازلنا نسمعها في لغة العراقيين الدارجة المعاصرة .

٩٥– وجاء في الصفحة ٢٢٦ :

... وهاتر لنا صديق مغنية فقال : .....

قلت الاستهتار هي الوَلوع ، وها أنا اعرض للمهاترة اي المكالمة بقحة وخشونة وغلظة وتماجن .

٩٦– وجاء في الصفحة ٢٢٧ :

«... كان الحر العاملي مكاشفاً باللواط » .

أقول : اراد بقوله : « المكاشف » المجاهر المعلن .

٩٧– وجاء في الصفحة ٢٢٨ :

«.. وكان ابو عيسى بن بنت ابي نوح مكاشفاً بالبغاء » .

وقد علق الاستاذ المحقق على « البغاء »فجاء بالمعنى اللغوي للبَغْي وهو الفساد والاعتداء والظلم ، ثم ذهب الى الاصطلاح وان البغيّ الزانية والرجل البغّاء الذي يُؤتى .

أقول : لعل المهم الذي أراد ان يذكره المحقق هو : « البغّاء » نظير «الجبّار» وغيره .

٩٨– وجاء في الصفحة ٢٣١ :

«... اني قد صلّيت ورْدي ... » .

الوِرْد هو الجزء من القرآن يقرأه الرجل كل ليلة ، هذا ما أورده المحقق .

٩٩– وجاء في الصفحة ٢٣٢ :

«... والناس اذ ذاك يلقون جهداً جهيداً من الحنابلة اذا أرادوا الخروج الى الحائر » .

أقول : وهذا شاهد آخر على الحائر وهو « كربلاء » من غير ارادة التخصيص بـ « قبر الحسين » (ع) ، كما ذهب الاستاذ المحقق .

١٠٠- وجاء في الصفحة ٢٣٥ :

.... ففضضت الختم عن الكيس ، وقضيت منه ديني ، وتأثّثتُ ، وتَوَسَّعت » .

المراد بـ « تأثّثَ » أصاب خيراً . أقول : وهذا من غير شك من مادة«أثاث» المشهورة .

١٠١- وجاء في الصفحة ٢٤٣ :

.... فقام من دُكّانه ... » .

علق الاستاذ المحقق على الجملة فقال : انها تعبير بغدادي اي أغلق دكانه وتأخّر عن سداد ديونه .

أقول : ان « القيام » في الجملة المثبتة تعني انتهاء العمل ، وهذا لا يخصص البغداديين وحدهم . وهو ما زال مسموعاً في العراق كافة ، وربما في غير العراق . أما « الدُكّان » فهو الحانوت بمعناه الحديث لا القديم ، أي المخزن الذي توضع فيه البضاعة للبيع مثلاً ، وقد يكون لغير البضاعة فالنجار يملك دكاناً وسائر اصحاب الاعمال والحرف يقيمون في الدكاكين .

وقد أشار الاستاذ المحقق الى الدكاكين وانواعها في الصفحة ٤٥ ، ومما قال : .... فإن كبُر الدكّان سُمّيَ « مغازة » والكلمة محرفة عن الافرنجية Magozine أقول : وصواب الافرنجية « Magazin » أما ما أثبته المحقق Magaine فتعني « المجلة » .

١٠٢- وجاء في الصفحة ٢٧٣ :

« وبلغني عن بعض لُعّاب النَرْد : ان لعبا توجه عليه لرسيله (كذا) » .

الرسيل : المرافق لك في النضال ونحوه ، والمعنى هنا المقابل لك في اللعب .

أقول : والرسيل بهذا المعنى المولدً من الكلم المفيد ، وربما يستفاد منه في عصرنا هذا .

١٠٣- وجاء في الصفحة ٢٧٩ :

... فاذا رَوْشن حسن وعليه جوارٍ يلعَبْن » .

الروشن هنا ما يشبه ما نسميه في العمارة الحديثة شرفة اي « بَلْكون » الافرنجية ، وان كانت الشرفة في العمارة الاسلامية القديمة شيئاً آخر . وقوله : يلعبن أي يرقصن ويغنين وهذا من المعاني المولّدة العباسية .

١٠٤- وقد وردت في الصفحة ٣١٧ كلمة « رقيع » فعلق الاستاذالمحقق: انها الأحمق ، والعامة ببغداد الآن يقولون « سقيع » .....

أقول : وقوله العامة « سقيع » هي « صقيع » والصقيع نظير البَرَد معروف ببرودته ، والتعبير من باب التشبيه ، والرقاعة شيء آخر فهي الحمق .

١٠٥- وجاء في الصفحة ٣٢٨ :

.... فاذا هي تنغش بالدود » .

ذكر الاستاذ المحقق ان الفعل « نغش » بمعنى تحرك واضطرب » ، ثم قال : يعني انها محشوّة بالدود ، وهو تعبير بغدادي مازال مستعملاً .

أقول : قد يكون مستعملاً ولكنه نادر قليل لا نستطيع ان نقول فيه : انه تعبير بغدادي .

١٠٦- وجاء في الصفحة ٢٣٥ :

.... تجيني ... » أي تجيئني .

وهذا استعمال عامي نظير قوله « يجون » لجمع الغائبين الذي ورد في الصفحة ٢٣٧ . وقد قلت انه غير خاص بالبغداديين .

١٠٧- وجاء في الصفحة ٢٣٨ ذكر كلمة « المؤامرة » : وهي قائمة بحساب ما تحقق على المكلف من ضرائب ورسوم يقتضى عليه (كذا) ان يؤديها . هذا ما علق به الاستاذ المحقق .

أقول : وقد وجدت المؤامرة في النصوص المتأخرة أي في القرنين السادس والسابع تعني الطلب الذي يقدَّم الى الرئيس او الحاكم بشأن مسألة من المسائل ، أو ما ندعوه الآن « عريضة » وهذه الأخيرة هي ما ورثناه من العهود التركية مما

استعمل من الكلم العربي الفصيح .

١٠٨– وجاء في الصفحة ٢٤٧ :

«.. فشرَّها في الشمس » .

قال المحقق : ان الفعل « شرّ » من العامية البغدادية .

أقول : انها عامية قديمة عباسية وعامية حديثة عراقية وقد تكون غير عراقية أيضاً . غير أنه لا بد من القول ان الفعل « شرَّ » بمعنى نشر من الفصيح الذي استأثرت به العامية ، جاء في كتب اللغة :

شرَّ اللحم وشرَّ الثوب أي علّقه ليجفّ .

١٠٩– وجاء في الصفحة ٣٥٨ :

«... وتجيئهما القطع دارَّة » .

المراد : قطع النقود .

الجزء الثالث من « النشوار » :

١١٠– وجاء في الصفحة ١٢ :

«... قدابتُليت بابن لي حَدَث يتلف مالي في القيان والبلاء عند مُقَيِّن » .

أقول : واشتق العرب ولاسيما في عصر بني العباس من مادة « القيان » فعلاً هو « قيّن » ومنه جاء اسم الفاعل « مُقيِّن » لمن يجمع القيان والجواري في بيت له فيقصده أهل السمر واللهو للسماع والعبث ، وكأن هذا العمل حرفته فيستوفي من الحاضرين أجراً للهوهم وسماعهم .

١١١– وجاء في الصفحة ٢٢ :

«... اذ جاءه برّاج .... » .

البرّاج : الموكّل ببُرْج الحمام الزاجل (كذا) كما أفاد الاستاذ المحقق .

أقول : والصواب : حمام الزاجل لا الحمام الزاجل ، والمفيد اننا وجدناالبرّاج مشتقاً من الاسم « بُرْج » وهو بيت الحمام كما هو معروف لدينا الآن .

١١٢– وجاء في الصفحة ٤٠ :

«... وكتب هو وسحا وختم وخرط ... » .

أقول : تقدم القول على « السحاة » ودلالتها على الورقة (راجع ٨٢) .

ثم علق الاستاذ المحقق فقال : ختم الكتاب وضع الخاتم على الشمع ، وخرطه اي وضعه في خريطة ، وهي كيس من جلد في طرفها خيط يشدّ به .

١١٣ــ وجاء في الصفحة ٦١ :

«... خرج يتصدّق ... » .

المراد بقوله : « يتصدّق » يطلب الصدقة .

أقول : وهذا ما هو مستعمل في العربية المعاصرة العامية .

١١٤ــ وجاء في الصفحة ٦١ :

«... ينشد الرقائق .... » .

المراد بـ « الرقائق » الشعر الصوفي والزهديات .

١١٥ــ وجاء في الصفحة ٦٣ :

«... جاءني سُقطيّ كان يعاملني » .

قال الاستاذ المحقق : هونسبة الى بيع السقط كالملاعق وخواتيم الشبه والحديد وغيرها ، والذي يسمى الآن في بغداد « خرده فروش » .

أقول : لم أجد في النص في « النشوار » اختصاص « السقطيّ » ببيع المواد المذكورة ، فقد تكون هذه وقد يكون شيئاً آخر . وأرى ان السقطي البائع للحاجات المنزلية وغيرها مما هو رخيص شائع .

اما القول : إنه في العراق « خرده فروش » فهذا من الكلم الذي بدأيضمحلّ ويزول .

١١٦ــ وجاء في الصفحة ٦٩ كلام على ليلة القدر ، فراح المحقق يذكر مما يتعلق بها شيئاً عن « الشهر » ودلالته كما ورد في « مجمع البيان للطبرسي ٥/٥١٧ ــ ٥١٨ » وانه سمي شهراً لاشتهاره بالهلال .

أقول : ان مادة « شهر » لم تسمّ بهذا الاسم للاشتهار بالهلال كما ورد في « مجمع البيان » . وهذا خطأ المؤلفين العرب الأقدمين الذين لا يعرفون صلة العربية باللغات الأخرى أخواتها التي سبقت في الوجود كالبابلية الاكدية

والآرامية السريانية وغيرهما . وفي هذه اللغات ان الشهر والسهر والساهور مادة واحدة تنصرف الى معان متقاربة ، ولا أريد ان أفيض في ذكر هذه الفوائداللغوية التاريخية . وعلى هذا فليس بشيء قول الطبرسي : ان الشهر سُمِّي شهراً لاشتهاره بالهلال .

١١٧– وجاء في الصفحة ٧٢ :

«... كان باسكان شاعر له ضُوَيعة ... » .

قال المحقق : عند البغداديين : كُويعه ، شويّب ، وزويّن تصغير كاع ، وشايب ، وزين .

اقول : وليس هذا عند البغداديين وحدهم بل هو في العراق عامة ولاسيما عند أهل القرى ، ويقل ذلك عند أهل الحواضر ومنها بغداد .

١١٨– وجاء في الصفحة ٧٦ :

«... فقالت له الجماعة : الآخر جاهل .... » .

قال المحقق : الآخر والأخير والأبعد والبعيد اصطلاح بغدادي يقوله المتحدث اذا أراد ذمّ شخص غائب كي لا يواجه المخاطب بكلمات الذم .

أقول : وليس الآخر والأخير والأبعد مما يستعمله البغداديون او العراقيون لهذا الغرض ، انما المستعمل هو « البعيد » فقط .

١١٩– وجاء في الصفحة ٨٠ :

«... فابتدوا معه في ذلك ... » .

أقول : « ابتدوا » عامية قديمة ومثلها في العامية المعاصرة في بغداد وغيرها من البلاد .

١٢٠– وجاء في الصفحة ٨٥ :

«... انا أشتهي شهوة منذ سنين ، وهو ذا ، استقبح أن أطلبها » .

قال المحقق : « هوذا » عامية بغدادية ترد بمعنى « والحالة هذه » .

١٢١– وجاء في الصفحة ٨٧ :

«... يحضر مجلس أبي للخلاف ... » .

قال المحقق : « الخلاف » المناقشة في الأمور الاعتقادية والآراء والمذاهب » .
أقول : والخلاف هو الخلاف في الرأي بين المذاهب ، ومثله « الخلاف » في النحو أي بين نحاة البصرة والكوفة .

١٢٢- وجاء في الصفحة ٩٥ :
«... وكان ابو القاسم قد نشأ وترجّل ... » .
تَرجّل بمعنى صار رجلاً .
أقول : وهذا من المولّد العباسي الذي وجدناه في « النشوار » ذلك اننا لا نعرف في العربية الفصيحة الا قولهم : ترجّلَت المرأة أي صارت كالرجل .

١٢٣- وجاء في الصفحة ١٠٧ :
«... فباسطني وطاولني ... » .
المراد بقوله : « طاولني » لاطفني وهي مثل « باسطني » التي قبلها .

١٢٤- وجاء في الصفحة ١٣٣ :
«... كان عليّ وعد بنقدة ... » .
قال المحقق : النقدة ما يؤديه التاجر نقداً سداداً لما ترتب عليه من ديون ، وهو اصطلاح تجاري عباسي .
أقول : وهذا من المصطلح الذي كان ينبغي ان يستفاد منه في عصرنا .
وقد أشار الاستاذ المحقق الى ورود المصطلح في « النشوار ج ٨ القصة ٩٧ » وفيها : ...
وكان يراني أخرج كيساً من صندوق لي فأعطي منه النقدات التي تحلّ عليّ .

١٢٥- وجاء في الصفحة ١٣٤ :
«... وكان عندنا بالبصرة رجل مستور .... أحد الباعة في دار البطيخ ...».
أقول : والوصف بـ « مستور » يعني أنه رجل ممن لا يُعبَأ بهم .
ثم جاء في الخبر : .... يركب وينبسط في المجالس والكلام .
ومعنى قوله : « ينبسط » اي لا يتأدب ويحتشم .

١٢٦- وجاء في الصفحة ١٧٨ :

«... فيقيم لهما ولغلمانهما ما يحتاج اليه للمادة والوظائف » .

أقول : أراد بـ « المادة » ما يستهلك في الدار من طعام أو شراب كما أفاد المحقق .

١٢٧– وجاء في الصفحة ١٨٢ :

«... فجذبه اليه سيف الدولة ، وشاوره بشيء ... » .

قال الاستاذ المحقق : «ان الفعل « شاوره » تعبير بغدادي بمعنى ساره » .

أقول : ولا يبدو لي ان هذا هو المراد والفعل « شاور » بمعناه الفصيح ، لانه لو أراد ان يأتي به بمعنى « سارّه » لما عطف عليه بقوله :

« قال فاستدعى خادم حرمه وسارّه بشيء » .

فلِمَ استعمل الفعل المراد « سارّه » في النص نفسه بعد كلمتين او ثلاث؟

١٢٨– وجاء في الصفحة ١٨٥ :

«... والتقدّم الى المستخرج ... » .

قال المحقق : هو الذي يكلف باستخراج مبالغ المصادرة المقررة على المصادرين ، ويقوم بالتعذيب عند المطالبة .

أقول : وهذا من المصطلح المولّد العباسي .

١٢٩– وجاء في الصفحة نفسها :

«... الى ان قال حامد هاتم المحسّن ... » .

قال الاستاذ المحقق : هاتم لغة بغدادية في هاتوا » .

أقول : وأين يستفاد هذا العلم ؟ وما المظنة في ذلك ؟

١٣٠– وجاء في الصفحة ١٨٦ :

«... فاعمَلْ انه كان بقّالاً ... » .

قال المحقق : اراد بقوله : « اعمل » افترض على الأمر .

١٣١– وجاء في الصفحة ١٨٩ :

«... فيقولوا ماجا شيء ، وهم يتشاورون فيما يفعلونه » .

لقد علق الاستاذ المحقق قائلاً : « من العامية البغدادية »

أقول : لعل الأصل : ما جاء شيء وعلى هذا انتفى كونه من العامية كما أود ان أشير إلى « التشاور » الوارد الذي لايدل على المعنى العامي الذي أشار اليه المحقق .

١٣٢– وجاء في ١٩١ :

«... التمر والكسب ... » .

المراد بـ « الكسب » القسب وهو التمر اليابس ، ومجيئه بالكاف على الطريقة العامية .

١٣٣– وجاء في الصفحة ١٩٢ :

«... ثم رفعت اليه حسبة ... » .

والمراد بـ « حسبة » قائمة الحساب ، وهذا من التصرف في صنع الجديد .

١٣٤– وجاء في الصفحة ٢١٥ :

«.. أنت اللص الذي هرب وجبناه ... » .

أقول : ان الفعل « جبناه » من العامية الدارجة وهي دارجة في مواطن عدة .

١٣٥– وجاء في الصفحة ٢٢٨ لفظ « الكرك » وتكفل الاستاذ المحقق بشرحها فقال هي الحلقة من الحديد يوضع في وسطها المجذاف للجذف . و « الكرك » من غير شك من الدخيل الذي لم تذكره المظان المعروفة بهذه المادة .

١٣٦– وجاء في الصفحة ٢١٩ :

«... وتدعنا من حقّا » .

قال الاستاذ المحقق : انها عامية عراقية لم تزل في الموصل بمعنى حقيقة ، وترد في الاستفسار .

١٣٧– وجاء في الصفحة ٢٢١ :

«... فأخذَ ما عفَوا به ... » .

قال المحقق : العفو من المال ما لا عسر على صاحبه في اعطائه .

أقول : وفي مادة « عفو » في فصيح العربية ما يعين على هذه الدلالة .

١٣٨- وجاء في الصفحة ٢٦٥ :
«.. ليفرض لهم ... » .
والمعنى : يعطيهم الفرض وهو أجر المحارب كما يتبين من النص وهذا ما أفاده المحقق .
١٣٩- وجاء في الصفحة ٢٦٦ :
«... قال : نزّلوه اربعين ديناراً ... » .
اقول : الأنزال جمع نَزَل بفتحتين أي الرزق .
١٤٠- وجاء في الصفحة ٢٧١ :
«... فرأيت في دكان نطّاف رَفّاً عليه ظهور معلقة ... » .
قال المحقق : الظهور هي الاوراق التي استعملت للكتابة وقد فرغ منها صاحبها فتركها لتستعمل في لفّ حاجات الناس .
١٤١- وجاء في الصفحة ٢٧٥ :
«... بلغت مصادرته الف الف ومائتي ألف درهم تَكَشّف بأدائها » .
ومعنى « تَكَشّفَ » افتقر . أقول : وهذا من المولّد الجديد في العصر العباسي .
١٤٢- وجاء في الصفحة ٢٨٠ :
«... واذا هو يمشي لا قلبة به ... » .
قال المحقق : القلبة الداء .
أقول : وهذا ما يستشف من النص فليس في « القلبة » هذا المعنى بل انه جديد مولّد في ذلك العصر .
١٤٣- وجاء في الصفحة ٢٨٢ :
«.. فأحضرت له مقارع ، فلما رأى المصدوقة قام ومشى ... » .
أقول : « المصدوقة » مصدر بمعنى الصدق بني على اسم المفعول كما تبنى المصادر على اسم الفاعل مثلاً نحو قولهم : العافية .
الاجزاء الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن من « النشوار » تشتمل على

نقول رواها ابو علي المحسِّن التنوخي او ابنه ابو القاسم . وقد شاء المحقق ان تكون هذه من « النشوار » فجمعها من مصادر الأدب والتاريخ هي :

المنتظم لابن الجوزي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، والوزراء للصابي وفرج المهموم لابن طاووس ، ومعاهد التنصيص للعباسي ، وذم الهوى لابن الجوزي ، وتجارب الامم لمسكويه ، وتاريخ بغداد للخطيب والاذكياء لابن الجوزي ، والمزهر للسيوطي ، والهفوات النادرة للصابي (غرس النعمة) ، وتحفة المجالس للسيوطي ، والملح والنوادر للحصري ، وفضل الكلاب لابن المرزبان ، وثمرات الاوراق لابن حجة ، والتطفيل للخطيب البغدادي وغيرها .

أقول : وليس في هذه النقول جميعها ما يفيد أنها من « النشوار » فلم يرد ذكره لا تصريحاً ولا تلميحاً ، الا في خبر قصير ذكره السيوطي في « المزهر » وقال : وذكر النشوار .

ثم ان طبعة هذه النقول يغلب عليها اللون التاريخي وبذلك تبتعد عن مادة القصص الدائر في « النشوار » المراد به السمر والعظة ، فما جاء منه مثلاً في « تاريخ بغداد » لا يختلف عما في هذا الكتاب طبيعة ومادة ، ومثله ما جاء في الكتب الأخرى .

وهناك شيء آخر يتصل بلغة هذه النصوص التي خلت من الأساليب العامية والكلم العامي الذي شاع في كتاب « النشوار » وهذا يحملنا على القول : انها ليست من « النشوار » أيضاً .

ثم اني قد عدلت عن كثير من الأوهام النحوية وأوهام الضبط الأخرى ، واكتفيت بهذه المواد التي آثرت ان تكون مما يجب ان يقف عليها القارئُ في هذا العلق الثمين . على أني لم أشر الى ما أشار إليه العلامة احمد تيمور من المعرّبات والدخيل والعامي والكلم الفني فهو منشور معروف في مجلة المجمع العلمي العربي كما أثبتّ ذلك وعيّنته .

مستدرك على ما فات من الفوائد

الجزء الثاني

١ – جاء في الصفحة ٢٧ :

فقال له ابو خليفة : ايحاشك فقد ، وايناسك وعد » .

أقول : ولعل الصواب كما يبدو لي : إيحاشك « نقد » وإيناسك وعد .

وذلك لما تقتضيه المشاكله بين النَقْد السريع والوعد البطيء .

٢ – وردت لفظة « الاملاكات » وقد اغفلها الاستاذ المحقق في الصفحة ٥٨

اقول : لعلها عقود النكاح وقد جمعت جمعاً عامياً !

٣ – وقد ورد الفعل « ونّسني » في الصفحة ١٤٧ ولم يشر المحقق الى أنه عامي على شدة عنايته القصوى بالموضوع .

٤ – وجاء في الصفحة ١٧٦ :

«.. وقُدِّمت الينا المرايا المحلاة ... » .

أقول : لعلها « المجلاة » بالجيم وذلك لان « المحلاة » تقتضى متعلقاً ، فبأي شيء حُلِّيت ؟

هذا ما وددت ان اعرض له في هذه المسائل التي لا تقدح على كثرتها من جهد الاستاذ المحقق وما أتى به من الفوائد الحسان ، وما قدّم للدارسين من مَظنّة اشتملت على كثير من فنون العلم والمعرفة .

تعليقات على كتاب الأغاني

تحقيق : عبدالكريم العزباوي [1]
ومراجعة : محمد أبي الفضل ابراهيم [2]
١٣٩٠ ﻫ – ١٩٧٠ م

صبحي البصّام

١ – في « ذكر ذي الرمّة ... » (ص ٣ – ٤) :

خمسة أبيات على رويّ العين ، نسبها أبو الفرج الى مسعود أخي ذي الرمة ، أقول فيها :

أ – هي كذلك نسبت في طبقات ابن سلاّم (ص ١٨٩) ، ولكنها في الحماسة (المرزوقي ٧٩٣/٢) والكامل (٢٦٢/١) وعيون الأخبار (٦٧/٣) نسبت الى هشام أخي ذي الرمة .

ب – وجاء فيها :

تعزّيتُ عن أَوْفَى بغَيْلانَ بعده
عزاءً وجَفْنُ العين ملآنُ مُتْرَعُ

وقال ابو الفرج إنه أوفى بن دَلْهم ابن عم ذي الرمة ، وإنه أحد من يُروى عنه الحديث . وقال المرزوقي : إنه أخو ذي الرمة : وقال في شرح البيت : « فُجع بأخيه أوفى ، وأتى عليه زمان مقاسياً لآلام الفجيعة به ، ثم أُصيب بغيلان بعده وهو ذو الرمة ... » .

---

(١) عدا « ذكر ذي الرمة ... » فهو من تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي كما ذكر الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم في مقدمة هذا الجزء .
(٢) ذلك مذكور في مقدمة هذا الجزء .

ج — وجاء فيها :

خوى المسجدُ المعمورُ بعد ابن دَلْهَمٍ
فأضحى بأوفى ، قومُهُ قد تضعضعوا

وابن دلهم عند أبي الفرج ابن عم ذي الرمة — كما تقدّم — وهو عند المرزوقي رجلٌ أتُّخِذ مَثَلاً ، بأن شُبِّه حال قوم أوفى بعد أوفى بحال مسجد كان عَمَرَه ابن دَلْهَم ثم خوى بوفاته .

د — والبيت الرابع منها هو في الحماسة مقدّم على البيت الأول .

هـ — وعجز البيت الخامس ، وهو : « ولكنْ نكاءُ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجَعُ » هو في الحماسة والكامل وعيون الأخبار « ولكنّ نَكْءَ القَرْحِ بالقرح أوجَعُ » .

٢ — وفي « ذكر ذي الرمة ... » (ص ١٩) :

لجرير في هجاء ذي الرمّة أبيات لي فيها قولان :

أحدهما : أن البيت الأول ، وهو :

غضبتُ لِرَجْلٍ من عَدِيٍّ تشمّسوا
وفي أيِّ يوم لـم تَشَمّسْ رجالها

قال فيه المحقق شارحاً : « تشمّس : قعد في الشمس أو انتصب لها » :

ولا يصلح هذا المعنى في معرض الهجاء ، والصواب أن تشمّس هاهنا أظهر بخله ومنع خيره . وفي اللسان (مادة شمس) : « والبخيل أيضاً متشمّس ، وهو الذي لا تنال منه خيراً . يُقال : أتينا فلاناً لمعروفه فتشمّس علينا ، أي بخل » .

والآخر ، أن البيت الرابع ، وهو :

يماشي عَدِيّاً لؤمُها لا تُجِنُّهُ
من الناس ما مسّت عَدِيّاً ظِلالُها

وفي الديوان (ص ٤٨٧) وطبقات ابن سلام (ص ١٨٨) : « ما ماشت » في مكان « ما مسّت » ، وهي الرواية المقبولة ، لأنه جاء في صدر البيت «يماشي» ، وجرير ممن يُعنى بتخيرّ الألفاظ ، وجودة رصفها ، وحسن انسجامها .

٣ — وفي « ذكر ذي الرمة ... » (ص ٢٣) :

جاء أنّ خيّاطاً قال لذي الرمّة :

أأنت الذي تستنطق الدار واقفاً

من الجهل هل كانت بكُنّ حُلُول؟

ولعلّ الأصل في الرواية « قائلاً » في مكان « واقفاً » .

٤ — وفي « ذكر ذي الرمّة ... » (ص ٢٤) لذي الرمة :

لِأَدماء من آرام بين سُوَيقـة

وبين الجبال العُفر ذات السلاسلِ

برواية « الجبال » بالجيم ، وقال المحقق : « في الديوان : الحبال » أي بالحاء المهملة ؛ وأقول : أظنّ أن رواية الديوان هي الصحيحة ، والحبال ،الرمال المستطيلة ، ومن كلامهم حبال ذات سلاسل ، ورمال ذات سلاسل ، وهو تسلسلها الذي يُرى في التوائها .

٥ — وفي « ذكر ذي الرمة ... » (ص ٢٥) :

قال الفرزدق وهو يعني ذا الرمة : « الاّ غلاماً من بني عدي بن كعب » والصواب من بني عدي بن عبد مناة كما قال أبو الفرج في نسبه (ص ١) ، وابن خلكان (١٨٤/٣) وغيرهما .

٦ — وفي « ذكر ذي الرمّة ... » (ص ٢٥) :

« وكان ذو الرمّة يتشبب بميّ بينت طُلْبة بن قيس بن عاصم » . وضبطت « طُلْبة » بضم الطاء ، ثم ضُمّت في موضع آخر (ص ١٤٦ آ) ، وضبطت في الكامل (١٤٧/١) بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم والأستاذ السيّد شحاته بفتح الطاء وكسر اللام.دأما بتحقيق د. زكي مبارك (٤١٧/٢)[٣]فضبطت بفتح الطاء وإسكان اللام ، وكذلك ضبطت في طبعة مطبعة التقدم (٢٨٨/١/ ١٣٢٣ هـ) ، مع حاشية لبعض القدامى تقول إنّ الرواية المشهورة طَلْبة بفتح

(٣) تحقيقه لهذا الجزء من أوله وهو الصفحة ٤٠٣ الى الصفحة ٤٣٣ ثم حقق سائره الأستاذ أحمد محمد شاكر ، ولكن طبع سهواً على دفة الكتاب أنه تحقيق د. زكي مبارك .

فسكون ، وأنّ أبن سرّاج تسامح في فتح اللام ، وقوله إنها الرواية المشهورة يدلّ على أن ضبط أحرف هذا الاسم متنازع فيه ، وعندي أن الأَولى في ضبطه احد وجهين :

الأول : طَلْبة ، بفتح فسكون ، وهو مصدر مرّة ، لما مضى من قول بعض القدامى في حاشية له على الكامل ، ولقول جرير في مُقاتل بن طَلْبة (الكامل ١/٢٢٩/١٣٢٣ هـ) :

رأيتُ مُقاتِلَ الطَلَبات حَلّى
فروج بناته كَمَرَ الموالـي

فقوله « الطَلَبات » بفتح الطاء فاللام دليل على أن الأصل فيه « طَلْبة » بفتح فسكون . هكذا ضبطت الكلمة في الكامل ولم أجد البيت في الديوان .

والآخِر : طِلْبة ، بكسر فسكون ، وهو فِعْلة بمعنى مفعولة ، كأن المراد : الأُمنيّة المطلوبة من الله تعالى ، وقد أُخبرتُ في مديرية الأحوال المدنيّة العامة ببغداد أنّ في سجلاّتهم ألوفاً من الرجال مُسمّيْن بهذا الاسم ، وألوفاً من النساء مُسمّيات به ، وأُخبرتُ أن الاسم معروف لديهم بكسر الطاء ، وأنّ طُلْبة بضم فسكون ، وطَلَبَة بفتح ففتح ، وطَلِبة بفتح فكسر غير معروفة لديهم البتّة ووردت « طِلبة » في كلام لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنـه (البيان والتبيين ٢/١٩١) وهو : « لا تُحجب عنه دَعوة ولا تخيب لديه طِلْبة » وكُسِرت الطاء من طِلْبة في هذين النصّين . ويُشبه طِلْبة من أسماء النســاء قِسْمة وكِتْبة ، كأن المراد : القِسمة المقسومة من لدن الله تعالى ، والكِتبــة المكتوبة من عند الله تعالى ، ومن فِعْلة بمعنى مفعولة الجِرّة لما يجترّه البعير من كرشه الى فيه ، وصِيغة للمصوغة من الذهب وغيره قال المرقش الأصغر :

تحلّيْنَ ياقوتاً وشَذْراً وصيغةً
وجَزْعاً ظَفَاريّاً ودُرّاً تَوائِما

وعِدّةفي نحو« عدّة كُتُب » للمعدودة ،وهيالتي لا يُعرف مقدارها الاّ بالعَدّ ، بخلاف ثلاثة وأربعة ونحوهما ممّا يُعرف عدده بالنظرة العجلى وبغير عدّ . وكسر

الطاء في « طِلْبة » أقرب الى لهجة العراقيين من الفتح أو الضم لميلهم في كثير من ألفاظهم العاميّة الى الكسر . ويجوز التسمية بطُلْبْة بضم فسكون ، ومعناها السفرة البعيدة ، ويجوز التسمية بها بفتح فكسر ، ومعناها ما طلبته من شيء ، وهو مستكره ؛ لثقل لفظه ، وإمكان الاعتياض منه بأخف منه ، على أني استبعد أن يكون أي منهما من اسم « طَلِبة بن قيس » المذكور في الأغاني لما قدّمت من شرح لطِلْبة بضم الأول وبكسره .

٧ — وفي « ذكر ذي الرمّة ... » (ص ٣٨) :

« فقال : أسفِرْنَ فَسَفَرْنَ غيري ، فقال : لئن لم تُسفِري لأفضحنّك ، فَسَفَرْتُ » ، وضُبطت التاء من « تُسْفِرِي » بالضم ، وكأنه رباعي ، واستعمال هذا الفعل رباعياً شائع في عصرنا هذا ، والوجه « تَسْفِرِي » بفتح التاء ، بجعله ثلاثياً ، كما جاء في النص نفسه ، وهو « فَسَفَرْنَ » ثم « فَسَفرتُ » ، وهذا مطلب يقتضي بسط الكلام فيه ، فأقول : المشهور في الثلاثي في نحو « سَفَرَت المرأة » ألقت نِقابها ، وفي الرباعي ، في نحو « أسفر وجه المرأة » أضاء . قال ابن السكّيت (إصلاح المنطق /١١٢) : « يُقال أسفرَ لونُهُ إذا أشرق ، وأسفر الصبحُ اذا َضاء ، وقد سَفَرت المرأةُ نِقابَها تَسْفِرُ سَفْراً » . وفرّق بين هذين الفعلين ثعلب في الكلام على فعلتُ وأفعلتُ والمعنى مختلف (الفصيح /٢٠) ، والزجّاج في فعلتُ وأفعلتُ والمعنى مختلف ، (كتاب فعلتُ وأفعلتُ /١٤٩) ، وعلى ذلك جرت معجمات اللغة . ومن شواهد « سَفَرَ » الثلاثي بمعنى إلقاء ما يغطّي الوجه :

أ — قول الخزرج بن عوف الخفاجي (الجمهرة / ج ه / و ا ى) :

سَفَرَتْ فقلتُ لها هجِ فتبرقعت
فذكرتُ حين رأيتُها ضَبّارا

ب — وقول كثيّر (الديوان / ١٢٢) :

ويومَ الخيلِ قد سَفَرَت وكفّت
رداء العَصْب عن رَتَلٍ بُرادِ

ج– وقول الحماسي (الحماسة ١٨٧٦/٤) :

اذا سَفَرَتْ كانت بعينيك سُخْنةً
وإن بَرْقَعَتْ فالفقرُ في غاية الفقرِ

د – وما جاء في يوم ذي طلوح (العقد الفريد ١٨٩/٥) وهو :
« قال أنا عُمَيْرَة ، فكذّبه ، فَسَفَر عن وجهه »

هـ – وما جاء في مصعب بن الزبير (تأريخ الطبري ٩٣/٦) وهو : «فقدِم متلثّماً حتى أناخ على باب المسجد ، فَسَفَر المصعبُ فعرفوه ... » .

وقد أتيت بالنصّين اللذين فيهما عُميرة ومُصعب ليُستَدَلّ أن سَفْرَ الوجهِ يصحّ أن يُقال في الرجل كما يصحّ أن يُقال في المرأة ، على أنّ قوله في المرأة هو الأغلب . ومن شواهد « أسفر » الرباعي بمعنى أضاء :

أ – قوله تعالى : « والصبحِ اذا أسفَرَ » (المدّثّر / ٣٤)

ب – وقول كعب الأشقري (تأريخ الطبري ٣٠٦/٦) :

نُسقى ونسقيهم سُمّاً على حَنَقٍ
مستأنفي الليل حتى أسفر السَّحَرُ

على أني وجدتُ « أسفرت المرأة » بالرباعي بمعنى ألقت نقابها في قول جرير (الديوان /٣٧١) :

اذا أسفرت يوماً نساءُ مُجاشعٍ
بَدَتْ سوأةٌ مما تُجِنُّ البراقعُ

وفي قول أبي المهلهل الخزاعي في بثينة صاحبة جميل العذري وابنتها وهو : « فقالت لها : أسفري ، فلما أسفرتْ تحيرّتُ لِما رأيتُ من حُسنها وجمالها » (العقد الفريد ٤٢٣/٦) ، والنصّان يجيزان استعمال الرباعي، ولكنها إجازة تجعلني أقدّم رجلاً وأؤخر أُخرى في قبولها ، لاحتمال أن يكون (أسفر) فيهما تحريف (سَفَرَ) ، وبيت جرير المذكور يستقيم وزنه بسَفَرَتْ ، ثم إنه استعمل الثلاثي ، بقوله من قصيدة (الديوان /٢٤٠) :

ليالي تسبي القلب من غير ريبـــة

اذا سفرت عن واضح اللون أزهرا

واستعمل الرباعي في القصيدة نفسها بمعنى أضاء قال (الديوان/٢٤١):

أتنسُون شدّاتِ ابنِ أحوز إنهـــا

جلّتَ كلّ وجه من معَدٍّ فأسفرا

وقال بعضهم وأراه من المولّدين (مفاخرة الجواري والغلمان /٣٧) :

قلتُ لمـــا رأيتُها أســفرتْ لي تنقّبي

ولم أجد جواز « أسفرت المرأة » بمعنى ألقت نقابها ، في كتب اللغة ،ولا شاهداً من نحو ما ذكرت . وموجز القول : الفصيح في نص الأغاني « لئن لم تُسْفِري » فتح التاء ، لأنّ قائل القول أراد به الثلاثي لاستعماله الثلاثي قبل هذا الفعل وبعده من النصّ نفسه ، ولأنّ الوجه استعمال الثلاثي لتحاشي اللبس بالرباعي الذي له معنى آخر . وممن لم يأخذ باللغة الجيّدة محققو العقد الفريد في امرأة جميلة ، وهو (٢٥٢/٥) : « فسألوها أن تُسْفِرَ عن وجهها فأبت عليهم » بضمّ التاء من تُسفر .

٨ — وفي « ذكر ذي الرمّة ... » (ص ٣٩) :

« فقالت : ما اسمك ؟ قلت : صباح . قالت : وأبو مَنْ ؟ قلتُ : أبو المغلّس .قالت : أخذتَ أوّل الليل وآخره » ، والقول مختلّ التأليف ، والوجه أن يُقال « أخذتَ أوّل النهار وآخر الليل » ، لأن الصباح أول النهار ، والمغلّس الذي يسير آخر الليل ، من الغَلَس ، وهو آخر الليل ، أما أول الليل فذاك الغَسَق والعشيّ ونحوهما .

٩ — وفي « ذكر ذي الرمّة ... » (ص ٣٩) :

جاء في بيت خرقاء صاحبة ذي الرمة : « فمضيتُ نحوه فطوّحتُ بالسلام من بعيد ، فقالت : أدْنُه ... » ، ولا معنى لـ « طوّحت » ولعله أن يكون تحريف « لوّحت » فيكون المعنى أشرت بيدي مسلماً .

١٠- وفي « ذكر ذي الرمّة ... » (ص ٤١) لخرقاء ترثي ذا الرمة :

لقد أصبحتَ في فرعَي مَعَــدٍّ

مكان النجم في فلك السماء

برواية « مَعَدّ » ، وربما كان الأصل « عَدِيّ » ، لأنّ ذا الرمة كما جاء في نسبه (ص ١) من عَدِيّ ، وهو اسم لاصق به ، لذلك قال الفرزدق فيه « لا ، إلاّ غلاماً من عَدِيّ » (ص ٢٢٥) ، ولذلك سبّ جريرٌ عَدِيّاً حين هجاه (الفقرة ٢) ، وجاء أنّ الذي سمى ذا الرمّة « سيد بني عَدِيّ الحُصين ابن عَبْدة » (ص ٤٠) .

١١- وفي « ذكر ذي الرمّة ... » (ص ٤١) :

وَرَد أسم « خيثم بن حِجِّيّة العِجْلي » ، وضُبط « حِجِّيّة » بكسر الحاء وكسر الجيم المثقّلة ، والمعروف في هذا الاسم « حُجَيّة » بضم الحاء وفتح الجيم المخفّفة ، كما ورد في البيان والتبيين (٢٩٢/٢) ومعجم الشعراء (ص٥٦) والبصائر والذخائر (مج ٢٣٢/٤) . وظنّي أنه تصغير حَجْوة وهي حدقة العين .

١٢- وفي « ذكر ذي الرمّة ... » (ص ٤٦) :

« إنّ قبر ذي الرمة بأطراف عناق من وســط الدهناء ، مقابل الأواعس وهي أجبل شوارع يُقابلن الصريمة » ، برواية « أجبل » بالجيم ، والصواب«أحبل» بالحاء المهملة ، أي أحبل الرمل ، وذلك واضح من بدء الخبر (ص ٤٥) ، وهو : « لما احتُضر ذو الرمة قال : إني لستُ ممن يُدفن في الغموض والوهاد . قالوا : فكيف نصنع بك ونحن في رمال الدَّهْناء ؟ قال فأين أنتم من كثبان حزوى ؟ قال وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال ... » الى آخر الخبر ، وفيه يرد ذكر الرمال غير مرة. ثم إنّ عبارة « مقابل الأواعس وهي أجبل » تشهد على نفسها بالخطأ ، لأن الأواعس الأرضون اللينة ذات الرمل، فكيف تصير أجبلا ؟ وقد قيل : « الحِبال في الرمل كالجبال في غير الرمل » (اللسان حبل) ومثل هذا التصحيف معروف في الكتب ، ومنه مـا مضى بيانه (الفقـرة ٤) ، ومنه

ما جاء في كتاب الزاهر لأبى بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وهو « والكثيب الجُبيل من الرمل » . والصواب « الحبُيل من الرمل » .

١٣– وفي « ذكر أخبار دنانير ... » (ص ٦٦) :

نفسي أكنتُ عليكِ مدّعيـاً

أم حين أزمع بينَهم خُنـتِ

بفتح النون من « بينهم » ، وكأنه ظرف مكان ، مع أنه الفراق ، فالصواب الضم على أنّه فاعل، فيجيء الكلام على القلب ، لأن الفراق لا يُزمِـعُ ، ويجوز أن يُقال : « أُزمِـعَ بينُهم »بالبنـاء على ما لم يُسَمّ فاعلُه ؛ وعسى أن يكون من غلط المطبعة .

١٤– وفي « ذكر أخبار دنانير ... » (ص ٦٨) :

« فإذا كتاب على حائط المنزل » ، وذُكر هذا الكتاب أو المكتوب عـلى الحائط ، وهو عبارات في السخف والباءة ، وفي آخرها « وكَتَبَتْ دنانير مولاة البرامكة » . و « كتبتْ » المراد منه « وكَتَبَتْهُ » ، وهو أُسلوب قديم انقطع العهد به في عصرنا هذا . جاء في آخر رسالة بعثت بها عائشة رضي الله عنها « وكتب عُبيد بن كعب .. » (تأريخ الطبري ٤/٤٧٤) ، وفي آخر إصلاح المنطق لابن السكّيت : « وكتب أحمد بن فارس في شهر رمضان من سنة خمس وسبعين وثلاثمائة » على أنهم مع ذلك كانوا يقولون « وكتبه » وليس هذا موضع التمثيل له .

١٥– وفي « ذكر أخبار دنانير ... » (ص ٦٨) :

قال ابو الفرج : « وأخبرني جحظة ، عن أحمد بن الطيّب ، أن الرشيد دعا بدنانير البرامكية بعد قتله إيّاهم ... » ، والمراد بقتل البرامكة نكبتهم ،فعُدل عن النكبة الى القتل لأمر لم يتضح لي وجهه ، لأنّ الرشيد لم يقتل من البرامكة غير جعفر ، قال المسعودي في الرشيد : « واستوزر البرامكة ، يحيى بن خالد ابن برمك ، وابنيه جعفر والفضل، ثم نكبهم في صفر سنة ١٨٧ ، وقتل جعفراً »

(التنبيه والإشراف /٢٩٩)، ثم قتل واحداً من أصحابهم هو أنَسُ بنُ أبي شيخ، أما سائرهم فاستصفيت أموالهم ، وشُرِّدوا ، ومنهم من حُبس ، الا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه ، فإن الرشيد استثناهم من النكبة لما ظهر من نصيحة محمد له (تأريخ الأمم والملوك ٤٩٢/٦)، ومن الوصف الجيد لنكبتهم قصيدة عملها يحيى البرمكي وهو في السجن ، جاء فيها :

صُفْرُ الوجــوه عليهمُ خِلَعُ المذلّــة باديَــهْ
مستضعفون مـــطرّدو ن بكلّ أرض قاصيــه

وأعيدت عبارة قتل البرامكة في هذا الجزء من الأغاني (ص ٣٠٣) ، فإن كان المراد بـ « قتل البرامكة » المبالغة لفائدة بلاغية ، كانت هذه الفائدة دقيقة الشأن في جنب الفوائد البلاغية الجليلة الشأن ، في « القتل »، كقول جميل بثينة :

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما
قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي ؟

وكقول المتنبي :

وما قَتَلَ الأحرارَ كالعفوِ عنهمُ
ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليـــدا

ثم إن كثيراً من الناس يزعمون أن البرامكة قُتلوا حقاً ، أو قُتل كثيرمنهم ، والعبارة التي أوردها أبو الفرج من شأنها أن تقوّي هذا الزعم . وكان الأستاذ عبدالسلام محمد هارون قال في جعفر البرمكي في البيان والتبيين(١٠٥/١) : « من كبار البرامكة الذين قتلهم الرشيد » وهو يريد : « من كبار البرامكة ، وكان قتله الرشيد عند نكبته إيّاهم » .

١٦– وفي « أخبار خفاف ... » (ص ٧٩) للعبّاس بن مرداس :

وأعددتُ للحرب خيفانــةً
تُديمُ الجراء اذا تخـــطُرُ
صنيعاً كقارورة الزعفـــرا
ن ممـــا تُصـــان ولا تُؤثَرُ

وأجدُ أنّ الأصل في البيت الثاني « مما يُصان » و « وما يُؤثر » ، بالياء في أول الفعلين لا التاء ، وبإحلال « ما » محل « لا » . فأما جعل أول الفعلين بالياء فلأنّ التذكير هو الغالب فيما يكون مشتركاً بين الذكور والإناث . قال عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما في عاتكة بنت زيد (الأغاني ٦٠/١٨) :

فإنّكِ ممن زيّن اللهُ وجهَـهُ
وليس لوجهٍ زانَهُ اللهُ شائنُ

فقال « وجهه » ولم يقل « وجهها » . وجاء في خبر عبدالملك بن مروان وزوجه عاتكة بنت يزيد (الأمالي ١٣/١) : « فبكت وبكى حشمها معها ... فقال : وأنتِ أيضاً ممن يبكي » فقال « يبكي » ولم يقل « تبكي » . وجاء في تأريخ الطبري (٥٩/٣) في امرأة يقال لها سارة : « وكانت ممن يؤذيه بمكة » أي ممن يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم ، فذُكّر الفعل (٥) . ومثلُ هذا التصحيف الذي ورد في شعر العباس بن مرداس ما جاء في رسالة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه (تأريخ الطبري ٣٤٢/٣) ، وهو : « بلغني أنّكَ قطعتَ يد امرأة تغنّت بهجاء المسلمين ، ونزعتَ ثنيتها ، فإن كانت ممّن تدّعي الاسلام ... » وأجد « ممن تدّعي .. » تصحيف « ممن يدّعي .. » لأن ادّعاء الاسلام يكون في الرجال والنساء معاً .

أما إحلال (ما) محل (لا) فبه يستقيم المعنى ، لأنّ « أثَرَهُ » أكرمه ، فيكون الشاعر قد أراد : مما يصان ومما يُكرَم ، ورواية « ولا تؤثر » تنقض ما أبرمه الشاعر في « مما تُصان » .

١٧– وفي « أخبار خفاف ... » (ص ٨٠) :

ثلاثة أبيات لثروان بن زيد هي :

---

(٥) على أنه بولغ في التذكير في بعض النصوص ، كالذي جاء في الكامل (٨٧/٤) من أن زوج هدبة بن خشرم قالت لزوجها وقد اصطلمت أنفها ساعة قتله : « أهذا فعل من له في الرجال حاجة ؟ » فذكرت بقولها « له » وهو صحيح ، الا أنني أجد أن التأنيث هاهنا أصح .

رأيتُ شِباماً لا يزال يعيبني
فلله مـا بالي وبال شِـبامِ
فقصرُك مني ضربةٌ مازنيةٌ
بكف امرئٍ في الحرب غير كهامِ ؛
فتُقْصِر عني يا شبامُ بنَ مالكٍ
وما عضّ سيفي شاتمي بحـرامِ

أ ـ وقال المحقق في البيت الثاني : « وقصرُك مصدر قصر بمعنى انتهى وكفّ » . وأظنّ أن الشاعر لم يرُد هذا المعنى ، وإنما أراد « جهدك وغايتك ». أمّا « قَصَر عنه » بمعنى كفّ مع العجز ، وأقصر عنه بمعنى كفّ مع القدرة ، فلا صلة لهما بـ « قَصْرُك » في البيت ، وأرى أن معنى البيت والذي قبله : يا من ظلّ يعيبني ، ما أرى غايتك الاّ أن أضربك بالسيف .

ب ـ ولي في البيت الثالث قولان :

أحدهما : عُدّ « فتُقْصِرُ » رُباعياً من أقْصَرَ ، لذلك ضُمّت تاؤه وكسر صاده ، والصواب عدّه ثلاثياً ، فيقال « فتَقصُرُ » بفتح التاء وضم الصاد ، ومعناه تكف عن عجز ، وخليق بمن يُضرب بالسيف أن يكون كفّه عن عجز .

والآخَر : اقتُصِر على ضم ميم « شبام » دون الفتح ، وحقّه الفتح والضم معاً ، والفتح أفصح ، قال المبرّد في قول جرير (الكامل ٥٩/٢) :

يا مالكَ بنَ طريفٍ إنّ بيعكُمُ
رِفْد القِرى مُفْسدٌ للدينِ والحسَبِ

« قوله : يا مالكَ بنَ طريف ، فمن نصب فإنما هو على أنه جعل ابناً تابعاً لما قبله كالشيء الواحد ، وهو أكثر في الكلام ، اذا كان اسماً علماً منسوباً الى اسم علم » ثم قال « ومَنْ وقف على الاسم الأوّل ثم جعل الثاني نعتاً له لم يكن الاّ الرفع ... فصار كقولك : يا زيدُ ذا الجمّةِ » .

١٨ـ وفي « أخبار خفاف ... » (ص ٨٣) :

قال خفاف بن ندُبة في العباس بن مرداس : « كيف أكفّ عن رجل يريد

أن يَترَنا أمرنا بغير فضل » . وقوله : (يترنا أمرنا) من قولهم : وتَرَه حقّه وماله : أي نَقَصَه إيّاه ، وفي التنزيل « والله معكم ولن يَترَكم أعمالكم » (محمد /٣٥) . وقد يكون « يترنا » تحريف « يبتزّنا » ، وابتزاز الأمر وارد في لغتهم ، جاء في الأغاني (٣٤٦/١٧) قول رملة بنت الزبير لعبد الملك بن مروان « يا أمير المؤمنين ، لولا أن يُبتزّ أمرُنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا » . وقال أبو يعقوب الخريمي (الشعر والشعراء / ٣٥٤) :

وصار ربّ الجيران فاسقهم
وابتزّ أمرَ الدروب شاطرُها

ويبتزّ كيَتَبرُ ، يتعدى الى مفعولين ، كقول النابغة الجعدي (أساس البلاغة / بز) :

فتبتزّ يعفورَ الصريمِ كناسَهُ
فتُخرجه منه وإن كان مُظهِرا

وكقول زهير بن أبي سلمى (الديوان / ٣٨٠) :

فابتزّهنّ حتوفَهُنّ ففائظٌ
عطِبٌ وكابٍ للجبين مُتَرَّبُ

١٩– وفي « أخبار خفاف ... » (ص ٨٥) :

جاء في الخلاف بين خفاف والعباس بن مرداس : « فبلغَ العباسَ أمرُ خفاف فأتاه ، فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصلت ... وكان مأموناً في بني سُلَيم » . وسياق الخبر يجعلني أظنّ أن الأصل في « مأموناً » : مأموماً ، أي يُؤمُّ ، وهو الذي يُقصد .

٢٠– وفي « أخبار والبة بن الحُباب ... » (ص ١٠٧) :

ثلاثة أبيات لوالبة :

أ – البيت الثاني منها :

واليوم هو مزورز   قد عظمتّه المجوسُ

وقال المحقق : « في ب س : واليوم هو نيروز » ؛ وفي طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٨٨) : هُرْمُزْ روز ، مع قول للمحقق هو : « في الأصل : هرمزون ، والتصويب من المختصر ، أي يوم هرمز » . قلت : ينبغي أن يكون الأصل « واليومُ هُوْ نيروزُ » بإسكان الواو من « هو » ، كما في (ب س) ، واسكان هذه الواو كثير في الشعر ، كقول متمم بن نويرة « لو هُوْ دَعَاكَ بذمةٍ لم يخفر » . والنيروز أول يوم من أيام السنة الشمسية . وقد سبق هذا الشعر في الأغاني عبارة هي « وكان يوم نيروز » ، فكيف غُفل عن « نيروز » الواردة فيها ؟ ولو كان الشاعر قال : « ويومُنا نيروزُ » لكان أجود .

ب – والبيت الثالث :

لم نُخْطِهِ في حسابٍ وذاك مما نسوسُ

والصواب « تخطِهِ » و « تسوسُ » بالتاء في أوّل الفعلين لا النون ، لأن الضمير يعود الى « المجوس » في البيت قبله . وقد روي البيت على الوجه الصحيح في طبقات الشعراء (ص ٨٨) .

٢١– وفي « أخبار عمران بن حِطّان ... » (ص ١٢٠) :

« تزوّج عمران بن حِطّان حمزة بنت عمّه ليردّها عن مذهب الشراية » .

ولي على هذه العبارة قولان :

أحدهما : أظنّ أن « حمزة » بالحاء المهملة والزاي تصحيف « جَمْرة » بالجيم والراء ، لأنّ حمزة من الأسماء المخصوصة بالرجال ، و « جَمْرَة » من الأسماء المخصوصة بالنساء . وكان للنمر بن تولب زوجٌ اسمُها جَمْرَة ، وكان قال فيها (الأغاني ٢٢/٢٧٦) :

جزى اللهُ عنا جَمْرَةَ ابنةَ نوفلٍ
جزاءَ مُغِلٍّ بالأمانـةِ كاذبِ

وكأنّ المراد من تسمية المرأة جمرة أنّ وجهها كالجمرة اتّقاداً وحُسناً ، ورُوي عن سُكينة أنها قالت إنّها حين زُفّت الى مصعب بن الزبير كانت « كالجمرة الموقدة » .

والآخر : أظنّ أن « الشراية » في « مذهب الشراية » تحريف « الشُّراة » ؛ والشراة كما نقل صاحب اللسان عن التهذيب : « الخوارج سمّوا أنفسهم شراةً لأنهم أرادوا أنهم باعوا أنفسهم لله » ، والشُراة جمع شارٍ ، نظير جُناة وقُساة وعُداة .

٢٢– وفي « أخبار عمارة بن الوليد » (ص ١٢٢) :

جاء : « مرّ عُمارة بن الوليد بمسافر بن عمرو » ، وجاء بعد سطرين « فأجابه مسافر بن عمرو » ، وفي فهرس الأعلام من الكتاب (ص ٤٣٨) : « مسافر بن عمرو » ، والصواب في ذلك كله : « مسافر بن أبي عمرو » ، كما في نص القاموس المحيط المذكور في ذيل الصفحة نفسها ، ولم يلتفت المحقق الى تصحيح الاسم من نصّ القاموس ، وكما في الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة (٧١/٢) ، والأغاني (٢٤٢/٢٢) (و : ١٩٥/٢) (و : ٤٩/٩) ، وفي الجزء التاسع من الأغاني أفرد أبو الفرج ترجمة له .

٢٣– وفي « أخبار المؤمّل بن جميل » (ص ١٤٥) للمؤمّل :

تلك التي إن نلتُها لم أُبَلْ
من شَرّق الدهرَ أو غرّبا

وقال المحقق (في : ف : ومن غرّبا) ، قلت : وهو الصواب ، وبه يستقيم الوزن ، ويفصُحُ الكلام ، وقد وَضُحَ لي من قراءتي الأغاني (ج ١٧/ج ٢٤) أن نسخة « ف » ، وهي تنفرد ببعض الروايات ، ويغلب أن لا يُؤخذ بها ، هي أفضل النسخ :.

٢٤– وفي « أخبار مساور ... » (ص ١٤٩) :

جاء أنّ مساوراً وُلّي عملاً فانكسر عليه الخراج ، فلما قُبض واستُؤدي وعُذّب قال أبياتاً أولها :

وجدتُ دواهرَ البقّالِ أهنى
من الفُرنيّ والجدي السمينِ

وقال المحقق في « دواهر » : « في هب : نواهض . وفي ف : نواقض : والدواهر : الشدائد » . قلتُ مضمون الخبر يجعلني أظنّ أن الأصل « ذوابل » ، كأنه أراد : وجدت عيشي أيام فقري على الذوابل من البقول خيراً من رفاغة عيشي إبّان ولايتي ، لما صحب الأول من راحة البال ، وما أعقب الثاني من سوء المآل . وإنما ذكر الذوابل من البقول لأنها أرخص من طريّها . وإن كانت (دواهر) صيّرها التحريف نواهض ونواقض فما أيسر أن يصيّر ذوابل دواهر ؟

٢٥– وفي « أخبار سعيد بن حُمَيْد ... » (ص ١٥٦) :

أربعة أبيات لسعيد بن حميد ، أولها :

قُلْ لداعي الفراق أخّر قليـلاً

قـد قضينا حـقّ الصلاة طويلا

ونُوّنت « قليلاً » والذوق الأدبي يأبى التنوين هاهنا ، ويأخذ بالتصريع[٦].

٢٦– وفي « أخبار ابن مُناذر ... » (ص ١٦٩) :

جاء : « وقال الجاحظ : كان محمد بن مُناذر مولى سليمان القَهْرمان » ، وجاء بعد سطرين : « وأدّعى سليمانُ القَهرْمان » . وفي معجم الأدباء (١٩/ ٥٨) : « قال الجاحظ : كان ابن مُناذر مولى سُليمان القِهْرِمانيّ » بكسر القاف والراء من القهرماني ، وباضافة ياء النسب اليه .

٢٧– وفي « أخبار ابن مُناذر ... » (ص ١٦٩) :

جاء في تتمة كلام الجاحظ المبدوء به في الفقرة السابقة :

« فابنُ مناذر مَوْلى مولى مولى ، وهو دَعِيٌّ مولى دَعِيّ ، وهذا ما لا يجتمع في غيره قط ممن عرفناه وبلغنا خبره » . وسياق الكلام يقتضي أن يُقال : « ما لم يجتمع » في موضع « ما لا يجتمع » ، ثم إنّ « قطُّ » خاصة بنفي الماضي وتصلح لها « لم » . وجاء الكلام على وجهه الصحيح في معجم الأدباء (٥٨/١٩) وهو : « وهذا مما لم يجتمع » .

---

(٦) تصريع بيت الشعر جعل عروضه كضربه ، وأكثر ما يكون في بدء الشعر .

٢٨– وفي « أخبار ابن مُناذر ... » (ص ١٧٨) :

« ثم استقلّ من علّته تلك وعوفي مدّة طويلة .. » ، وأجد « استقلّ » تحريف « استبلّ » . يُقال : بلّ من مرضه وأبلّ واستبلّ بَرَأ وصحّ ، والبِلّة العافيـــة .

٢٩– وفي « أخبار ابن مُناذر ... » (ص ١٨٢) :

ورد اسم « محمد بن زياد الحاركي » بالحاء المهملة من الحاركي ، ثم كُرّر الحاركي (ص ٣٤٥) (والفهرس /٤١٨) ، والصواب « الخاركي » با لخاء المعجمة ، نسبة الى « خارَك » ، وخارك كما في معجم البلدان (٣٨٧/٢) : جزيرة في وسط البحر الفارسي من أعمال فارس » وقال المرزباني في معجم الشعراء في كلامه على عمرو الخاركي إنها قرية بفارس على البحر . وقد نسب الى خارك كثير من أهل الأدب ، وذكرها الفرزدق بقوله (الديوان ٢٥٣/١) :

بخارَكَ لم يقُد فرَساً ولكنْ

يقود الساجَ بالمرس المغـــــارِ

٣٠– وفي « أخبار ابن مُناذر ... » (ص ١٨٣) لابن مُناذر :

كأنهم فقعٌ بدويّــــة   وليس لهم قبلٌ ولا بعدُ

وينبغي حذف الواو الداخلة على « ليس » لأنها زائدة معنىً ومُخلّة بالبيت وزناً .

٣١– وفي « أخبار ابن مُناذر ... » (ص ١٨٤) :

« وقال آخر : هذه حماقة بَصْرِيّة » . هكذا ، بفتح الباء من بصريّة ، والمشهور في النسبة اليها كسر الباء ، وممن قال بكسرها سيبويه ، قال السيوطي في الأشباه والنظائر (٥٩/٣) : « وقالوا في النسب ... الى البصرة بِصْريّ بكسر الباء ، هذا قول سيبويه » ، وقال في همع الهوامع (١٩٨/٢) : وقولهم فـــي البصرة بِصري وقياسه فتحها » . وقال ياقوت في البصرة (معجم البلدان ٦٣٧/١) : « وأما النسب اليها فقال بعض أهل اللغة إنما قيل في النسب اليها بِصْري بكسر

الباء لاسقاط الهاء فوجب كسر الباء في البصري » ، ومنهم من قال بجواز الوجهين (اللسان / بصر) ، فالوجه أن يختار محقق الكتاب الكسر ، أو الكسر والفتح معاً ، مع شرح يوافق مقتضى الحال .

٣٢- وفي « أخبار ابن مُناذر ... » (ص ١٨٤) :

« فدخلها وعَديلُه ابراهيم الحرّانيّ » ، هكذا ضبط « عديلُه » بضم اللام ، والفصيح الفتح فيقال « فدخلها وعديلَهُ » فيكون منصوباً على المعيّة ، لأنّه لا يُعطَف على الضمير المتصل البارز أو المستتر الاّ أن يُفصَلَ بينهما بفاصل . والأفضل أن يكون الفاصل ضميراً منفصلاً يؤكد به الضمير المتصل أو المستتر . فلو كانت الجملة « فدخلها هو وعديلُهُ لصحّ رفع عديل ، لأن الضمير المستتر في « دخل » أُكّد بـ « هو » ، وذلك كقوله تعالى « وقلنا يا آدمُ أسكُنْ أنت وزوجُك الجنّة » (البقرة /٣٥) .

٣٣- وفي « أخبار ابن مُناذر ... » (ص ١٨٥) :

« شهد بكر بن بكّار عند عُبيد الله بن الحسن بن الحُصين بن الحُرّ العنزي » ، برواية « العنزي » بالنون فالزاي ، والصواب « العنبريّ » بالنون فالباء فالراء ، كما في كتب الأدب المعتمدة ، جاء في كامل المبرّد (٤٦/٢) : «وشهد أبو عُبيدة عند عبدالله بن الحسن العنبريّ ... » الى آخر الخبر . وفي عيون الأخبار (٧١/١) : « وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبري : أتجيز شهادة رجل عفيف تقيّ أحمق ؟ » الى آخر الخبر . ويُفهم من خبرٍ رواه المبرّد (٤٨/٢) أنه من بني العنبر . ويُستفاد من أخباره في كتب الأدب أنه كان من القضاة الفقهاء الصلحاء ، وله معرفة في الأدب ، وميل يسيرٌ الى المَزْح . وكان حيّاً زمن هارون الرشـيد .

٣٤- وفي « أخبار ابن مُناذر ... » (ص ١٨٨ و ١٨٩) :

قصيدة لابن مناذر لي فيها قولان :

أحدهما : قوله :

ألـم يبلُغْك تَسْآلي ... لدى العلاّمـة المَرْتِ

آخره « المَرْت » بالميم ، ولا معنى له في البيت ، لأنه يُقال : رجل مَرْت الحاجب ، اذا لم يكن على حاجبه شعر . والصواب كما في البيان والتبيين (٢/٢١٤) : « البرت » بالباء المفتوحة أو المضمومة . قال الأصمعيّ : يُقال للدليل الحاذق البرْت والبرْت ، قال الأعشى يصف جمله :

أدأبْتُهُ بمهامــه مجهولــةٍ

لا يهتدى بُرْتٌ بها أن يَقْصِــدا

يصف قفراً قطعه لا يهتدي به دليل الى قصد الطريق ، ومثله قول رؤبة : « تنبو بإصغاء الدليل البُرتِ » (اللسان / برت) .

والآخر : قوله :

وخُذ من جَعْر كَيْسانٍ ومن أظفار نِسّخْتِ

آخره « نِسّخْتِ » بالنون فالسين المثقلة ، والصواب « سُبُّخْت » بالسين فالباء المثقلة ، وهو لقب أبي عُبيدة ، قال في اللسان (سبت) : « سُبُّخت : لقب أبي عُبيدة ، أنشد ثعلب :

فخذ من سلح كيسانٍ ومن أظفار سُبُّختِ »

والبيت في البيان والتبيين (٢/٢١٤) ووقعت رواية هذا اللقب فيه على الوجه الصحيح . ورواية « جعر » هي كما تقدّم في اللسان « سلح »، وفي البيان والتبيين « شعر » ، وفي طبقات الشعراء (ص ١٢٠) جعد ، وهو تصحيف جعر .

٣٥ـ وفي « أخبار ابن مناذر ... » (ص ٢٠٩) :

« قد كُفّ بصره ... » بضم الكاف من « كُفّ » ، وكان يحسن وضع فتحة فوق الضمة ، لجواز الوجهين . جاء في مختار الصحاح : « وقد كُفّ بَصَرُهُ ، وكَفّ بَصَرُه أيضاً » .

٣٦ـ وفي « نسب أشجع ... » (ص ٢١٤) لأشجع :

لا تَبْعَدِ الأيامُ اذ وَرَقُ الصِّبا

خَضِلٌ واذ غضٌ الشباب نضيرُ

وقال المحقق : « في ف : غصن » . قلتُ : وهو الصواب ، أما رواية : وإذ غضّ الشباب نضيرُ ، فمأتيّة من برودة المعنى .

٣٧– وفي « نسب أشجع ... » (ص ٢١٥) :

« وركب الرشيد يوماً قُبّة وسعيد بن سالم معه في القُبّة » ، هكذا ، برواية « سالم » ، ثم كُرّر الاسم على هذا النحو بعد ثلاثة أسطر ، ثم بعد ثلاثة أسطر أُخَر ، ثم في فهرس الأعلام (ص ٤٢٥) . والصواب « سَلْم » كما في الكتب المعتمدة ، ففي عيون الأخبار (٣٢/٤) أن أعرابياً مدحه فقال :

أيا سارياً بالليل لا تخش ضِلّةً

سعيدُ بن سَلْم ضوءُ كلّ بلادِ

وفي الكامل (٧/٣) أنّ عبدالصمد بن المعذّل مدحه فقال :

كُلّما عضّت الحوادث نادى

رضي اللهُ عن سعيد بن سَلْمِ

وأن أبا الشمقمق قال فيه :

قال لي الناسُ زُر سعيدَ بنَ سَلْمِ

قلتُ للناس لا أزورُ سعيدا

وفي البيان والتبيين (٢٠٠/٢) أنه كان والياً بارمينية ، وفيه (٢٥٤/٢) أنه كان ممن يُساير الخليفة موسى الهادي . وترجم له محقق البيان والتبيين (٤٠/٢) ترجمة مختصرة من تأريخ بغداد (٤٦٥/٨) .

٣٨– وفي « نسب أشجع ... » (ص ٢١٥) لأشجع :

فإذا تنبّه رُعْتَهُ وإذا غفا

سَلّتْ عليه سيوفَكَ الأحلامُ

وقال المحقق : « في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٨٢/٢ ط المعارف : وإذا هدى » ، قلتُ : هو في الكتاب نفسه بتحقيق الأستاذ السقّا « هدا » مخفف من (هدأ) كذلك في البيان والتبيين (٣٢٥/٣) وطبقات الشعراء (ص٢٥٢) .

٣٩– وفي « نسب أشجع ... » (ص ٢١٨) لأشجع :

ذهبت مكارم جـعفر وفِعالُـهُ
في الناس مثل مذاهب الشمسِ

وكُسِرت فاء (فِعالُهُ) والأَولى الفتح قال جرير (الديوان /٤٨٦)(الأغاني ١٩/١٨) :

وفيم عَدِيٌّ عند تيـم من العُلا
وأيامِنا اللاتي يُعَـدّ فَعَالهـا

وقال الليث : والفَعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه ، أو الفتح والكسر معاً ، لأنّ معناهما واحد لدى المبرّد والأزهري وابن السِّكّيت ، وهو الدلالة على المدح والذم . (اللسان / فعل) .

٤٠– وفي « نسب أشجع ... » (ص ٢٢١) :

قال الرشيد : « ولقد أحسن أشجع ،ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبي نواس :

يا شـقيق النفس مـن حكَمِ
نمـتَ عن ليـلي ولـم أنَمِ »

وفي أخبار والبة ، في هذا الجزء من الكتاب (ص ١٠١) جاء أن أبـا نواس قال لغلام له وهو سكران إن ناظم هذه القصيدة والبة بن الحباب ، وإنّ المعنيّ بقوله « يا شقيق النفس من حكم » هو أبو نواس .

٤١– وفي « أخبار أشجع ... » (ص ٢٤٦) :

أبيات لأشجع ، منها :

مستقبلاً زينـة الدنيـا وبهجتها
أيّامُنا لك لا تفنى وتُفنيها

وفي الشعر والشعراء (٨٨٤/٢) :

مستقبلاً جـدّة الدنيـا وبهجتها
أيامهـا لك نظمٌ فـي لياليهـا

العيد والعيد والأيام بينهما
موصولة لك لا تَفْنى وتُفنيها

وظاهر هو أن بيت الأغاني ملفّق من صدر البيت الأول ، ومن عجزَيْ البيت الأول والثاني . وأشار المحقق الى رواية هذين البيتين في نسخة « ف » من الأغاني ، ولكنه لم يأخذ بهما ، ولم يُشر الى اختلال المعنى في البيت الذي لُفّق .

٤٢– وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٥٨) :

« وأجرى عبّادٌ الخيل فجاء سابقاً ، فقال ابنُ مفرّغ :

« سَبقَ عبّادٌ وصلّت لحيته »

ثم أعيد شطر البيت هذا (ص ٢٦٠) ، وتمامه كما في « أنساب الخيل ... » لابن الكلبي (ص ١٢٨) :

« وكان خرّازاً تجودُ قِربتُهْ »

على أنّ ابن الكلبي سها فنسب البيت الى عبدالملك بن مروان ، وسكت عن هذا السهو محقق الكتاب العلاّمة أحمد زكي باشا . ورُوي البيت في الشعر والشعراء (ص ١٣١) لابن مفرّغ هكذا :

ضلّ عبّاد وضلّت لحيته
وكان خرّازاً لجود قربته

والتحريف فيه ظاهر .

٤٣– وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٥٩) لابن مفرّغ :

شريتُ بُرْداً ولو مُلّكتُ صَفْقَتَهُ
لما تَطَلّبتُ في بيع له رَشَدا
لو لا الدعيّ ولو لا ما تعرّض لي
من الحوادث ما فارقته أبدا!

ورواية الكامل (١١٣/١) :

شربتُ برداً ولولا ما تكنفني

من الحوادث ما فارقتــه أبــدا

والبيت في رواية الكامل، صدره ملفّق من صدري البيت الأول والثاني المذكورين، مع تغيير « ما تعرّض لي » بـ « ما تكنّفني » . ولم يُنبّه على ذلك في الأغاني ولا في الكامل ، والأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم أحد محقّقَي الكامل .

٤٤- وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٥٩) لابن مفرّغ :

يا بُرْ د مــا مسّنا بَرْدٌ أَضَرَّ بِنــا

من قبل هذا ولا بعنا له ولــدا

وقال المحقق : « ف ، ورغبة الآمل ٧٠/٢ : دهر » . قلت : وكذلك هو في الوفيات (٣٨٨/٥) ، وهو الصواب ، أما يرد فلا يستقيم به المعنى .

٤٥- وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٦٥) لابن مفرّغ :

فأشهدُ أنّ رِحْمَكَ من زيادٍ

كرِحْــم الفيل من وَلَد الأتانِ

وقوله : كرحِم الفيل من وَلَد الأتان ، مثل ، قال فيه الشهاب الخفاجي (شفاء الغليل /١٧٣) : يُضرب لادّعاء ما يكذّبه الظاهر ، وأصله كما في كتاب أفعل لابن حبيب ، أنّ فيلاً أتى وادياً فرأى به حماراً فطرده ، فقال له : لم تطردني وبيني وبينك رحم؟ فقال : ما هي ؟ فقال : إن غرمولي يشبه خرطومك : فصدّقه . وهذا مما يحكى على ألسنة الحيوانات لضرب المثل . واستشهد الخفاجي ببيت ابن مفرّغ هذا ، ولكنه وهم فنسبه الى الكُميت . وذكر قصة هذا المثل حمزة بن الحسن الاصبهاني في كتابه (الدرّة الفاخرة (٥٢٢/٢) واستشهد بهذا البيت ونسبه الى ابن مفرّغ .

٤٦- وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٦٥) لابن مفرّغ :

وأشهد أنها ولدت زيــاداً

وصخرٌ مــن سُميّة غيرُ داني

ولم يُذكر معنى « صخر » في البيت ، وهو أبو سفيان ، وسياق الخبر يدل عليه ، ولكنها دلالة غير كافية ، لأنه غلبت عليه كنيته ؛ فجهل اسمه كثير من أهل الأدب والتأريخ . وقد فُسّر القعب في الصفحة التي فيها البيت المذكور بالقدح ، والرَّحِم بالقرابة ، ومعناهما أعرف من « صخر » .

٤٧- **وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٦٦) لابن مفرّغ :**

أُناسٌ أجارونا فكان جوارُهُم
أعاصير من قسو العراق المبذَّرِ
فأصبح جاري من خُزيمة قائماً
ولا يمنع الجيران غير المشمَّرِ

وقال المحقق « ... والقسو الغلظ والصلابة » . هكذا ، والرواية الصحيحة في البيت الأول . كما في تأريخ الأُمم والملوك (٢٣٦/٤) « فسو العراق » بالفاء ، أراد أنّ جوارهم كأعاصير الفسو ، وجعل للفسو إعصاراً ، ليسخر ممن عجز عن إجارته ، بحيث لقي في العذاب الألاقي وهي مبالغة في التعبير ، ومجاوزة في التصوير ، ولكنْ لها ماء ورونق . الرواية الصحيحة في البيت الثاني ، كما في المرجع المذكور « نائماً » لا « قائماً » ، وبهاتين الروايتين يستقيم المعنى بما يوافق سياق الخبر . وتأريخ الأمم والملوك كان حققه الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم وسمّاه « تأريخ الطبري » .

٤٨- **وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٦٦) لابن مفرّغ :**

ليت أني كنتُ الحليفَ لِلَخْمٍ
وجُذامٍ أو طيّئُ الأجمالِ

وقال المحقق في « الأجمال » : « ف : وطيّئُ الأجبال » . قلتُ : وهو الصواب ، وكان يحسُنُ من المحقق أن يأخذ بهذه الرواية ، فإن العرب عرفوا طيّئُ الأجبال ، وأجبال طيّئْ ، بالباء لا الميم ، وذلك لسكنى أغلبهم الجبال قديماً ، وأخصّ خصوصاً أجبال أجأ وسلمى والعوجاء ؛ قال عامر بن الطُفيل (الديوان / ١٠٢) (والأغاني ٢٦٠/١٧) :

إنّ في قتل عامر بن طُفَيلٍ
لَبَــواءً لطيّــئَ الأجبــالِ

وقال جرير (الديوان / ٤٦٦) :

في ليلتينِ اذا جدوت قصيدةً
بلغتْ عُمان وطيّئُ الأجبــالِ

وقال مسلم بن الوليد (الأغاني ٦٦/١٩) :

هل طيّئُ الأجبالِ شاكرةُ امرئٍ
ذادَ القوافي عن حماها مِرْدِسِ

وقال عبدالله بن خليفة البولاني (تأريخ الطبري ٢٨٣/٥) :

فها أنا ذا داري بأجبال طيّئٍ
طريــداً ولو شاء الإلــه لغيّرا

وقال سُحَيم عبدُ بني الحسحاس (الديوان /٣٢) :

ومرّ على الأجبال أجبــال طيّئٍ
فغادَرَ بالقِيعان رنقــاً وصافيــا

٤٩ــ وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٧٣) لابن مفرّغ :

كان ما كان في الأراكة واجة..
بٌ ببُرْدٍ سَنَامُ عيسي وجيدي

وقوله : « عيسي » بالسين أظنّه تصحيف « عَيْشي » بالشين ، والمعنى بها جيد ، ثم إن السنام مفرد والعيش مفرد ، وأيُّ عيسٍ كانت لابن مفرّغ ؟

٥٠ــ وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٧٩) :

جاء في ابن مفرّغ : « ثم خرج ذات يوم يتصيّد فلقِيي دِهقاناً على حمار له . فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من العراق» ثم أُعيد الخبر (ص ٢٩٠) وفيه « دهقان » . وعندي أن الصواب « دهّاناً » وهو بائع الطيب ، وقد وردت الكلمة على جهة الصواب في تأريخ الطبري (٣٢١/٥) ، ففيه خبر ابن مفرّغ

بعينه ، ومنه « فلقي دَهّاناً أو عطّاراً على حماره ، والتوافق واضح بين الدهّان بائع الطيب ، والعطّار بائع العطر .

٥١- وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٧١) لابن مفرّغ :

لعمري لقد أنجاكِ من هُوّة الرّدى
إمامٌ وحبلٌ للأنام وثيقُ

برواية « للأنام » بالنون ، وكذلك وقعت الرواية في تأريخ الطبري (١٩٤/٥) وفي الصحاح (مادة عدس) ، ولا يستقيم بها المعنى ، وما يتخالجني شك في أن الصواب « للامام » ، وهو الخليفة معاوية ، وكان معاوية كما جاء في الأغاني (ص ٢٧٠) وجّه رجلاً من بني أسد « بريداً الى عبّاد ، وكتب له عهداً ، وأمره بأن يبدأ بالحبس فيُخرج ابن مفرّغ ويطلقه » ، وفي اللسان (مادة عدس): « فبعث مولاه خمخام على الزّنْد وقال : انطلق الى سجستان وأطلق ابن مفرّغ ولا تستأمر عبّاداً » ورواية اللسان « على الزند » أظنها تصحيف « على البريد » . وقوله « وحبل للامام » أي عهد وذمّة وأمان من الإمام ، وهو مثل الجوار . وأنشد الأزهري (اللسان / حبل) :

ما زلتُ معتصماً بحبلٍ منكُمُ
من حلّ ساحتكم بأسبابٍ نجا

فيكون معنى بيت ابن مفرّغ : يكلّم البغلة ويريد نفسه ، فيقول : لقد أنجاكِ من الموت الخليفة وعهد أمان للخليفة وثيق .

٥٢- وفي « أخبار ابن مفرّغ ... » (ص ٢٨٠) :

لابنُ الزبير غداة يذمُرُ منذراً
أولى بغاية كلّ يوم وِقاعِ
وأحقُّ بالصبر الجميل من امرئٍ
كزّ أناملُهُ قصير الباعِ

وسُكت عن بيان القصد من « ابن الزبير » و « منذر » وعن خبرهما وأُكتُفي بتفسير « يذمر » بِـ « يمدّد » ، مع أن المعنى هاهنا يشجع ويحضّ ، ومنه قول

عليّ عليه السلام : الا وإنّ الشيطان قد ذمّر حزبه ، أي حضّهم وشجعهم .وابن الزبير هو عبدالله بن الزبير ، ومنذر أخوه ، وممن ذكر خبرهما الجاحظ في كتاب البغال (رسائل الجاحظ ٢/٢٥٩ — ٢٦٠) ، قال : « وممن قتلته البغال المنذربن الزبير ... حمل على أهل الشام وهو على بغلة وَرْدَة بعد أن ألحّ عليه عبدالله بن الزبير يذمُرُه ، فلما سمعت البغلة قعقعة السلاح نفرت فتوقّلت في الجبل » وجاء في آخر الخبر « ولذلك قال يزيد بن مفرّغ في هجائه لعبيدالله بن زياد : لابنُ الزبير غداة يذمر منذراً » الى آخر البيتين . ومعنى البيتين : أن منذراً حامى عن أخيه حين استنجده ، ومات في سبيله ، في حين لم يُحامِ عبيدالله بن زياد عن أمّه . ووهم الأستاذ عبد السلام محمد هارون محقق رسائل الجاحظ إذ زعم أنّ المهجوّ بهذين البيتين هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان (٢/٢٦٠) .

٥٣– وفي « أخبار بن مفرّغ ... » (ص ٢٩٧) لابن مفرّغ :

أذقته الموت علـى غـرّة
بأبيضَ ذي رونق صارمِ

والصواب « بأبيضٍ » بتنوين الخفض ، ليستقيم الوزن . وصحّ فتح الضاد من « أبيض » في حال الخفض في قول القتّال الكلابي (الأشباه والنظائر للخالديين /٣٢) :

أخي العُرف والإنكار يعلوك وقعةً
بأبيضَ سـقّاطٍ وراء الضرائـبِ

وفي قول النابغة الجعدي (الاشباه والنظائر / ١٦٩) :

لياليَ تصطادُ الرجال بفاحـمٍ
وأبيضَ كالإغريضِ لم يتثلّمِ

لصحة وزن البيتين ه

٥٤– وفي « نسب العماني ... » (ص ٣١٧) :

قال المحقق في قول العمانيّ :

جاؤوا بفُرنيّ لهـم ملبونِ   بات يُسَقّى خالصَ السُّمُونِ

« الفرنية ـ هكذا ـ خبز مستدير » ، وهو شرح ناقص ، ولو كان قال « مضى شرحه في ص ١٥١ » لكان أولى ، أما شرحه (ص ١٥١) فكان : « الفرنيّ جمع فرنيّة ، وهي خبزة تروّى لبناً وسمناً وسُكّراً » . وقريب من هذا أن المحقق قال في شرح « المشاشة » (ص ١٢٤) : « رأس العظم الليّن الذي يمكن مضغه » ثم قال في « المشاش » (ص ٣٧٤) إنه « العظم » مع أن المشاش جمع المشاشة (الصحاح ، واللسان / مادة مشش) .

٥٥ـ وفي « نسب العمانيّ ... » (ص ٣١٩) للعمانيّ :

ثم أتوهم بالدّجاج الدُّجّجِ

بين قديدٍ وشواء مُنضَجِ

وظنّي أن « قديد » تصحيف « قدير » ، والقدير ما يُطبخ في القِدْر ، فيكون معنى البيت : ثم أتوهم بالدجاج من مطبوخ في القدر ومن مشويّ . وعجز البيت إنما هو تبيان لحال الدجاج الدُّججّ في صدر البيت .

٥٦ـ وفي « أخبار عروة بن أذينة ... » (ص ٣١٩) لعروة :

ويبيت بين جوانحي حبٌّ لها

لو كان تحت فراشها لأقلّها

وقال المحقق : « أقلّها : أصابها وأتعبها » وهذا معنى قريب من المعنى الذي ذكره د. يحيى الجبوري في هذا البيت (شعر عروة بن أُذَينة) قال : « أقلّها أي هزّها وأرعدها من القِلّ بالكسر ، شبه الرعدة ، يُقال : أخذه قِلٌّ من الغضب » . وأقول : أرجّح أن يكون معنى « أقلّها » حمَلها ، فيكون معنى البيت : حبّي إياها بالليل من الكثافة والنشاط بحيث لو كان فراشها لحملها هي وفراشها . ويقوّي هذا الجواز قول الشاعر في البيت بعده ، وهو يخاطب نفسه :

ولعمرُها لو كان حُبّك فوقها

يوماً وقد ضحيت إذاً لأظلّها

ومعناه : وحبي إياها من اللطافة والانبساط بحيث لو كان فوقها لأظلّها . ومعلوم أن الحبّ يكثف بالليل ويلطف في النهار ، لذلك قال الشاعر :

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا

لي الليل هزّتني اليكِ المضاجــعُ

لو كان حبّه يؤذيها عند كونه تحت فراشها ، لما قال إنه يظلها عند كونه فوقها ، لأنه عندئذ يكون أشدّ ايذاء لها .

وممن استعمل « أقلّ » شعراً بمعنى حَمَل ، النابغة الذبياني (الديوان/١٦٢): قـــال :

فداءٌ ما تُقِلُّ النعلُ مــني

الى أعلى الذّؤابــة للهمــامِ

ومن استعمال « أقلّ » بمعنى حَمَل نثراً ما جاء في الخبر ، وهو : « مــا أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر » (سنن ابن ماجة / الحديث ١٥٦) .

٥٧ــ وفي « ذكر مخارق ... » (ص ٣٣٩) للشاعر المكيّ الجُدّي :

كأنّ نيراننا في جنب قلعتهــم

مُصبّغاتٌ عــلى أرسان قــصّارِ

وقال المحقق : « المصبّغات : الملوّنات . والأرسان من الأرض الحزنة . والقصّار المبيّض الثياب » . وقد ورد هذا البيت في « نسب أشجع / ٢٤٥ » من غير شرح ، ثم ورد في « نسب العماني / ٣١٩ » ولم يُشرح ، وكأنه تُذُكّر هاهنا شرحه . أما قول المحقق : الأرسان من الأرض الحزنة ، فلا يوافق معنى البيت ، وإنما أُريد بالأرسان الحبال . وأرى أن معنى البيت : نيراننا الواقعة على قلعة العدو كالثياب المصبّغة المعلّقة بحبال القصّار . وألوان الثياب المصبّغة هي في الأغلب الأحمر والأصفر وكلاهما من لون النار ، والأسود والأزرق وكلاهما من لون دخان النار . والبيت فيه نظر ، لأن النيران التي صُبّت على القلعة تفوق ما يعلّقه كثير من القصّارين بحبالهم لا قصّار واحد .

٥٨ــ وفي « ذكر مخارق ... » (ص ٣٥٣) :

« وجاءت جارية على كتفها جرّة من جوار المزمّلات » . وقال المحقق :

« المزمّلات جمع مزمّلة ، وهي الجرّة يبرّد فيها الماء ... عراقية » . ومن المفيد أن أضيف قائلاً : جرت عادة كثير من أهل العراق أن يُزمّلوا جرار الماء – أي يلفّوها – بنسيج مبلول بالماء ، ومنه جاء لفظ مزمّلة . ثم استعمل لفظ مزمّلة للموضع الذي فيه حباب الماء ليشرب منها الناس عامة . جاء في كتاب الحوادث الجامعة (ص ٩٠ – ٩١) : « أمر الخليفة بعمل مزمّلة بالقرب من قبر أحمد ابن حنبل رضي الله عنه لأجل الزوّار الواردين ، فلما تكامل بناؤها فتحت وجعل فيها الحباب .. » ، والعامة في العراق لا يلفظون المزملة في عصرنا هذا الا بمعنى الصنبور ، ويبدلون الميم الثانية باء مكسورة ، فيقولون « مزمْبِلة » .

٥٩– وفي « ذكر مخارق ... » (ص ٣٦١) :

« فقال لبعض الخدَم : قُل للطبّاخ يأتينا بمَصْلِيّة » وقال المحقق : « صلَى اللحمَ يَصْلِيه صَلْياً : شواه فهو مَصْليّ ، ويُقال : أتى بشاةمصليّة». قلتُ : ليس هذا معنى « مَصْلِيّة » ، وإنما هي طعام مطبوخ لا مشويّ ،ويُقال لها « مَصْلِيّة » من المَصْل لا الصَلْي . وصنعة المصليّة كما جاء في كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن بن محمد – وألّف الكتاب سنة ٦٢٣ هـ :

أن يُقطّع اللحم السمين ويُسلق ، فاذا نضج أُلقي عليه كفّ بصل مقطّع ، ويسير من ملح وكسفرة يابسة مسحوقة وكمون وفلفل وعيدان دارصيني ومصطكى ، فاذا نشف الماء منه وظهر الدهن ، يؤخذ المصل ويُدَقّ ناعماً ويُطرح عليه ماء حار ويُمرس باليد حتى يصير كاللبن الحامض وفي قوامه ، ثم يُطرَحُ في القدر . ويسحق يسير من الثوم ويُلقى في القدر مع طاقات من النعنع الطريّ . ويُذرّ على القدر شيء من الدارصيني ناعماً ، وتترك القدر على النار ساعة حتى تهدأ وترُفع . انتهى بنصه إلاّ ألفاظاً يسيرة حذفتها وشرح محقق كتاب الطبيخ د. داود الجلبي المصلَ ، فذكر نصوصاً يُفهم منها أنّه الأقط ، وأنه يُتخذ من المخيض الغنميّ ، يُطبخ ثم يترك حتى يمصل .

٦٠– وفي « ذكر مخارق ... » (ص ٣٦٩) :

بيتان منسوبان الى هلال بن عمرو الأسدي ، وهما :

هجرتُكِ إشفاقاً عليكِ من الأذى
وخوفِ الأعادي واتّقاء النمائمِ
وإني وذاك الهجر لو تعلمينــه
كساليــة عن طفلها وهي رائمُ

وقال المحقق : « في الشعر إقواء لاختلاف حركة الرويّ ... » . قلتُ : في رواية هذا الشعر نظر من جهتين :

إحداهما : أن عجز البيت الثاني لا يستقيم معناه ، وكيف تسلو الأم عن طفلها وترأمه في حال ؟ والصواب « كعازبة » في موضع « كسالية » كما سيأتي في ذكر الرواية الصحيحة للشعر .

والأُخرى : أن البيت الثاني لابن الدمينة مع بيت آخر قبله ولا اقواء فيهما ، كما في ديوان الحماسة (المرزوقي ١٣٤٥/٣) ، وكما في الديوان (ص ٢١) — وهما فيه جزء من ثمانية عشر بيتاً — ووهم ابو علي القاليفنسبهما لأعرابي (الامالي ١٨٧/١) وكثيراً ما يفعل ذلك في الشعر حين يجهل قائله ، وروايتهما الصحيحة ، كما في المراجع الثلاثة المذكورة :

هجرتكِ إشفاقاً بذي الغَمْرِ إنني
على هجر أيامٍ بذي الغَمْرِ نادمُ
وإني وذاك الهجر لو تعلمينــه
كعازبةٍ عن طفلهــا وهي رائــمُ

٦١— وفي « ذكر مخارق ... » (ص ٣٦٩) :

نقل الجاحظ خبراً عن أبي يعقوب الخرُيمي ، جاء فيه : « وكان علي بن الهيثم جوُنقا مُفقِعاً نيّاً صاحب تقعّر ، يستولي على كل كلام لا يحفل بخطيب ولا شاعر ... » الى آخر النص وهو طويل . وقال المحقق : شارحاً : « المفقع : الفقير المجهود » . قلتُ : لم يكن عليّ بن الهيثم فقيراً مجهوداً ، واذا كانت « مُفْقِعاً » وحدها كلمة فلم سُكِت عن شرح « نِيّاً » التي تلتها ؟ والنصّ مذكور بكماله في البيان والتبيين (١٣١/١ — ١٣٢) مع اختلاف في

عدة ألفاظ ، وفيه « مفقعانيّاً » بكلمة واحدة بدلاً من « مُفقعاً نياً » بكلمتين . وقال فيها محقق الكتاب الأستاذ عبدالسلام محمد هارون : « كذا وردت مضبوطة في الأصل ، ولعلّها من لغة أهل البصرة ، مأخوذة من التفقيع وهو التشدّد » . وأقول أنا : أظنّ أن الأصل في كلام الحريميّ « مُفقّعاً تيّاهاً » ، فأما «مُفقّعاً» فمعناها متشدّقاً (اللسان / نقع) ، وأما « تيّاها » فمعناها متكبراً معجباً بنفسه . جاء في الأغاني (٢٠ / ٣٦٠) في ابن عائشة : « وكان تيّاهاً ، فقال له ابن هشام : ارفُق بتيهك . فقال : حقٌّ لمن كانت هذه قدرته على القلوب أن يكون تيّاهاً » ، وجاء في الأغاني (٩٣/١٩) : « وكان محمد بن وُهيب تيّاهاً شديد الذهاب بنفسه » . أما التفقيع والتيه ، فكانا من صفات علي بن الهيثم . جاء في ترجمته في معجم الأدباء (١٣٤/١٥ — ١٣٥) : « وكان فاضلاً أديباً كثير الاستعمال للتقعير والقصد لعويص اللغة ، حتى قال المأمون ... : أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيتي الا عليّ بن الهيثم فإني أتحفّظ اذا كلّمتُهُ ، لأنه يُغرِق في الإغراب » . واتفق أن غضب عليه الفضل بن الربيع فقال (المرجع المذكور / ١٤٣) :

وعدّني الفضلُ رخيصاً جِدّا فعقّني وأزورّ عني صَدّا
وظنّ والظنونُ قد تَعَدّا أنّي لا أُصيب منه بِدّا
أعُدّ منه ألفَ بِدٍّ عَدّا

والبِدّ : المثل والنظير ، أراد : إن استرخصني الفضلُ واستغنى عني تعوّضتُ منه بألف من نظرائه . وقال المأمون يوماً (المرجع المذكور / ١٣٥) : « ببابي رجلان : أحدهما أريد أن أضعه وهو يرفع نفسه وهو عليّ بن الهيثم ، والآخر أريد أن أرفعه وهو يضع نفسه ، وهو الفضل بن جعفر بن يحيى بن خالد ابن برمك» ؛ وجاء فيه أنّه « كان أحد الكتاب المستخدمين في ديوان المأمون وغيره من الخلفاء » (المرجع المذكور /١٣٤) . ويُستدل مما تقدّم أن عليّ بن الهيثم لم يكن فقيراً مجهوداً ، كما جاء في شرح محقق الأغاني ، وأنه كان مفقّعاً تيّاهاً، أي متشدّقاً معجباً بنفسه .

٦٢– وفي « ذكر مخارق ... » (ص ٣٧٠) لعيسى بن زينب :

يا دارُ غيرّ رسمها يونسازه وبقي مُخارقُ قاعداً في فازه

وجُعلت « بقِـي » بالياء ، والطباعة المصرية لا تنقّط الياء في آخر الكلمة ، وتكتفي بشكل ما قبلها – ككسرة القاف في بقِـى – ولم يُرِد قائل البيت «بقِـي» بالياء ، لأن فتح الياء يكسر وزن البيت ، واسكانها غير جائز نحواً ، وإنما أراد « بقى » بالألف ، وهي لغة طيء ، وتكلمت بها العرب ، وكنت أتيتُ في تعليقاتي على الجزء السابع عشر من الأغاني (الفقرة ٥٣) بشواهد على أفعال لم يُسَمَّ فاعلوها من هذه اللغة ، وهي أُتَى ورُضَى ونُعَى وأُعطَى ، وأذكر ههنا شواهد على أفعال سمي فاعلوها :

أ – قال زيد الخيل (الشعر والشعراء ٣٤٤/١) :

فلولا زهير أن أُكدّر نعمــةً
لقاذعتُ كَعْباً ما بقيتُ وما بقا

وقال النعمان بن الأسود (الإكليل ٢٠٤/٨) :

وهُمُ اليومَ حَشْوَةٌ في قبــورٍ
وأرى مــن بقى اليهــم يصــيرُ

ب – وقال زهير بن أبي سلمى (طبقات ابن سلام ٢٠)

تربّــعَ صارةً حتى اذا ما فنى الدُّحْلان عنه والإضاءُ

ج – وجاء في رَجَز رجل من الأزد في حرب الجمل (نهج البلاغة ٢٠٤/٨) :

« وعاه واعٍ ونســى الشقِيٌّ »

د – وقال روح بن زِنباع (رسائل الجاحظ ٣٥٩/٢) :

رَضَى الأشياخُ بالقِطيــون بَعْلاً
وترغبُ في المناكح عــن جِــذامِ

ه – وقال الوليد بن يزيد (تأريخ الطبري ٢١٢/٨) :

بينا يسمّنُه للصيــد صاحبُهُ حتى اذا ما قوى من بعدما هُزِلا

و – وقال صلاح الدين خليل بن أيبك (لوعة الشاكي /٢٥) وشاهده للاستئناس :

وكنتُ كالمتمنّي أن يــرى فلقاً
من الصباح فلما راءه عَمَا [٧]

وإنما استكثرتُ من المُثُل، مستشهداً لبقى وفنى ونسى ورضى وقوى وعما، لأني وجدتُ ابن سلام الجمحي يقول في « بقى وفنى » : « وهما لغتان لطيئ ، وقد تكلمت بهما العرب » (طبقات الشعراء / ٢٠) ، فلم أشأ أن يَظُنَّ ظانٌّ أن الأمر مقصور على هذين الفعلين، وفي نص ابن سلاّم كلام مبتور يُضعف من التعويل عليه [٨] ، وأهل العراق يطّرد في لغتهم العامية لعصرنا هذا قلب هذه الياء ألفاً ، واللغــة المرغوب فيها في الكلام الفصيح بالياء لا الألف ، وهي لغة التنزيل ، قال عزّ اسمه « لقد عهدنا الى آدم من قبلُ فنسيَ ولم نجد له عزما » (طه / ١١٥) ، وقال جلّ ثناؤه « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » (الفتح /١٨)، وقال تبارك اسمه « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا » (البقرة /٢٧٨) .

٦٣– ولأبي مِحْجَن الثقفي (ص ٣٧٤) :

إذا متُّ فادفنّي الى جنب كَرْمةٍ
تُرَوّي مُشاشي بعد موتي عروقُها

والرواية المشهورة « تروّي عظامي » في موضع « تروّي مشاشي » ، كما في الشعر والشعراء (١ /٣٨٨)، وتأريخ الطبري(٥٤٩/٣) ، والعقد الفريد (٦/ ٣٥٠)، والأغاني (١٩/ ٧) . وكأنّ بيت أبي محجن منظورٌ فيه الى قول حاتم الطائي :

أماويَ إمّا متّ فاسْعَي بنُطفة من الخمر ريّا فانضحِنّ بها قبري

انتهت التعليقات على الجزء الثامن عشر من كتاب الأغاني وله الحمد والمنّة



(٧) هكذا في الأصل ، وهو يستقيم بأن يقال « فلما أن رآه عما » .

(٨) النص في المستوغر وهو « قوله بقى يريد بقي وفني وهما لغتان لطيء .. » وفني هاهنا كالمقحمة ، ولم أجدها فيما أورده ابن سلام من شعر للمستوغر . وما أظن ابن سلام – وهو العالم الجليل الحجة أراد إن لغة طيء مقصورة على هذين الفعلين .

تعقيب على تحقيق

« كتاب الكتّاب » لابن درستويه

الدكتور عدنان محمد سلمان

الاستاذ المساعد في كلية الآداب – جامعة بغداد

يعد ابن درستويه[1] من النحاة واللغويين البارزين الذين نبغوا في أواخر المائة الثالثة للهجرة وأوائل المائة الرابعة . وقد أسهم اسهاماً محموداً في انماء التراث العربي ، فوضع مؤلفات قيمة في النحو واللغة ، ومن هذه المؤلفات كتاب سماه « كتاب الكتّاب »[2] ، عالج فيه مسائل تتعلق بالخط العربي وطريقة الكتابة ، وما تواضع عليه الكتاب ، وقد ضمن كتابه هذا مسائل لغوية جمة ، وفوائد نحوية كثيرة ، وأولع فيه بالتعليل ، وتفسير أساليب الرسم ، وقد أوضح ابن درستويه غرضه من تأليف هذا الكتاب فقال : « . . . كتاب الكتّاب الجاري بين الخاصة والعامة في كتب علومهم وآدابهم ومراسلاتهم ، الذي لا يستغني متأدب عن معرفته ولا يليق بذي المروءة جهله ، وفيه اختلاف بين العلماء ، فمنهم المقتفي خط المصحف والمكتفي بما نشأ عليه ، إنْ مصيباً وإنْ مخطئاً ، وقد ألّف كل امرئٍ منهم في ذلك كتاباً على رأيه ، فاخترنا من مذاهبهم جيد ما وافق النظر وأوجبه قياس النحو ، وبيّنّا فيه مواقع الزلل ، من غير أن ننص الى عالم زلته ، أو نُنعي عليه عثرته ،

---

(١) هو عبدالله بن جعفر بن درستويه المتوفى ببغداد سنة ٣٤٧ هـ . انظر ترجمته في انباه الرواة ١١٣/٢ ووفيات الأعيان ٢٥١/١ – ٢٥٢ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٣٦/٢ .

(٢) كشف الظنون ١٤٥١/٢ – ١٤٥٢ ، وسماه : « كتاب الكتاب المتمم » وقال : « إن الكتاب الثاني مخفف بمعنى الكتابة ، فحينئذ يكون المعنى كتاب الكتابة ، وفي رواية مشدد بمعنى المكتب ، وهو الأنسب بحسب المعنى » .

وانظر الاختلاف الذي وقع في اسم الكتاب بين الذين ترجموا لابن درستويه مقدمة كتاب الكتاب تحقيق الاستاذين الفاضلين الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٩/ .

وسمّيناه « كتاب الكتّاب» اذ كان قصدنا فيه لما يكتب من تهج وقراءة ، دون غيره ، ولان الهجاء يلحق غير المكتوب أيضاً، وان الخط قد يكون تصويراً أو نقشاً، ولم ننسبه الى الكتابة ، لانها صناعة الكاتب ، وهي تجمع أسباباً غير الكتابـــة ، ووجدنا كتاب الله جلّ ذكره لا يقاس هجاؤه ، ولا يخالف خطه ، ولكنه يتلقى بالقبول على ما أودع المصحف ، ورأينا العروض انما هو احصاء ما لفظ بـــه من ساكن ومتحرك ، ليس يلحقه غلط ، ولا فيه اختلاف بين أحد ، فلم نعرض لذكرهما في كتابنا هذا » [١]

وقد قام الأب لويس شيخو بنشر الكتاب مرتين في بيروت ، الأولى سنة ١٩٢١م [٢] والثانيـــة سنة ١٩٢٧ م ، وقد تمّ طبـــع النشرة الثانية في المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، واعتمد الأب لويس شيخو في نشره الكتاب على نسخة مخطوطة بقلم أحد ادباء حلب ، وهو رزق الله حسون ، نسخها لنفسه سنة ١٨٧٥ م ، حينما كان بلندن في قرية وندزر ، وقد تبين للاب شيخو أن الأديب رزق الله نسخ هذه المخطوطة عن النسخة الوحيدة المعروفة آنذاك ، والمحفوظة في خزانة الكتب الشرقية في اوكسفورد تحت رقم ٣٥٤ ، وقد كتبت هذه النسخة سنة ٦٣٣ هـ ، قال عنها الأب شيخو : « وهي غاية في الاتقان ، مضبوط أكثرها بالشكل [٣] » .

وليس في مقدمة هذه النشرة ما يشير الى أن الأب شيخو قد أفاد من نسخة اكسفورد على الرغم من أنه قداطلع عليها ، واطلع أيضاً على وصف المستشرق اسكندر نيكول لها في القسم الثاني من فهرس مخطوطات اوكسفود العربية [٤] .

وقد قام مؤخراً الاستاذ ان الفاضلان الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي بنشر هذا الكتاب معتمدين على نسخة مغربية وقعت لهما ضمن مجموعة من المخطوطات اللغوية ، وقد ذكرا في مقدمة نشرتهما الأسباب التي دعتهما الى اعادة

---

(١) كتاب الكتاب لابن درستويه ١/ طبعة لويس شيخو الثانية ٦ – ٧ .

(٢) المصدر السابق / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ١٠ .

(٣) المصدر السابق / طبعة لويس شيخو الثانية ٤ .

(٤) المصدر السابق / طبعة لويس شيخو الثانية ٣ – ٤ .

نشر هذا الكتاب ، وهي تصحيح : ما عرض للنشرتين السابقتين من وهم ، واتمام ما وقع فيهما من سقط [1] .

ويبدو أن الباحثين الفاضلين قد استعانا بنشرة شيخو ورمزا لها بالحرف (م) ويعنون بها المطبوعة ، ورمزا للنسخة المغربية بالحرف (خ) ويعنون بها المخطوطة[2]

وقد قرأت هذه النشرة الجديدة قراءة تدبر ودراسة ، وتطلبت طبعة الأب لويس شيخو فحصلت عليها ، ثم قابلت النشرتين فتجمعت لديَّ ملاحظات موضوعية رأيت أن أضعها بين يدي الباحثين الفاضلين ، مقدراً لهما عظيم عملهما ، منوهاً بفضلهما في الأسهام في نشر كتب التراث ، معترفاً لهما بافادتي مما نشرا سابقاً ، راجياً لهما التوفيق كل التوفيق في خدمة هذه اللغة ، وسأضع هذه الملاحظات على شكل مسائل منفصلة ، وقد جعلتها على قسمين ، الأول يتضمن ملاحظات عامة والثاني يتضمن ملاحظات تتعلق بالنص المحقق .

أولاً : الملاحظات العامة

١ ــ لم يشر الاستاذان المحققان الى رقم المخطوطة المغربية التي اعتمدا عليها ، ولا مكانها بالضبط ، بل اكتفيا بالاشارة الى أنها مخطوطة مغربية ضمن مجموعة من المخطوطات اللغوية ، ولم يعددا لنا مخطوطات هذه المجموعة ، واعتقد أنهما قد أغفلا ذلك لأنهما رأيا أنه لا يؤثر على عملهما في اخراج النص إخراجاً دقيقاً ومضبوطاً .

٢ ــ أغفل المحققان الفاضلان وصف المخطوطة التي اعتمدا عليها ، فلم يبينا لنا نوع خطها ، ولا تاريخ نسخها ، ولم يقدما لنا أيّ وصف لشكلها ، وهذه الأمور ضرورية في التحقيق ، ولها ارتباط بقيمة المخطوطة ، وخاصة اذا كانت عليها تعاليق لعلماء مشهورين ، أو اشارات تدل على أنها قرئت على مشايخ بارزين ، أو أنها قوبلت على نسخة المؤلف أو نسخة أحد تلامذته .

٣ ــ أغفل المحققان نسخة اوكسفورد ولم يشيرا اليها ، ولم يذكرا أنهما سعيا للحصول

(١) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبد الحسين الفتلي ١٠

(٢) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ١٢ .

عليها ، واعتقد ان تحقيق مثل هذا الكتاب النافع يفرض على المحققين الفاضلين أن يحاولا الحصول على هذه النسخة ، واذا كانا قد حاولا ذلك فلم يفلحا في الحصول عليها يفترض فيهما أن يشيرا الى محاولتهما هذه ، ولكنني لم أجـد في مقدمتهما أي اشارة الى هذه النسخة .

٤ – لم يضع الباحثان المحققان أيَّ فهرست لنشرتهما سوى فهرست بسيط للموضوعات ، واعتقد أن نشر أيّ كتاب من كتب التراث يجب ان يكون مقترناً بنشر فهرس يتضمن الاعلام والأشعار والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال التي وردت فيه واذا كان الكتاب لغوياً ينبغي ان يلحق به فهرس آخر يتضمن المواد اللغوية التي وردت في الكتاب .

وقد أحسن لويس شيخو صنعاً عندما ألحق بنشرته الثانية لكتاب الكتّاب فهرساً مفصلاً خاصاً بمواد الكتاب وفهرساً آخر ضمنه الشواهد والأعلام الواردة في الكتاب [1] .

٥ – وردت في الكتاب شواهد قرآنية كثيرة أغفل المحققان الفاضلان تخريج أغلبها وأعتقد أن تخريج الشواهد الواردة في النص المحقق من ألزم اعمال المحقق ، سواء أكانت هذه الشواهد شعرية أم قرآنية أم احاديث نبوية أم امثالاً عربية ، والآيات التي لم تخرج كثيرة اذكر منها قوله تعالى « يسألون عن أنبائكم » [2] وقوله « تالله تفتأ تذكر يوسف [3] » وقوله : « انما أنت منذر [4] » .

واذا ما رجعنا الى نسخة لويس شيخو نجد أنه قد خرّج جميع الآيات القرآنية الواردة في النص ، وذكر مواضعها في القرآن الكريم في هامش الصفحة التي وردت فيها [5] ، ولم يكتف بذلك بل وضع فهرساً في آخر نشرته ضمنه الآيات الواردة في النص ومواضعها في القرآن الكريم .

---

(١) كتاب الكتاب لابن درستويه / نشر لويس شيخو/ الطبعة الثانية سنة ١٩٢٧ . ص ١٠٧–١١٤.

(٢) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ص ٦٧٨ .

(٣) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ص ٤٨ .

(٤) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ص ٥١ .

(٥) انظر كتاب الكتاب / الطبعة الثانية ١٢ ، و ٢٣ ، و ٢٤ ، و ٢٦ و ٢٧ ، ٢٨ ، و ٢٩

٦ – اعتقد أن ضبط الآيات القرآنية الواردة في النص المحقق من ألزم الأمور التي يجب ان يوليها المحقق عناية ، وقد سعى المحققان الفاضلان الى القيام بذلك ، ومع ذلك فقد فاتهما ضبط بعض الآيات فقد ورد تصحيف في آية وتحريف في آية أخرى وخطأ في رسم آية ثالثة ، أما التصحيف ففي قوله تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد [١] البحر » حيث كتب الفعل (نفـــد) بالذال المعجمة ، لا بالدال المهملة ، وربما يكون هذا التصحيف قد وقع بسبب خطأ مطبعي ، ولكنني مضطر على التنبيه اليه لأمرين ، أولهما : إن الوهم كثيراً ما يقع في التفريق ما بين هذين الفعلين (نفد ونفذ) ، وثانيهما : إن النص القرآني يجب ان يحمى من كل تصحيف وتحريف ، لهذا يجدر بكل باحث أو محقق ان يبذل عناية فائقة في ضبط الآيات القرآنية ، ويحرص كل الحرص على تصحيح ما يقع فيها من أخطاء مطبعية ، وان تعذر عليه تصحيح ذلك فـــي النص فعليه ان يشير الى هذه الأخطاء في آخر الكتاب في قائمة الخطأ والصواب ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه الآية قد جاءت في نسخة الأب لويس شيخو مضبوطة ضبطاً صحيحاً [٢] .

وأما الآية التي وقع فيها تحريف فهي في قوله تعالى : « بل لا تكرمون اليتيم »[٣] حيث كتبت في النص هكذا [٤] : « بل لا يكرمون اللئيم » والمحققان الفاضلان لم يشيرا الى أن هذا النص آية قرآنية ، مع أنهما قد أشارا الى الاختلاف الوارد في هذا النص بين نسختهما ونسخة الأب لويس شيخو ، وقد وردت الآية في هذه النسخة [٥] مضبوطة ضبطاً صحيحاً ومخرجة في الهامش بحسب ورودها في القرآن الكريم : وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين أن يصححا نسختهما على ضوء نسخة شيخو ويشيرا في الهامش الى الخطأ الذي ورد في نسختهما

---

(١) الكهف / ١٠٩ وانظر كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ١٥٥ .
(٢) كتاب الكتاب نشر لويس شيخو الطبعة الثانية ٩٦ .
(٣) الفجر /١٧ .
(٤) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٦١ .
(٥) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية ٣٢ .

وأما الآية التي ورد في رسمها خطأ فهي قوله تعالى : « للذين يؤلون من نسائهم[1]» حيث رسم المحققان الفاضلان الفعل (يؤلون) غير مهموز هكذا (يولون) [2] ، وهو خلاف رسم اللفظة في المصحف ، وقد وردت اللفظة مرسومة في نسخة الأب لويس شيخو رسماً صحيحاً ، وقد أشار المحققان الفاضلان الى اختلاف نسختهما عن نسخة شيخو وكأنّ ما في نسختهما [3] أدق واضبط مما في نسخته ، ولولا هذه الاشارة لحسبت أن الخطأ في رسم الآية وقع بسبب رداءة الطباعة ، ولكن اشارتهما هذه جعلتني أرجح أنهما لم يرجعا إلى القرآن الكريم لضبط الآيات الواردة في النص المحقق .

٧ ـ أغفل المحققان الفاضلان تخريج القراءات القرآنية الواردة في النص ، مع أن هذه القراءات كانت قليلة ، فلم يقع في النص غير ثلاث قراءات ، فقد استشهد ابن درستويه في باب الحذف وفصوله بقراءة الكسائي قوله تعالى : « ألا يا اسجدوا لله »[4] بتخفيف (ألا) وادخال حرف النداء (يا) بين (ألا) والفعل ، وصياغة الفعل (اسجدوا) على صورة فعل الأمر . ومما جاء من الشعر على مثال هذه القراءة قول الشاعر ذي الرمة :

ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر [5]

ورسم الآية في المصحف على قراءة غير الكسائي من القراء السبعة بتشديد اللام من (ألاّ) وفي غير حرف النداء (يا)وصياغة الفعل على صورة المضارع (يسجدوا) ،

(١) البقرة /٢٢٦ .

(٢) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٧٠ وانظر هامش رقم ٦ من الصفحة نفسها . وقد أورد المحققان الفاضلان هذه الآية ممزوجة مع آية أخرى هكذا « لله على الناس وللذين يولون من نسائهم » والجزء الاول منها جزء من آية مستقلة وهي « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » آل عمران /٩١ .

(٣) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٧٠ هامش رقم ٦

(٤) النمل ٢٥ وهي قراءة الكسائي انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٨٠ وكتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبد الحسين الفتلي ٧١ .

(٥) انظر الدرر اللوامع على همع الهوامع للشنقيطي ٨١/١ وانظر معجم شواهد العربية لعبد السلام هرون ١٥٠/١ .

وكان الأمثل بالمحققين الفاضلينأن يخرّجا قراءة هذه الآية ويبيّنا صورة رسمها في المصحف .

واستشهد ابن درستويه في هذا الباب ايضاً بقراءة أبي عمرو ابن العلاء قوله تعالى : « فأصدق وأكون من الصالحين » [١] بأثبات الواو في الفعل (أكون) ، وقد أغفل المحققان الفاضلان تخريج هذه القراءة في كتب القراءات ، كما فاتهما أن يبيّنا صورة رسمها في المصحف حيث وردتفيه بحذف الواومنالفعل (أكون) ، وعلى هذا يكون رسمها فيه هكذا « فأصدق وأكنْ من الصالحين » وهي قراءة السبعة عدا أبي عمرو [٢] .

واستشهد ابن درستويه في باب إعراب العدد في التاريخ وغيره [٣] بقراءة قوله تعالى : : « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائةٍ سنين [٤] » بتنوين (مائة) ، وعلى الرغم من أن ابن درستويه قد نصّ على أنها قراءة بعض القراء إلاّ أن المحققين الفاضلين لم يخرجا هذه القراءة ولم يبينا قراءة من هي ؟ وما القراءة التي عليها الناس ؟ علماً بأن هذه القراءة هي القراءة المشهورة التي يقرأ بها الناس ، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم وابن عامر [٥] وقرأها كل من حمزة والكسائي [٦] من غير تنوين أي بالاضافة « ثلاثمائةِ سنين » باضافة مائة الى سنين .

ثانياً : الملاحظات المتعلقة بالنص

قال المحققان الفاضلان في مقدمة نشرتهما المحققة : « ثم عثرنا على نسخة مغربية ضمن مجموعة من مخطوطات لغوية ، فكان ذلك حافزاً لنا على تحقيقه تحقيقاً جديداً ، مصححين ما عرض للنشرتين السابقتين من وهم . . . وان من من خصائص هذه النشرة أنها صححت أوهام ما عرض للنشرتين السابقتين المشار

(١) المنافقون ١٠ وانظر كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبد الحسين الفتلي ٨٢ .
(٢) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٣١٩ .
(٣) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ١٤١ .
(٤) الكهف ٢٥ .
(٥) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٣٨٩ .
(٦) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٣٨٩ .

اليهما من خطأ ، كما أنها أتمت ما سقط من تلك النشرة ، وهو يتجاوز الكلمات بل السطور »[1] .

ومما لامراء فيه أن نشرة الاستاذين المحققين قد صححت كثيراً من الأخطاء التي وقعت في طبعة شيخو الثانية وأتمت ما فيها من نقص ، أما نشرة شيخو الأولى فيبدو لي أنهما لم يطلعا عليها اذ لم يشيرا اليها في هوامش نشرتهما ، وعلى الراجح أن تلك النشرة لا تختلف عن طبعة شيخو الثانية ، لان أصلهما واحد .

والتصحيح الذي أجراه المحققان الفاضلان على طبعة شيخو ليس بقليل فمثلاً ورد في هذه الطبعة ان ابن درستويه قال : « هذا كتاب ألّفناه في خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله »[2] وعلى الرغم من أن شيخو قد أشار في الهامش الى أن المعتصم تقلد الخلافة من سنة ٢١٨ هـ الى سنة ٢٢٧ هـ وأشار في ترجمته لابن درستويه أنه ولد سنة ٢٥٨هـ[3] اي بعد وفاة المعتصم باحدى وثلاثين سنة، إلا أنه لم ينتبه الى هذا الوهم الذي وقع فيه ناسخ الاصل الذي اعتمد عليه في طبعه الكتاب . فجاء المحققان الفاضلان فانتبها لهذا الوهم فصححاه اعتماداً على ما ورد في نسختهما المخطوطة حيث ورد فيها : « هذا كتاب ألّفناه في خـــلافة المعتضد بالله[4] » ، والمعتضد تولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ وتوفي سنة ٢٨٩هـ[5] ، وقد عاصره ابن درستويه.

وفي (ص ١٢) من طبعة شيخو الثانية جاءت هذه العبارة : « فان كانت ألف الوصل أسقطت من الكتاب ، كما تسقط من اللفظ لمجيء حرف الاستفهام، وضعف ألف الوصل لا يلتبس الاستفهام بالخبر ههنا لانفتاح همزة الاستفهام ».

وهذا النص فيه سقط ، وقد ورد في نسخة المحققين الفاضلين تاماً من غيـــر سقط ، حيث وردت لفظة (لأنه) قبل عبارة (لايلتبس) والنص بصورته الصحيحة يكون هكذا : « وان كانت ألف وصل أسقطت من الكتاب ، كما تسقط من

---

(١) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ١٠ .
(٢) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية ٧ .
(٣) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية هامش رقم (١) .
(٤) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ١٥ .
(٥) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١٩٩/٢ . وانظر الاعلام للزركلي ١٤٠/١ .

اللفظ لمجيء حرف الاستفهام وضعف ألف الوصل . وأنه لا يلتبس الاستفهام بالخبر ههنا لانفتاح همزة الاستفهام ، وأن ألف الوصل لا تكون مفتوحة [1] »

وفي (ص ١٠) من طبعة شيخو الثانية وردت هذه العبارة : « والتثنية والجمع في أثناء الشهور » وواضح أن لفظة (أثناء) محرفة ، والصواب : (أسماء) وهكذا جاءت في نسخة المحققين الفاضلين [2] .

وفي (ص ١٠) من طبعة شيخو الثانية وردت هذه العبارة : « واذا لحقت (رب) التاء فهي كذلك أيضاً مثل (ربتما) موصولين على كل حال لأن (ما) بعدها تكون بمعنى الذي » . وحديث ابن درستويه هنا يتعلق باتصال الحرف (ما) برب المتصلة بالتاء ، وواضح أن العبارة فيها سقط لأن معناها غير مستقيم اذ كيف تكون (ما) هذه بمعنى الذي ، والصواب أن تكون العبارة هكذا : « واذا لحقت (رب) التاء فهي كذلك أيضاً مثل (ربتما) موصولين على كل حال لأن (ما) لا تكون بمعنى الذي » . وقد تنبه المحققان الفاضلان الى أن الحرف (لا) قد سقط فأشارا الى ذلك في الهامش [3] .

وهناك ملاحظات كثيرة أوردها المحققان الفاضلان ليبررا عملهما في اعادة نشر « كتاب الكتاب» وقد وجدت أن قسماً كبيراً من هذه الملاحظات لا تعدو أن تكون ابدال لفظ مكان لفظ يقاربه في المعنى فمثلاً في (ص ١٦) وردت هذه العبارة : « ولا ينقطون ولا يشكلون الا ما ألبس » وقد أشار المحققان الفاضلان الى أن لفظة (ألبس) وردت في نسخة شيخو (التبس) وفي (ص ٢١) وردت عبارة « وما هو زيادة يؤتى بها للفروق » فأشار المحققان الفاضلان الى أن لفظة (للفروق) قد وردت في نسخة شيخو (للفرق) ، وفي (ص ١٥) وردت عبارة « ولا يجمل بذي مروءة جهله » فأشار الى أن لفظة (ولا يجمل) وردت في نسخة شيخو (ولا يليق) وفي (ص ٢٦) وردت هذه العبارة « لما استثقلوهما مجتمعتين»

---

(١) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٢٦ .

(٢) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٢٣ .

(٣) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٥٢ هامش رقم ٨ . وانظر طبعة شيخو الثانية ٢٧ .

فأشارا الى أن لفظة (مجتمعتين) وردت في نسخة شيخو (مجموعتين) . وفي (ص ٢٧) وردت هذه العبارة « وذلك مثل قول الله عزوجل » فأشارا الى أن الذي ورد في نسخة شيخو « وذلك مثل قول الله عز ذكره »

وقد قمت بمقابلة نسخـــة المحققين الفاضلين على نسخة شيخو ، فتبين لي أن هذه النسخة قد جاءت في مواضع كثيرة ادق وأضبط من نسخة الأستاذين الفاضلين . وسأذكر امثلـــة كثيرة على ذلك أضعها بين يدي الباحثين الفاضلين وما رائدي في ذلك الا خدمة اللغة والوصول الى الحقيقة .

١ — في (ص١٩) وردت هذه العبارة : « وما توصل بحرف التنبيه (وهوهاء) وما يفصل منه » . وقد أشار المحققان الى أن عبارة (وهو هاء) ساقطة من نسختهما وقد اكلاها من نسخة شيخو . وقد أخطأ المحققان في النقل حيث رسما حرف التنبيه هكذا (هاء) والصواب (ها) كما ورد في نسخة شيخو (ص ٨) .

٢ — وفي (ص ١٩) أيضاً وردت هذه العبارة « وما يوصل من المبهمة بهاء وما يفصل منها » . وقد أشار المحققان الفاضلان الى أن لفظة (بهاء) ساقطة من نسخة شيخو . وهذا وهم وقع فيه الباحثان المحققان اذ لا لزوم للفظة (بهاء) هنا ، لأن هذا الموضع من الباب لا علاقة له بحرف التنبيه (ها) وذلك لأن الحديث فيه يتعلق بلفظة (ما) واتصالها بالأسماء المبهمة عن ظروف واسماء واستفهام وشرط مثل أين وكيف ومتى . ولو رجع المحققان الفاضلان الى أصل المبحث في نصهما المحقق في الموضع الذي بدأ فيه ابن درستويه بشرح هذه المسألة لوجد ا العنوان قد اثبت هكذا « ما يوصل من المبهمة بما وما يفصل منها » [1] وهو يماثل تماماً النص الذي ورد في نسخة شيخو (ص ٢٨) . ومن هنا يتبين أن ما ورد في هذه النسخة في هذا الموضع أدق مما ورد في نسخة المحققين الفاضلين .

٣ — وفي ص ٢١ ورد عنوان مبحث من مباحث الكتاب هكـــذا : « معرفة تقليب القلم في مجالسه » وتكررت هذه العبارة في (ص ١١٩) وقد وقع في هذه العبارة خطأ والصواب أن تكون اللفظة الأخيرة (مجاله) بدلاً من (مجالسه)،

(١) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٥٣ .

ومما يؤكد هذا قول ابن درستويه في (ص ١١٩) من النسخة المحققة : « وللقلم المحرف مجال في كل ذلك غير مجال القلم المستوي القطر . » وقد وردت هذه اللفظة في نسخة شيخو (مجاله) وهو الصواب (١) .

٤ — وفي (ص ٢١) أيضاً وردت عبارة « وما يحسن من رد الياء وتعريتها وما يقبح » . وقد أشار المحققان الفاضلان الى أن لفظـــة (تعريتها) قد وردت في نسخة شيخو (تعريفها) ، وعلقا في هامش رقم (٥) على ذلك فقالا : « في(م) [يعنون : نسخة شيخو] تعريفها ، ولا معنى له » . وقد رجعت الى موضع اللفظة في نسخة شيخو (٢) فوجدتها (تعريقها) بالقاف لا (تعريفها) بالفاء كما ذكر الفاضلان. ومـــا ورد في هذه النســـخة أدق واضبط مما أثبتـــه المحققـــان الفاضلان ، لأن هذه العبارة عنوان مبحث من مباحث الكتاب وقد تكرر هـــذا العنوان مرتين مرة في سرد ابن درستويه لمباحث الكتاب ومرة في شرحه هذهالمباحث، ولو رجع المحققان الفاضلان الى عنوان هذا المبحث في نسختهما المحققة في (ص ١٢٢) عندما بدأ المؤلف يشرح هذا الفصل في مباحث كتابه لوجدا أن العبارة موافقة لما في نسخة شيخو (٣) وأن عبارتهما التي أثبتاها في سرد مباحث الكتاب خطأ اذ لا معنى لها ، وأن الصواب أن يثبتا هذه العبارة هكذا « ما يحسن من رد الياء وتعريقها وما يقبح » . وكان الأمثل بهما أن يصححا نسختهما على نسخة شيخو ويشيرا في الهامش الى أن تصحيفاً قد وقع في نسختهما .

٥ — وفي (ص ٣١) وردت عبارة « واذا سكنت [أي الهمزة] المتوسطـــة فهي متحرك ما قبلها ويجب اثباتها على صورة الحرف الذي منه حركة ما قبلها اتباعاً لتخفيف اللفظ » وقد أشار المحققان الفاضلان الى أن عبارة (فهي متحرك) وردت في نسخة شيخو(٤) بصيغـــة (وهي متحرك) أي إن (الواو) في نسخة شيخو قد جاءت بدلاً من الفاء وظاهر عبارة المحققين تشير الى أن مافي نسختهما

---

(١) كتاب الكتاب / طبعة شيخو الثانية ٩ .

(٢) كتاب الكتاب / طبعة شيخو الثانية ٩

(٣) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية ٩ .

(٤) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية ٩ .

أدق وأصح ، والصواب على ما يترجح عندي أن تكون بالواو ، ولا مبرر للفاء هنا لان المعنى معنى الحال هنا ، وأن المقصود أن تكون الهمزة ساكنة وما قبلها متحرك والفاء لا تفيد هذا المعنى ، واثبات الفاء يعني أن يكون تحرك ما قبل الهمزة مترتب على سكون الهمزة وعبارة ابن درستويه لا تدل على ذلك . ومن هنا تكون نسخة شيخو في هذا الموضع ادق من النسخة المحققة .

٦ — في (ص ٣٣) عند الحديث عن الهمزة المتطرفة ورد عنوان فصل وهو : « المتطرفة الساكن ما قبلها المتصل بما بعدها علامة ضمير أو تثنية او جمع أو تأنيث » . وقد أشار المحققان الفاضلان فيهامش (رقم ٧) الى أن عبارة نسخة شيخو [١] جاء فيها لفظة (المتصلة) بدلاً من لفظة (المتصل) ولو دقق الباحثان الفاضلان النظر في عبارة نسختهما لوجداها مضطربة ولا تفي بالغرض الذي قصده ابن درستويه ، فهو يتحدث هنا عن الهمزة الساكن ما قبلها المتصلة بعلامة الضمير أو التأنيث مثل (هذا جزءك) وعبارة نسخة المحققين توحي بان الضمير متصل بحرف بعد الهمزة « المتصل بما بعدها علامة ضمير » فهذه العبارة توحي بان الضمير متصل بحرف بعد الهمزة ، ولما رجعت الى نسخة شيخو وجدت عبارتها دقيقة وتعبر عما يريد ابن درستويه من غير ليس ولا غموض ، فقد جاء فيها : « المتطرفة الساكن ما قبلها المتصلة بما بعدها من علامة ضمير أو تثنية أو جمع أو تأنيث [٢] » وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين أن يصححا هذه العبارة على وفق ما جاء في نسخة شيخو علماً بأن هذه العبارة هيعنوان مبحث سبق أن ورد في سرد ابن درستويه لمباحث الكتاب في مقدمته ، ولو راجع المحققان الفاضلان هذا السرد لوجدا أن ما في نسخة شيخو يطابقه تماماً وأن ما اثبتاه في (ص ٣٣) يخالف ما اثبتاه في (ص ١٨) .

٧ — وفي (ص ٣٣) أيضاً وردت هذه العبارة « واذا وقعت [أي : الهمزة] بعد ساكن حذفت من الكتاب على كل حال لسقوطها من اللفظ في التخفيف اذا

---

(١) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية ١٥ .

(٢) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية ١٦ .

ادرجت لالتقاء الساكنين في الوقف » .

وهذا النص مضطرب ، وقد أشار المحققان الفاضلان الى أن هناك اختلافاً بين هذا النص وبين ما ورد في نسخة شيخو ، فوضعا رقماً فوق لفظة (لالتقاء) ، ولكنهما عادا في الهامش فكررا اللفظة نفسها ، انظر هامش رقم (٣) قال المحققان « في (م) لالتقاء » . وقد رجعت الى نسخة شيخو فوجدت العبارة هكذا : « واذا وقعت [اي : الهمزة] بعد ساكن حذفت من الكتاب على كل حال لسقوطها من اللفظ في التخفيف اذا وقف عليها لالتقاء الساكنين في الوقف [١] » والعبارتان مختلفتان . واعتقد أن عبارة نسخة شيخو ايضاً مضطربة ، والاضطراب منحصر في عبارة « لسقوطها من اللفظ في التخفيف اذا وقف عليها لالتقاء الساكنين في الوقف » ، والراجح عندي هو أن عبارة نسخة المحققين الفاضلين أقرب إلى الصحة والسداد اذا ما أضفنا حرف العطف (الواو) بين لفظتي (أدرجت و (لالتقاء) ، لتكون هكذا : « واذا وقعت بعد ساكن حذفت من الكتاب على كل حال لسقوطها من اللفظ في التخفيف اذا أدرجت ولالتقاء الساكنين في الوقف » .

٨ — وفي (ص ٣٥) ورد عنوان مبحث من مباحث الكتاب وقد اثبته المحققان اعتماداً على نسختهما هكذا « باب المد وفصوله » ، وأشارا في هامش رقم (١) الى أنه ورد في نسخة شيخو بصورة مغايرة حيث جاءت لفظة الممدود فيه بدل المدّ ، وذلك على هذه الصورة « باب الممدود وفصوله » [٢] . واعتقد ان عبارة طبعة شيخو اضبط بدليل أن ابن درستويه لما بدأ يتحدث عن الفصل قال : « شروط الممدود وفصوله » ولم يقل شروط المد . وقد اتفقت النسختان على ذلك ، أعني طبعة شيخو وطبعة المحققين الفاضلين ، ومما يقوّي رأيي ويؤكده هو أن الحديث عن الاسم الممدود وليس عن ظاهرة المدّ . وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين أن يصححا نسختهما على ضوء طبعة شيخو ويشيرا الى ذلك في الهامش .

---

(١) كتاب الكتاب / نشر الأب لويس شيخو / الطبعة الثانية / ١٦ .

(٢) كتاب الكتاب / نشر الأب لويس شيخو / الطبعة الثانية / ١٧ .

٩ — وفي (ص ٣٥) أيضاً ، وردت عبارة فيها سقط ، وهذا السقط أدى الى اضطراب معناها واختلاله وهذه العبارة هي : « وما كان من الممدود مصدراً كالدعاء والعواء اعتبر بنظيره من المصادر الصحيحة كالصراخ والنباح فاذا وجد آخر مصدر الصحيح ألف كان نظيره من مصدر المعتل ممدوداً » . وهذه العبارة ليست سديدة اذ لا يصح في قول أحد من الناس أن يكون « آخر مصدر الصحيح ألف » لأن ما أخره ألف يعدّ معتلاً عند جميع أهل اللغة . وعلى الرغم من أن المحققين الفاضلين قد اطلعا على طبعة شيخو ووجداها تختلف في هذا الموضع عن نسختهما فأشارا في هامش رقم (٦) من الصفحة نفسها أنه ورد فيها : « وجد قبل آخر مصدر الصحيح » ، وبناء على هذه الاشارة تصبح العبارة هكذا : « وما كان من الممدود مصدراً كالدعاء والعواء اعتبر بنظيره من المصادر الصحيحة كالصراخ والنباح ، فاذا وجد قبل آخر مصدر الصحيح ألف كان نظيره من المعتل ممدوداً »[١] ، وهذه العارة هي المثبتة في طبعة شيخو ، وهي عبارة سليمة ، لأنها خالية من السقط الذي وقع في النسخة المغربية ، وليس فيها اضطراب ولا اختلال . وابن درستويه قد أوضح المعنى المراد فقال عقب تلك العبارة : « وما كان كالاشتراء والاستعداء اعتبر بمثل الاشتراك والاستعطاف لأنهما على بنائهما ». وقد كان الأمثل بالمحققين الفاضلين أن يصححا نسختهما على ضوء ما جاء في طبعة شيخو ويشيرا في الهامش الى السقط الذي وقع في نسختهما .

١٠ — وفي (ص ٣٧) وردت عبارة « كقولك رأيت عطاءاً وشمعت نداءاً » وكتب الفعل (شمعت) بالشين ، ولولا أن المحققين الفاضلين قد أشارا في هامش رقم (١٣) أن ما ورد في نسخة شيخو (سمعت)[٢] بالسين لقلت ان هـــذا خطأ مطبعي . والغريب أن المحققين الفاضلين قد أقرا بأن ما في طبعة شيخو هو الصواب ولكنهما مع ذلك أثبتا في نصهما المحقق ما ألفوه في مخطوطتهم وإن كان خطأً ، وهذا منهج في التحقيق ليس بسليم ، واعتقد أن الأصل هو اخراج

---

(١) كتاب الكتاب / نشر الأب لويس شيخو / الطبعةالثانية / ١٧ .

(٢) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية / ١٩.

نص أقرب ما يكون الى نص المؤلف ، وهذا يستدعي من المحقق أن لا يتمسك بنص المخطوطة التي اعتمدها في التحقيق تمسكاً يضفي عليها شيئاً من القدسية ، فلا يجري اي تعديل عليها ، وان كان التصحيف او التحريف أو الخطأ ظاهراً فيها ، لا يحتاج الى امعان نظر أو تمحيص أو تدقيق ، كما هو الأمر في النص المذكور سابقاً . وستمر بنا نصوص أخرى تماثله . سأشير اليها في مواضعها .

١١ ــ وفي (ص ٤١) وردت هذه العبارة : « فكل كلمة على ثلاثة أحرف ثالثها ألف منقلبة من واو يجب كتابها بالألف على لفظها دون معناها استثقالاً للواو اسماً كانت أو فعلاً ، نحو : دعا وغزا وشاء وفاء ، من شأوت وفأوت » وقد أشار المحققان الفاضلان في هامش رقم (٥) الى أن لفظة (كتابها) الواردة في نصهما المحقق ، قد جاءت في طبعة شيخو بهذه الصيغة (كتابتها) [١] وعلقا على ذلك في الهامش فقالا : « كذا في نسختنا [أي : كتابها] وفي (م) كتابتها ، وهو الصواب . » وعلى الرغم من أنهما اعترفا بأن ما في طبعة شيخو هو الصوب الا أنهما أثبتا في النص المحقق ما وجداه في نسختهما المخطوطة ، وكان الأمثل أن يصححا اللفظة على وفق ما ورد في طبعة شيخو ويشيرا الى هذا التصحيح في الهامش .

١٢ ــ وهناك أمر آخر في هذا النص يتعلق بلفظتي (شاء وفاء) ، ولا أدري كيف أثبت المحققان الفاضلان هذين اللفظين في نصهما المحقق ، مع أن الخطأ فيهما واضح ، فحديث ابن درستويه هنا يتعلق بكتابة الألف المقصورة ، ولا علاقة له بكتابة الألف الممدودة ، وعنوان المبحث يؤكد ذلك وهو « ذوات الألف المنقلبة من الواو » .[٢] وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين أن ينتبها الى أن الترابط في الرسم مفقود بين (دعا وغزا) من جهة و (شاء وفاء) من جهة أخرى . وأن ينتبها الى تصريف الفعلين الأخيرين وخاصة ان ابن درستويه قد أشار الى أنهما من (شأوت وفأوت) ، ولو كانا (شاء وفاء) لقال من (شئت وفئت) ، وعلى

(١) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٤١ هامش ٥ وانظر طبعة شيخو الثانية ٢١ .

(٢) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي /٤١ .

الرغم من هذا الاضطراب والخلل في النص إلا ان المحققين الفاضلين اثبتا ما جاء في نسختهما واكتفيا بالاشارة في هامش رقم (٥) الى أن الفعلين رسما في طبعة شيخو هكذا (شاءا) و (فاءا) ، ولما رجعت الى هذه الطبعة وجدت أن الناشر قد رسمهما كما قال المحققان الفاضلان الا أنه وضع هذه العلامة (٥)فوق الألف الذي بعد الشين والألف الذي بعد الفاء ، فجاء رسم الفعلين على هذه الصورة (شا٥ءا)[١] و (فا٥ءا) ، وهذه العلامة (٥) في مصطلح الرسم القرآني اذا وضعت فوق الألف تعني أن الألف لا يلفظ [٢] ، وبموجب هذا الرسم يقرأ الفعلان بهذه الصورة (شأا) و (فأا) ، وعلى هذه الصورة ينبغي أن يرسما على وفق قواعد الخط المعمول بها في رسم الهمزة والألف . لأن الهمزة مفتوحة وما قبلها مفتوح فيجب أن تكتب على الألف مثل (سأل) ، والألف المتطرفة أصلها (واو) والكلمة ثلاثية فيجب ان تكتب بالألف القائمة[٣] .

وبناء على ما ذكرته يكون ما في النسخة المحققة خطأً من جهة الرسم وخطأً من جهة التصريف ، وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين ان ينتبها الى ذلك ويصححا ما في نسختهما على وفق ما ذكرته مستعينين بطبعة شيخو ، فيرسما الفعلين هكذا (شأا) و (فأا) ، وينبها في الهامش الى الخطأ الذي وقع في نسختهما .

١٣ — ووردت في هذه الصفحة أيضاً عبارة أخرى وهي : « فاذا اتصلت بها في الاستفهام »[٤] والضمير (ها) المتصل بحرف الجر (الباء) لا معنى له في العبارة ، والحديث هنا عن ألف (علي) وكيف تكتب ، فقد ذكر ابن درستويه أن هذه الألف تقلب ياءً اذا اتصلت (على) بالضمائر نحو : عليك وعليّ وعليه ، قال ابن درستويه : « وان كان شيءٌ من ذلك [يعني الكلمات المنتهية بالألف المقصورة] بمنزلة (على) الخافضة لم تكتب الا ياءً من أجل أنها تصير في اللفظ

(١) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / ٢٠ .

(٢) انظر رسم الألف التي بعد واو الجماعة في القرآن الكريم .

(٣) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٤١ .

(٤) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي /٤١ .

مع المضمرات ياءً ، كقولك عليك وعليَّ وعليه » . وبعد أن انهى ذلك أراد أن يتحدث عن ألف (على) اذا اتصلت بأداة الاستفهام ، ولو اثبتنا عبارة طبعة المحققين الفاضلين وقلنا « فاذا اتصلت بها في الاستفهام » عقب العبارة السابقة ، فعلى أيّ شيءٍ يعود الضمير (ها) ؟ والضمير لا بد له من اسم يعود عليه . ولو رجعنا الى هامش رقم (١١) من الصفحة نفسها لوجدنا المحققين الفاضلين يشيران فيه الى أنه ورد في طبعة شيخو لفظة (بما) بدلاً من (بها) [1] ، ولو دقق النظر هذان الباحثان الفاضلان في العبارة ومدلولها لأيقنا أن ما في طبعة شيخو في هذا الموضع أدق مما في طبعتهما وكان عليهما أن يثبتا هذه العبارة في نسختهما هكذا : « فاذا اتصلت [يعني على] بما الاستفهام كتبت على لفظها ألفاً » . ويشيران في الهامش الى أن هذه العبارة من طبعة شيخو وأن ما ورد في نسختهما محرف حيث حرفت فيه (بما) الى (بها) .

١٤ — وفي ص ٤٥ وردت عبارة مضطربة وهي « فأما كلاّ فانما خولف بها الباب وكتبت بالألف لأنه لا إمالة فيها ، ولأنها حرف لفظه كلفظ ما كان من كلمتين كهلاّ وبل ، لا منهما معنى لا » .

وقد حرصت أن أنقل النص كما هو ، وان كنت متيقناً أن فيه خطأ مطبعياً يتصل بعلامة الترقيم (،) ، فان موضعها الصحيح هو بعد (لا) لا بينها وبين (بل) ، وهذا الخطأ المطبعي قد أثر على النص وزاد في اضطرابه ولهذا يجب أن يحرص المحقق كل الحرص على وضع علامات الترقيم في مواضعها الصحيحة لأن لها تأثيراً قوياً في توضيح النص وربط عباراته بعضها ببعض .

والاضطراب الذي في النص لا يتعلق بهذا الخطأ المطبعي المتصل بموقع علامة الترقيم فقط ، وانما يتصل كذلك بلفظة (ومنهما) الواردة بعد (بل لا) ، ولولا أن الباحثين الفاضلين قد أشارا في هامش رقم (١٠) الى أن هذه اللفظة وردت في طبعة شيخو بهذه الصورة (فيهما) لقلت ان في النص خطأ مطبعياً آخر . جعل النص يضطرب ، ولكن اشارة المحققين الفاضلين في الهامش الى ما ورد

(١) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي /٤١ هامش رقم (١١) وانظر طبعة شيخو الثانية / ٢٠ .

في طبعة شيخو جعلني اعتقد أنهما قد اثبتا هذه اللفظة عن قصد منهما واصرار ، وكأنهما لم ينتبها الى أي تحريف أو خطأ وقع فيها ، وكان الأمثل بهما أن يصححا عبارة النص المحقق على وفق ما جاء في طبعة شيخو ويجعلاها هكذا : « فأما كلاّ فانما خولف بها الباب وكتبت بالألف ؛ لأنه لا امالة فيها ؛ ولأنها حرف لفظه كلفظ ما كان من كلمتين كهلاّ وبل لا ،وفيها معنى (لا) ، وهي مع ذلك تشبه كِلا التي تُؤكد بها التثنية . » [1]

ومما يؤكد أن ما في طبعة شيخو في هذا الموضع أدق واضبط مما في نشرة المحققين الفاضلين هو أن الحديث هنا عن لفظة (كلاّ) ، وكيفية رسم ألفها ، وأنها تشبه (بل لا) لأن فيها معنى (لا) .

١٥ ــ وورد عنوان فصل في (ص ٤٧) هكذا : « باب الوصل والفصل وشروطه » وقد أشار المحققان الفاضلان في هامش رقم (١) الى أن لفظة (شروطه) وردت في نسخة شيخو بهذه الصورة (شروطهما) وعلى هذا يكون عنوان الباب « باب الوصل والفصل وشروطهما » [2] ، وأعتقد أن هذه العبارة أدق واضبط من عبارة نسخة المحققين الفاضلين وكان الأمثل بهما أن يصححا نسختهما على ضوئها ويشيرا إلى ذلك في الهامش .

١٦ ــ ووردت في (ص ٤٧) أيضاً هذه العبارة « شرط الوصل والفصل الذي يُبنيانِ عليه » . وقد أشار المحققان الفاضلان في هامش رقم (٢) الى أن نسخة شيخو وردت فيها زيادة فجاءت هذه العبارة هكذا « شرط الوصل والفصل والأصل الذي يبنيان عليه [3]» وذلك بزيادة لفظة (الأصل) بعد الوصل والفصل، وهذه العبارة هي عنوان مبحث من مباحث الكتاب وقد وردت في مقدمة الكتاب عندما سرد ابن درستويه مباحث كتابه هذا [4] ، وقد رجعت الى ذلك السرد

(١) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية / ٢٣ » وانظر طبعة الاستاذين المحققين ٤٥ هامش رقم (١٠)

(٢) كتاب الكتاب نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية / ٢٤ .

(٣) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية / ٢٤ .

(٤) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي / ١٨ .

فوجدت العبارة في النص المحقق تماثل عبارة طبعة شيخو [١] ، وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين ان يراجعا هذا السرد ويثبتا في طبعتهما المحققة عناوين الكتاب على ضوئه ، وخاصة اذا وجدا أن ما في طبعة شيخو يوافقه ويخالف ما ورد في مخطوطتهما التي اعتمدا عليها في تحقيق هذا الكتاب القيم .

١٧ — ووردت عبارة في (ص ٤٧) أيضاً وهذه العبارة هي : « اعلم أن كل حرف من حروف المعجم يوصل بما بعده من الكلمة التي هو فيها ويفصل مما في غيرها الا ستة أحرف من المعجم ، لا تتصل بما بعدها البتة ، وان كانت في كلمة واحدة ، وهي : الألف والدال والذال والراء والزاي والفاء ، الكلام مؤلف من جميع الحروف وحق كل كلمة أن تقع مفصولة في الكتاب مما قبلها وما بعدها » .

هذه العبارة فيها خطأ وتحريف وسقط. وقد تنبه الباحثان الفاضلان الىذلك بعض التنبه ، ولكنهما لم يجريا اي تصحيح في نسختهما وانما اكتفيا بالاشارة الى ذلك في الهوامش ، فمثلاً لفظة (كانتا) خطأ ، والصواب (كانت) وبهذه اللفظة وردت في طبعة شيخو ، وقد تنبه المحققان الفاضلان الى ذلك فأشارا في هامش رقم (٤) الى هذا الاختلاف بين النسختين ، ورجحا ما في طبعة شيخو فقالا : « كذا في الأصل [يعني : كانتا] ولعله كانت كما في م » [٢] وكان الأمثل بهما أن يصححا نسختهما على ضوء ما ورد في طبعة شيخو لأن النص لا يحتمل الا لفظة (كانت) ولا موجب مطلقاً لالحاق ألف الاثنين للفعل (كانت)

وورد في هذه العبارة تحريف حيث ورد فيه (الفاء) ضمن الأحرف التي لا تتصل بما بعدها من أحرف الكلمة التي تقع فيها [٣] ، وهذا خطأ واضح لأن (الفاء) تتصل بما بعدها من أحرف الكلمة التي تقع فيها ، كما في هذه الألفاظ : (الفهم ، لفظ ، شفة) ، والصواب أن يكون بدل الفاء (الواو) ،

---

(١) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية / ٢٤ .
(٢) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي / ٤٧ هامش رقم ٤
(٣) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي /٤٧ .

كما ورد في طبعة شيخو [1] . وعلى الرغم من أن المحققين الفاضلين قد تنبها الى ذلك فأشارا اليه في الهامش [2] الا أنهما اثبتا ما في نسختهما من خطأ وتحريف ، وكان الأمثل بهما أن يصححا طبعتهما على ضوء ما ورد في طبعة شيخو وخاصة في المواضع التي لا تتحمل أيّ تأويل ، كما في هذا الموضع .

ووقع في هذه العبارة سقط قبل لفظة (الكلام) ، والصواب أن يقال (والكلام) باضافة حرف (الواو) قبل لفظة (الكلام) ، وذلك ليرتبط آخر الكلام بأوله ، وسقوط حرف العطف من العبارة جعلها عبارة مفككة ، وقد أشار المحققان الفاضلان الى أن هذه (الواو) قد وردت في طبعة شيخو [3] ، وكان الأمثل بهما أن يصححا طبعتهما على ضوء ما ورد في تلك الطبعة ، ولو فعلا ذلك لأخرجا لنا طبعة جديدة تفوق طبعة شيخو ، وعند ذاك يحق لهما أن يقولا إنهما صححا كثيراً من الأوهام التي وقعت في تلك الطبعة .

١٨ — وفي (ص ٥٢) عند الحديث عن طريقة كتابة (ما) التي بمعنى الذي وردت عبارة فيها سقط ، وهذه العبارة هي : « ومثل قولك : ليت ما عند زيد عندنا ، وكأنّ ما يكفيك لا يرضيك ، ولعل ما تريد لا يكون ، كل هـــذا يفصل ، لانها ها هنا اسم تام صلة » .

والسقط الذي وقع في العبارة هو في الجزء الأخير منها في قوله : «لأنها ها هنا اسم تام صلة » . وعلى الرغم من ان المحققين الفاضلين قد اطلعا على طبعة شيخو ولا حظا الفرق بينها وبين نسختهما وأشارا الى هذا الفرق في الهامش [4] الا أنهما لم ينتبها الى أن في عبارة نسختهما سقطا أخلّ بمعنى العبارة ، وأن ما في طبعة شيخو هو الصواب ، حيث وردت فيها هذه العبارة هكذا : « لأنها ها هنا اسم

---

(١) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية ٢٤ .

(٢) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي /٤٧ هامش رقم (٧) .

(٣) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي /٤٧ هامش رقم (٨) وانظر طبعة شيخو الثانية ٢٤ .

(٤) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي /٥٢ .

تام له صلة » ،[1] ومن موازنة العبارتين نجد أن لفظة-(له) قد سقطت من عبارة طبعة الاستاذين المحققين ، وكان الأمثل بهما أن يضيفا هذه اللفظة الى نصهما المحقق ويشيرا في الهامش الى أن ما أضافاه هو من طبعة شيخو ، لا أن يتركا العبارة على الصورة التي وردت في نسختهما ويكتفيا بالاشارة الى ما ورد في طبعة شيخو في الهامش .[2]

١٩ – وفي (ص ٥٥) ورد عنوان فصل من فصول الكتاب بهذه الصورة :

« ما يوصل من المتمكن بها وما يفصل منها »

وقد أشار المحققان الفاضلان الى أنه ورد في نسخة شيخو (بما) بدلاً من (بها) ، وعلقا على هذا الفرق في هامش رقم (١) فقالا : « في (م) بما بدلاً من بها ، وعبارة (م) هي الصحيحة » .

وعلى الرغم من أن المحققين الفاضلين قد أقرا في الهامش بأن ما في طبعة شيخو هو الصحيح الا أنهما لم يصححا نسختهما على ضوء ذلك وكان الأمثل بهما أن يفعلا ذلك ، ويجعلا العنوان هكذا : « ما يوصل من المتمكن بما وما يفصل منها »[3] ، وذلك لأن الحديث في هذا الموضع من الكتاب يتعلق بلفظة (ما) وما يتصل بها ويُفصل عنها .

٢٠ – ووردت في (ص ٥٥) أيضاً عبارة أخرى فيها خطأ وهي : « فاذا عمل فيه ما بعده وجوزئ به وكان ظرفاً أو ضارع الظرف وصل كقولك : كلما جئتني أكرمتك » ، وواضح أن لفظة (جوزئ) بالهمزة خطأ ، والصواب (جوزي) من غير همزة ، لأنه من الفعل (جازى) وهو غير مهموز ، وهو على وزن (فاعَلَ) والمبني للمفعول منه يكون على وزن (فوعل) مثل (قاتل) (قوتل) . وربما يكون الأمر الذي دعا المحققين الفاضلين الى اثبات الهمزة هو انصراف ذهنهما الى المصدر (الجزاء) ، علماً بأن هذه الهمزة التي في المصدر ليست اصلية بل منقلبة

(١) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية /٣٩ .

(٢) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي / ٥٢ هامش رقم (٣) .

(٣) كتاب الكتاب / نشر لويس شيخو / الطبعة الثانية /٢٩ .

عن (ياء) ، لأن كل (ياء) أو (واو) متطرفة بعد ألف مدّ وزائدة تقلب همزة ، مثل : قضاء ،ودعاء ، وجزاء . ولولا أن المحققين الفاضلين قد أشارا في هامش الصفحة [1] الى أن هذه اللفظة وردت في طبعة شيخو (جوزي) من غير همزة لحملت الأمر على أنه خطأ مطبعي ، ولكن هذه الاشارة جعلتني أتيقن أنهما قد اثبتا هذه اللفظة في النص المحقق عن قصد منهما . وكان الأمثل بهما ان يدققا النظر فيها ويثبتا اللفظ الصحيح في النص المحقق ويشيرا في الهامش الى ما ورد من خطأ في نسختهما التي اعتمدا عليها .

٢١ — ووردت في الصفحة السابقة أيضاً عبارة ثالثة فيها خطأ وهي : « واذا أعمل فيه ما قبله أو ابتدئ به لم يكن فيه مجازاة ولا مضارعة للظروف ولا كانت (ما) لغواً أفصل ، كقولك : كل ما سألتني مبذول لك »

وحديث ابن درستويه هنا عن (كل) ومتى تتصل بلفظة (ما) ؟ ومتى تنفصل عنها ؟ . واذا ما نظرنا الى عبارة النص السابقة نجد فيها لفظة (أفصل) وهذه اللفظة خطأ والصواب (فصل) . وعلى الرغم من أن المحققين الفاضلين قد أشارا في الهامش [2] الى أن هذه اللفظة قد وردت في طبعة شيخو بهذه الصورة (فصلٍ) الا أنهما اكتفيا بهذه الاشارة فقط ، وكان الأمثل بهما ان يصححا عبارة نصّهما المحقق على ضوء ذلك لا أن يثبتا اللفظة الخطأ في النص المحقق ويشيرا في الهامش الى ما ورد في طبعة شيخو من غير تعليق .

٢٢ — وفي (ص ٥٩) وردت عبارة : « . . . كقولك ألاّ تفعل ، وأسألك ألاّ تعود ، فهذه توصل بأنّ للادغام الذي يلحقها في لفظها » .

وقد عمد المحققان الفاضلان الى تشديد نون (أنّ) في قول ابن درستويه : « بأنّ للادغام » ، ولولا أنهما أشارا فيالهامش (١) الى أنها وردت في طبعة شيخو

---

(١) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي / ٥٥ هامش رقم (٤) وانظر طبعة شيخو الثانية /٢٩ .

(٢) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي /٥٥ . هامش رقم (٧) . وانظر طبعة شيخو الثانية /٢٩ .

(أنْ) مخففة [1] لقلت إن خطأً مطبعياً قد وقع في النص المحقق أدّى الى تشديد نون (أنّ) ، ولكن اشارتهما تدفع ذلك ، وتجعلني أقرر أنهما قد اختارا التشديد عن عمد وقصد . واعتقد أن الصواب هو تخفيف (أن) كما ورد في طبعة شيخو ، ومما يقوي ذلك ويؤكده سياق العبارة السابقة حيث قال ابن درستويه : « وأما لا . . . فهي توصل بأشياء وتفصل من أشياء . كما فعل ذلك بما ، فمن ذلك أن تقع بين (أن) الناصبة للفعل وبين الفعل ، كقولك أريد ألاّ تفعل وأسألك ألاّ تعود ، فهذه توصل بأن للادغام الذي يلحقها في لفظها » .

فالحديث اذاً يتعلق بأن التي تنصب الفعل ، وهي مخففة باجماع أهل العربية وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين أن ينتبها الى ذلك ويصححا نسختهما على ضوء طبعة شيخو ويشيرا في الهامش الى أن ما في مخطوطتهما في هذا الموضع خطأ .

٢٣ — ووردت عبارة في (ص ٦٠) وهي : « وقوم من العرب يصيرون الهاء همزة فيقولون : ألاّ فعلت [يعني : يقلبون (هاء) هلاّ همزة فيقولون : ألاّ] . . . ولا يقولون : (أل) في هل وحدها ، إذ لم تكن معها ألاّ ، وهذا يدل على أنهم حولوها كلمة واحدة » .

ولو رجعنا الى طبعة شيخو [2] لوجدنا أن العبارة جاءت بهذه الصورة : « وقوم من العرب يصيرون الهاء همزة ، فيقولون : ألاّ فعلت . . . ولا يقولون : (أل) في (هل) وحدها ، اذا لم تكن معها (لا) ، وهذا يدل على أنهم جعلوها كلمة واحدة »

ويظهر لنا من موازنة النصين أن بينهما ثلاثة اختلافات ، فقد جاء في الطبعة المحققة لفظة (اذ) وفي طبعة شيخو (اذا) ، وجاء في الطبعة المحققة (ألا) وفي طبعة شيخو (لا) ، وجاء في الطبعة المحققة (حولوها) وفي طبعة شيخو (جعلوها) . وعلى الرغم من أن المحققين الفاضلين قد أشارا إلى هذه الاختلافات

---

(١) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي / ٥٩ هامش رقم (١) . وانظر طبعة شيخو الثانية /٣١ .

(٢) كتاب الكتاب / طبعة شيخو الثانية /٣٢ .

في هوامش (ص ٦٠) [١] إلا أنهما اثبتا ما جاء في النسخة التي اعتمدا عليها في التحقيق ، وكأن ما جاء فيها هو الصحيح ، وأن ما جاء في طبعة شيخو خطأ . وأرى أنّ ما ذهبا اليه ليس بصحيح ؛ لأن سياق العبارة ومعناها لا يحتمل من الألفاظ الا ما جاء في طبعة شيخو ، وذلك أن (اذا) أصح من (إذ) لان الكلام شرط وتعليق ولا تصلح له اذ ، بل الذي يصلح له هو (اذا) ؛ لأن مراد ابن درستويه هو أن (هاء) هل لا تقلب همزة الا اذا ركبت (هل) مع (لا) وجعلت كلمة واحدة . ولا أظن أن اثبات (ألا) بدلاً من (لا) كما ورد في النص المحقق صحيح ، اذ لم يقل أحد من الناس بأن (هلاّ) مركبة من (هل) و (ألا) ، بل الجميع يقولون بأنها مركبة من (هل) و (لا) [٢] ، ومما يقوي قولي ويؤكده هو ان ابن درستويه يتحدث في هذا الموضع عن الألفاظ التي تتصل بالأداة (لا) أو تنفصل عنها . وقد صدر كلامه بهذا العنوان : « ما يوصل بلا خاصةً وما يفصل عنها [٣] » .

٢٤ — ووردت عبارة أخرى في (ص ٥٩) ليست بسديدة وهي « يجوز [يعني أن] أن يكون مخففة من الثقيلة ، وأن تكون التي بمعنى أي » . وقد رسم الفعل (يكون) بالياء ، وأشار المحققان الفاضلان الى أن هذا الفعل ورد في نسخة شيخو بالتاء [٤] ، وكان الأمثل بهما أن يجعلاه بالتاء ويشيرا في الهامش الى أنهما قد صححا عبارة نسختهما المخطوطة على ضوء ما ورد في طبعة شيخو ومما يؤكد أن طبعة شيخو في هذا الموضع أصح وأضبط من النسخة التي اعتمد عليها المحققان الفاضلان في تحقيق الكتاب هو أن الخبر في العبارة جاء مؤنثاً وأن الكلام كله جاء على التأنيث ، قال ابن درستويه : وهو يتحدث عن وصل (أن) المخففة بـ (لا) أو فصلها : « ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون التي بمعنى

---

(١) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي /٦٠٩ هامش رقم ١٢ ، ١٤ . وانظر طبعة شيخو الثانية .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ١٤٤/٨ والأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ٩٧/١ .

(٣) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي /٥٩ .

(٤) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي / ٥٩ هامش رقم (١٣) وانظر طبعة شيخو ص ٣٢ .

أي ، وكلتاهما لا توصل [١] .

٢٥ – ووردت عبارة في(ص ٦٧) فيها وهم من الناسخ ، وهي « وأمّا اثباتهم الواوين في قولهم : ذوو مالٍ ، فللفصل بين الجمع والتثنية » وابن درستويه يتحدث هنا عن سبب عدم ادغام الواوين في قولهم (ذوو) في الجمع في حالة الرفع وعبارة الكتاب تشير الى أن الكتاب فعلوا ذلك ليفرقوا بين صيغتي الجمع والتثنية ، واعتقد أن لفظة (التثنية) هنا خطأ من الناسخ لأن التفريق بين الجمع والتثنية في حالة الرفع يكون باختلاف علامة الرفع ففي الجمع تكون (بالواو) نحو(جاء ذوو مال) أما في التثنية فتكون بالألف (جاء ذوا مال) وعلى هذا يجب ان تكون العبارة هكذا « فللفصل بين الجمع والافراد » لأن المفرد في هذه الأسماء يرفع بالواو كما ان الجمع يرفع بالواو ، فلو كتب الجمع بواو واحد لالتبس بالمفرد في حالة الرفع ، ومن هنا كتبوه بواوين ولم يكتبوه بواو مدغمة . وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين ان ينتبها الى هذا الوهم ويشيرا اليه في الهامش .

٢٦ – ووردت عبارة في (ص ٦٩) فيها خطأ في الرسم وهي قوله : « ومثل الياءات في النبيين والعليين وتجيئين وتفيئين » وقد رسمت لفظة (تفيئين) بياء واحدة بعد الهمزة والصواب أن ترسم بياء قبل الهمزة وياء بعد الهمزة على هذه الصورة (تفيئين) ، وليس في الأمر خطأ مطبعي لأن المحققين الفاضلين أشارا في هامش رقم (٤) الى أن هذه اللفظة قد وردت في طبعة شيخو بصورتها الصحيحة (تفيئين) [٢] وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين ان يصححا نسختها على ضوء ما جاء في طبعة شيخو لا أن يكتفيا بالاشارة في الهامش الى ما ورد فيها من الفاظ تختلف عن ألفاظ نسختهما التي اعتمدا عليها من غير ان يوازنا بين النسختين وينتقيا الألفاظ التي تتفق وما أراده المؤلف . واعتقد أن الغرض الأساس من مقابلة النسخة المعتمدة على غيرها من النسخ المخطوطة أو المطبوعة هو اخراج نسخة أقرب ما تكون الى نسخة المؤلف وأن اخراج النص وفق قواعد الخط العربي من ألزم

(١) كتاب الكتاب طبعة شيخو الثانية ٣٢ .

(٢) كتاب الكتاب طبعة شيخو الثانية ٣٩ .

واجبات المحققين وخاصة اذا كان النص المحقق يعالج قضية ترتبط بالخط والكتابة كما هو الأمر في كتاب ابن درستويه « كتاب الكتاب » .

٢٧ — ووردت عبارة أخرى في ص (٦٩) وهي قوله : « فمن ذلك الألف واللام اذا وقعت قبلهما لام القسم او لام الاضافة حذفت الألف لأنها تقارب اللام في النسبة »

ولفظة (النسبة في النص قلقلة ولم يستطع المحققان الفاضلان أن يجدا لهما تفسيراً . وقد أشارا في هامش رقم (٦) الى أنه قد ورد في طبعة شيخو [١] بدلاً منها لفظة (النصبة) وأشارا أيضاً الى أنه قد ورد في هامش نسختهما المغربية (النصبة) كذلك ، واعتقد أن لفظة (النسبة) التي اثبتها المحققان الفاضلان في طبعتهما هي محرفة عن (النصبة) ومعنى النصبة الفتحة وعلى هذا يكون النص هكذا : « فمن ذلك الألف واللام اذا وقعت قبلهما لام القسم او لام الاضافة حذفت الألف لأنها تقارب اللام في النصبة » ومما يقوي هذا عندي هو ان ابن درستويه قال بعد ذلك : « ... وكذلك الف الوصل في أيم الله وأيمن الله، لأنهما مفتوحة كألف اللام».

٢٨ — وفي (ص ٧٤) وردت هذه العبارة : « النسوة الثلاث والقوى الثلاث » وقد أشار المحققان الفاضلان في الهامش الى أنه ورد في طبعة شيخو (القرى الثلاث)[٢] بدلاً من (القوى الثـلاث) ، وكان الأمثل بهما أن يثبتا في النص المحقق هذه العبارة ، ويشيرا في الهامش الى أنهما أجريا هذا التصحيح على وفق ما ورد في طبعة شيخو ، لا أن يكتفيا بالاشارة في الهامش الى الفرق بين النسختين، من غير ان يفيدا من هذا الفرق في تصحيح نسختهما التي اعتمدا عليها في تحقيق النص .

٢٩ — وفي (آخر ص ٧٤ وأول ص ٧٥) وردت هذه العبارة : « ولم يحذفوا ألف ثمانية لاجتماع مثلين ولكن تخفيفاً ، ولأن فيها تأنيثاً يكون خلفاً من الألف ومعناها معلوم مفردة أو مضافة ، وكذلك ثمنون وثمنول ، ومن المؤكد أن الكلمة

---

(١) كتاب الكتاب طبعة شيخو الثانية /٣٨ .

(٢) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٧٤ هامش رقم (١٣) وانظر طبعة شيخو الثانية ٤١ .

الأخيرة (ثمنول) مصحفة عن (ثمنوك) ، لأن حديث ابن درستويه هنا منصب على رسم (ثمانية) و (ثمانون) و (ثمان) . مفردة ومضافة ، وأن الكتاب قد يحذفون الفها للتخفيف ، وأرجو أن لا يظن القارىء أن في النص خطأً مطبعياً ، لأن المحققين الفاضلين أشارا في الهامش الى أن هذه اللفظة قد وردت في طبعة شيخو (ثمنوك) [1] (أيْ ثمانوك) ، وكان الأمثل بهما أن يصححا هذه اللفظة في نسختهما على وفق ما وردت في طبعة شيخو ويشيرا في الهامش الى أنهما أجريا هذا التصحيح اعتماداً على ما ورد في تلك الطبعة ، والتصحيف في هذا الموضع واضح وجلي ، ولا يحتاج الى امعان نظر أو اجهاد فكر اذ لا معنى للفظة (ثمنول)، ومن المؤكد أن اللام فيها مصحفة عن الكاف .

٣٠ — ووردت عبارة أخرى في (ص ٧٥) وهي : « . . . والكتاب يحذفون في العدد والحساب ذلك [يعني ألف ثمان] فيكتبون : ثمن مائة وهو ردئ »

وقد سمت لفظة (ثماني مائة) من غير ياء ولا ألف ، ولا أظن أن هناك اي موجب لحذف الياء ، وذلك لأن العدد (ثمان) تحذف منه الياء عندما يكون غير مضاف ولا محلى بأل ولا منصوباً مثل مررت بنسوة ثمانٍ ، أما اذا حلي بأل أو أضيف أو جاء منصوباً فتثبت الياء ، وقد جاء هذا العدد في النص مضافاً الى مائة ، فكان الأمثل أن يرسم هكذا (ثماني مائة) علماً بأن المحققين الفاضلين أشارا في الهامش الى أنه ورد في طبعة شيخو على هذه الصورة (ثمني مائة) [2] ولكن المحققين الفاضلين قد دأبا على تثبيت ما جاء في نسختهما وان كان خطأً لا يقبل التأويل .

٣١ — ووردت عبارة ثالثة في (ص ٧٥) فيها تصحيف وهي قوله : « . . . فمن ذلك كل ياء آخر اسم وما قبلها مكسور وهي منوية في حال رفع أو جــر او ما أشبه ذلك لأنها تحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين في حال الادراج ».

---

(١) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٧٥ هامش رقم (١) وانظر طبعة شيخو الثانية ٤١ .

(٢) كتاب الكتاب / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٧٥ هامش رقم (٦) وانظر طبعة شيخو الثانية ٤١ .

والتصحيف الذي نوهت عنه قد وقع في لفظة (منوية) والصواب (منونة) . ومما يؤكد ذلك كلام ابن درستويه نفسه حيث قال عقب ذلك : « . . . فان أضيف شيءٌ من ذلك أو دخلته الألف واللام أثبتت فيه الياء لأن التنوين قد ذهب » .

وقد أشار المحققان الفاضلان في الهامش [1] الى أن لفظة (منونة) وردت في طبعة شيخو بدلاً من لفظة (منوية) التي وردت في نسختهما وكان الأمثل بهما ان يصححا هذه اللفظة على وفق ما ورد في طبعة شيخو ويشيرا في الهامش الى أنه وقع في مخطوطتهما تصحيف في هذه اللفظة .

٣٢ – وفي (ص ٧٦) وردت هذه العبارة : « . . . ومنه الياءات التي تتصل بها الضمير بعد حرف الجر »

وقد ورد الفعل تتصل بالتاء واعتقد أن المحققين الفاضلين يشاركاني الرأي في أن الفعل هنا مسند الى الضمير ،والضمير مذكر فلا موجب لتأنيث الفعل، وكان الأوفق ان يكون الفعل بالياء (يتصل) وخاصة انهما قد أشارا في الهامش (رقم ٢) الى أنه في طبعة شيخو ورد (يتصل) [2] وهو الصواب . وكان الأجدر بهما أن يصححا نصهما المحقق على وفق ما جاء في هذه الطبعة ويشيرا في الهامش الى هذا التصحيف البسيط الذي ورد في نسختهما وعندئذ يكونان قد أفادا من مقابلتهما نسختهما على طبعة شيخو في إخراج هذا النص اخراجاً علمياً خالياً من مثل هذه الاخطاء البسيطة.

٣٣ – وفي (ص ٧٧) وردت عبارة فيها تحريف وهي قوله : « والواو لا تنفرد » .

وحديث ابن درستويه هنا يتعلق برسم همزة الوصل اذا سبقت بالفاء أو الباء أو لام القسم . وبعد أن انتهى ذلك تحدث عن الحرف (ثم) اذا وقع قبل هذه الهمزة فقال : « ويكتب ثم ايتجرْ زيداً وثم أيتمنْ زيداً . . . لأن ثم تنفرد والواو

(١) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٧٥ هامش رقم (٨) وانظر طبعة شيخو الثانية ٤١ .

(٢) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٧٦ هامش (٢) وانظر طبعة شيخو الثانية ٤١ .

لا تنفرد » واعتقد أن النص قد ورد فيه تحريف في آخره ، والصواب أن يقال : « والفاء لا تنفرد» ، ومما يؤكد ذلك أمران أولهما أن الحديث السابق يتعلق بالفاء والباء والأمر الثاني هو أن الواو من الحروف التي تنفرد في الرسم ولا تتصل بما بعدها بخلاف الفاء فانها من الحروف التي تتصل بما بعدها فمثلاً نقول : (أقبل زيد فخالد) ، فنكتب الفاء متصلة بالاسم المعطوف أما اذا قلنا (أقبل زيد وخالد) فتكتب الواو منفصلة عما بعدها . وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين أن ينتبها الى هذا التحريف الذي وقع فيه ناسخ مخطوطتهما ويصححا ويشيرا في الهامش الى هذا الوهم .

٣٤ – ووردت في (ص ٧٧) عبارة أخرى فيها خطأ وربما يكون هذا الخطأ خطأً مطبعياً وهي قوله : « . . . فتجري مجرى (يا) الاضافة وكافها » . والصواب أن يقال : « . . . فتجري مجرى (باء) الاضافة وكافها » لأن الحديث هنا يتعلق بأحرف الجر وهي اللام والباء والكاف ، وليست (يا) من أحرف الاضافة البتة . وقد جاءت هذه اللفظة في طبعة شيخو صحيحة حيث رسمت هكذا (باء الاضافة)[١] .

٣٥ – وفي (ص ٧٩) وردت عبارة فيها كلمة محرفة وكلمة زائدة وهي قوله : « ومنه سبحن الله ، تحذف ألفه ما دام مضافاً الى الله لأنه كثر استعماله في تنويه الله به ، جاء عند كل حادثة »

واعتقد أن لفظة (تنويه) محرفة عن (تنزيه) ، وذلك لأن التسبيح في اللغة هو التنزيه . ووردت في هذه العبارة كلمة زائدة وهي (جاء) ، وقد أشار المحققان الفاضلان في الهامش[٢] الى أنها ساقطة من طبعة شيخو . ولو دققا النظر في النص جيداً لعلما أن عبارة نسختهما ليست دقيقة وأن لفظة (جاء) وردت فيها وكأنها محشورة اذ لا معنى لها وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين ان يجعلا العبارة على وفق ما جاء في طبعة شيخو فتكون هكذا : « . . . لأنه كثر استعماله في تنزيه الله به عند كل حادثة »[٣] .

---

(١) كتاب الكتاب طبعة شيخو الثانية ٤٣ .
(٢) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٧٩ هامش رقم (٤).
(٣) كتاب الكتاب طبعة شيخو الثانية ٤٣ .

٣٦ — وفي (ص ٨٢) وردت عبارة فيها تحريف واضح وهي قوله : « والواو من كلمن وهو اسم بمنزلة قلمون والياء والألف من قر ليست وهو كجمع قرلسيه تصغير قراسيه » .

وأظن أن النظرة البسيطة للنص تؤكد لنا أن (قرليست وقرلسيه وقراسيه) كلمات محرفة عن (قريشيات وقريشية وقراشية) ، ولو أن المحققين الفاضلين أفـادا من طبعة شيخو [١] في تصحيح نسختهما لما وقعا في مثل هذه الأخطاء البسيطة ، علماً بأنهما قد أشارا الى الفرق بين النسختين في الهامش [٢] ، وكان الأمثل بهما ان لا يكتفيا بالاشارة فقط ، بل يعمدا الى تصحيح هذه العبارة على ضوء طبعة شيخو ، وخاصة ان الالفاظ التي اثبتاها في النص لا معنى لها في اللغة ، وليس لها ارتباط بالألفاظ الأخرى التي وردت في هذا الموضع مثل : (أبجد وهوز وكلمن) [٣] .

٣٧ — ووردت عبارة في (ص ٨٥) فيها تحريف ، وذلك عند حديث ابن درستويه عن كتابة الف (حاشا) حيث قال : « والدليل على زيادتها [يعني زيادة ألف حاشا] قول الله عزوجل : (حاش لله) [٤] ، ولهذا اخترنا كتابتها بالألف لأنه الأصل لها عندنا في الياء والواو . » ، وعلى الرغم من أن المحققين الفاضلين قد أشارا في الهامش الى الاختلاف الحاصل بين نسختهما ونسخة شيخو في هذا الموضع من النص الا انهما اكتفيا بهذه الاشارة فقط من غير تعليق ، وكان الأمثل بهما ان يدققا النظر في عبارة مخطوطتهما ليلاحظا ما فيها من تحريف وهذا التحريف قد وقع في قوله (لأنه الأصل لها عندنا في الياء والواو) [٥] ، والصواب

---

(١) كتاب الكتاب طبعة شيخو الثانية ٤٥ .

(٢) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٨٢ هامش رقم (١) ورقم (٢) .

(٣) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٨١ — ٨٢ .

(٤) يوسف ٣١ .

(٥) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٨٥ هامش ٤ وانظر طبعة شيخو : الثانية ٤٧ .

أن تكون العبارة هكذا (لأنه لا أصل لها عندنا في الياء أو الواو) ، وهكذا وردت هذه العبارة في طبعة شيخو ، ومما يؤكد أن عبارة نسخة المحققين الفاضلين محرفة ، هو ابن درستويه قدحكم أصلاً على ألف (حاشا) بأنها زائدة ؛ فكيف يأتي في آخر الكلام فيقول بأنها أصل ، والتحريف هنا محتمل ومتوقع فقد حرفت عبارة (لأنه لا أصل لها) الى (لأنه الأصل لها) . ولو أن المحققين الفاضلين أفادا من طبعة شيخو لبادرا الى تصحيح نشرتها المحققة على ضوء تلك الطبعة ، وأشار في الهامش الى ذلك التصحيح ، وهذا هو الاسلوب السديد في التحقيق لا أن يثبت الخطأ في النص المحقق ويشار في الهامش الى ما في غير النسخة المعتمدة من فروق كما دأب عليه المحققان الفاضلان .

٣٨ — ووردت عبارة في (ص ٩٤) فيها كلام زائد محشور لا مبرر له وذلك عند حديث ابن درستويه عن تنقيط الحروف ، حيث قال : « وإما أن ينقط أحدهما من علُ والآخر من تحت كالجيم والخاء ، وكالتاء والياء ، وكالباء والنون ، وكالفاء والقاف في بعض المذاهب (ينقط واحده ، وكذلك ينقط نظيرتها من تحت من لا يغفل الحروف) وما نقط من تحت فلأنّ له نظيراً ينقط من عل ، كالياء والتاء ، والجيم والخاء ، وكالباء والنون ، واعلم ان من الكتاب من ينقط كل مشبهين من الحروف ولا يغفل واحداً منهما ، كنقطهم الراء والسين والصاد والطاء والعين من تحت ؛ لأن نظائرها تنقط من عل ، والجمهور على غير ذلك».

وقد أشار المحققان الفاضلان في هامش رقم (٢) من الصفحة نفسها الى أن العبارة المحصورة بين القوسين ساقطة من طبعة شيخو ، وهي (ينقط واحده ، وكذلك ينقط نظيرتها من تحت من لا يغفل الحروف) ، ولو أمعن المحققان الفاضلان النظر في النص لتبين لهما أن هذه العبارة محشورة في النص ، ولا مبرر لها ، وان اسقاطها هو الصواب ، وكان الأمثل بهما أن لا يثبتاها في النص المحقق بل يحذفاها ويشيرا في الهامش الى ذلك ، ويعززا عملهما بما ورد في طبعة شيخو [1] من اغفال هذه العبارة ، ويكتفيا بما فعلاه من توضيح مذهب المغاربة

(١) كتاب الكتاب / طبعة شيخو الثانية ٥٤ ، وانظر هامش رقم (١) من الصفحة نفسها .

في الهامش ، حيث ذكرا أن مذهب المغاربة في الخط العربي يجري على نقط الفاء بنقطة واحدة من تحت ونقط القاف بنقطة واحدة من فوق ؛ وهذا هو الذي عناه ابن درستويه بقوله : « وكالفاء والقاف في بعض المذاهب »[1] .

٣٩ — ووردت عبارة في (ص ١٠١) فيها كلمة مصحفة وهي قوله : « واعلم أن من شأن أهل النحو والشعر والغريب تقييد كل كلمة على ما يستحق كل حرف منها مبسوطاً ومركباً ، واستبقاء الشكل والنقط احكاماً واستيثاقاً ، لأن عملهم أغمض »

واللفظة المصحفة هي (واستبقاء) والصواب أن تكون (واستيفاء) والمعنى لا يحتمل غير ذلك ، وعلى الرغم من أن المحققين الفاضلين أشارا في الهامش الى أن هذه الكلمة وردت في طبعة شيخو[2] (واستيفاء) إلا أنهما لم يصححاها ، فأثبتا في نشرتهما لفظة (واستبقاء) مع أن النص لا يحتمل هذه اللفظة ، وخاصة أن قول ابن درستويه : « احكاماً واستيثاقاً » يحتم ان تكون هذه الكلمة (واستيفاء) ليكون أول العبارة منسجماً مع آخرها .

٤٠ — وفي (ص ١٠٣) ورد عنوان فصل من فصول الكتاب بهذه الصورة : « شروط القوافي والفصول » ، وقد ذكر المحققان الفاضلان في الهامش أن هذا العنوان ورد في طبعة شيخو هكذا (شروط القوافي وفصولها) ، واعتقد أن كلا العنوانين خطأ ، والصواب ان تستبدل لفظة (الفصول) بلفظة (الفواصل) فيكون العنوان هكذا (شروط القوافي والفواصل) ؛ لأن هذا الفصل جزء من باب عنوانه : (هذا باب القوافي والفواصل وفصوله) ، ولو رجع المحققان الفاضلان الى سرد ابن درستويه لابواب الكتاب في مقدمته لوجدا أن لفظة (الفواصل) قد جاءت فيه بدلاً من لفظة الفصول التي اثبتاها في النص ، وقد جاء العنوان متشابهاً في مقدمة

---

(١) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٩٤ وانظر هامش رقم (١) من الصفحة نفسها .

(٢) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ١٠١ هامش رقم ٢ ، وانظر طبعة شيخو الثانية ٥٩ .

طبعة شيخو ومقدمة طبعة الاستاذين المحققين وكل من العنوانين نص على (الفواصل)[1] وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين أن يصححا نسختهما على ضوء ما ورد في المقدمة، إذ لا معنى هنا للفظة (الفصول) لان ابن درستويه يريد ان يبين شروط الفواصل لا الفصول، وما ورد في الفصل نفسه يؤكد ذلك ويقرره، من ذلك قول ابن درستويه : « وليس في الفواصل ما يضطره تمام الوزن الى الحذف » . وقوله : « . . . قد بنى عليه السجع والفواصل المتقدمة » . وقوله : « . . . لتتفق الفواصل والسجعات »[2]

٤١ — وفي (ص ١٢٠) ورد عنوان فصل من فصول الكتاب وهو : (جدول الخط الذي يسمى الخفيف) . وبعد العنوان أدرج المحققان الفاضلان هذا النص :

« يقسم كل من الخط الى قسمين : (ثقيل وخفيف) ، ويقال فيه خفيف ، وهو الذي يكتب به في قطع النصف ، وصوره كصور الثقيل لا تختلف عنه الا أنه أدق منه قليلاً ، وألطف مقادير منه بنزر يسير . قال الشيخ زين الدين عبدالرحمن ابن الصائغ : والفرق بينه وبين الثلث الثقيل أن الثقيل تكون منتصباته ومبسوطاته قدر سبع نقط على ما في قلمه ، والثلث الخفيف يكون مقدار ذلك منه خمس نقط ، فان نقص عن ذلك قليلاً سمي القلم اللؤلؤي » .

وقد ذكر المحققان الفاضلان في الهامش أنّ أصل هذه الصفحة مفقود من نسختهما التي اعتمدا عليها ، وأنهما اضافا هذا النص نقلاً عن كتاب (صبح الأعشى حـ ٣ ص ١٠٠)[3] .

وقد ظننت في بادئ الأمر أن زين الدين عبدالرحمن ابن الصائغ احد تلامذة ابن درستويه ، وأن له كتاباً في الخط ، وأنه نقل هذا النص من كتاب ابن درستويه واثبته في كتابه ، ثم نقله عنه صاحب (صبح الأعشى) ولما وجد المحققان الفاضلان

---

(١) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ٢١ ، وانظر طبعة شيخو الثانية ٩ .

(٢) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ١٠٤ .

(٣) كتاب الكتاب تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي ١٢٠ انظر هامش رقم (١) .

مخطوطتهما المغربية ناقصة في هذا الموضع هرعا الى صبح الأعشى فنقلا منه النص المذكور ليكملا به ما فقد من نسختهما ، ولكنني لمّا رجعت الى كتاب (صبح الأعشى) في الموضع المشار اليه لم أجد أي اشارة الى ابن درستويه ، وفتشت كثيراً عن ترجمة ابن الصائغ هذا فلم اعثر له على ترجمة لا في كتب النحاة ولا الادباء ولم يدرجه المرحوم خيرالدين الزركلي في أعلامه ، فاستقر في ظني ان ابن الصائغ هو أحد الخطاطين فسألت عنه الخطاط الفاضل الاستاذ وليد الأعظمي فأفادني أنه أحد اعـــلام الخط المصريين وأنه من علماء المائة التاسعة ، وقد أخرج لي ترجمته من [1] كتاب الضوء اللامع للسخاوي ، وفيه أنه توفي سنة ٨٤٥ هـ ، ولا أدري ما الذي ألجأ المحققين الفاضلين الى نقل هذا النص من كتاب صبح الأعشى ، مع أن هذا النص لا علاقة له بابن درستويه ، وأن زين الدين عبدالرحمن ابن الصائغ لا علاقة له بابن درستويه ، فهو ليس من معاصريه ولا من شيوخه ولا من تلامذته وليس في النص أيّ اشارة الى ابن درستويه أو كتابــه (كتاب الكتاب) ، ولو ان المحققين الفاضلين قد رجعا الى طبعـــة شيخو وأفادا منها لوجدا أن فيها جدولين هما : (جدول الخط الذي يسمى الخفيف) و(جدول الخط الذي يسمى الامساك) ، وكان الأمثل بالمحققين الفاضلين ان ينقلا هذين الجدولين من طبعة شيخو [2] ويشيرا في الهامش الى ان هذين الجدولين قد سقطا من نسختهما ، لا ان يذهبا الى كتاب (صبح الاعشى) . فينقلا منه النص الآنف الذكر الذي لا علاقة له بالموضوع البتة .

٤٢ ــ وفي (ص ١٣٧) وردت عبارة فيها خطأ وهي قوله : « ولا أحد رجل ولا إثنان رجل » والصواب « ولا اثنا رجل » لأن نون المثنى والملحق به تحذف عند الاضافة ، وقد جاءت هذه العبارة في طبعة شيخو صحيحة[3] بحذف نون (إثنان) ويبدو لي أن المحققين الفاضلين لم يرجعا الى هذه الطبعة في هذا الموضع ولو رجعا لذكرا في الهامش ما في النسختين من فرق .

---

(١) الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع للسخاوي ١٦١/٤ .
(٢) كتاب الكتاب طبعة شيخو الثانية ٧٢ – ٧٣ .
(٣) كتاب الكتاب طبعة شيخو الثانية ٨٣ .

٤٣ — ووردت عبارة في (ص ١٥٦) فيها كلمة محرفة وهي قوله : « . . . ولكن سبيل الجازم للفعل كسبيل الجار للاسم لا يحذفان ولا يفصل بينهما وبين ما عهد فيه بشيء ليس منهما » .

واعتقد أن لفظة (عهد) في العبارة ليس لها معنى ، ولو أمعن المحققان الفاضلان النظر في النص لما اثبتاها . علماً بأنه قد جاء بدلاً منها في طبعة شيخو (عملا)[1] وهو الصواب ، وعلى هذا تكون الجملة الأخيرة من العبارة هكذا : « . . . ولا يفصل بينهما وبين ما عملا فيه بشيْ ليس منهما » . ومما يلفت النظر أن المحققين الفاضلين لم يرجعا الى طبعة شيخو في هذا الموضع ولو رجعا لاشارا الى الفرق بين هذه الطبعة ونسختهما في الهامش ، وكان الأمثل بهما أن يفيدا من طبعة شيخو في هذا الموضع ويصححا عبارة نسختهما على ضوئها ويشيرا في الهامش الى هذا التصحيح.

★ ★ ★

ولا بد لي في نهاية الأمر من الأعتراف بفضل الاستاذين المحققين جزاهما الله خير الجزاء على ما بذلا من جهد في تحقيق هذا النص اللغوي الفريد ونشره ، وأملي كبير في أن يأخذا بملاحظاتي هذه فيما اذا أرادا أن يعيدا نشر الكتاب مرة أخرى والله ولي التوفيق .

---

(١) كتاب الكتاب طبعة شيخو الثانية ٩٩

أعمال المجمع ومنجزاته

في الدورة الثانية (تشرين الأول ١٩٧٩ ـ حزيران ١٩٨٠)

نشاط المجمع داخل العراق وخارجه :

تابع المجمع العلمي العراقي العملَ على تحقيق أهدافه الواسعة التي رسمها له القانون . وقد ضُمّ اليه أربعة أعضاء عاملين وهم : الدكتور أحمد عبدالستار الجواري ، والدكتور أحمد ناجي القيسي ، والاستاذ محمد تقي الحكيم ، والاستاذ محمد حسن آل ياسين . وهم من العلماء باللغة العربية وعلومها ، والثلاثة الأولون من أعضاء المجمع السابق ، وقد قوبل إنضمامهم الى المجمع بالترحاب والتقدير ، لما عرف عنهم من علم وفضل ، ولما يؤمّل أن تؤديه خبراتهم الواسعة ومشاركتهم في العمل المجمعي من تعزيز المجمع وزيادة كفايته .

وأُعفي من العضوية الدكتور زكي صالح والدكتور ناجي عباس بسبب عدم مباشرتهما العمل في المجمع وعدم تمكنهما من حضور جلساته ، والمجمع يقدر خدماتهما المجمعية السابقة ويكنّ لها التقدير .

شارك في ندوات علمية عقدت خارج القطر السادةُ الأعضاء ؛ الدكتور صالح احمد العلي ، والدكتور نوري حمودي القيسي ، واللواء الركن محمود شيت خطاب والأستاذ محمد بهجة الأثري ، والدكتور جواد علي ، والدكتور علي عطية . وشارك آخرون من السادة الأعضاء العاملين في عدد من الندوات الإختصاصية التي عقدت ببغداد ؛ وقدّم المجمع مساعدات مادية لندوة « دور الشعر في الوحدة العربية » التي عقدت ببغداد وشارك فيها الدكتور سعدون حمادي ، والدكتور نوري حمودي القيسي ، والدكتور مسارع الراوي .

علاقة المجمع بالمجامع العربية :

إنتُخب الدكتور صالح أحمد العلي عضو شرف في « مجمع اللغة العربية

الأردني » وانتخب الأستاذ محمد بهجة الأثري عضواً في « أكاديمية المملكة المغربية » التي أنشاتها الحكومة المغربية في عامنا هذا ؛ وانتخب الدكتور جابر الشكري عضواً في الهيأة العليا لاتحاد الجمعيات الكيمياوية الآسيوية .

ثبّت المجمع أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق ، كما ثبّت الأعضاء المؤازرين من الوطن العربي والأقطار الشرقية والغربية ، أعضاء مؤازرين ، وأضاف اليهم اعضاء مجمع اللغة العربية ، وعدداً من العلماء المعروفين بالضلاعة في الدراسات المتصلة بما يعنى به المجمع ، وبروحهم العلمية وايمانهم بمكانة الثقافة العربية ودورها الايجابي في الحضارة العالمية . وتلقى المجمع رسائل من الأعضاء المؤازرين يعبرون فيها عن اعتزازهم بانتخابهم ، ويعرضون استعدادهم لتلبية ما يطلبه المجمع منهم .

وزار المجمع من الأعضاء المؤازرين الأستاذ عبدالكريم اليافي (دمشق) والدكتور شكري فيصل (دمشق) والأستاذ فؤاد سزكين (تركيا) والأستاذ فان ايس (ألمانيا الغربية) ؛ وزوّد المجمع عدداً من العلماء وممثلي المؤسسات الثقافية التي تخدم الثقافة العربية وتعمل على انمائها بمطبوعات المجمع وبما في استطاعته تقديمه اليهم من المطالب العلمية . والمجمع يتلقى كثيراً من الكتب والمجلات ونحوها والمعونة العلمية من عدد من المؤسسات العلمية في مختلف الأقطار .

علاقة المجمع بالوزارات والمؤسسات ثقافياً :

قام المجمع بدراسة كثير من الإستفسارات التي قدمتها بعض الوزارات والمؤسسات والشركات ؛ وأجابت « لجنة اللغة العربية » على عدد كبير من الإستفسارات التي وجهتها وزارة الإقتصاد والصناعة عن عربيـــة كثير من الكلمات المستعملة في التجارة والصناعة وفي الحياة المعاشية ، مسايرة بذلك على « قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية » الذي جعل المجمع المرجع الاعلى للحفاظ على سلامة اللغة والتعابير . وقدمت اللجنة تصحيحات ومعربات كثيرة سوف ينشرها المجمع في مجلته ومستقلة .

وأجابت « لجنة التاريخ » على طلبات تقدمت بها « اليونيسكو » عن طريق

وزارة التربية ، فاعدت قائمة بأسماء البارزين من العلماء العرب الجديرين باقامة احتفالات ألفية لتخليد ذكراهم .

ولبّى المجمع طلب عدد من الوزارات والمؤسسات في داخل القطر وخارجه فزوّدهم بالمصطلحات التي سبق أن أقرّها . واستجاب لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي فأبدى رأيه في عدد من المعاجم الاختصاصية لإقرار طبعها .

ديوان الرئاسة :

عقد ديوان الرئاسة ثماني جلسات ، وضع فيها أسس اختيار الأعضاء المؤازرين وأقر اسماءهم ، واسس اختيار الخبراء الذين يشاركون لجان المجمع في عملها ، ودرس مسودة النظام الداخلي ، وقواعد الترجمة والتأليف والنشر ، وطبع كتب المجمع وابحاثه ، والمكافآت التي تدفع لاعضاء اللجان وخبرائها ، ولكتّاب المقالات التي تنشر في مجلة المجمع ، وأقرّ مشروع ميزانية السنة المقبلة وبعض المناقلات في فصول الميزانيـة ، وتزويد المجمـع ببعض اللوازم المادية من سيارات وأثاث ، وشـراء عدد من المخطوطات .

مجلس المجمع واللجان :

عقد مجلس المجمع تسع عشرة جلسة ، أقر فيها القواعد العامة التي وضعتها اللجان المختصة لكل من المجلة ، والتأليف والترجمة والنشر ، وعمل اللجان ، وأتمّ وضع النظام الداخلي على ضوء قانون لتنظيم سير العمل في المجمع وتيسير تحقيق اهدافه ، وتعزيز كيانه ، وأقر القائمة الاولى من الأعضاء المؤازرين ، وأطلع مجلس المجمع على قرارات ديوان الرئاسة ، وأقر ميزانية المجمع والمناقلات التي أجريت بين فصولها وابوابها ، وبحث الخطة المرحلية لعمل المجمع في هذه السنة واطلع على تقارير مقرري اللجان عن الاعمال التي اضطلعت بها وانجزتها ، وناقش مقداراً من المصطلحات ، وما رفع اليه من مذكرات عن « ندوة بغداد ومؤرخها الخطيب البغدادي » التي قرر المجمـع عقدها ، وعن سـلامة اللغة العربية ، وبحث اموراً تتعلق بالمصطلحات . ولما كان العمل العلمي التفصيلي يتم عن طريق اللجان ، فقد تابعت هذه اللجان جلساتها على وفق القواعد التي سبق أن أقرها المجمع .

اقترحت اللجان مشاركة خبراء من غير أعضاء المجمع للافادة من خبراتهم ، ولتوثيق صلة المجمع بالمؤسسات العلمية في بغداد ، واطلاعهم على عمل المجمع ، وقد أقر ديوان الرئاسة أسماء الخبراء الذين اقترحتهم اللجان ، وكان عددهم اثنين وخمسين عضواً ، موزعين على مختلف اللجان . وألّفت هيأة اللغة الكردية وآدابها لجاناً للمجلة ولإعداد معجم كردي ، ولدراسة الآداب والثقافة الكردية كما ألّفت هيأة اللغة السريانية . لجنتين تضطلع إحداهما بعمل معجم ، والاخرى بدراسة الثقافة السريانية واعداد معلمة فيها .

وكونت بعض اللجان لجاناً فرعية يختص كل منها بفرع خاص من فروع المعرفة التي عهد الى اللجنة الاصلية دراستها .

المصطلحات :

عقدت لجان المجمع جلسات اسبوعية بحثت فيها كل لجنة الموضوعات التي تخصها مما يتصل بأهداف المجمع وييسر تحقيقها ، وكان المجمع قد قرر إعطاء الأولوية في هذه السنة للمصطلح العلمي فعُنيت كثير من اللجان بهذا الجانب .

وقد أجابت لجنة اللغة العربية على عدد كبير من الاستفسارات التي وردت الى المجمع من جهات رسمية وأهلية متعددة حول عربية كثير من التعابير المستعملة في التجارة والصناعة والحياة اليومية واقترحت اللجنة كلمات عربية لكثيرمن هذه التعابير والمصطلحات المنوعة ، وتكوّن هذه المقترحات ثروة لغوية قيمة ، لأصالتها وسعتها واتصالها بالحياة اليومية ، وقد بُذل فيها جهد مشكور ، قائم على معرفةواسعة ، وإدراك فطِن ، وحرص دقيق . وستنشر المصطلحات في مجلة المجمع ومستقلةً ، تعميماً لفوائدها الجزيلة .

وأكملت لجنة الفيزياء والرياضيات تعريب (٣٥٠ مصطلحاً) في الفيزياء ، و (٢٥٠ مصطلحاً) في الرياضيات ، وقد اطلع عليها أعضاء المجمع وناقشوها ، وقدّروا الجهد الذي بذل في اعدادها .

وأنجزت لجنة الهندسة تعريب المصطلحات الأجنبية في الهندسة المدنية ، واتخذت من المعاجم الأجنبية المعتمدة أساساً لتنظيم عملها ، وأنجزت تعريب (٦١٥ مصطلحاً) تشمل تكملة حرف(C) ومجموع حرف (D) وبعض حرف (E) .

وعنيت لجنة الزراعة بتعريب المصطلحات الخاصة بالري الحقلي وبالغابات، فأنجزت تعريب (٢٠٠ مصطلح)، ودرست لجنة التربية تعريب المصطلحات التربوية التي تبدأ بحرف(D) متخذة المكنز التربوي أساساً لها، كما قامت « لجنة علم النفس » المتفرعة منها بدراسة تعريب المصطلحات التي تبدأ بحرف(D).

وأعدت « لجنة الحضارة » قائمة بمصطلحات حضارية، معتمدة في ذلك على عدد من الكتب التراثية .

وتابعت لجنة الهندسة « ولجنة علم النفس » العمل الذي كان قد بدأتا به من قبل.

واقترحت عدة لجان ترجمة بعض المعاجم الاختصاصية المعتمدة الى اللغة العربية : اقترحت « لجنة الرياضيات » تدقيق « معجم الرياضيات » الصادر عن « مكتب تنسيق التعريب » في الرباط، وهو معجم يضم (٢,٥٠٠ مصطلح) في الرياضيات .

واقترحت « لجنة التربية » ترجمة « معجم جود » في التربية .

واقترحت « لجنة الهندسة » ترجمة « معجم سكوت » في الهندسة المدنية.

واقترحت « لجنة الكيمياء » ترجمة « كتاب موجز في الكيمياء والفيزياء ».

تكونت للجان ، من خلال عملها في إعداد المصطلحات ، آراء في طبيعة المصطلح ، وشروط وضعه ، والطرق الكفيلة بانجازه على أحسن وجه، ودونت بعض اللجان ملاحظات قيمة في ذلك ، ولأهمية الموضوع وتعدد جوانبه وتشابك أطرافه، أقترح أن يعقد المجمع ندوة موسعة لدراسته .

واتجهت بعض اللجان الى مؤلفات السلف العظيم ، تستخرج مصطلحاتها ، وتختار منها الأفكار الجديرة بالعناية .

وآثرت « لجنة التاريخ » القرآن الكريم ، فقامت بجرد ما فيه من تعابير تاريخية وحضارية تمهيداً لتصنيفها وشرحها واعداد معلمة للقرآن الكريم .

(واختارت « لجنة التربية » كتابي « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبدالبر و « أدب الدنيا والدين » للماوردي) .

واقترحت « لجنة الحضارة » اختيار كتب معتمدة في عدد من فروع المعرفة لانتخاب نصوص منها تعبر عن انجازات العرب في تلك الفروع ، والتعابير التي استعملوها وأسلوب عرضها .

وأكدت « لجنة علم النفس » أهمية الرجوع الى المصطلحات الخاصة في علم النفس والطب النفسي في التراث العربي .

قدمت لجان الفيزياء والرياضيات ، والهندسة والكيمياء والتربية واللغة العربية اقتراحات لتنظيم العمل في المصطلحات من أجل الوصول الى إنجاز أكبر وأدق .

وتجمل هذه المقترحات بما يأتي :

١ ـ إنشاء شعبة خاصة في المجمع لها موظفون يكرسون عملهم للمصطلحات بما ييسر اعمال اللجان .

٢ ـ اجراء مسح شامل لما صدر من مصطلحات العلوم المختلفة ، ومتابعة الاطلاع على الأعمال التي تقوم المؤسسات الأخرى في العراق وفي أقطار الوطن العربي ، والتنسيق مع مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، والعمل على الإفادة من الجهود المبذولة في البلاد الأخرى في هذا الميدان .

٣ ـ جمع المصطلحات ببطاقات خاصة وترتيبها تبعاً لأصناف العلوم ،وسردها وبحسب حروف الهجاء .

٤ ـ دراسة طريقة عملية وميسرة لإ قرار المجمع للمصطلحات .

٥ ـ عقد ندوات قطرية وقومية لاقرار ضوابط وأسُس عامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتطبيقها .

أعمال علمية أخرى :

قامت عدة لجان بدراسات في موضوعات تتصل بعملها ، فدرست « لجنة اللغة العربية » الارقام العربية ، وتيسير علم العروض ، وكتبت تقريراً واسعاً في « تطويع طرائق تعليم اللغة العربية » تُلي على أعضاء المجمع ونوقش في جلسة خاصة .

ودرست « لجنة التربية » الأعلام التربويين العرب وآراءهم التربوية والنفسية .

ودرست « لجنة التاريخ » الإدارة عند العرب ، والعوامل المؤثرة في المؤرخين في تدوين تأريخهم ، وأسباب تمايز المؤرخين ، وأحوال النشر ومعوقاتها ، وسبل تيسيرها ، والدراسات التاريخية في بعض البلاد الأوربية ، اضافة الى عملها في إعداد المعجم الحضاري للقرآن الكريم .

ودرست « لجنة التراث العلمي العربي » مؤلفات حنين والكندي المخطوطة والمطبوعة في المجلات العلمية ، وأهمية دراسة تاريخ العلوم عند العرب ، وتصنيف العلوم ، والكتب التي تهتم بذكر أسماء المؤلفات ، وكتب تاريخ العلماء وعوامل قلتها ، وكتاب الفهرست لابن النديم ، وأثر الفكر العربي في النهضة الأوربية وأسُس تصنيف السكان في القديم وعلاقته بتقدير مشاركاتهم الثقافية ، ومصادر الثقافة الاغريقية ، كما درست تقدم علم الحساب عند العرب ، وحسابات الدواوين وكتب الاحجار وأهميتها ، وديوسقوريدس وكتابه .

ووضعت « لجنة الاصول » أسساً لعملها ، وهي تشمل دراسة أساليب التعبير المستعملة الآن في الصحافة ، وأصول اللغة وقواعدها النحوية والصرفية والبلاغية ، وضبط عين الفعل الثلاثي ، ورد العامي الى الفصيح ، وأصول الاصطلاح ، وإحياء التراث اللغوي ، بدراسته وتحقيقه وإعداده للنشر .

العناية بدراسة التراث ونشره :

أولى المجمع التراث العربي اهتماماً خاصاً ، فشرع في تنمية مكتبته باضافة صور عدد من المخطوطات المهمة ، وقد بذلت « لجنة التراث العلمي العربي » جهوداً

خاصة ، فاختارت عدداً من المخطوطات المهمة ، وعملت على الحصول عليها وتزويد المكتبة بها ، وقامت بدراسة بعضها ، ووضعت خططا لطبع الكتب المهمة في التراث العلمي العربي ، أو إعادة طبعها ، وركزت جهودها مرحلياً على مؤلفات حنين بن اسحق ويعقوب بن اسحق الكندي ، على أن تعقبها دراسات تالية عن علماء آخرين وفي ميادين منوعة من العلوم العربية .

ووضعت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » خططاً لجمع فهارس المخطوطات والمطبوعات التراثية ، وتحديد المخطوطات المهمة الجديرة بالأسبقية في النشر ، وإسناد تحقيقها الى المتمرسين بالتحقيق ، او طبعها مصورة ، كما أقرت العناية بإجراء دراسات متعمقة في بعض ميادين المعرفة ووضعت كذلك قواعد للنشر والتملك ومكافآت الباحثين وطبع الكتب وتوزيعها .

ونظرت في طلبات طبع ستة عشر كتاباً ، وأقرت طبع ثمانية منها ، كما اقرت ترجمة عدد من الكتب التي تفيد في دراسة التراث ومعرفة مصادره .

وقررت « لجنة الحضارة » إعداد كتب فيها مقتطفات تمثل التفكير العربي ومنجزاته في عدد من فروع المعرفة .

وكونت كل من هيأة اللغة الكردية وآدابها ، وهيأة اللغة السريانية لجنة لدراسة التراث ، وتم طبع ثمانية كتب باللغة الكردية وآدابها ومشاركاتها التراثية ، كما ألّفت كل منهما لجنة لإعداد معاجم معتمدة في لغتها المختصة .

وابتاع المجمع عدداً من الكتب التراثية المطبوعة في العراق ليزود بها المؤسسات والباحثين في خارج العراق على سبيل الإهداء والتبادل .

ويسّرَ المجمع لعدد من الباحثين في التراث عملهم ، فصور رقيّقات المخطوطات التي يقومون بدراستها ، وأهدى مقداراً من مطبوعاته الى عدد من الجامعات والمؤسسات والعلماء في داخل القطر وخارجه ، وهو دائب على الاستجابة للطلبات التي تقدم اليه من مختلف الأقطار على قدر استطاعته .

متابعة التطورات الفكرية الحديثة :

ومن أجل متابعة التطورات الفكرية الحديثة ، وإقامة التقدم الفكري على أسُس أوسع ، رأت بعض اللجان ان يضطلع المجمع بترجمة عدد من الكتب المعتمدة التي تنسجم مع مستوى المجمع فتساعد على تحقيق أغراضه ، فاقترحت الكتب الآتيـــة :

(1) Wiles, Foundations of Modern Education.
(2) Carters Dictionary of Education.
(3) Deighton. Encyclopedia of Education,
(4) Smith: History of Mathematice.
(5) Ullman. Medicin in Islam.
(6) Kraus. Jabir Ibn Hayyan.
(7) Baumushtark. Geschichte Der Syriachen Literatur.
(8) Campel. Dictionary of Assyrian Geology.
(9) Campcl. Dictionary of Assyrian Botany

الندوات :

١ ــ أقر المجمع إقامة « ندوة عن بغداد ومؤرخها الخطيب البغدادي » ، وألف لجنة فرعية اضطلعت بدراسة الموضوع من جوانبه العلمية والادارية والمالية ، وقدمت الى مجلس المجمع مذكرة مفصلة في ذلك وافق عليها ، ثم تابعت اللجنة عملها فعقدت عدة جلسات بحثت فيها تفاصيل الجوانب العلمية وكيفية تنفيذها .

وقررت اللجنة طبع ما لم يطبع بعد من المخطوطات المؤلفة في تاريخ بغداد وخططها وأعلامها ، وكذلك مؤلفات الخطيب البغدادي التي ما تزال مخطوطة ، وقررت أيضاً جمع النصوص المتعلقة بالموضوعين على وفق أسس مثبتة ، وترجمة الكتب والدراسات المعتمدة في الموضوعين ، وأقرت موضوعات تتناول جوانب متعددة من أحوال بغداد وتطورها ، وثقافة الخطيب البغدادي وأعماله ، واقترحت اسماء من يضطلعون بكل شأن من ذلك واباحت احتمال اضافة موضوعات اخرى الى ما أقرته ، وقد أقر المجمع قرارات اللجنة ، وأقر قيامها بطبع الكتب المحققة،

والأبحاث المقـــرة ، ومنح القائمين بها المكافآت والاجور المقررة ، وبعد ان اعتمدت هذه المقررات وجهت اللجنة الى من اختيروا للعمل كتباً تخبرهم بالقرارات وتحضّهم على إنجاز العمل ، وأكد إعطاء الاهمية الكبرى لما يطبع ، والترام المجمع طبعَ هذه الكتب وإن كان انجازها لا يتمّ إلا بعد انعقاد الندوة .

وتقرر أن تعقد الندوة من أواخر السنة الحالية ، غير أن ضخامة العمل وتشعبه قد يؤدي الى تأجيل موعد انعقادها الى السنة المقبلة .

واللجنة تحاول اشراك عدد من مؤسسات الدولة لتحقيق اغراض الندوة بتقديم صورة مستوعبة لتطور بغداد منذ نشأتها الأولى حتى العصر الحديث .

واقر المجمع قيام هيأة اللغة الكردية بتنظيم ندوة لبحث رسم الكتابة باللغة الكردية تعقد من أوائل صيف هذه السنة في منتجع صلاح الدين ، ثم تقرر تأجيل عقد الندوة بعد أن اكتملت الإعدادات لها بسبب الأحوال الطارئة .

وأقر إقامة حلقة دراسية لبحث التاريخ الاقتصادي ومدى الإفادة من مختلف انواع المصادر العربية فيدراسة التعابير والافكار والنظم الإقتصادية التي تذكرها هذه المصادر .

مجلة المجمع :

وضعت لجنة المجلة قواعد لتنظيم المجلة وشؤونها الإدارية والعلمية وقد أدخلت على ضوء تلك القواعـــد تعديلات على شكل اخراجها ، ووفقت في اصدارها فصلية باربعة اجزاء كبار . وقد عنيت اللجنة بنشر المقالات الرصينة في مختلف جوانبالمعرفة مما يكتبه أعضاء المجمع وغيرهممن الباحثين والعلماء واساتذة الجامعات ونشر القرارات التي يصدرها المجمع والتقارير التي تعرض عليه ، والأخبار التي تتعلق بأعماله العلمية .

واصدرت الهيأة الكردية جزءاً ضخماً من المجلة مختصاً بالأبحاث المكتوبة باللغة الكردية وبما يتعلق بالثقافة الكردية ومشاركة الأكراد بالحضارة الاسلامية .

واعدتالهيأة السريانية مواد جزء منالمجلة خاص باللغة السريانية وآدابها ومشاركتها في ازدهار الفكر العربي .

المكتبة :

وجه المجمع عناية خاصة بالمكتبة لتنميتها واضافة ما ينقصها من الكتب والمجلات والمعاجم المفيدة في الابحاث المتصلة بأغراض المجمع ، فاضاف اليها خلال هذه السنة ٢٨٣١ كتاباً باللغة العربية ، و ١١٥٠ كتاباً باللغة الاجنبية ، واستنسخ لها عدداً من الكتب التي لم يمكن الحصول على نسخها .

ولقيت المجلات العلميـــة العناية التي تستحقها ، فأعيد تنظيمها ، وجردت موجوداتها ، وأكملت بالأعداد التي تنقصها . وتم ابتياع مجموعة من الكتب القيمة من مكتبة هاراسوفتز . ومعظم المطبوعات التي اضيفت الى المكتبة جاءت عن طريق الشراء ، غير أن عدداً منها جاء عن طريق الهدايا والمبادلة .

وتضم المكتبة حالياً (٣٣٫٨٦٠ كتاباً) باللغة العربية ، و (١٥٦٥ كتاباً) باللغة الكردية و (٢٣١ كتاباً) باللغة السريانية ، و(٢٥٣٠ كتاباً) باللغات الأجنبية ، وتضم كذلك (٤٥٦) من الدوريات العربية و (٤٨) من الدوريات الأجنبية ، ومجاميع كاملة لعدد من الصحف العراقية وتعدّ الآن فهارس على أسس علمية للكتب التي لم تتم فهرستها بعد .

وقد أضيفت الى شعبة المخطوطات من المجمع تسعون مخطوطة مصورة على الورق ، وأربع وعشرون مخطوطة مصورة على « الرقيقات » فبلغ مجموع المخطوطات المصورة على الورق (١٢٤٤) ، ومجموع المخطوطات المصورة على « الرقيقات » (٥٥٠) .

وقد صدر الجزء الأول من الفهرس المفصل الذي وضعه العضو العامل ميخائيل عواد لمخطوطات المجمع ، وسيصدر قريباً فهرست المخطوطات السريانية في بعض الأديرة العراقية .

وقد جهزت شعبة المخطوطات بجهاز قارئ ، وجهاز قارئ طابع وستجهز بخزانات خاصة لحفظ « الرقيقات » .

واقتنى المجمـــع مخطوط معجم عربي سرياني كان قد أعدّه حنا بشى

ومخطوطات بالسريانية عن بينات افراهاط ، والمغناطيس ، وحياة القديسين ، وطقس نينوى ، وصوّر ستاً وثلاثين مخطوطة باللغة السريانية .

الشعبة الفنية :

زُودّت الشعبة الفنية بجهاز حفر المستنسخات وبما تحتاج اليه من الأدوات وورق الطباعة والاستنساخ إضافة الى اجهزتها المكوّنة من جهاز قارئ طابع ، وجهاز قارئ « للرقيقات » وجهاز استنساخ .

وقد قامت بالأعمال التي يتطلبها المجمع واعضاؤه ، ولبّت طلبات بعض دوائر الدولة الأخرى والأفراد من خارج المجمع ، فصوّرت لمكتبة مخطوطات المجمع (٣٧،٥٣٧ ورقة) وللجان المجمع (٧٠٣٠ ورقة) ولدوائر الدولة (١٤٦٥ ورقة) ولأفراد باحثين من خارج المجمع (١٧٣١ ورقة) وبلغ ما صورت اكثر من تسعة وستين ألف ورقة وهو انجاز كبير يقدّر عليه العاملون من هذه الشعبة ، علماً بأن العاملين فيها ثلاثة موظفين وعامل واحد ليس غير .

المطبعة :

وفي المجمع الآن مطبعتان يشرف على كل منهما مشرف فني وثمانية عشر من الموظفين والعمال الفنيين وغير الفنيين . وقد تم خلال هذه الدورة طبع ثلاثة أجزاء من مجلة المجمع العربية ، وجزء واحد من مجلة المجمع الكردية ، وخمسة كتب باللغتين العربية والكردية ، ويجري إكمال طبع خمسة كتب أخرى ، وجزء من مجلة المجمع .

وقد جهزت المطبعة بادوات احتياطية وتكميلية بلغت كلفتها عشرة آلاف دينار ، ويجري العمل لزيادة كفاية المطابع للقيام بالمتطلبات المتزايدة بعد توسع المجمع ، وتجري الآن معاملة شراء حروف سريانية ليتيسر بها طبع النصوص والكتب المكتوبة بالسريانية .

شؤون مادية :

ابتيعت حافلتان لنقل موظفي المجمع وعمالهم ، وسيارتان إحداهما لرئيس

المجمع والأخرى للأمين العام وأعضاء المجمع ، وهو في سبيل شراء سيارة متوسطة الحجم . وبيع ثلاث سيارات مما اصبحت غير صالحة للاستعمال .

وأثث ردهة الاجتماعات بالسجاد والكراسي ، وبمنضدة دائرية كبيرة ، وجهزت باجهزة التكلم والتسجيل . واضيفت الى المجمع الأثاث الذي اقتضاه التوسع الكبير في المجمع من مناضد وخزانات ومراوح وحاجز للاستعلامات .

واصلحت سطوح البناية الرئيسة للمجمع ، وصبغت البناية التي تشغلها الهيأة السريانية وتم تسطيحها .

إن رئاسة المجمع تدرك ما تستنزفه الأعمال التي تقتضيها الواجبات الرسمية للأعضاء الذين يشغلون وظائف ذات أهمية بالغة في إدارة الدولة وتوجيهها ، وهي تقدر الجهود الكبيرة التي بذلوها في تحقيق أهداف المجمع ، والأعمال التـي انجزوها خلال هذه المدة القصيرة نسبياً .

والحق أن ما أظهروه من حماسة وحرص وتعاون كان من أبرز سمات العمل المجمعي التي تستحق التقدير . ولا تفوتنا الإشارة إلى الجهود المخلصة للخبراء الذين قدموا ما لديهم من خبرات وعلم في خدمة المجمع بمشاركتهم المثمرة في أعمال اللجان ، وننظر بعين التقدير للجهود الصادقة التي يبذلها الموظفون والعمال من أجل تيسير عمل المجمع في إداء رسالته .

إن ما تم انجازه في هذه السنة جدير بالتقدير ، ونرجو من الله ان يعين كلاً منا على متابعة العمل للاضطلاع بمهمات المجمع وتحقيق رسالته ومن الله نستمد العون والتوفيق .

الدكتور صالح أحمد العلي

رئيس المجمع

تصحيح أغلاط مطبعية في الجزء الثالث

ص	س	خ	ص
٣٤٣	٥، ٩	الكتب	الكتاب
٣٤٣	١٩	التقزي	النفزي
٣٥١	١	إذ	إذا
٢٥١	٢	لبسوا	تحُذف
٣٦٢	١٧	والفارس..بفارسي	والفارسي..بفارس
٣٨٦	١٩	ديوان	الديوان
٣٨٩	٥	على القاء	كلام على القاء
٣٨٩	١٣	أراه	أراد
٣٩١		إلآه الله	إلآه إلا الله
٣٩٢		متفعلْ مفعولن	متفعلْ ← فعولن
٣٩٣		في	من
٣٩٥		خلق	فلق
٣٩٧		يجعل	يعجّل

★ ★ ★



الفهرس

المقالات

ص

عرض الكتب

آراء وأنباء

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٦ لسنة ١٩٨٠
مطبعة المجمع العلمي العراقي ٣٠٠٠ / ١٠ / ١٩٨٠

مجلـــة المجمع العلمـي العراقي

أنشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

العنوان : بغداد الوزيرية ص . ب. (٤٠٢٣)

(تصدر أربعة أجزاء في السنة)

قيمة الجزء : ٦٥٠ فلساً ، وتضاف اليها أجرة البريد

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

تطلب المجلـــة من المجمع ومن الدار الوطنية للتوزيع - بغداد

البحوث التي تنشر في المجلـــة تعبر عن آراء كتابها الشخصية